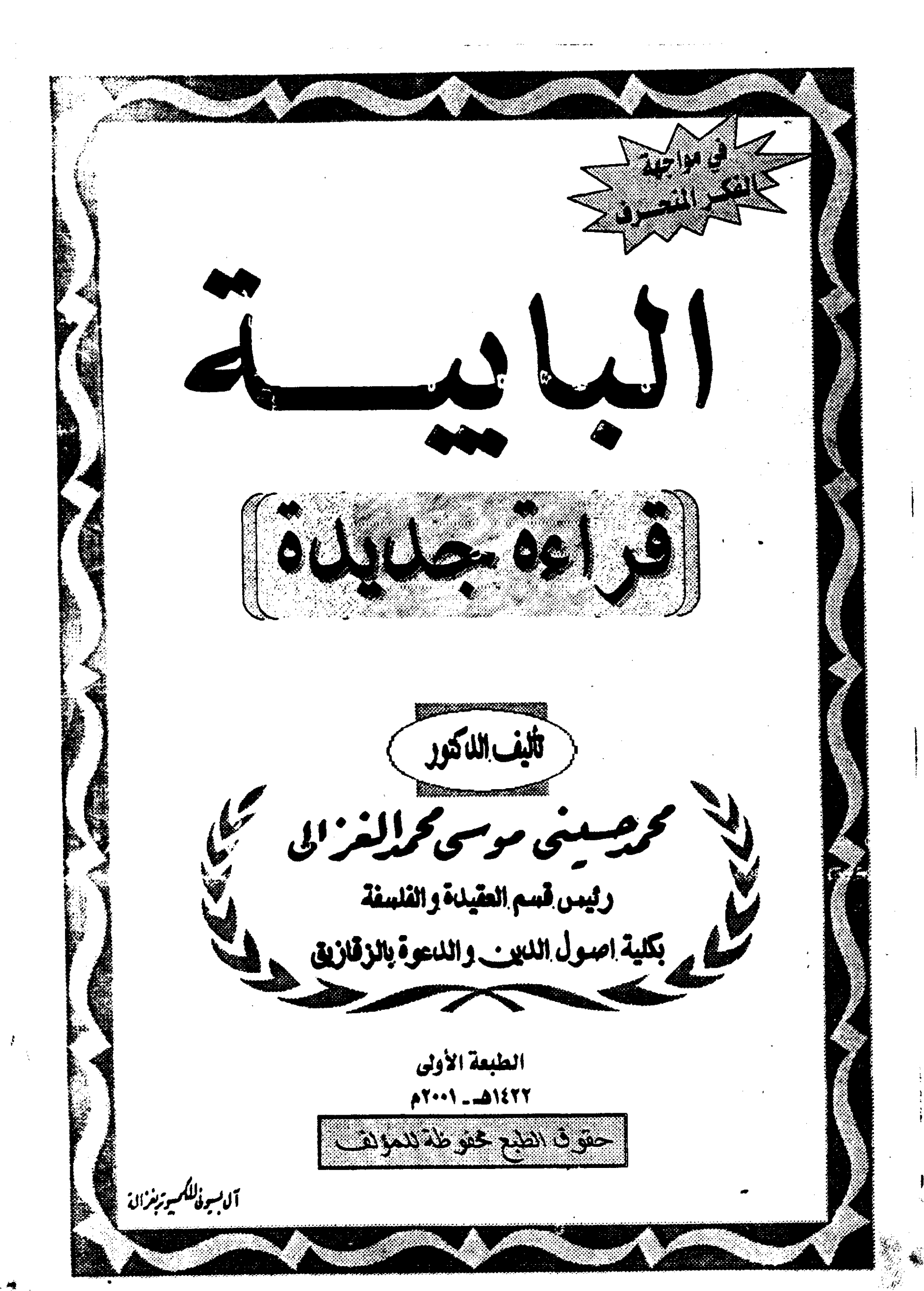

في مواجهة
الفكر المنحرف

البابيـــة

قراءة جديدة

تأليف الدكتور

محمد حسيني موسى محمد الغزالي
رئيس قسم العقيدة والفلسفة
بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

آل البسيوني للكمبيوتر بغزالة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى : ...

* الروح الأبية والنفس النقية
* العقل المجتهد والجوانح الوفية

روح شيخ شيوخي

الأستاذ الدكتور

محمد البهي

وزير الأوقاف الأسبق

رحمه الله وجعل الجنة مثواه

أحد تلاميذكم

دكتور

محمد حسيني موسى محمد الغزالي

محافظة الشرقية - الزقازيق - غزالة الخيس

تليفون: ٢٢٠١٠٧٥ / ٠٥٥ الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله عرف المكلفين طريق الهدى وحثهم عليه، وطريق الضلال وحذرهم من السير فيه، وبين أن آثار الهدى تأخذ بصاحبها إلى الخيرات، فينعم الله عليه بالثواب العظيم بعد الممات، أما آثار الضلال فإنها تلقي بصاحبها في أتون العذاب وأقسى اللجات. قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل إرسال الرسل قاطعاً لأعذار المكلفين، وحجة على المهملين، وشهادة على المكذبين، فمن انحرف عن هدى الله، فقد أغضب رب العالمين. قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾(٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ختم الله به النبوات، وجعل رسالته خاتمة للرسالات، فمن ادعى بعده نبوة فهو كاذب، ومن زعم بعده أنه أوحي إليه فقد خرج على ما شرع الله. قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٥٧.

(٢) سورة النساء – الآيتان ١٦٥/١٦٦.

(٣) سورة الأحزاب – الآية ٤٠.

وفي الحديث الشريف: « عن أبي هريرة[١] قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لم يبق من النبوة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[٢].

وقال ﷺ أيضا: « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ »[٣].

---

(١) هو أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الشري بن طريف بن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب الدوسي. وعن أبي هريرة قال: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالرحمن وكنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي أبو هريرة. وقد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثا. قال البخاري روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم وكان أحفظ من روى الحديث في عصره . وقد عاش أبو هريرة ثمانيا وسبعين سنة، وكانت وفاته بقصره بالعقيق سنة ٥٧هـ فحمل إلى المدينة. راجع الإصابة في تمييز الصحابة - (العلامة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ) -: القسم الأول [من ذُكر له صحبة. وبيان ذلك].. رقم: ١٠٦٧٤ - ص٤٢٦/٤٤٤ .

(٢) الإمام البخاري صحيح البخاري - باب: المبشّرات - الحديث رقم: ٦٥٨٩ - والمراد بـ[(لم يبق) أي بعد نبوته صلى الله عليه وسلم. (إلاَّ المبشرات) المبشرات: جمع مبشرة من التبشير، وهو إدخال السرور والفرح على المبشر. والمراد أن الوحي ينقطع بموته صلى الله عليه وسلم، ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا].

(٣) الإمام السندي - حاشية السندي على النسائي - باب تعظيم الرب في الركوع - الحديث رقم: ١٠٣٩ - (رواه ابْنِ عَبَّاسٍ) . قال السندي: [قوله: (من مبشرات النبوة) أي مما يظهر للنبي من المبشرات حالة النبوة وهي بكسر الشين ما اشتمل على الخبر السار من وحي وإلهام ورؤيا ونحوها ولا يخفى أن الإلهام للأولياء أيضا باق فكأن المراد لم يبق في الغالب إلا الرؤيا الصالحة (يراها المسلم) أي المبشر بها أو يراها غيره لأجله (فعظموا الخ) أي اللائق به تعظيم الرب فهو أولى من الدعاء وإن كان الدعاء جائزا أيضا فلا ينافي أنه كان يقول في ركوعه اللهم اغفر لي (فاجتهدوا في الدعاء) أي أنه محل لاجتهاد الدعاء وأن الاجتهاد فيه جائز بلا ترك أولوية وكذلك التسبيح فإنه محل له أيضا »قمن« بكسر ميم وفتحها أي جدير وخليق قيل: بفتح الميم مصدر وبكسرها صفة » وروى ابن ماجة : « باب الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له- الحديث رقم: ٣٨٩٦- عَنْ أُمِّ كُرْزٍ الْكَعْبِيَّةِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ (ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَاتُ).

وقال ﷺ: « إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين »(١).

اللهم صلى وسلم وبارك عليه، فهو النور الذي بعث به رب العالمين، ومعه القرآن الكريم الكتاب المبين، من اتبعه هدى ومن تركه ضل وغوى. قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

وجاء بالحديث الشريف: « عن الحارث الأعور قال: "مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت على عليّ، فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أوقد فعلوها؟ قلت: نعم، قال: أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنها ستكون فتنة، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدي في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم »(٣).

---

(١) صحيح البخاري – الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي – باب: خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم. – الحديث رقم: ٣٣٤٢ – من رواية عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة المائدة – الآيتان ١٥/١٦.

(٣) سنن الترمذي (وشرح العلل)، – باب ما جاء في فضل القرآن. في الحديث رقم: ٣٠٧٠– وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول. وفي حديث الحارث مقال.

وارض اللهم عن آل بيته الطاهرين وأصحابه الغر الميامين⁽¹⁾، وأتباعه الذين كانوا الدرة البيضاء في الجبين، وأكرم اللهم شيوخنا علماء المسلمين القائمين على شرع ربهم العاملين بما كلفهم به، وارحم والدينا وأهل الخير، وأفض علينا من كرمك، واجعل ذرارينا وأهلينا في نعيم مقيم، وأقلنا من العثرات، فأنت رب العالمين وأرحم الراحمين.

أما بعد

فإن الله تعالى قد جعل النبوات هدايات، وقد عرف ذلك الكثيرون، فعاشوا مرفوعي الهامات، وانتقلوا إلى الآخرة يرفلون في نعيم الجنات، أكرمهم رب العالمين في الدنيا بأوثق الصلات، وفي الآخرة تكون شهادتهم أعلى الشهادات. قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾⁽²⁾.

---

(١) راجع شرح مسند أبي حنيفة (٨٠-١٥٠ هـ). للإمام القاري - حديث القدر في الهامش قال: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أصحابي كالنجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى » وفي صحيح الإمام مسلم - باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة. الحديث ٢٠٧ - (٢٥٣١) عن أبي بردة، عن أبيه. قال: « صلينا المغرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء! قال فجلسنا. فخرج علينا. فقال "ما زلتم ههنا؟" قلنا: يا رسول الله! صلينا معك المغرب. ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال "أحسنتم أو أصبتم" قال فرفع رأسه إلى السماء. وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء. فقال "النجوم أمنة للسماء. فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمنة لأصحابي. فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمنة لأمتي. فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » . وأخرج الإمام أحمد في مسنده. و أخرجه السيوطي في الجامع الصغير - الحديث ٤٦٠٣- عن رسول الله قال: « سألت ربي فيما تختلف فيه أصحابي من بعدي. فأوحى إلي: يا محمد: إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء بعضها أضوأ من بعض: فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى » وفي الحديث الشريف أيضا: « احفظوني في أصحابي وأصهاري. فمن حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة. ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه. ومن تخلى الله منه أوشك أن يأخذه » وقال السيوطي أخرجه: البغوي الطبراني في الكبير.

(٢) سورة غافر - الآيتان ٥١/٥٢.

غير أن بعض الناس تشرد بهم أفكارهم، وتنزلق إلى الضلال عقولهم. فتنحرف معهم غاياتهم، وربما سيطرت عليهم أوهامهم، فما عادوا يبصرون ما يجري تحت أقدامهم، وما صاروا قادرين على معرفة التفرقة بين ظنونهم من خيالاتهم، وحينئذ تنقلب الحقائق معهم أوهاما، وتتبدل الخيالات أحلاما، فلا يعرفون إلا الضلال، يزرعونه بقيعان أفكارهم، ويرونه بعصارة أوهامهم، حتى يطلع القاصي والداني على أمراض عقولهم.

وحين كنت أطالع أقوال العلماء في الفرق التي خرجت عن الطريق الحق إلى غيره، والنحل التي أنشأها أصحابها للتعبير عن وجداناتهم المضطربة، ومشاعرهم المتناقضة، فقد وقفت على نحلة الشيرازي، التي عرفت باسم البابية، ويعلم الله أنني حاولت القراءة عنها مرات، وبخاصة فيما كتبه المنصفون حولها(١).

بيد أنني أعترف بأن كل ما قرأته عنها - هو القليل جداً بالنسبة لما قرأه غيري - كان باللغة العربية التي أعرفها، بينما ذكر الكثيرون أن الشيرازي كان يكتب آراءه بالفارسية في أغلب الأحيان، إما تعصبا للفارسية، وهي لغته القومية، أو هربا من أن توجد تلك باللغة العربية، فيقع له من الأعداء بعدد قراء العربية من أهل الإسلام(٢)، ولا شك لو أنني وقفت عليها باللغة التي كتبت آراؤه بها؛ فربما أفضل بالنسبة لي على الأقل.

في نفس الوقت؛ فإن قراءاتي للنحل المختلفة كالبابية والبهائية في فارس، والقاديانية بالهند والأحمدية بالباكستان وغيرها من النحل التي ظهر القول بها في ديار الإسلام، قد

---

(١) لأن القارئ لفكر إنما تابعه عند أصحابه وجدهم يعلونه فوق الجميع. حتى كأن صاحبه نبي مرسل أو أعلى منه. وإذا قرأه عند خصم له فربما أنزله كله إلى دائرة الجحيم. أما المنصفون: فإنهم يذكرون له وما عليه. وهي النظرة الموضوعية القائمة على البرهان العقلي.

(٢) الأستاذ عبدالحي محمد بن علي النحاس - البابية بين النحلة والفرقة ص١٣ ط أولى - الديار النعمانية ١٣١٣هـ ص١٩ طبعة الدار اليمنية ١٣٣٧هـ

جعلني أراجع مواقفي مع نفسي، فرأيت من الضروري أن أعيد النظر في كل نحلة منها على سبيل الاستقلال[١]، وأحاول التعرف عليها والتعرض لها في شيء من الصبر مع الحذر والأناة.

وأعترف أن الكثيرين من أهل الإسلام قد سبقوني للكتابة في تلك النحل الشاذة، وأصدروا عليها الأحكام الكثيرة المتعلقة بها على الناحية الشرعية، وقد استفدت منهم كثيرا[٢]، ومن ثم؛ فقد رأيت من الواجب الشرعي أن أساهم بجهودي المتواضع بالنسبة لهذا الكتاب في تناول نحلة البابية وقراءتها من ناحية أخرى، بحيث تعتبر قراءة جديدة لوثائق قديمة.

وربما يتساءل المرء نفسه: هل يكفي العالم المسلم - أما أنا فطالب علم - أن يؤدي الصلوات والزكوات والصيام بجانب الحج، ثم يقوم بالواجب الوظيفي وكفى؟ أم أن هناك واجبات أخرى لابد له من القيام بها؟

والجواب: أن المفكر المسلم - وبخاصة إذا كان ممن شرفهم الله تعالى بخدمة العلم المتعلق بالدين الإسلامي - عليه واجب شرعي أكيد[٣]، وهو إعادة النظر في القضايا

---

(١) وضعت في حسباني الكتابة عن البهائية أيضا، ثم القاديانية، ثم الأحمدية وكذلك النصيرية، وكنت كتبت عن الجمهوريين بنفس المنهج الذي وضعته لنفسي.

(٢) من ذلك؛ حقيقة البابية والبهائية للأستاذ محسن عبدالحميد، والبابية والبهائية في الميزان - لجنة من علماء الأزهر الشريف - البابية والبهائية والقاديانية للدكتور حسن محرم(وهو شيخي الذي أشرف على رسالتي العالمية - الدكتوراه - بكلية أصول الدين بالقاهرة، وحصلت على بها على الدرجة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، فله مني خالص الشكر). والبابية والبهائية للدكتور محمد إبراهيم الجيوشي. وكثير غيرهم وسيراجع القارئ ذلك في صلب هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(٣) مادام قادرا عليه. إذ لا يعقل أن ينام العالم عنه، حتى يقوم العامي به، فالله جعل خدمة العلم على الناحية التكليفية واجبا على المفكر المسلم العالم به. قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ سورة التوبة - الآية ١٢٢ .

التى سبق طرحها، لكن شريطة أن تكون الإعادة لغرض جديد، وبطريقة تناسب الظرف الذى نعيش فيه؛ ابتغاء مرضاة الله رب العالمين.

من ثم؛ فإن هذه الدراسة سأخصها للحديث عن البابية قراءة جديدة مع محاولة الغوص فى عميق الأفكار التى نادى بها رأس النحلة ثم من جاء بعده لخدمتها والمبادئ أو القواعد التى أقامها عليها، مع بيان الظروف التى وقعت فيها، والعوامل التى ساعدت على ظهورها، مع الأخذ فى الاعتبار المنهج الوصفى تارة، ثم النقدى أخرى متى كانت الضرورة تحتمه، سائلا المولى الكريم، أن يجعل ذلك فى ميزان حسناتى، وأن يقيلنى من عثراتى، ويستر بفضله زلاتى، وأن يرزقنى الخير الذى يرضيه، وأن يجعله رصيدا لى عند لقائه جل علاه، وأن يكرمنى وأهلى وأخى وأخواتى بشفاعة النبى الخاتم المختار -سيدنا محمد ﷺ- وما ذلك على الله بعزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دكتور
محمد حسينى موسى محمد الغزالى
غزالة الخيس مركز الزقازيق شرقية
ليلة الإسراء والمعراج بعد مطلع الفجر ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م

١٢



الباب الأول

حياته
من ميلاده لوفاته


مدخل

تمهيد

لا شك أن الفكر المنحرف قديم قدم الجن والإنس، فابن آدم - قابيل - لم يعجبه ما شرع الله في النكاح لبني آدم، فتبرم على أبيه، وأدعى أن ذلك يمثل نوعا من انحياز الأب لواحد من بنيه[1]، وصار يقدم مبررات حتى يدعم بها موقفه المنحرف، ولكنها لم تنفعه فأصبح من الخاسرين بعد قتله لأخيه، واصبح من النادمين بعد عجزه عن مواراة جسده كما فعل الغراب بأخيه.

ولا أغالي إذا قلت: إن الفكر المنحرف كان سابقا على ابني آدم مع إبليس اللعين، الذي انحرف عن عبادة رب العالمين وخالف الأمر الإلهي له بالسجود مع الساجدين، تحية لآدم تنفيذا لأمر الله رب العالمين. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ[2] عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ

---

(١) ذكر بعض المفسرين أن الله تعالى جعل آدم يتزوج حواء، ثم أن الله تعالى جعل حواء تحمل عشرين مرة، في كل مرة يأتي ذكر وأنثى. إلا الحمل الأخير فقد جاء بذكر فقط حتى يكون عوضا عن القتيل. ولا تكون أنثى من بنات آدم بغير زوج. ويذكرون أن الله شرع لآدم أن يتزوج ابن تلك البطن أخته من البطن الذي يليه أو يسبقه، غير أن قابيل كان يرفض ذلك، وصمم على أن يتزوج أخته التي هي توأمته، فأمرهم آدم أن يقدما قربانا كل على طريقته، ومن إنتاجه. فجاء هابيل بكبش عظيم، وأما قابيل فجاء بسنبلة كبيرة. ثم أكل أجزاء منها، فتقبل الله قربان هابيل، ولم يتقبل قربان قابيل، فاغتاظ قابيل وصمم على قتل أخيه. ثم احتال عليه حتى انفرد به، وكان قد أعد وسيلة لقتله ففعل، وجاء ذكر القصة إجمالا في القرآن الكريم في سورة المائدة - الآيات ٣١/٢٧ . وراجع حاشية العلامة الصاوي على تفسير الجلاليين، فقد ذكر الشيخ القصة، وعلق عليها، وكذلك تفسير العلامة الخازن في ذات القصة .

(٢) تذرع إبليس بأنه مخلوق من نار، بينما المأمور بالسجود له مخلوق من طين، والنار من وجهة نظره أفضل من الطين. وهو كاذب منحرف في كل ما تذرع به. قال تعالى : ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (الإسراء/٦١) ثم ادعى أنه خير من آدم فقال ما حكاه القرآن الكريم : ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (سورة ص/٧٦) وانحراف هذا الفكر معه تبعه انحراف العقيدة أيضا، فصار من الكافرين. ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (سورة ص/٧٧/٧٨)

﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾(١). إذن: الفكر المنحرف تاريخه قديم، ومبرراته لدى المتزرعين به لا تقوم على أسس مقبولة، ولا تدعمها أسانيد صحيحة، إنما تقوم على الأوهام والخرافات.

بيد أن هؤلاء لم ينقطع أمرهم فلا خصوم الأنبياء، وأعداء الرسل في زمان كل نبي ورسول، ثم هم بعد ذلك المحرفون لكل ديانة بعد انقضاء زمان نبيها، وكم أخبرت الأيام حاضرها وغابرها عن ذلك الانحراف الذي قام به من يزعمون محبتهم لنبي سلف أو نبوة انقضى شأنها(٢)، وهم ما كانوا في يوم من الأيام التي سلفت إلا طغاة عليها، محاربين لها(٣)، دافعين الخصوم حتى ينالوا منها.

وتاريخ الإسلام مع النبي الخاتم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ هو الآخر قد حاول الكثيرون الانحراف به، لكنهم هم الذين انحرفوا عن جادة الحق، والطريق المستقيم، فإذا كان المتنبئون في الماضي كالأسود العنسي، ومسيلمة الكذاب(٤)، وسجاح(٥) قد

---

(١) سورة الكهف – الآية ٥٠.

(٢) كالحال مع دعاة اليهودية والنصرانية الذين تحولوا بكل منهما من ديانة مؤقتة إلى مزاعم كاذبة. ومن التوحيد الخالص إلى الشرك والتجسيد. ومن المحبة لله رب العالمين إلى المتاجرة باسم نبي الله موسى الكليم وعيسى ابن مريم. حتى يكيدوا للإسلام والمسلمين والله من ورائهم محيط

(٣) كالحال مع شاول اليهودي الذي كان خصما عنيدا لنبي الله عيسى ابن مريم والحواريين، حيث كان يهوديا متعصبا ضد عيسى وأتباعه، فلما انقضى شأن نبي الله عيسى ابن مريم في قومه؛ غير شاؤل من نمطه الفكري. فزعم أن اسمه بولس. وأن الرب هو الذي سماه به حتى أقام ديانة سماها المسيحية. وهي كلها خيالات حالمين. (راجع بولس والمسيحية للدكتور محمد أبو الغيط الفرت . فقد ذكر عن ذلك الذي قام به بولس شاؤل كثيرا.

(٤) هو مسيلمة بن ثمامة بن كثير بن حبيب بن الحارث بن عبدالحارث بن هفان بن ذهل بن حنيفة. وكان نحيفا ضئيل الجسم. ولد في منطقة الجبلية قرب العيينة بوادي حنفا في نجد، وهي تابعة جغرافيا لليمامة. ولذا عرف باسم صاحب اليمامة . وفي ذلك تروي كتب السنة النبوية المطهرة الصحيحة : « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته. وقدمها في بشر كثير من قومه. فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ثابت بن قيس بن شماس. وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعة جريد. حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها. ولن تعدو أمر الله فيك. ولئن أدبرت ليعقرنك الله. وإني لأراك الذي أريت فيك ما رأيت).فأخبرني أبو هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينما أنا نائم. رأيت في يدي سوارين من ذهب. فأهمني شأنهما. فأوحي إلي في المنام: أن انفخهما. فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي). فكان أحدهما العنسي. والآخر مسيلمة الكذاب. صاحب اليمامة ». (وروى مثله الإمام البخاري بصحيحه في باب: علامات النبوة في الإسلام. في الحديث رقم: ٣٤٢٤ – عن عبد الله بن أبي حسين: حدثنا نافع بن جبير. عن ابن عباس رضي الله عنهما وراجع صحيح البخاري الأحاديث رقم:[٤١١٥، ٤١١٨، ٦٦٢٨، ٧٠٢٣، ٤١١٦]. وأخرجه مسلم في الرؤيا. باب: رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم. رقم: ٢٢٧٣، ٢٢٧٤. والمراد بـ[(الأمر) الخلافة والحكم والنبوة. (جريد) هو غصن النخل المجرد من ورقه. (أمر الله فيك) وهو خيبتك فيما أملته. (ليعقرنك) ليقتلنك ويهلكنك. وأصله من عقر الإبل وهو ضرب قوائمها بالسيف وجرحها. (يخرجان بعدي) يظهران شوكتهما ويحاربان أتباعي ويدعيان النبوة].).

(٥) هي عربية تنصرت، ثم تنبأت في أخوالها من بني تغلب. أثناء خلافة الصديق، وقد وقعت في هوى مسيلمة الكذاب. فتزوجها ثم أسلمت. وحسن إسلامها. (راجع في هذا الشأن: الدكتور : محمد متولي إدريس – صفوة البيان في علوم القرآن ص١٧٧)

زعموا النبوة، وأن الله أوحى إليهم، فبان كذبهم، وانصرف الناس عنهم، فإن الأمر مع المنحرفين فى الاعتقاد لم ينقطع، وبخاصة أولئك الذين دخلوا الإسلام، أما على كره له من آبائهم والأجداد، وإما رغبة فى الخيرات المادية التى نعم بها من دخلوا الإسلام، وإما إسقاطًا للجزية عنهم أو غير ذلك؛ لأنهم فى كل حال يتحرك داخلهم الحقد على الدين الحق دين الإسلام الذى شرع الله رب العالمين.

فى نفس الوقت؛ فإن البعض ممن لحقت بهم العاهات الفكرية، والاضطرابات النفسية، والعقد السيكوباتية هم الآخرون لم تقف بهم سفن الضلال عند شاطئ، وإنما ظلت تتقاذفهم أمواج الشك، وتلقى بهم لجاته فى أعماق ذلك المحيط حينا وحينا تغوص بهم، ثم تطفو على السطح دون أن ينالوا شيئًا سوى الإعلان عن أمراضهم التى يعانون منها، ولا يكابدون فى سبيل التخلى عنها[١].

ولما كانت بلاد فارس قبل الإسلام تعبد الوثنية، بجانب بقايا اليهودية المحرّفة، والمسيحية التى لعبت بها العقول؛ فإن أغلب من أسلموا لله رب العالمين منها كانوا على تقوى وصلاح متابعين النبى الخاتم سيدنا محمد ﷺ، وكم دافعوا عن الإسلام وحملوا لواءه، وما تزال آثارهم العلمية فى مجال خدمة الدين الإسلامى شاهدة على حبهم الشديد له، وإخلاصهم فى سبيل الزود عنه[٢]، وكيف لا وهو الدين الحق الذى أنزله رب العالمين خاتمًا به جميع رسالات المرسلين، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ

---

(١) مثل هؤلاء يعرفون فى الطب النفسى باسم مرض العُصاب. (راجع للدكتورة فوزية عبدالحميد – الطب النفسى ومدارسه ص١١– ط دار المعتصم الأولى سنة ١٩٥٧م).

(٢) بل إن الأعاجم قد شملهم ذلك الحكم، فالفارابى وابن سينا والغزالى والبيضاوى والجوينى والتفتازانى والإيجى والأصفهانى وكثير غيرهم فى مجال العلوم الإسلامية المختلفة من الفلاسفة والمتكلمين بجانب المفسرين والمحدثين فى بخارى وسمرقند وغيرها من بلاد ما وراء النهر، وما تزال آثارهم نتعلم منها، ونتردد عليها للتزود من الثقافة الإسلامية الأصيلة، ناهيك عن الرازى والشريف الجرجانى – رحم الله الجميع –.

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[1]، وقال أيضا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

غير أن القرن الثامن عشر الميلادى قبل أن يودع الناس، كانت معالم الفكر المنحرف بدأت تطل من جديد بقوة فى بلاد فارس، التى استظلت بظل الإسلام، فظهر فيها بعض الأغرار المندفعين بعواطف غير منضبطة، الذين ظنوا بأنفسهم الكمال البشرى، فحاولوا التعبير عنه، لكن القيود الاجتماعية والسياسية حالت بينهم والغايات التى عقدوا نواياهم عليها[3].

وقد أدرك اليهود - قتلة الأنبياء - ذلك فى بعض تلك البلاد، فهجروا إليها بغية إعطاء هؤلاء المنحرفين دعما قويا، وجرأة غير مسبوقة بجانب العون السياسى، والأدبى المالى أيضا، حتى يعلنوا عن كل ما يريدون قوله، شريطة أن يبتعدوا عن السياسية، حتى لا يقع صدام بين السلطة السياسية والرغبات الشخصية، وهى طبيعة ثابتة فى اليهود لم تنقطع عنهم طيلة الأيام التى يشعرون فيها بأن القوة الكاملة ليست معهم[4]، أما إذا شعروا بأنها معهم، فالوضع يختلف.

إذن اليهود أشعلوا داخل نفوس وعقول منحرفى بلاد فارس الرغبة فى الإعلان عن نواياهم - التى هى خليط من الوثنية والفكر الباطنى، بجانب الإلحاد - باسم العلم، ثم الرغبة فى الإصلاح الدينى مع ما يصاحب ذلك من تلبيس وتدليس بجانب الخداع والتزييف، وبخاصة أن البعض من الفارسيين كان ما يزال يحتفظ بمجوسيته، وعداوته للإسلام والمسلمين، ويضمر الأحقاد الدينية والعداوات المسمومة، ويخطط لضرب الإسلام من داخله[5].

---

(١) سورة التوبة - من الآية ٣.

(٢) سورة آل عمران - الآية ٨٥.

(٣) البعض من الدارسين يذهب إلى أن هؤلاء كانوا مدفوعين على الإسلام. بغرض النيل منه. وكان اليهود بخاصة يستغلونهم بقصد الكيد للإسلام تارة والنيل من الخلافة الإسلامية تارة أخرى.

(٤) الأستاذ عبدالله التل - خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية ص٣١٢ ط/١٩٦٩م.

(٥) الأستاذ محمد عبدالحليم الطويل - أعداء الإسلام ص٢٣ - طبعة دار الهدى ١٣٣٧هـ.

كما أن دعاة المسيحية –هم الآخرون– مازالوا يصرون على عموم نبوة يسوع، مع أنها خاصة، وقد أكدت ذلك النصوص التي بأيديهم، من أمثال ما نسب إليه « ما جئت إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة »[١]، وهم يؤكدون باستمرار على أن المسيحية امتداد لليهودية، والتي هي ديانة خاصة لبني إسرائيل، إلا أن القوم يحزنهم أن تكون النبوة الخاتمة العامة الشاملة قد جاء بها سيدنا محمد ﷺ، وبالتالي فهم مازالوا يناصبون المسلمين العداء، ويعملون على تقويض الإسلام في نفوس الضعفاء من المسلمين، مستغلين في ذلك كل الوسائل، حتى ولو كانت حربا عسكرية، معلنة كالتي مارسها الصليبيون في الماضي، ومازالوا يمارسونها في الحاضر[٢]، وإن كانت تحت مسميات أخرى، والله ناصر المسلمين مهما طال الزمن.

ولا شك أن تعاون اليهود مع المسيحيين والمجوس وباقي الوثنين ضد الإسلام، قد ساعد على وجود عناصر جديدة تعلن الإسلام دينا، وهي بعيدة عنه اعتقاداً وسلوكاً، ثم تدين هذه العناصر المنسوخة بالأفكار التي يرددها الأعداء التقليديون ضد الإسلام والمسلمين[٣]، لكنها هذه المرة لا تكون في شكل عداوة، وإنما في شكل فكر يزعم أصحابه أنه ديني إسلامي؛ لأن المنادين بها قد تسموا بأسماء إسلامية، وعاشوا في بلاد إسلامية، ويعلنون أن أغراضهم وغاياتهم مما يقومون به إسلامية أيضا لكن على طرائقهم المنحرفة لا على ما شرع رب العالمين.

فظهرت جماعات منهم تحدث في القرآن الكريم الذي هو المصدر الأكيد للدين الإسلامي، مرة بالتفسير له، وأخرى بالتأويل فيه، ولا إمكانية لهم في ذلك، وإنما

---

(١) ترد هذا النص في إنجيل متى وإنجيل لوقا. وكذلك في أعمال الرسل. وللمزيد يراجع قاموس الكتاب المقدس. وكذلك دائرة المعارف اللاهوتية.

(٢) الحروب الصليبية ضد الإسلام مشهورة. وفي القرن العشرين فعل الصرب المسيحيون الحرب الصليبية مع أهل الألبان المسلمين. وكذلك مع البوسنة والهرسك. والآن تعلنها أمريكا في أفغانستان مع أننا في القرن الحادي والعشرين. وقد أعلنها وراح مع الشعب الفقير الضعيف يمارسها.

(٣) الأستاذ رضوان محمود عبدالحكم – المسلمون في خطر ص٢٤ – طبعة الدار الحديثة ١٩٥٧م.

غرضهم التحريف والتزييف، وممارسة الأعمال الشاذة[1]، فإذا انطلت تلك التأويلات الفاسدة على بعض العامة، فقد حققوا جزءا من خطة مرسومة يقومون بتنفيذها على أرض الواقع، أما إذا وقعت تلك الأفكار موقع الرفض لها؛ فإنها ستفتح باب الجدل حولها، وما تجادل قوم إلا تحاربوا، فتقع بينهم الفتن وتشتعل الخلافات فتضعف قوتهم، وينفرط عقد جماعتهم، وهي أيضا غاية مرسومة، حتى لا يلتفت أبناء الإسلام إلى ما يفعله الخصوم.

من ثم؛ تولدت عن هذه التفسيرات المنحرفة والتأويلات الشاذة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فرق كثيرة[2] باطنية وحلولية وغنوصية، يزعمون أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا، وأن النبي ﷺ أخبر عن بعض الظاهر، وترك لهم كل الباطن، حتى يجتهدوا فيه، ويكون لهم في التعرف عليه الدور الرئيسي[3]؛ لزعمهم أنهم الأقدر على إظهار المستور والتحدث عنه، حسب مزاعمهم التي أكدوا عليها، ورددها الأعداء عنهم.

وإذا كان أمر الباطنيين متعلقا بأسرار القرآن الكريم؛ فإن خاصتهم هم الذين يكونوا قادرين عليه، ولما كان هؤلاء الخاصة يمثلون طبيعة متميزة، فلابد من حلول المعارف والعلوم في أجسادهم من قبل الجهات العليا، حتى يتميزوا عن باقي البشر، أجل زعموا أنهم الخواص الذين لهم وحدهم حق، فهم القرآن الكريم والتعرف على أسراره[4]، وبالتالي؛ فقد زعموا أنهم الخواص الذين حلت فيهم الأنوار الإلهية وحدهم، حتى صاروا أنقى الأجساد وأصفى الأرواح، وأزكى النفوس، وأعلى العقول، وأرفع القلوب.

---

(١) فعل ذلك رشاد خليفة المصري بدعم من أمريكا. وراجع للدكتور طه الدسوقي حبيشي – مسيلمة في مسجد توسان. وكتابنا: أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة.

(٢) راجع في هذا الشأن للمرحوم الشهيد الدكتور محمد حسيني الذهبي – التفسير والمفسرون وبخاصة الجزء الثاني. فقد ذكر نماذج عديدة، ومظاهر متعددة لتلك التأويلات المنحرفة.

(٣) الأستاذ ثابت بدوي الطويل – التأويلات الفاسدة والفرق المنحرفة ص١٣٤ ط٢/١٩٣٥هـ

(٤) الشيخ نصر الدين محمود زيدان – الشيعة وتأويلاتهم المنحرفة ج١ ص٢٧٣ – طبعة دار مراد ١٣٤٧هـ.

تخطف هذه الأفكار الساذجة أولئك الأعداء، حتى أوهموا المنحرفين بأنهم قد علوا مراتب لم ينلها الأنبياء والمرسلون؛ لأن الأنبياء لم يعلموا من كتبهم إلا الظاهر، أما هؤلاء فقد خصّوا بأسرار الباطن، ثم إن الأنبياء أجسادهم طينية ليس فيها شيء روحاني، أما هؤلاء فقد تميزوا عن الأنبياء بالصفاء الجسدي، ثم الاصطفاء النوراني، وحلول الحقيقة الإلهية في صدورهم وأجسادهم(١).

ولأن أعداء الإسلام قد عايشوا سكان تلك البلاد، فقد كانوا على علم بما يعتصم داخل نفوس هؤلاء المرضى، حيث حركوا فيهم الرغبة في الثأر من الإسلام، بزعم أنه الذي أزال دين الآباء والأجداد، وأنه الذي يحرم على الإنسان ممارسة رغباته من غير قيود، وفي نفس الوقت؛ أفهموا بعض السذج بأن روح الله قد حلت في علي بن أبي طالب(٢) - كرم الله وجهه - وأن عليا قد غلبه معاوية بن أبي سفيان على أمره، بخداع عمرو بن العاص(٣)

---

(١) هي خرافات وأوهام تمسك بها اليهود الذين زعموا تجسد الإله فيهم. كما ادعاها المسيحيون الذين توهموا وجود نوع من الاتحاد الجسدي بين معبودهم وبينهم. وهي في جملتها أفكار وثنية لا علاقة لها بالحقيقة الشرعية أبدا. كما لا تدعمها أية نصوص إلهية.

(٢) هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلاما في قول كثير من أهل العلم. ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح فربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك. وزوجه بنت الرسول ﷺ فاطمة وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد ولما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له أنت أخي ومناقبه كثيرة. روى عن النبي ﷺ كثيرا ، وروى عنه من الصحابة ولداه الحسن والحسين وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس وأبو رافع وابن عمر وأبو سعيد وصهيب وزيد بن أرقم وجرير وأبو أمامة ، وقد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام. وقتله غدرا ابن ملجم في رمضان عام ٤٠هـ راجع الإصابة لابن حجر - العين بعدها اللام.. رقم: ٥٦٩٢ [ص: ٥٦٥/٥٦٦] ؛ وراجع للعلامة أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر - الاستيعاب في معرفة الصحابة - تحقيق محمد البيجاوي - دار الجيل - بيروت ١٩٩٢م .

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سُعَيْد بالتصغير بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي أمير مصر يكنى أبا عبدالله وأبا محمد أمه النابغة من بني عنزة بفتح المهملة والنون أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان وقيل بين الحديبية وخيبر . . ولما أسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم يقربه ويدنيه لمعرفته وشجاعته وولاه غزوة ذات السلاسل وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح ثم استعمله على عمان فمات وهو أميرها ثم كان من أمراء الأجناد في الجهاد بالشام في زمن عمر وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج وأنطاكية وولاه عمر فلسطين. وكان الشعبي يقول دهاة العرب في الإسلام أربعة فعد منهم عمرا وقال فأما عمرو فللمعضلات. وقد روى عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث وروى عنه ولداه عبدالله ومحمد وقيس بن أبي حازم وأبو سلمة بن عبدالرحمن وأبو قيس مولى عمرو وعبدالرحمن بن شماسة وأبو عثمان النهدي وقبيصة بن ذؤيب وآخرون. سار في جيش جهزه معاوية إلى مصر فوليها لمعاوية من صفر سنة ثمان وثلاثين إلى أن مات سنة ثلاث وأربعين على الصحيح الذي جزم به ابن يونس وغيره من المتقنين وقيل قبلها بسنة. وقيل: توفي وهو ابن تسعين سنة قلت قد عاش بعد عمر عشرين سنة وقال العجلي عاش تسعا وتسعين سنة وكان عُمرُ عُمَرَ ثلاثا وستين. راجع الإصابة لابن حجر - ذكر من اسمه عمرو بفتح العين وسكون الميم - رقم: ٥٨٨٦ [ص: ٦٥١/٦٥٣] باختصار

لأبي موسى الأشعري[1] في مسألة التحكيم، فضاع الحق من أيدي أصحابه، ولابد من الوصول إليه[2] عن طريق من يحبون الحق، وهم شيعة الإمام علي.

غير أن من شايعوا عليا - كرم الله وجهه - كانوا مختلفي المشارب والثقافات، فيهم تباين الغرائز والرغبات، ومثل هذا التشايع على ذلك الوجه يحمل بين عناصره العوامل الهادمة له من كل ناحية، فكان من نتائج ذلك كله ظهور طوائف شيعية مختلفة بعضها معتدل، والبعض الآخر من الغلاة، وبعض ثالث من المنحرفين تماما[3]، وقد كان ذلك كله قائما في حدود المجتمع الإسلامي عموما، وبلاد فارس على وجه الخصوص.

في نفس الوقت؛ بدأت تظهر في الأفق البعيد فكرة الإمام الغائب، وضرورة رجعته، وقد أقامها اليهود والمجوس والمسيحيون ومن معهم من دعاة تلك الأفكار الساذجة في نفوس هؤلاء المرضى ممن انتسبوا للتشيع وصاروا يتحدثون عنه، فلما مضت سنوات طويلة، ولم

---

(١) أبو موسى الأشعري : هو عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر بن غنم بن بكر بن عامر بن عذر بن وائل بن ناجية بن الجماهر بن الأشعر أبو موسى الأشعري مشهور باسمه وكنيته معا وأمه ظبية بنت وهب بن عك أسلمت وماتت بالمدينة وكان هو قد سكن الرملة، وحالف سعيد بن العاص ثم أسلم وهاجر إلى الحبشة. وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الأربعة ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وعمار، وروى عنه أولاده موسى وإبراهيم وأبو بردة وأبو بكر وامرأته أم عبدالله ومن الصحابه أبو [illegible] وأنس وطارق بن شهاب ومن كبار التابعين فيمن بعدهم زيد بن وهب وأبو عبدالرحمن السلمي وعبيد بن عمير وقيس بن أبي حازم وأبو الأسود وسعيد بن المسيب وزر بن حبيش وأبو عثمان النهدي وأبو رافع الصائغ وأبو عبيدة بن عبدالله بن مسعود وربعي بن حراش وحطان الرقاشي وأبو وائل وصفوان بن محرز وآخرون قال مجاهد عن الشعبي كتب عمر في وصيته لا يقر لي عامل أكثر من سنة وأقروا الأشعري أربع سنين وكان حسن الصوت بالقرآن وفي الصحيح المرفوع لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود. عاش ثلاثا وستين واختلفوا هل مات بالكوفة أو بمكة. راضع الإصابة لابن حجر - باب ذكر من اسمه عبدالله واسم أبيه عمرو بفتح أوله وسكون الميم رقم: ٤٩٠١ [ص:٢١٢/٢١٣]

(٢) الأستاذ جميل عبدالغنى فوزى - دعاوى الشيعة المتطرفة ص٧٣ ط١/١٩٦٧م.

(٣) الشيخ نصر الدين محمود زيدان - الشيعة وتأويلاتهم ج١ ص٢٧٤.

تتحقق هذه الفكرة، ولم يرجع الإمام الغائب إلى أرض الواقع مع أن الحبك الغني لذات الأفكار لم ينقطع، بات الكثيرون من الأغرار على أمل أن تشرق الشمس الصبوح، فيرون ذلك الغائب الذي طالت غيبته قد عاد، ولكن ذلك لم يتحقق مع مرور سنوات بلغت قرابة الألف.

خشي صناع تلك الوهميات أن تمحى من النفوس، فيتآلف المجتمع المسلم بدل التمزق، ويلتفت بنوه إلى الصواب بدل الخطأ، من هنا أسرعوا بإيقاظ الهمم النائمة، وبعث تلك الأفكار الفاسدة، والتركيز عليها من جديد، حتى لا يظهر في الأفق إلا هي، ويذكر المؤرخون أن واحدا ينسب إلى الشيعة الاثنا عشرية يدعى الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي وهو من شيعة العراق، هو الذي مهد للبابية والبهائية من بعدها، وله أتباع إلى الآن يسمون الشيخية[1]، نسبة إلى هذا الشيخ الاحسائي (١١٥٧هـ/١٢٤٢هـ) الذي أكد مفاهيم الرجعة، والإمام الغائب، وأحيا هذه الأفكار البالية في النفوس من جديد، بعد أن أوشكت على الطي في مجاهل النسيان.

ولما وجد هذا الإحسائي العون الكامل من أعداء الإسلام نظم له مجلسا، وكون أتباعا، بدأ في إعدادهم إعدادا حتى يكونوا كوادر تتحرك نحو الهدف في سهولة ويسر، وقد أتم ذلك الإعداد، ودفع إليهم بالأموال التي كانت تأتيه من جهات مختلفة، حتى يستمر في دعوته القول بالرجعة وضرورة التمسك بعقيدة الإمام الغائب، وقد أمكنه أن يجمع إلى تلك الأفكار عددا غير قليل ممن ألجأتهم الظروف لطلب الدعم منه[2]، أو دفعت بهم في طريقه، وظل على ذلك الحال حتى وافاه أجله.

---

(١) الأستاذ السيد محب الدين الخطيب – البهائية ص٤ ط المكتب الإسلامي – بيروت – ٣ط – جمادى الآخرة ١٣٩٠هـ ونفس الفكرة موجودة في كل من البابية والبهائية في ميزان الإسلام الجماعة من علماء الأزهر الشريف.

(٢) الشيخ محمد عبدالعظيم عثمان – البابية وأصولها ص١٣ ط أولى ١٩٤٦م.

وكان ذلك الاحسائى قد عقد مجلساً للدعوة التى يعنيها، وأخر لاجتذاب أفراد جدد، حتى يكونوا الدعائم للنحلة التى يستعد لها، متى أرادت يعلن عنها، فى نفس الوقت كان أحد أتباعه المخلصين وهو كاظم الرشتى[1] (١٢٠٩/١٢٥٩هـ) أحد شيعة إيران قد اتقن أداء الدور الذى يقوم به الاحسائى، فلما انقضى أجل الاحسائى أخذ هذا الرشتى زمام الدعوة لذات الأفكار، حتى صار هو الخليفة للاحسائى، والزعيم الأوحد لطائفة الشيخية، وقد ولع بالأفكار الشيخية التى صاغها الاحسائى، وحافظ عليها مع الإضافة الدائمة لكل ما يصدر بخصوصها .

فى نفس الوقت؛ فإن الرجعة للإمام الغائب صارت عقيدة لدى الشيخية، ومن ثم؛ فقد كانت بحاجة إلى باب حتى يعلن عن موعد وقوعها، حسب النصوص التى رسخت فى أفهام القائمين عليها، وبالتالى؛ فقد صارت تلك العقيدة مدخلاً لكل من اليهود والمسيحيين والمجوس، وأصحاب الديانات الوضعية الأخرى، حتى ينفخوا فى هؤلاء ويعبثوا شعور أولئك، مما جعل الأرضية التى تنبت فيها الأفكار المنحرفة قابلة للإنبات السيئ، وإن كان فى شيء من البطء، إلا أنه صار يمثل نوعاً من الوجود الشكلى لذات الأفكار المنحرفة .

---

(١) كاظم الرشتى أحد تلامذة الشيخ أحمد الاحسائى المتوفى ١٢٤٣هـ/١٨٢٦م . ومؤسس جماعة الشيخية. وصاحب القول بأن غيبية الإمام ليست جسمانية. وإنما هى غيبة روحانية. فروح الإمام تعيش الآن فى عالم روحانى حول ما أسماه مدينة جبلقا. (راجع للدكتور حسن محرم : البابية والبهائية ص١١).



الفصل الأول

مولده ونشأته

نسبه ومولده

لست أملك من المصادر ما يمكنني من الوقوف على نسب زعيم البابية ومؤسسها الأول بشكل كبير، وبخاصة أن الرجل كان فارسي الأصل، والمصادر التي سجلت ذلك إن لم تكن بالفارسية أو مترجمة عنها مباشرة، فإن احتمال الترجيح بين ما تقله يكون محل نظر، ومن ثم؛ فإني سأعتمد على ما بين يدي من مصادر، ورغم قلتها فربما تكفي لإثبات وتناول ذلك النسب إن شاء الله تعالى .

أولا : اسمه ونسبه وألقابه

أ- اسمه

هو علي محمد رضا البزاز الشيرازي - نسبة إلى البلد التي ولد بها وهي شيراز[1]، فالنسبة هنا إلى المكان وهو شيراز، وكان والده قد تزوج بأمه وتدعى خديجة أخت الميرزا[2] علي الشيرازي، وقد كانت خديجة هذه صغيرة السن عند زواجها من رضا البزاز، وبالتالي؛ فلم يكن أي من أبويه هاشميا أو علويا؛ لأنه لو كان أحدهما من آل البيت؛ لسبق اسمه لقب السيد[3]، بدل لفظ ميرزا مثلا .

---

(١) ويذهب البعض إلى أن اسمه واسم أبيه مركبان، فاسمه علي محمد، واسم أبيه رضا البزار. (الدكتور حسن محرم السيد الجويني - البابية والبهائية والقاديانية في المعايير الإسلامية ص١٦ طبعة دار الهداية، وكذلك الشيخ محمد عبدالعظيم عثمان - البابية وأصوله ص١٩ ط١/١٩٤٦م .

(٢) الميزار لقب في الفارسية للدلالة على علو الرتبة في المال أو العلم أو النسب أو الوظيفة، حيث كان يلقب به من حاز شيئا من ذلك . (الأستاذ نور الدين محمد حكمت الله - الأسماء والألقاب الفارسية - باب الميم ص٣١٥ - طبعة دار الكواكب ١٣٦٥هـ)، وكان في مصر شيء من ألقاب الباشا، والأفندي وغيرها مما كان قد تخلف عن الأتراك، فيعطى اللقب لمن تنطبق عليه شروط استحقاقه.

(٣) حرص آل البيت على ذلك التخصص، فلأبناء الذكور تسبق أسماءهم ألقاب السيد، أما البنات فيسبق الاسم بالنسبة لهن لقب السيدة. (راجع سجلات نقابة الأشراف، وفي جرد عائلتنا " الحسينيين " ذلك، وقد رجعت إليه وتعرفت عليه، فوجدته على ما أخبرت به.

ويذهب أحد الباحثين إلى تأكيد ذلك، فيقرر أن بعض المؤرخين يزعمون نسبة الباب إلى آل البيت، ثم يقول، ولكن ذلك غير صحيح؛ لأنه يلقب بالميرزا، ومعروف في تلك البلاد، أن الهاشميين يلقبون بالسيد، فكونه لقب بالميرزا الفارسية دليل على أن دعوة انتسابه إلى آل البيت إنما لفقت لتكون أدعى؛ لأن يتقبل الناس دعواه أنه المهدي المنتظر[1]، التي أعلن عنها في مرحلة من مراحل حياته، ثم زعم بعد ذلك النبوة، فالنقطة الملائكية فالألوهية، ثم تراجع فيما بعد عن الأخيرتين، وتمسك بأنه المهدي المنتظر.

كما لم يذكر واحد ممن أرخ له أن علي محمد الشيرازي هذا كان يثبت نسبه إلى آل البيت على وجه اليقين والقطع، وبخاصة إذا كان من المؤرخين الذين نالوا الثقة العلمية فيما ينقلون، في نفس الوقت فإن آل البيت لا يدعي أحد منهم خرق ختم النبوة، وإلا كان هادماً النسب الذي يعتمد عليه، وليس ذلك بمنطق مقبول، أو منطبق على أحد من آل البيت فيما أعلم.

[بعد ألقابه[2]]

ذكر المؤرخون أن علي محمد رضا البزاز الشيرازي قد لقب نفسه أو لقبه من انضموا إليه، أو نفخوا فيه بألقاب عديدة، منها:

(١) باب الإمام الغائب – حيث ادعى أنه مادام هناك إمام غائب غير مرئي، فلابد من باب يدل عليه ويأخذ عنه ويبلغ، وهذا الباب هو نفسه علي محمد الشيرازي.

(٢) المهدي المنتظر: حيث زعم أن العناية الإلهية أرسلته لإصلاح ما أفسده علماء الدين الإسلامي، مستدلاً بالأثر القائل « أنا مدينة العلم وعلي بابها »[3].

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص٤٥ – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) المعروف لدى النحاة في العربية، أن اللقب هو ما أشعر بمدح أو قدح. (راجع للأستاذ حسين مرى: نظرات في قواعد النحو العربي ص١٦٧).

(٣) سأتناول ذلك الأثر فيما بعد عند تناولي للآراء التي تقوم عليها البابية.

(٣) باب الوصول لله تعالى: حيث زعم أن الوصول إلى الله تعالى لا يكون إلا من باب النبوة، وأنه نبي بعد محمد، وبالتالي فهو الباب الموصل لله تعالى[1].

(٤) باب الدين، حيث ادعى أن الدين الواصل من قبل الله تعالى لا يكون إلا عن باب يفضي إليه، وهذا الباب لابد أن يكون متميزا على باقي البشر، بينما فيهم الأنبياء والمرسلون[2].

(٥) باب النقطة . وهي في نظره أرفع درجة من مقام النبوة، وهي صورة ملائكية، لم يصل إليها بشر قبله، وأنه الوحيد الذي بلغ تلك المنزلة، ونال ذات الدرجة[3].

(٦) خالق الحق: حيث ادعى أنه مشخص المولى عز وجل – حاش لله – وأنه الصورة الجسمانية التي ظهر فيها الرب جل علاه[4]، وهي ألقاب صنعها هو لنفسه، وشارك في صنعها من انضموا إليه، وكلها باطلة، وتعبر عن الضلال، وسوف أعرض لفسادها في حينه.

[ثانيا - مولده]

يختلف الكاتبون حول تاريخ ميلاده، فمنهم :-

(١) ذاهب إلى أنه ولد في ٢/١٠/١٨١٩م الموافق أول محرم ١٢٣٥هـ[5] في مدينة شيراز الفارسية[6]، وقد رجح عنده ذلك التاريخ بما رآه راجحا عنده.

---

(١) الأستاذ نور الدين أحمد البرهاني – البابية كما قرأتها ص١٧.

(٢) الشيخ محمد عبدالكريم البتانوني – البابية في منظور الإسلام ص٩ .

(٣) البابية كما قرأتها ص١٦٠ .

(٤) الشيخ محمد عبدالكريم البتانوني – البابية في منظور الإسلام ص١٠ .

(٥) الدكتور حسن محرم السيد الحويني – البابية والبهائية والقاديانية في المعايير الإسلامية ص١٦ ط دار الهدى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(٦) وهي إيران الحالية، وما تزال مدينة شيراز إلى يومنا هذا معروفة باسمها الذي انتسب إليه علي محمد رضا.

(٢) ذاهب إلى أنه ولد في ٩/١٠/١٨٢٠م [١]، وهذا التاريخ يدل على أنه ولد بعد التاريخ الذي ذكر أولا، بما يقارب سنة كاملة وذلك يعطي انطباعا خاصا بأن الرجل كان في مطلع حياته غمرا، لا يهتم به أحد، كما لا يلتفت إليه ملتفت.

(٣) ذاهب إلى أنه ولد عام ١٨١٨م الموافق أول المحرم ١٤٢٢٤هـ [٢]، وبناء عليه يكون كل تاريخ منها قابلا للزيادة عليه والنقصان منه، مما يجعل الباحث يتردد في قبول أي منها، واعتماده.

(٤) ذاهب إلى أنه ولد ما بين أعوام ١٨١٧/ ١٨٢٠م [٣]، وهي فترة طويلة لا يمكن التصديق بأن من ذكرها قد عني بتدوين تاريخ ذلك الرجل على وجه اليقين، كل ما يمكن اعتباره هو أنها آراء بذل أصحابها فيها ما أمكنهم بناء على الاحتمالات التي غلبت عندهم، وليس على الحقائق التي وقفوا فيما عليها.

❁ **وفي تقديري:** أن " علي محمد رضا الشيرازي هذا " لم تكن له أهمية تذكر حتى يحتاط الكاتبون عنه أو يدققوا في تاريخ مولده، ومن ثم فهم لم يلتفتوا إلى تاريخ ميلاده، كما أنه ربما لم يدون ذلك التاريخ بناء على رغبة البعض في أن تبقى هناك نقطة غامضة في حياته يعتبرها منطقة خاصة به، ليس من حق أحد التعرف عليها أو الاقتراب منها، وأن " علي محمد رضا الشيرازي " كان من ذلك النوع، ومن ثم سأترك عملية الترجيح بين تواريخ ميلاده للمؤرخين مع التركيز على أنه قد ولد في العشرين سنة الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي.

[نشأته]

يذهب الكثيرون من الدارسين، إلى أن " علي محمد " هذا قد حملت به أمه خديجه، وما كاد حملها يستقر في رحمها، حتى بدأت تظهر على زوجها " رضا البزاز الشيرازي " أمارات المرض الذي ظل يعاني منه مدة من الشهور، فلما وضعت زوجه –

---

(١) الإمام الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين وآخرون – البابية والبهائية في الميزان ص٥٠ – مطبوعات الأزهر – مجلة الأزهر – المجلد الخامس.
(٢) الأستاذ نور الدين أحمد البرهاني – البابية كما قرأتها ص١٣ – طبعة أولى ١٩٣٧م.
(٣) الشيخ محمد عبدالكريم البتانوني – البابية في منظور الإسلام ص٨ – طبعة دار الرحمة ١٣١٩هـ.

خديجة - وليدها؛ أسرع أبوه بتسميته اسما مركبا كعادتهم وهو" على محمد "[١]، وكان ذلك على الأرجح فى الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجرى[٢].

غير أنه كان شؤما على والده وأسرته، أذ بعد مولده بعامين على الأكثر مات أبوه بعد صراع مع المرض، ولم يترك ميراثا كبيرا، بحيث يكفى الصغير وأمه، ويصونهما عن عوز الحاجة، ويدفع عنهما ذل السؤال، ولما كان أمره كذلك فلم تجد أمه خديجة سوى أخيها الميرزا سيد على الشيرازى[٣]، حتى تلجأ إليه، وكان صاحب تجارة تسمح له بتحمل نفقات أخته ورضيعها، بجانب ما يتحمل من نفقات أسرته هو، ولما قر على محمد سنى رضاعته؛ سعدت أمه به، وبخاصة أنها وجدت فيه السلوى والعزاء، بل والعوض عن زوجها الذى قضى نحبه فى سن باكرة، ومن ثم؛ فقد حرصت على تعليمه مبادئ القراءة والكتابة التى كانت تجيدها أثناء إقامتها بمنزل الأسرة مع أخيها التاجر[٤]، وقد أدرك أخوها سيد على ذلك الحرص من أخته فى تعليم ابنها مبادئ القراءة والكتابة، وكان يلحظ ذلك فى تصرفات أخته مع وليدها فشجعها على الاستمرار فيه.

أراد خاله أن يزيد فى العوض، فأدخل الصغير دور العلم التى تستقبل أمثاله حتى تعلم مبادئ اللغة العربية، كما أتقن الفارسية قراءة وكتابة، حتى صار بارعا فيها، وكلما

---

(١) الأسماء المركبة كان عادة فى البلاد الإسلامية كلها. ولكن فى القرن العشرين، وبخاصة فى النصف الثانى منه صدرت بعض التشريعات فى البلاد الثورية، لا تسمح بالأسماء المركبة لاعتبارات عند القائمين على الأمر فى تلك البلاد وقد دخلت تلك التشريعات الثورية بلادنا أيضا.

(٢) العلامة محمود عبدالمولى الأنصارى - البابية ص٧ ط١٣٣٥/هـ

(٣) ويذهب أحد العلماء إلى أن خاله اسمه الميرزا على الشيرازى وليس سيد على الشيرازى. (راجع للدكتور حسن محرم الحوينى - البابية والبهائية والقاديانية ص١٦ .

(٤) الأستاذ عوض محمود داود - البابية حركة هدامة ص١٣ ط١٣٣٨/هـ

تقدمت به الأيام ازداد فيها تمكنا مع حسن الأداء والسرعة[1]، بجانب الكتابة والقراءة، وقد بلغ في ذلك درجة فائقة، حتى جعلته يشتهر بالخط الحسن في الفارسية.

وكان الفتى كلما تقدمت به الأيام ازداد قربا من أمه التي علمته أن الممارسة لأي شعيرة كالتلفظ بها؛ باعتبار أن الممارسة هي المحك الرئيسي الذي يثبت به صدق المعلومات التي حصل عليها[2]، وقد حقق الفتى في ذلك الكثير من النجاحات، حتى جعلت بعض الأنظار ممن يعنيهم أمره، تتجه إليه، وبخاصة نظر خاله ووالدته.

وثق خاله في ثقافة ابن أخته، وأدرك أنه صار على قدر كبير من القيام بالأعمال الفنية التي تحتاجها التجارة التي يمارسها ذلك الخال، من ثم؛ ألح إليه خاله باحتياجه إليه حتى يعينه على إدارة بعض أعماله التجارية، فوافق الفتى وبخاصة بعد أن أيقن حصوله على أجر مقابل الأعمال التي يؤديها في تجارة ذلك الخال[3]. وبناء عليه؛ فقد أحسن الأداء وتمت المعاونة على النحو الذي أمكنه القيام به.

رأى خاله أن الأعمال التجارية أصابها بعض الركود في شيراز، فقرر أن ينقل نشاطه إلى إحدى المدن الإيرانية الأخرى ذات الثقل السياسي والتجاري معا؛ فارتحل إلى مدينة بوشهر الفارسية[4]، التي اشتهرت بالحركة التجارية النشطة، وقد أبلى الفتى في تجارة خاله داخل هذه المدينة ومعه خاله أي بلاء، حتى اتسعت التجارة، وازداد رأس المال.

ونظرا لتمكن الفتى من بعض الموصلات إلى الثقافة، باعتبار أنه قد تمكن من القراءة والكتابة، فقد سمح له ذلك كله الاختلاف إلى بعض العباد والزهاد، وأصحاب الروحانيات

---

(١) الأستاذ عباس الإيريزى – البابية كما أعرفها ص١٥/ط/١٩٤١م.

(٢) الأستاذ عوض محمود داود – البابية حركة هدامة ص٩٧.

(٣) الأستاذ نصر الدين حكمت الله – الحركات الهدامة – البابية والبهائية ص٢٣ طبعة أولى – دار الحكمة ١٣٣٥هـ.

(٤) ويذهب البعض إلى أن ارتحاله إلى بوشهر كان رغما عنه، وليس بإرادته الخاصة. (راجع للأستاذ عباس الإيريزى – البابية كما أعرفها ص١٩.

والجفر بجانب الجمل والأرقام وأصحاب التنجيم، ولم يكن على قدر كبير من الوعي الثقافي، بحيث يأخذ ما ينفع ويطرد ما لا ينفع، وإنما كان يأخذ من كل الثقافة التي تقع عليها دون تمييز[1].

في نفس الوقت؛ وقف الفتى على جماعة من نساك الهند وزهاد الصين فتعامل معهم، واقتنع بآرائهم، ورأى أن من الخير له تقليدهم في كل ما يقومون به بعيدا عن رقابة خاله، وقد فعل ذلك دون تحسب لغضبة الخال، أو اعتراض الأمر؛ بل إنه قرر السير في هذا الطريق إلى آخر المدى دون اعتبار لشيء آخر[2]، وبخاصة بعد أن مارس سلوكيات هؤلاء التي تحرص على الابتعاد عن الدنيا والاعتزال للآخرة، والخضوع لإملاءات الجانب الوجداني، ومنها: الزهد والصوم مع الرياضات البدنية والروحية الشاقة، التي تصل إلى حد تعذيب البدن.

أجل كان الفتى في رعاية خاله، لكن الخؤولة لم تحسم طرائق إشباع داخلة، فلما انخرط مع أصحاب تلك الروحانيات، أثر ذلك على نمطه الفكري، ورسم داخله الوجداني، بالشكل الذي أنبأت عنه المصادر فيما بعد، وبخاصة أن أولئك الروحانين الذين تأثر بهم، كان لهم ولع بالعلوم الحكمية[3]، وفي ذات الوقت كانوا من محترفي فن تسخير الأرواح العلوية والسفلية على ما زعموا، وهي معارف كاذبة، لكن من يقع ضحيتها، يصعب عليه الانفلات منها.

ولما كان الفتى على قدر قليل من الثقافة، فقد حرص على اقتناء كتب السحر والنجوم ومطالعتها، كما مارس فن مراقبة الكواكب، واشتغل كذلك بعمل

---

(١) العلامة محمد عبدالعاطي الدينوري - البابية - الأصول والغايات ص٢٢ - طبعة دار التقوى ١٩٢٣م.

(٢) راجع للأستاذ عوض محمد داود البابية حركة هدامة ص٢٣ .

(٣) العلامة محمد سيد أحمد البنقالي - الخطر الذي يواجهنا ص١٧٢ - ط / ١٣٢٢هـ

الطلاسم[1]، وهى كلها تفرض على صاحبها سلوكيات فيها الكثير من قهر القوى، وطحن الإرادات، بغرض تهذيب النفس، وهى تمتد فى تعذيب البدن إلى غير ذلك مما يستلزم القيام بذلك النوع من الأعمال الرياضية[2].

بيد أن الفتى كان قد انغمس فى هذا التيار، حتى وصل القاع، وفى نفس الوقت فإن ممارسته للتجارة مع خاله فى ذات المدينة لم تتوقف، بل اتسع النشاط التجارى، فأكسبه ذلك كله علاقات اجتماعية جديدة، اتسعت فى عدد الأفراد، ولكنها لم تتسع فى المدارك والمفاهيم، بحيث يكون ذا عمق اجتماعى طبيعى[3]، وبالتالى فقد بدأت بدايات تلك النتائج تظهر عليه.

وآية ذلك أنه كان فى أيام العطلات يجلس على سطح المنزل الذى يقيم فيه، بحيث يقضى النهار كله فوق ذلك السطح، تحت أشعة الشمس المحرقة، مقلدا أصحاب الرياضات الذين أخذ عنهم، أو مطبقا الأفكار التى بلغته نظريا، وتحويلها إلى واقع عملى[4]. حتى يتمكن من القيام بالمهام الموكلة إليه، على ناحية أوسع فيما بعد، فكأنه كان يعد نفسه لأمر خارج إمكانياته الحالية.

مضت بعض الشهور وهو على ذات الحال، لكنه لم ينقطع عن قراءة تلك الكتب، كما لم ينقطع عن ممارسة ذات الطقوس، بل إنه أضاف إليها كل ما يمده به أصحاب ذلك الاتجاه، وأزاد أيام العطلات التى كان يحصل عليها وانفق ذلك الوقت فى قراءة ذات

---

(١) الطلاسم : مفردها طلسم وهو عبارة عن خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب، أو دفع أذى، وهو الشائع على الألسنة. وليس لذلك وجود حقيقى. (الأستاذ منصور محمد عبدالسلام – السحر والشعوذة وموقف الإسلام منهما ص٩٢ ط٢/١٩٥٧م.

(٢) راجع فى ذلك الشأن للشيخ محمد رشيد رضا – الوحى المحمدى، فقد عرض صورا عديدة مما يدعيه هؤلاء، وبين أنها كلها أعمال غير صحيحة شرعا، وإن أمكن القيام ببعضها على سبيل التدريب والتمرين.

(٣) العلامة محمد سيد أحمد النبغالى – الخطر الذى يواجهنا ص ٩ .

(٤) الأستاذ عوض محمد داود – البابية حركة هدامة ص٩٣ .

الكتب، وممارسة نفس الشعائر التى بلغت فى نفسه مبلغ الإدمان لها، حتى إنه لم يعد قادرا على التخلى عنها، أو مراجعة موقف نفسه منها.

شعر خاله بما يجرى فى أعماق الفتى، وناقشه فى بعض المسائل التى أبان عنها، ولما تأكد أن الفتى يمر بظروف غير طبيعية، ظن الخال أن مرجع ذلك إلى عدم استقلال الفتى بأموره التجارية والمعيشية، فافتتح له متجرا خاصا به، من باب دفعه للعمل التجارى(١)، وإبعاده عن شبح الأفكار الغريبة التى تطارده حينا بعد آخر.

بيد أن ذلك لم يقتلع من أعماق الفتى ما يعانيه، فكسدت تجارته الشخصية، وتخلى عنها، مما جعله يضطر أخيرا إلى التنازل عن حانوت التجارة الذى اشتراه له خاله، كما عرض البضاعة للبيع بثمن غير متكافئ مع أصولها التى تم شراؤها بها(٢)، مما حدا بخاله إلى الشعور بالأسى على ما صار إليه أمر ابن أخته على محمد رضا البزار الشيرازى.

أدرك الخال أن الفتى قد أصابته أمور غير طبيعية(٣)، حتى تحولت به إلى ما يشبه الظاهرة الغير صحية، وكان للخال صديق متمكن من ذات العلوم، بجانب المعارف الحكمية والطلسمية، فحكى الخال للأستاذ ما يتعلق بالفتى، وقد وثق الخال فى الصديق، فجعله معلما لابن أخته(٤)؛ بغية إخراجه من الدائرة المغلقة التى أوقعه أصحاب الرياضات الشاقة بداخلها، ثم أغلقوها عليه.

ولما أيقن خاله أن علة الفتى لا تتقدم علاجيا وإنما تتأخر - حتى بلغت به فى بعض الأوقات أن كان يصاب بالهستيريا، ويهرب إلى سطح المنزل فى الهجير، ثم يمكث عليه

---

(١) العلامة نور الدين أحمد البرهانى - البابية كما قرأتها ص٨١.

(٢) العلامة نصر الدين حكمت الله - الحركات الهدامة؛ البابية والبهائية ط٩٥.

(٣) يذهب البعض إلى أن خاله كان مثقفا واسع الثقافة، ولولا عمله بالتجارة؛ لكان له موقف آخر، وكانت ثقافة الخال كافية بالنسبة له. فإذا أراد الزيادة؛ اتجه إلى المصادر الصحيحة، فلم يقع فريسة لأحد من هؤلاء الذين وقع بينهم ابن أخته. (راجع للعلامة نور أحمد البرهانى: البابية كما قرأتها ص٣٧)

(٤) الأستاذ طنطاوى محمد الطنطاوى - معارف غير مستقيمة ص٩٥ ط أولى التجارية ١٩٤٥م.

عاري الرأس، حافي القدمين، من غير أن يتناول طعاما ولا شرابا[١]، وفوق ذلك فقد كان يردد بعض العبارات الغير مفهومة، أطلق عليها اسم أوراد الضحى[٢]، وأخرى أطلق عليها اسم أوراد آخر النهار[٣]. فكر الخال الملتاع في أمر هذا الفتى مرة أخرى وبطريقة مختلفة عن ذي قبل.

حزن الخال لما وصل إليه أمر ابن أخته وبخاصة أن عليه مسئولية علاج ابن أخته، الذي بلغ في بيته، وأن أمه قد انفصلت عن قيادته، ثم إن الفتى قد اعتلت صحته، وبلغ به الجهد مداه، وصارت النوبات العصبية تتوالى عليه[٤]، وقواه العامة أخذة في الضعف، كما أن جسمه هو الآخر تسلل إليه شيء من الوهن، وباتت أموره الصحية على غير ما يرام.

أجل: أصابه الذبول والضعف العام، وباتت أموره العامة والخاصة حديث الناس الذي يعرفونه، وقد حزنوا لما أصاب الفتى من إنهماك في الأذكار الغير صحيحة[٥]، وتمسك بالطلاسم والحكميات، بجانب انعزاله عن العامة والخاصة، وانسياقه خلف أشخاص ليس لهم الوزن العلمي أو الديني في المحيط الذي يتعاملون معه.

[هـ - رحلاته]

أيقن بعض أصحابه أن الفتى صار على حال لا تمكنه من معرفة الأمور على وجه دقيق، فعرضوا عليه الخروج من بوشهر إلى الأماكن القريبة منها في رحلات، يطلقون عليها

(١) الشيخ محمد الفوزان – الطرائق المنحرفة ص٣٧، وراجع للأستاذ حسن هلال : نظرات في الفكر البابي ص٩٥ ط٢/١٩٥٧م.

(٢) أوراد الضحى التي كان يمارسها علي محمد رضا الشيرازي لا علاقة لها بأوراد الصوفية المخلصين الذين عرفوا الطريق السوي لإرضاء الله رب العالمين.

(٣) راجع في هذا الشأن للأستاذ محسن محمد نصر الله – البابية انحراف فكر ص١١٢ طبعة دار التوحيد ١٩٧٣م.

(٤) الشيخ محمد الفوزان – الطرائق المنحرفة ص٤٩ .

(٥) الشيخ محمد عبدالكريم التبانوني – البابية في منظور الإسلام ص٣٩ .

اسم الخروج للدعوة إلى الله[1]، وغرضهم منه إعلان حسن النوايا أمام الرأى العام، بينما هم فى أعماقهم يمارسون أعمالا غير مألوفة على الناحية الاجتماعية، وغير مقبولة على الناحية الشرعية، وقد وافقهم الفتى على ما اقترحوا، حتى صار واحدا منهم فى المسائل التى يعتقدونها ويمارسونها ويدعون إليها قولا وفعلا، فكانت تلك الرحلة بمثابة الفيروس الذى جعل الداء يستحكم فى جسمه، ولا يمكنه التخلص عنه.

لما علم خاله بما جرى قرر أبعاده عن إيران إلى العراق كنوع من العلاج الروحى أيضا، ولعله قد استشار أحد أصدقائه فى ذلك فأشار عليه بأن يرحل الفتى إلى العراق، حتى يزور المشاهد فى كربلاء والنجف وغيرها، فلعل مشاهدة الفتى لمشاهد آل البيت تكون عاملا فى إبرائه من الأمراض النفسية والعصبية التى يعانى منها.

وفعلا أسرع خاله بحمله على السفر به إلى كربلاء، خوفا عليه من أن يشتد به المرض، فلا ينفع فيه الدواء، لكن قد تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن، فقد زار الفتى مشاهد آل البيت فى كربلاء، لكنه التقى بكاظم الرشتى، ذلك الرجل جمع بين التصوف الباطنى والفلسفة الشرقية هندية وغيرها، ثم مزج بينها جميعا، كما جمع اعتقادات الشيعة الأمامية والإسماعيلية والأصول الفلسفية على نحو جديد[2].

أجل كان الغرض من السفر إلى العراق هو محاولة الاستشفاء من الأمراض التى ألمت به، ولكن علاقته بكاظم الرشتى جعلت أموره تتغير، حيث أعجبته أحاديث خليفة

---

(١) ذلك النوع يمارسه البعض فى ريفنا المصرى حيث يقوم هؤلاء الخارجون على خدمة أنفسهم وممارسة الدعوى على قدر إمكانياتهم المتواضعة. تاركين شئون بيوتهم وأعمالهم إلى زوجاتهم على النحو الذى لا يرضى الله تعالى ولا يرضى رسوله ﷺ.

(٢) لجنة علماء الأزهر – البابية والبهائية فى الميزان ص٥٠/٥١.

الشيخية[1]، فانتظم في مجلسه، وتمسك بكل ما حكاه له، حتى راح يكررها ويرددها عنه في لقاءاته الخاصة أو العامة كأنها وحي لا يأتيه الباطل أبدا.

أيقن الرشتي بأن الفتى يحمل بين جوانحه بعض التطلعات الشخصية، فكان يكرر أحاديثه ودروسه عليه مادامت مؤثرة فيمن يحيطون به كنوع من التعاليم التي لابد من التأكيد عليها، وبالذات ما يتعلق منها بالإمام الغائب المهدي المنتظر، بجانب تصريح الرشتي الدائم بأن المهدي المنتظر قد يكون واحدا من الأفراد الحاضرين في ذات المجلس[2]؛ لأن الوقت هو وقت ظهوره، الذي أخبرت به كتب الشيعة.

إذن كانت كلمات الرشتي بالنسبة لعلي محمد رضا بمثابة المحرك الجيد للسواكن المعتصمة داخل الفتى، الذي يدفعه حينا بعد آخر إلى السير في الطريق المجهول، وما المانع أن يكون ذلك الفتى هو المهدي المنتظر، مادامت الكتب قد تحدثت عنه على سبيل الإبهام[3]، وها هو مبشر الشيعة الرشتي يصر على التلميح بإمكانية وجوده بين الحاضرين، بل صار كل من على شاكلة علي محمد رضا الشيرازي يتوقع أن يكون هو ذات المهدي المنتظر.

طابت للفتى الإقامة بجوار كاظم الرشتي، وراحت كلماته ومواعظه تنال منه، بل إنه تأثر بها إلى حد بعيد، فلازم الفتى صاحبه الرشتي ملازمة الظل لصاحبه، وراح ينمي

---

(١) خليفة الشيخية لقب أطلق على كاظم الرشتي، وقد أطلقه عليه بعض المعجبين به، كما يطلقه عليه بعض ممن يحاولون النيل منه على سبيل التعريض به. والشيخية هم جماعة من الشيعة الاثنا عشرية. يتزعم هذه الجماعة رجل يسمى الشيخ أحمد الاحسائي، يدعون إلى التمسك بفكرة الإمام الغائب. وزعمته ووجود أبواب موصلة إليه.

(٢) راجع للأستاذ / محمد مهدي – مفتاح باب الأبواب ص١١٢ .

(٣) كتب الشيعة تفرط في الحديث عن الإمام الغائب والمهدي المنتظر، حتى تحول الأمر معهم في الحديث عنه من شخص عادي محدد إلى مجرد فكرة يمكن أن تنال أي شخص .

أحلامه وخيالاته على ما يقوله الرشتى أو يبشر به[1]، ومع ذلك لم ينقطع عن ممارسة الطقوس الطلسمية، والأعمال البدنية الداخلة فى نطاق الرياضات الروحانية.

إذن يمكن القول بأن الفتى فى النجف وكربلاء، ومجلس الرشتى قد وجد بغيته، وأعجب بما يقوله الرشتى ويكتبه، ويبشر به، وبدا هو الآخر يقلد الرشتى فيما يكتب أو يقول[2]، وساعده على ذلك وجود علاقة بينه وبين بعض تلاميذ الرشتى، ممن تغلبهم نزعاتهم إلى بناء الأحلام والخيالات، على ما يتحدث به الرشتى ورجال مجلسه، فكانت العلة بين هؤلاء مشتركة.

شعر خاله بخيبة الأمل التى صاحبت ابن أخته، وفى نفس الوقت؛ يتمنى لو أمكنه إخراج الفتى من الأزمات التى يعانى منها الواحدة تلو الأخرى، لكن ماذا هو صانع، وقد ابتعدت أخبار الفتى عن خاله، فراح يبحث عنه حتى وجده فى حالة من الانطواء والعزلة الاجتماعية، بجانب ظهور بعض الاضطرابات النفسية والعصبية عليه، فقرر ذلك الخال المكلوم مساعدة ابن أخته فى تدبير نفقاته الشخصية، حيث ترك له مبلغاً من المال عند أحد أصدقائه الذين يقع منه التردد عليهم[3]، وبخاصة أن الشيرازى رفض الاستجابة لمطلب خاله فى الابتعاد عن هؤلاء الأشخاص، وترك تلك الكتب التى أثرت فيه.

لكن الفتى رفض مساعدة خاله المالية، معتبرا أن من يأخذ من الغير يجب أن يخضع له، وفى داخله أنه الإمام الغائب وطريق المهدى المنتظر، وبالتالى؛ فليس له أن يأخذ من آحاد الناس، إذ هو مستغن عن الجميع، فإذا لم يتوفر له من أسباب الحياة إلا القليل، فما عليه إلا أن يحتمل ويستمر

(١) راجع فى هذا الشأن: البابية والبهائية فى الميزان ص٦١ .

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى - البابية والبهائية - القسم الأول ص٤٧ .

(٣) الأستاذ عبدالحيى بن على النحاس - البابية بين النحلة والفرقة ص٣٥ .

فى الطاعة والصيام، مع التهجد والعبادة، وممارسة الطقوس والطلاسم، لأن ما يخفيه الغيب أفضل بكثير مما يقدمه عوام الناس(١).

فى تلك الآونة أكثر الفتى من قراءة كتب السحر والشعوذة، والحكمة الغنوصية وممارستها بشكل واسع، واستعمال الأحجار المختلفة، والبخور بمعاونة أحد أصدقائه، الذين جمعهم مجلس الرشتى، وهذا الصديق هو جواد الطباطبائى، وكان بارعا فى استعمال الكتب النجمية، ولديه معرفة واسعة بها واستعمالاتها، فأضاف إلى على محمد رضا الشيرازى معلومات جديدة عن تأثيرات الكواكب الروحية فى أقدار الناس، كلما انتقلت تلك الكواكب من المشرق إلى المغرب(٢)، حتى غلب على ظن الفتى أنه بها صار قادرا على تحويل مجريات الحياة مع كافة الخلائق.

ولما كانت تلك الكتب قد ألفها يهود وبوذيون وزرادشت وكونفوشيوسيون بجانب المسيحيين، وأصحاب الترفانا والغنوص، فقد حرص على محمد رضا الشيرازى هذا

---

(١) تلك الأفكار ينادى بها أصحاب الهلاوس الذين يذهبون إلى ضرورة تعذيب النفس وإرهاقها. وهم فى كل ما صنعوا كاذبون. ففى الأثر « عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء. فرأى أم الدرداء متبذلة. فقال لها: ما شأنك؟. قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاما فقال: كل، قال: فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام. ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان من آخر الليل، قال سلمان: قم الآن. فصليا. فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا. ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا. فأعط كل ذي حق حقه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق سلمان) » (صحيح الإمام البخاري : باب: من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له- الحديث رقم: ١٨٦٧ والمراد بـ : [(متبذلة) لابسة ثياب البذلة وهي المهنة، أي تاركة لباس الزينة. (حاجة في الدنيا) أي وطء نساء زينة المرأة لزوجها. وهو لا يأبه لذلك. (ذي حق) صاحب حق. وكانت هذه الزيارة وهذا الحوار قبل أن يفرض الحجاب على المسلمات]).

(٢) الأستاذ عبدالحى محمد بن على النحاس – البابية بين النحلة والفرقة ص٣٧ .

على قراءتها والتعرف على عقائد أصحابها، حتى صار لديه شيء من الاقتناع بصحة بعض تلك العقائد الوثنية، وما المانع من اعتقاده صحتها، وقد أسلم نفسه لهواه، فصارت حبيسة له، لا يأمرها إلا بالشر، ولا يدفعها إلا للباطل، وهو الحال الذى صار إليه أمر فتى شيراز.

والله عز وجل قد حذر من اتباع المرء هوى نفسه قال تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[1] وقال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾[2].

ى- أثر أصدقاء مجلس الرشتى عليه

ذكر المؤرخون أن الحال التى وصل إليها أمر فتى شيراز كانت أقرب ما يكون إلى أحوال أصحاب الصرع المؤقت، أو مرضى الهلاوس، بحيث من يضرب لهم على الوتر الحساس، الذى أقاموا خيالاتهم عليه يحبونه ويتمسكون به مهما كان فيه من سوءات، والذى يعارضهم فيما يزعمون يعتبرونه عدوا يجب التخلص السريع منه، مع الابتعاد عنه[3]، بغض النظر عن النتائج المترتبة على الاتباع أو المخالفة.

وبالتالى؛ فقد وقع فتى شيراز فى صحبة جمع من أصدقاء مجلس الرشتى، كان لهم من التأثير القوى عليه، بجانب الأفكار المنحرفة التى امتلأ بها عقله، ما جعل الفتى لا يفيق من غفوته، ولا ينهض من كبوته.

---

(١) سورة الفرقان – الآيتان ٤٣/٤٤.

(٢) سورة الجاثية – الآية ٢٣.

(٣) الدكتور ناصر الدين محمد الوكيل – الطب النفسى ج١ ص١٩٧ ط/١٩٥٧م.

لكن أبرزهم تأثيرا وأطولهم له مصاحبة هم:-

١- جواد الطباطبائي:

كان يعشق كتب الحكمة والنجوم، ويمارس أعمال السحر والشعوذة، ويعتقد بقرب بالإمام الغائب، وقرب ظهور المهدي المنتظر على ما يقول به الشيعة الاثناعشرية، وكان الطباطبائي هادئا في تعاملاته، على قدر كبير من سعة المدارك، استطاع أن يكون لنفسه ثروة مالية كبيرة، كأجر للأعمال التي كان يمارسها، وينفق على أصدقائه ومعارفه منها في شيء من السخاء الذي غطى به فتى شيراز، بطريقة فيها الحيلة البارعة[١]، بحيث لا يرد له طلبا، ولا يرفض له معاونة، فليس المال الذي يعطيه إياه، إلا وسيلة إيجابية يقوم بها لامتلاك حريات الآخرين.

وكان الطباطبائي في هذا بحاجة إلى مثل فتى شيراز حتى يمهد لما يمكن أن يعلن عنه الطباطبائي في المستقبل، متى فكر في تنصيب نفسه هو الآخر إماما غائبا، أو مهديا منتظرا، أو بابا من أبواب المهدي، أو أبواب النبوة على ما هو قائم في فهم الشيعة الغلاة[٢]، إذن: صداقة الرجلين لم تكن في الله ولا لشرع الله، وإنما كانت لأغراض أخرى يحرص كل منهما على الآخر حتى يستعين به في تحقيق رغباته متى أراد القيام بها أو دعت الحاجة إليها.

أجل كان جواد الطباطبائي يجيد الفارسية والعربية، وبعض اللهجات الأخرى، وذلك مهد له أن يقرأ في التراث الشرقي القديم على وجه العموم، والذي أمتجته العقلية الفارسية على وجه الخصوص في جانب الطلاسم والنجوم وكتب السحر والشعوذة، وأنه كان يمارسها بصفة منتظمة، بجانب أنه كان يستعمل الأحبار والبخور على أوسع نطاق، ومع هذا كان يطيل لحيته، ويحاول الظهور بمظهر العلماء العاملين[٣].

---

(١) الأستاذ ناظم الدين محمود البيضان – الباب فتى شيراز ص٤٧ – ط٢ دار حكمت ١٣٠٨هـ.

(٢) انتشرت في بلاد فارس، والأماكن التي يقيم فيها غلاة الشيعة هذه الأفكار، حتى صارت جزءا من ثقافتهم الخاصة، وعقيدتهم التي يحافظون عليها ممارسة وتعبيرا.

(٣) الأستاذ محسن محمد نصر الله – البابية انحراف فكري ص١٣٧.

ولا شك أن ثقافته الواسعة قد أثرت في فتى شيراز، لا على الناحية التي أثر فيها كاظم الرشتي، وإنما كان على ناحية فهم العلوم الحكمية، وممارسة الطقوس والكلاسم النجمية، والاعتقاد بقدرة الكواكب على التأثير القوي في حياة الناس وأقدارهم، حتى فاضت تلك الأفكار عن ذهن فتى شيراز، فصار يؤمن بها ويعتقد فيها وحدها[1]، كما تخيل أنه يستطيع أن يجذب إليه قلوب الناس بها، متى أراد الإعلان عن دعوته، أو على الأقل متى أراد اختبار قوته في التعبير عن الإرادات التي تعتصم داخل نفسه، وبالتالي؛ فقد استمد فتى شيراز هذه القوى المتوهمة، أو على الأقل الإحساس بالقوة من الثقافة التي غرسها فيه جواد الطباطبائي[2]، ورغم أنها مزيفة وأوهام وخرافات، إلا أن الرجل اعتنقها وصار موقنا بها[3].

ولأن ذات الكتب الحكمية فيها الخيال الواسع، واللعب بالعواطف، والإيحاء بأن القريب بعيد، فإن الكثيرين من السذج والبسطاء وأصحاب العقول الضعيفة، بجانب الذين تخبو في نفوسهم النزعة الإيمانية يقبلون عليها، ويصدقون ما فيها، أما المحترفون لإنشائها كتابة وطباعة وممارسة، فهم يعلمون أنها زيف ووهم، ولكن حجتهم في ذلك أنهم يقدمون نوعا من المعارف العقلية والقلبية، لا علاقة لها بالنواحي الدينية، وهم في ذلك كاذبون؛ لأن عمدة كتبهم هو الحديث عن الغيب، الذي لا يعلمه إلا الله[4]، كما أنهم يقفزون فوق القضاء والقدر، وهما حكم الله وفعل الله تعالى.

---

(١) الأستاذ ناظم الدين محمود البيضان – الباب فتى شيراز ص٤٩ .

(٢) إن عملية التأثر بالفكر المنحرف صاحبت فتى شيراز، منذ نزوله أرض العراق، وأن الجرعات التي حصل عليها في بلاده قد دفعته إلى التفكير فيها، أما بعد لقائه بالطباطبائي، فقد اعتنقها وصارت هي رصيده الثقافي والديني معا.

(٣) الأستاذ ناظم الدين محمود البيضان – الباب فتى شيراز ص٧٣.

(٤) ففي الحديث الشريف « عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تقربوها (تتعدوها) وحرم محارم فلا تنتهكوها، وسكت عن كثير من غير نسيان فلا تكلفوها، رحمة من الله فاقبلوها، ألا إن القدر خيره وشره، ضره ونفعه إلى الله، ليس إلى العبد تفويض ولا مشيئة »(العلامة علاء الدين المتقي الهندي – كنز العمال (مطبعة الرسالة ١٩٨٩) – الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة – الحديث رقم: ١٦٥٦ – وروى أيضا في نفس الباب – الحديث رقم: ٩٨٠ – بلفظ:« إن الله عز وجل فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تقربوها وترك أشياء غير نسيان رحمة لكم فلا تبحثوا عنها » وذكره البيهقي في السنن الكبرى ج١٠ ص١٢ وذكره الإمام الشوكاني بفتح القدير ج٢ص١٢٠.)

وكأني بهؤلاء وأمثالهم قد بين الله فسادهم فعلا وقولا، فقال تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾[1].

٢ـ الملا حسين البشروئي:

واحد من أكثر تلاميذ كاظم الرشتي متابعة له، وأقدرهم على تفهم قضاياه، وأبرعهم في التعبير عنها، واكتشاف الأتباع الجدد وكيفية الوصول إلى نفوسهم مع التأثير في اتجاهاتهم النفسية، فهو صاحب ثقافة جمعت بين الهندية والفارسية والعربية، وقد حافظ على عقيدته الشيعية الاثنا عشرية لم يفارقها طيلة عمره، وظل يدعو لها بكل ما أوتي من ملكات وصحة ومال[2].

ونظرا لحبه الشديد للشيخ أحمد الاحسائي، فقد أنضم إلى طائفته الشيخية التي تبشر بقرب ظهور المهدي المنتظر، وتعلن أن غيبة الإمام ليست غيبة للأبد، وإنما هي غيبة مؤقتة، «حيث أن روح الإمام يمكن أن تحل في غيره، لا على سبيل التبادل، وإنما على سبيل الظهور المؤقت في من تحل به»[3]، وفي نفس الوقت يمكن أن تحل في جميع محبيه، فهي ليست منحصرة في إطار جسم شخص بعينه، وإنما هي منطلقة سابحة، تبحث عن الذي يناسبها، حتى تتنزل المنزل عليه، أو تهبط هي إليه، وهي نفس فكرة التناسخ الروحي التي يرفضها الدين الإسلامي الحنيف[4]، على كافة نواحيها، وتؤمن بها الهندوسية، لما هو معروف من أن «الهندوسية: ديانة معظم شعب الهند، وتعد الفيدا من، أقدم كتبها المقدسة، ثم مجموعة شروح دينية،

---

(١) سورة الكهف – الآيات ١٠٣/١٠٦ .

(٢) الشيخ محمد عبدالكريم البتانوني – البابية في منظور الإسلام ص٧٣ .

(٣) الأستاذ الظاهر محمد عبدالعاطي – البابية والبهائية دراسة مقارنة. ص٩٥ ط١ دار فؤاد ١٩٦٣م.

(٤) التناسخ الروحي فكرة مجهولة الأصل – البعض ينسبها إلى الهندوس، والبعض يعتبر مصدرها الفراعنة في مصر القديمة، والبعض يزعم أنها وليدة الفكر الصيني أو اليوناني، وبعض أخر يعتبرها أسطورة نبعت على أكتاف أسطورة كريشنا ومعناه في اللغة السنسكرتية المبهم، يقال إنه أمير هندي زعموا أنه اكتسب الصفات الإلهية تدريجيا، وأنه المتجسد للمرة الثامنة للإله الهندي فيشنوا. (راجع للدكتور محمد عبدالغنيّ مرسي شامة – أثر البيئة في ظهور القاديانية ص٩ – مكتبة وهبه – طبعة أولى ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) .

ومن تعدد الآلهة-وأضاف البراهمة مجموعة معقدة من العقائد والمعتقدات الدينية لدى الشعوب »[1].

إذن: الملا حسين البشروئي كان عيناً لكاظم الرشتي، يبحث بها عن الأتباع الجدد، ولساناً يدعو به إلى الشيخية في صورها المختلفة، ويركز على أن غيبة الإمام الثاني عشر أمر طبيعي، وأن ظهوره في الأتباع أمر طبيعي أيضاً، ونظراً لكونه على علم بالفارسية والهندية، بجانب محافظته على الثقافة المجوسية القديمة، فلم يكن غريباً عليه أن يدعو إلى كل ما تعلن عنه طائفة الشيخية[2]، بغض النظر عن كونه موافقاً للنصوص الإسلامية أم غير موافق.

التقى الملا حسين البشروئي بفتى شيرازي في مجلس الرشتي، وبخبرته في اكتشاف العناصر الجديدة أدرك ما يعاني منه الشيرازي فطرق عليه بشدة، وألح على وجدانه بأنه قد يكون هو الرجل الذي سيظهر فيه الإمام الغائب المهدي المنتظر، طبقاً لإيحاءات الرشتي، وما المانع من ذلك، مادام ظهور الإمام الغائب في أي رجل محب له بعد أمراً ممكناً.

وحتى يقبل الشيرازي الفكرة بحيث إذا عاد لبلاده ترجمها واقعاً عملياً، فقد قرر الملا حسين البشروئي مصادقة الشيرازي والاختلاء به، بل وحرص على مصاحبته في صورة دائمة استمرت قرابة العام[3]، حتى صار الشيرازي معتقداً لها تماماً، بغض النظر عن النتائج التي قد تأتي متعاكسة مع اتجاهاته الشخصية.

راح البشروئي يعبر عن ما في داخل الشيرازي كأنه داعية يمهد لظهوره، وكان غرضه من ذلك دفع الرجل إلى الإعلان عن نفسه من ناحية أنه الذي حلت فيه روح الإمام

---

(١) راجع جفرى بارندر – المعتقدات الدينية لدى الشعوب – سلسلة عالم المعرفة رقم ١٧٣ / ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م – ترجمة الدكتور إمام عبدالفتاح إمام ص٣٩٧.

(٢) الأستاذ الطاهر محمد عبدالعاطى – البابية والبهائية ص٩٧ .

(٣) الأستاذ نور الدين أحمد البرهانى – البابية كما قرأته ص٤٧ .

الغائب، ومن جهة ثانية حتى يتيح الفرصة لغيره، في ذات الإعلان، وبالتالي يدرك الأتباع الجدد والخصوم على السواء، أن الشيخية مذهب صحيح، بدليل أن نتائجه بادية على الأتباع[1]، فتخرج القواعد التي يسيرون عليها من النظر إلى العمل، ومن الفكرة الواقع.

ويلخص العلامة السيد محب الدين الخطيب موقف البشروئي من الشيرازي، وتأثيره فيه بقوله: « كان علي محمد الشيرازي فتى غِرّاً يتدين تدين العوام، ويغلو في ذلك على طريقة الأعاجم، ويستعيض في تدينه عن العلم بدعوى الفهم، وكان يتردد على مجالس كاظم الرشتي في أخريات أيامه، فتعرف به - في مجالس الرشتي - شيطان من شياطين الشيعة يدعى ملا حسين البشروئي[2]؛

فلما هلك كاظم الرشتي ١٢٥٩هـ؛ خطر ببال البشروئي أن يستغل سذاجة هذا الشاب وغروره وغلوه في الدين، فواصل الاجتماع به، وأوهمه أنه يوشك أن يكون له شأن، وأن هذا أوان المهدي المنتظر، وقد يكون في مقام الباب الذي يقوم بتبليغ الشيعة الإمامية عن المهدي، فإن تم له ذلك، فإنه - أي البشروئي - يرجو أن يكون له باب الباب فيمده بكل ما يحتاج إليه من وسائل الجدل، إذا قاومه المجتهدون والعلماء »[3].

۞ **وفي تقديري:** أن البشروئي كان هو الآخر على علم دقيق بفن تسخير أرواح الكواكب، وأنه استطاع ترويض الشيرازي واللعب على عواطفه الوجدانية، من خلال ملكاته الشخصية تارة، وثقافته الفارسية الهندسة العبثية تارة أخرى، وأنه جند الفتى إلى ما يريد، فصار بين يديه يفعل به ما يشاء، وبخاصة أن الفكر الذي كان يبشر به الرشتي

---

(١) العلامة محمود عبدالمولى الأنصاري - البابية ص٢٣ .

(٢) إذن البشروني كان عينا ترقب. وعقلا يفكر. في طرائق اصطياد من يتوقع منهم الاستجابة لاتجاهات الشيخية وانطلاقات الاثنا عشرية.

(٣) الأستاذ السيد محب الدين الخطيب - البهائية ص٥/٦ ط٣/١٣٩٠هـ المكتب الإسلامي ببيروت.

قد مهد هو الآخر نفوس الأتباع والمريدين، حتى تكون مستعدة للقاء الإمام الغائب، المهدي المنتظر، الذي بات أمر مجيئه وشيكا(1).

إذن البشروئي أثر على نفسية الشيرازي، ومنحه القوة في الإعلان عن دعوته، وساهم معه في تدعيم الفكر الذي قرر أن ينادي به، ولا أغالي إذا قلت: إنه الدافع القوي للشيرازي على كل ما قام به فيما بعد من إعلان نفسه المظهر الحقيقي للإمام الغائب، والباب إلى المهدي المنتظر، ثم الباب إلى النبوة إلى آخر الضلالات والانحرافات التي أعلنها الشيرازي ودعا إليها.

٣- عيسى اللنكراني - كيناز الغوركي(2):-

روسي الأصل، ملحد العقيدة، جاسوس لبلاد الروس على دولة إيران والخلافة الإسلامية، عمل سابقا مترجما بالسفارة الروسية في إيران، وكان على قدر من الثقافة والمعرفة بطبائع الشعب الإيراني والشعب العراقي أيضا، ورغبة كل منهما في التعلق بفكرة الإمام الغائب، والوقوع تحت السيطرة لذات الفكرة إلى أبعد مدى، باعتبار أن الشيعة الاثنا عشرية يكثرون فيهما.

خطط الروس لغزو المجتمع الإيراني، ثم الوصول إلى قلب المجتمع الإسلامي عن طريق العراق، حتى يتمكنوا من غزو بلاد الإسلام التي ملكوا جزءا منها، ابتداء من ابتلاع القوقاز كمرحلة أولى، ومن ثم؛ فكروا في تصدير الفتن والقلاقل إلى الشعب الإيراني؛ حتى يشغلوا حكومته القائمة، فلا يتمكن الإيرانيون من مساعدة إخوانهم بالقوقاز في مواجهة الأطماع الروسية التي تتربص بهم على كل ناحية، بناء عليه؛ فقد جندت روسيا مجموعة ممن كانوا يعملون بإيران والعراق، كملحقين ثقافيين أو مترجمين لبلادهم في تلك

(١) راجع في هذا الشأن للميرزا عبدالحسين - الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٦٢. وللأستاذ محمد مهدي جامع - مفتاح باب الأبواب ص١١٣.

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - البابية والبهائية - القسم الأول ص٤٨.

البلاد الإسلامية، وحولتهم إلى جواسيس[١]، مهمتهم إثارة الرعب والفزع بين أهالي تلك البلاد، وكذلك إشاعة الفتن والقلاقل، حتى لا يتمكن أهل تلك البلاد الإسلامية من الانصراف إلى محاربة العدو المشترك.

وحتى يحقق الروس شيئًا من ذلك النجاح السريع، كلفوا بعض عملائهم بإعلان دخول هؤلاء العملاء إلى بلاد الإسلام، والتسمي بأسماء إسلامية، ثم التزي بزي أهل الإسلام أيضًا، وفوق ذلك فرضوا عليهم الحضور المتواصل لجلسات العلم ودروسه، التي تعقد داخل المساجد، ومجالسة المترددين عليها[٢]، وعقد نوع من الصداقات معهم.

أتقن كينيازد الغوركي الدور المكلف به، فأطلق على نفسه اسم عيسى اللفكراني بدل كينيازد الغوركي، حتى صار من السهل أن ينادى به، كما أنه اسم له دلالته في البيئة الفارسية التي لديها استعداد لتقبل الغرباء، والتصديق بما يزعمونه لمجرد الإعلان عنه من غير اختبار لصدقه أو صحته[٣]، وكان لكينيازد الغوركي هذا شأن بين المتقابلين معه[٤]، حتى مكنه من تحقيق أعلى قدر من النجاح في البلاد الفارسية طبقًا للخطة التي وضعت له.

---

(١) الجاسوس: هو من يتجسس الأخبار، ليأتي بها إلى بلاده أو من كلفه بذلك، بحيث يكون عينًا على الآخرين، مهمته تقديم خدمات لمن كلفه القيام بذات المهمة- راجع للأستاذ نور الدين عبدالكريم - الدبلوماسية وعلاقتها بالجاسوسية ص١٤٩ - طبعة أولى/١٩٤٧م.

(٢) أنطوني البير - عشر سنوات في الشرق ص٧٥ - ترجمة حنا مقار - ط/١٩٤٧م وكان المؤلف قد عمل جاسوسًا لبلاده في كثير من بلدان الشرق الإسلامي، وبخاصة في بلاد إيران وشمال القوقاز، ثم بلاد ما وراء النهر ص٧ من المقدمة.

(٣) أرج أسي - إيران من الداخل ص١٣ - ترجمة فؤاد بن شهبة - اللواء بقاس ١٩٦١م.

(٤) حيث نال احترامهم باعتباره غريبًا عنهم أعلن إسلامه بينهم، لا مأوى له ولا أهل ولا مال - من وجهة نظرهم - وقد فضل الدخول في الإسلام على الاستمرار في الكفر، فحظي لديهم بالكثير من الاحترام، مع أن كل ما قام به من الأعمال إنما هي أمور زائفة.

ولما رأى رؤساؤه أنه قد نجح فى ذلك؛ قرروا إرساله إلى كربلاء، فتزى بزى أهلها من علماء الدين، وانخرط فى حلقات العلم داخل المساجد عموما، وحلقات مجلس الرشتى خصوصا، وقد أعجبه من الرشتى عذوبة حديثه، وقدرته على الدفاع المتواصل عن آرائه[1]؛ ثم الأفكار الإلحادية التى كان يبثها الرشتى بين الناس باسم الدين الإسلامى وفيها الحلول المجوسى، والاتحاد الهندوسى والنرفانا[2]، بجانب أنها كانت توحى للناس بأنها تعاليم الله للمسلمين المملوءة بالشوق للقائه والفناء فى ذاته، والاتحاد به.

التقى كيناز دالروسى بعلى محمد الشيرازى فى حلقات مجلس الرشتى، وسرعان ما استطاع هذا الجاسوس الروسى الوصول إلى قلب الفتى الشيرازى، حتى صار نديمه، وكم أعجب به الشيرازى، وعبر عن ذلك الإعجاب بقوله له: لقد خدمتنى يا صديقى، ويبدو أن العناية قد جعلتك لى رفيقا، وقد فرح الجاسوس الروسى بما قاله له الفتى الشيرازى، حتى إنه سجل ذلك فى مذكراته الخاصة[3]، التى نشرت فيما بعد.

أدرك عيسى اللنكرانى - ليكيناز دالغوركى - أن الشيرازى يعانى عقدة داخلية لها تأثير قوى عليه، وأنها تفرض نفسها فرضا ليس له القدرة على مقاومته، فعلم أنه صيد من السهل السيطرة عليه، وتوجيهه إلى القضايا التى من شأنها إثارة الفتن والقلاقل بين أفراد الشعب الواحد، وبخاصة متى جاءت على الناحية الدينية، فعمد إلى مجاورته فى المسكن، حتى تزداد أواصر الود، وتوثق عرى المحبة على أشد ما يكون.

بل يذكر المؤرخون أن علاقة على محمد رضا الشيرازى بعيسى اللنكرانى، قد تجاوزت كل حد مسموح به بين الغرباء، حتى إنهما تبادلا الزيارات على التوالى، وامتدت تلك

---

(١) الأستاذ العلامة محمد عبدالعاطى الدنيورى - البابية الأصول والغايات ص٧٣.

(٢) الأستاذ عوض محمود داود - البابية حركة هدامة ص٣٥.

(٣) راجع البابية الأصول والغايات ص٨١ وما بعدها ففيها اطراء محمد الشيرازى على الجاسوس الروسى.

الزيارات إلى ساعات متأخرة من الليل، كانت تقوم في الأصل على مناقشة الأفكار التي يبثها الرشتي، ومدى مطابقتها للنصوص التي تحملها، بجانب قبول العقل لها أو رفضها[1].

أجل كان الشيرازي الغر فريسة سهلة الوقوع في شباك الجاسوس الروسي المحترف، فتناقشا في مسائل عديدة، مما يتعلق بالحلال والحرام، ولم يكن الشيرازي بالمتمكن من تلك المسائل[2]، وبالتالي؛ فقد جاءت إجاباته دالة على عدم تمكنه من الحكم الذي يفتي به والعلم الذي يفتي فيه، مما جعل الروسي يتأكد أن صيده ليس على قدير عال من الثقافة الدينية.

وشيئاً فشيئاً بدأ الشيرازي ينقطع عن مجلس الرشتي، وينفرد بجلسات الجاسوس الروسي، حتى صارت له بها نشوة، تتم له فيها السكرة، وفي غمرة الشعور بالحاجة إلى أنيس مشبع للرغبات، استطاع الجاسوس إقناع الشيرازي بتدخين بعض النباتات ومنها الحشيش تحت اسم قليان المحبة، وفي نشوة من الغيبوبة التي تنتاب بعض الحشاشين اكتشف هذا الجاسوس الماكر أن صيده ثمين، كما أدرك من أحواله أن عقيدته غير مستقرة، وأنه يتغير من حال إلى حال[3].

استطاع الجاسوس الروسي المحنك أن يعيد الشيرازي إلى بعض حلقات الرشتي، غير أنه كان يأتيها متأخراً بعض الوقت، كما كان يأتيها في أحايين أخرى على كره منه، وعدم رغبة فيها، وإنما مجاراة لصديقه الذي أعلن عن حاجته الدائمة لها، وتطلعه المستمر لما يجيء فيها من معارف وآراء، بجانب الأتباع الجدد الذين يغدون لها راغبين في العلوم والمعارف التي يلقيها عليهم الرشتي[4].

---

(١) الأستاذ بدر الدين عبدالواحد – الاستعمار والبابية ص١١٣ ط١٩٢١/١م.

(٢) العلامة عمر محمد الأنور – الوثنية والبابية ص٣٧ ط دار منار ١٣٨٩هـ.

(٣) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية ص٤٨ .

(٤) فالجاسوس لا يعنيه الدين ومسائله، إنما يعنيه الوقوف على جمع كبير من الأتباع الذي يقبلون تأثيراته عليهم. أو يشعر بأنه إذا تمكن منهم، فإنما يقدم خدمة لبلاده في المهمة التي أوكلت إليه القيام به.

وكان الجاسوس الروسي هذا يكاتف الشيرازي في المجلس، فإذا ذكر الرشتي الإمام الغائب همس الجاسوس إلى الشيرازي المخدوع بأنه المراد بالإمام الغائب، وإذا تحدث الرشتي عن المهدي المنتظر أكد الجاسوس الشيرازي أنه المقصود، بل هو المهدي المنتظر نفسه بالطريق المباشر، حتى كانت تلك المفردات تدخل السرور إلى وجدان الشيرازي وتشعره بالسعادة الغامرة[1]، التي تظل معه وقتا ليس بالقصير كالشأن مع كل أصحاب الحالات الخاصة.

ويعترف الجاسوس الروسي بذلك كله فيقول حسب الأوامر في أواخر سبتمبر مع راتب يكفي من روسيا إلى العتبات العالية[2] وفي لباس الروحانيين، حتى وصل إلى حلقات الرشتي، وحينئذ رأيت في المجلس الميرزا علي محمد الشيرازي، فتبسمت وصممت في نفسي أن أجعله ذلك المهدي المزعوم[3]، حتى يكون بمثابة الشرارة التي تشتعل داخل هذا المجتمع الهادئ، فيتحول أبناؤه من الاستقرار إلى الفزع، ومن الثقة بالنفس إلى الاهتزاز وعدم القدرة على اتخاذ القرار السليم.

وعلق أحد الدارسين على ذلك بقوله: من خلال هذه الجلسات الشيطانية، وتحت تأثير الحشيش، وما اكتشفه هذا الشيطان في الباب، من أنه فريسة سهلة يمكن التأثير عليها

---

(١) الأستاذ بدر الدين عبدالواحد – الاستعمار والبابية ص١١٧.

(٢) العتبات العالية. [illegible] الدولة الإسلامية التي أقامها آل عثمان لتشمل العالم الإسلامي شرقاً وغرباً. إلا أن الاستعمار عمل على تقويض دعائمها، وإضعاف شأنها، حتى انتهت مع نهايات القرن التاسع عشر. ولم يعد لها وجود في مطلع القرن العشرين بعد الحرب العالمية الأولى، بل استطاع الماسونيون الوصول إلى الحكم، حيث جلس على قمته كمال أتاتورك الذي أعلن إنتهاء الدولة الإسلامية وإقامة الدولة العلمانية التي مازالت حتى يومنا هذا تذيق أهل الإسلام في تركيا النكال. بينما العلمانيون في سعادة ورغد من العيش.

(٣) مذكرات كنياز دالغوركي نشرتها مجلة الشرق السوفيتية عام ١٩٢٤/١٩٢٥م. نقلا عن البابية والبهائية – القسم الثاني ص٤٩.

وتوجيهها، أخذ يوحى إليه بأنه هو ذلك القائم الذى يبشر به الرشتى، ويناديه بصاحب الأمر، وصاحب الزمان، فكان ذلك تهيئة للباب، حتى يعلن هذا الادعاء[١]، وهو النبوة وما بعدها .

ويبدو لى أن الجاسوس الروسى قد أمد الشيرازى بنوع من الجرأة التى كان يفتقدها، فإذا كان جواد الطباطبائى قد مكنه من ممارسة العلوم الحكمية، والفنون المتعلقة بتسخير الكواكب وقدرتها فى السيطرة على الأمور الأرضية، وأن الشيرازى قد استفاد منه ذلك الجانب الفنى، وأنه كذلك استفاد من الملاحسين البشرويى قوة نفسية كان بحاجة إليها، فيما يتعلق بالقضايا التى يميل إليها، والغايات التى يصبو نحوها، فإنه قد استفاد من الجاسوس الروسى الجرأة على إعلان ما جال بخاطره .

كما أنه لم يعلن عن نبوته من الوهلة الأولى كنوع من التخطيط الروسى؛ لأنه من الصعب أن يعلن الشيرازى عن نفسه نبيا، فما فوق من اللحظة الأولى، وإلا كان قتل فورا[٢]، أما أن يعلن أنه مجرد باب للإمام الغائب، أو أنه باب أو مفتاح الباب للمهدى المنتظر، فذلك قد يؤخذ عليه لكن لا يؤدى به القتل .

ويغلب على تقديرى أن على محمد رضا الشيرازى قد استفاد من كافة الذين أحاطوا به، فلم يكن غرا كاملا[٣]، كما بدا لى أول قراءاتى عنه، وإنما كان متمكنا من

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص٤٩ .

(٢) فلو أعلن النبوة أو الألوهية من أول أمره لقتل فى الحال، وبالتالى؛ تكون مهمة الجاسوس فى هذا الشأن لم تحقق الأغراض المتعلقة بها، والجاسوس الروسى ليس بهذا القدر من الغباء الذى يسمح بتعريض عميله إلى الموت والهلاك مبكرا. (راجع فى ذات الشأن: الحكومات الخفية لأولين هنرى باولين ص٩٧ وما بعدها)

(٣) الغر من الناس: هو الجاهل بالأمور، الغافل عنها، المخادع بالباطل، ومن غره الشيطان فهو غر. (العلامة جمال الدين بن منظور – معجم مقاييس اللغة – باب العين) ويطلق الغر أيضا على المنخدع مطلقا. (العلامة الزمخشرى – أساس البلاغة – باب الغين) ولذا يقال على الغرة: إنها الغفلة أثناء اليقظة. (المعجم الوجيز باب الغين ص٤٤٨)

ثقافة قوية، وأن قدراته العقلية كان ذلك عالية التركيز، بدليل تمكنه من مطالعة تلك الكتب التى تستخدم أساليب متعددة، سواء أكانت فى التعامل معها والتعرف على ما فيها، أم فى هضم الأفكار التى تنقلها والمعلومات التى تعنى بها، وذلك لا سبيل لكل الناس فى الوصول إليه، إنما السبيل إلى ذلك كله هو بذل المجهود المتواصل، بجانب القدرات العقلية التى تعين على إتمامه.

أضف إلى ما سبق؛ أن وجدان الفتى كانت تحيط به رغبات كثيرة، وأقلها أن يكون له شأن يعدل به أقرانه، الذين لم يعيشوا يتامى كما عاش هو، أو يتفوق عليهم حتى يشعرهم بأنه ليس بالفتى الخامل أو الشاب الذى يخطط له الآخرون مستقبل حياته[1].

كما يغلب على ظنى أن حالات المرض التى كانت تنتابه، وعلى أثرها ارتحل به خاله للعلاج، إنما كانت ناشئة عن صراعات داخل نفسه، إذ هو طامح إلى العلا، طامع فى المجد، بينما إمكانياته لا تسمح له بذلك، بل أين له والمجد الذى يرتجيه بينهما مسافات يصعب على أمثاله قطعها، أو الوصول إليها[2]، وفوق ذلك فقد كان حبه للكتب النجمية، والتعامل مع الطلاسم والكواكب وسيلة من الوسائل التى تعبر عن داخله؛ لأنه به يستطيع السباحة فوق محيط الآمال الذى يحدوه، ويخرج من السباحة سالما بعيدا عن الموت الذى كان ينتظر أمثاله.

---

(١) راجع فى ذات المسألة العلاقة بين العبقرية والجنون لأدموند هيرسل ص١٨ وما بعدها ترجمة أنس لبيب

(٢) ويعرف هذا المرض باسم الإجهاد الخلوى. ويقصدون به أن الإنسان إذا فكر فى موضوع. وعجز عن إيجاد حلول له. رغم احتياج الشديد إليه. فإنه يصاب بعدم القدرة على التركيز. بجانب أنه قد يرى فى منامه أو يقظته مالا يريحه، ومن ثم؛ فإنه يتحول من نوع سوي إلى نوع من أنواع المرض العصبيين. إذا لم يتم علاجه. (راجع أعرف نفسك ص٥٧ للدكتور سبنسر كولز) .

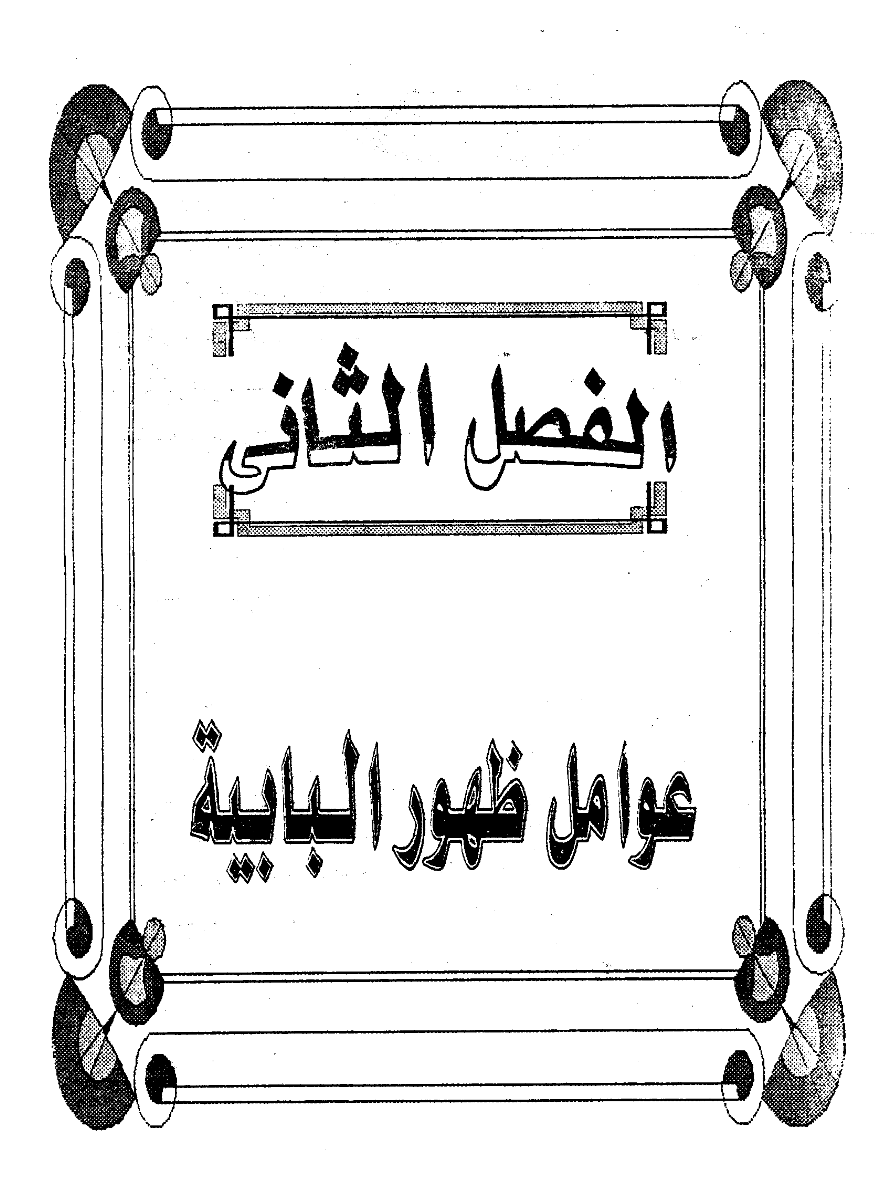
كما أنه عندما التقى بالطباطبائى، فإنما كان يطلب المزيد من الإجادة الفنية للأعمال الحكمية[1]، وقد كان يشعر بحاجته إلى ذلك، فلما التقى ثانية بالملاحسين البشرويى كان بحاجة إلى المزيد من الدعم النفسى، بجانب ضمانه وقوف هؤلاء بجانبه، إذ ليس بإمكان إنسان يتطلع إلى المجد أن يقفز إليه، دون أن يكون له من المساعدين من يمهد له الطريق، أو يدفع عنه الأذى الذى يحيط به أو يتصور وقوعه بالنسبة له.

فى نفس الوقت؛ فإن علاقته بالجاسوس الروسى لم تكن علاقة أحد الطرفين بالآخر علاقة عموم وخصوص، أو علاقة السالب المتأثر بالثانى الموجب المؤثر، بل كان كل منهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به[2]، وكان تأثر الجاسوس بالشيرازى قليلا؛ لأن مصالحه معه قليلة، أما تأثر الشيرازى بالروسي فكان أكبر؛ لأن مصالح الشيرازى بالنسبة لتلك العلاقة أكبر وأوسع.

---

(١) الأعمال الحكمية هى التى تجيء بها كتب الطب الروحانى والحكمة، مثل شمس المعارف والشموس الحكمية. الجلجلوتية البرهتية، إلى غير ذلك من الكتب التى تهتم بهذا النوع من معرفة الغيب على طريقة أهل التنجيم.

(٢) وقد يعبر عن تلك العلاقة باسم الطالب والمطلوب، أو اسم البادئ والمنتهى أو السالب والموجب، وهى كلها مفردات واصطلاحات. (راجع التغيير الاجتماعى للدكتورة سامية الساعاتى ص١٥٢).



الفصل الثانى

عوامل ظهور البابية

تمهيد

ليس من الصواب القول بأن البابية نبتت من غير أن تكون هناك أسباب وعوامل أدت إلى وجود ذلك النبت وظلت ترعاه، حتى ظهر على الناحية التى رآها كل من بحث فيهم أو تعرض لهم، وإنما لابد من القول بأن هناك عوامل كانت هى الدافع الرئيسى للمغامرة التى قام بها على محمد رضا الشيرازى ومن تبعه، أو صدق مزاعمه، وأن هذه العوامل كان لها من التأثير على نفسية الداعى لها تأثيراً لا يمكن مقاومته، إذ ليس من السهل أن يضحى المرء بمستقبله الدينى والحياتى، لمجرد رغبة طارئة، أو مشكلة صغيرة يبحث لها عن حل إيجابى[1].

وما من شك فى أن الدارس المنصف لابد أن يضع فى حسبانه، العوامل التى أدت إلى ظهور البابية، وأن يستعمل فى التعرف عليها المنهج الاستقرائى[2]، ما أمكنه إلى ذلك من سبيل، وفى نفس الوقت ينحى من طريقه المفاهيم الوهمية التى تعتمد على خيال أصحابها، وتجرى فيها النتائج مسبقة على المقدمات[3]؛ لأن المسألة تتعلق بعقيدة القوم البابيين فى نهاية المطاف، فإما أن يكونوا من أهل الإيمان، أو يكونوا من أهل الكفران.

كما أن الخطاب الدينى ما تزال قراءاته قائمة لم تنقطع، وبالتالى فالقضية الدينية معروضة الآن بشدة وإلحاح، لما هى مستهدفة به من مخططات عدائية، وإجراءات كيدية، لم

---

(١) الأستاذ فوزى عبدالحميد صالح – السلوك السلبى والإيجابى ص٢٧ – طبعة أولى [illegible].

(٢) الاستقراء : هو تصفح الجزئيات لإثبات حكم كلى يشمل ما تصفح وما لم يتصفح؛ لأن الغرض من الاستقراء هو التوصل بحكم الجزئيات إلى حكم الكلى الشامل لها ولغيرها، فكأنه استدلال مأخوذ من حكم الجزئى على حكم ومعرفة الكلى، فهو عكس القياس. (دكتور على محمد جبر – منطق حديث)

(٣) جون كيمنى – الفيلسوف والعلم ص١٩٨ – ترجمة الدكتور أمين الشريف – المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٦٥م .

يشهد تاريخها لها من قبل مثيلاً[1]، وبناء عليه فإن التعرض للعوامل التي قامت عليها البابية يعتبر أمراً ضرورياً على الناحية الشرعية.

وسيكون عرض تلك العوامل على النحو التالي:-

أولاً: الناحية السياسية

بلاد فارس اشتهرت فيها كثرة التقلبات السياسية فترة من الزمان حيث كان كلما استولى على قمة السلطة فريق نازعه آخر، وعمل على إسقاطه مهما كانت الأسباب، بغض النظر عن الوسائل التي تؤدي إلى إسقاط فريق، وإقامة الفريق الآخر. وظل الأمر على تلك الحال، فتطول مدة إقامة فريق في الحكم، بينما تقصر مدة فريق آخر، تبعاً لقدراته في مواجهة خصومه، وإمكانياته في التغلب عليهم، أو ضعفه عن مجابهتهم، فضلاً عن إنزال الهزائم بهم[2].

ومن المؤكد أن مجتمعا كهذا تقع فيه المظالم بكثرة، باعتبار أن الفريق المنتصر سيحاول إلحاق الضرر بأفراد الفريق المنهزم؛ بغية إضعافه وصرف الناس عنه، ومن ثم فإن المنتصر سيبذل جهده في إلصاق التهم بالآخرين، بغض النظر عن صحة تلك التهم أو كذبها؛ لأنه يبحث عن طرائق إضعاف خصمه بأية وسيلة وحتما ستقع تلك المظالم على كل فرد من أفراد الفريق الآخر، أما على الأصول أو على التابعين لهم، باعتبار أنه ما من فرد إلا وهو قائم في أسرة تحميه وتدافع عنه، أو تؤثر فيه وتتأثر بالنتائج المترتبة عليه.

وكلما وقعت المظالم على بريء، ولم يتمكن من دفعها؛ فإنه سيحاول التخلص من أسباب المظالم عن طريق تحريك من يراهم عونا له على السلطة القائمة، بحيث يشيع داخلهم بالعداء عليها، فإذا نادى بالثورة على الظلم فيما بعد؛ وجد من الأعوان من يندفعون إليه بكل

(١) الدكتور أحمد عبده حمودة الجمل – في المذاهب المعاصرة ص٣ الطبعة الأولى – دار الطباعة المحمدية ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٢) الدكتور حامد مرسي الجمل – تاريخ إيران ج١ ص٢٣ – طبعة الدار الجديدة ١٩٥٧م.

ما لديهم من قوة(١)، غير هيابين بالمواقف، ولا واضعى فى حسبانهم ما ينتظرهم من المجهول على أيدى الثوار الجدد، أو الطبقة الحاكمة التى ستلى الحكم بعد إزاحة الفريق الآخر المسك بالسلطة(٢).

وقد كانت بلاد فارس على موعد مع القدر فى نهايات القرن الثامن عشر، كثرت التقلبات السياسية، وتعددت الحكومات التى أنتجتها تلك التقلبات، ولم يكن ذلك التعدد لصالح أبناء الشعب، بقدر ما هو نوع من إرضاء النزعات الداخلية للقائمين بها(٣)، وبالتالى فقد ترددت أمورها السياسية بين حكومة قوية غاشمة، أو حكومة ظالمة مستبدة ترفع البلاد إلى الحروب، وتخرج على السلطان الشرعى المتمثل فى الخلافة الإسلامية.

كما ظهرت حكومات فيها من الضعف القدر الذى جعل كل إدارة ينزع مديرها إلى إشباع رغباته على حساب المصلحة العامة، وتغلبت عليه مصالحه الفردية، حتى جعلها فوق مصالح جميع أفراد الشعب، الذين يدير أمورهم غير هياب بمراجعة لما قام به، أو محاسبة على تصرفات لا تخدم مصالح الشعب، ولا تحقق طموحاته(٤)، مع أن واجبه هو قيادة الأمة إلى ما فيه الخير لها.

فإذا تولت السلطة حكومة مقهورة واقعة تحت ظروف اقتصادية شديدة البأس، فإنها تلجأ هى الأخرى إلى فرض أنواع جديدة من الضرائب التى تثقل كاهل كل فرد من أفراد

---

(١) ومن الأمثلة على ذلك فى العصر الحديث ما قام به آية الله الخمينى فى إيران من تشنيع على شاه إيران حتى انتهى به بالثورة الكاملة عليه، وقد أنزلت حكم الشاه تماما، وحل بدلا منه حكم الثورة الإسلامية منذ عام ١٩٧٩م حتى يومنا هذا، بل إن الشاه وأسرته هربوا من طوفان الثورة وأخيرا مات الشاه ودفن بمسجد الرفاعى بالقاهرة.

(٢) الدكتور ناصر محمد بدره – الانقلابات وخطرها على الاستقرار التنموى ص٧١ ط٢/١٩٦٦م.

(٣) الأستاذ بدر الدين عبدالواحد – الاستعمار والبابية ص٢٣ – ط أولى دار الهدى ١٩٢١م.

(٤) الدكتورة ليلى محمد الأشوح– الحكومات بين الاستقرار والتثبير ص٥٧ – طبعة دار الطبرى – تونس ١٩٧٧م.

الشعب، فيظهر الحاكمون وحدهم على أنهم المستفيدون مما لحق البلاد من خسائر أو حل بها من خراب، وحينئذ يفكر عدد قليل من أفراد الشعب في إعلان العصيان على أوامر ونواهي تلك الحكومة[1]، ومخالفة الأمر تحت أي ظرف من الظروف.

وأمثال تلك الحكومات تجعل الحالة السياسية متردية، فتلحقها في التردي الجوانب الثقافية والاقتصادية، بل والاجتماعية والأخلاقية أيضاً وإن كانت بدرجات مختلفة، وحينئذ يكون أفراد الشعب كالمرجل الذي توقد تحته نار شديدة الحرارة، قلّت المياه داخل المرجل، وكثر البخار فيه، وما تزال النار تحته موقدة في شدة وحرارة، وفي النهاية حتماً سينفجر المرجل أو ينصهر، وفي كل من الحالتين تقع خسائر لا حسبان لها، كذلك كان الحال في بلاد فارس، فكل أفراد الشعب ضائقون بما يرونه من سلوكيات الحكومات المستبدة والمقهورة، الظالمة الغشومة والضعيفة العاجزة عن توفير شيء من الأمان والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي للبلاد، والكل يتوقع قيام ثورة تنصف كل فرد من أفراد ذلك الشعب، أو تحقق بعض طموحاته[2]، ومثل ذلك يعطي الفرصة للمتلهفين عليها؛ حتى يعلنوا عن دخائلهم بالطرق التي يرونها متوافقة مع إمكانياتهم، كما فعل علي محمد رضا الشيرازي، الذي أعلن نفسه الباب وأنه نبي.

يقول أحمد شيوخي: «أما البيئة السياسية، فقد لعبت هي الأخرى دوراً خطيراً في إعداد النفوس وتهيئتها لتقبل خدعة المهدية التي برزت بظهور البابية، وذلك بسبب ما كانت تعانيه البلاد وتشتكي من ظلم وفساد اجتماعي، وهي التي تستدعي ظهور المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً، بعد أن ملئت فساداً وجوراً»[3]، ومن ثم فإن فساد السياسية يمهد لظهور الأفكار المنحرفة، ويساعد على انطلاقها حتى إذا شبت كانت كالنار التي أمسكت بكومة من الهشيم المستعد الاشتعال.

---

(١) الأستاذ بدر الدين عبدالواحد – الاستعمار والبابية ص٢٥ ط أولى دار الهدى ١٩٣٦م.

(٢) الأستاذ خليل السيد عبدالمولى – إيران في القرن الثامن عشر ص١٧ ط أولى ١٩٥١م.

(٣) الدكتور حسن السيد محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٢٤.

ثانيا: الناحية الثقافية والعلمية

عرفنا أن الثقافة هي تثقيف العقل وتهذيبه بالمعارف، وأنها الجانب الهام من الحضارة[1]، باعتبار أن الحضارة تقوم على جانبين أو تطير بجناحين، لا غنى لأحدهما عن الآخر. وهما:-

[أ] الثقافة: وتعرف بأنها تثقيف العقل وتهذيبه بالمعارف والعلوم التي تظهر بها، حتى تكون المعرفة الحقة، والنتائج الصحيحة، وهو الجانب المعنوي من الحضاري، ولابد من أن تكون المعارف التي تقوم عليها يقينية[2].

[ب] المدنية: وتعرف بأنها التطبيق المادي للفكر في جانبه الحضاري، كإنشاء العمارات، وإقامة المنشآت، وبناء المستشفيات، ومرابط الجيش، وهي التي يظهر فيها أثر الفكر نفسه فبدون التطبيق العلمي يصعب الحكم على صحة الثقافة[3].

ولما كانت هذه الناحية - الثقافية والعلمية - هي التي تحكم على حضارة تلك البلاد وأهلها، بحيث تكون هي الصورة المعبرة عن تقدمها أو تخلفها، تطورها أو تدهورها، شدتها أو ضعفها، فإنها تصير مهمة جداً؛ لأنه كلما كان أفراد الشعب على قدر كبير من

---

(١) عرفت الحضارة بتعريفات عديدة من أبرزها: أ- أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة، الذي يقتضي فنونا من العيش والعلم والصناعة، وإدارة شئون الحياة والحكم، وتوطيد حياة الدعة وأسباب الرفاهية. ب- أنها المعبر عن [illegible] العالية للتقدم الإنساني، وأنها غاية العمران، ونهايته. (راجع في المسألة للأستاذ توفيق محمد سبع - قيم حضارية في القرآن الكريم - عالم ما قبل القرآن ج١ ص٢٢ طبعة دار المنار بالقاهرة). جـ- أنها ذلك الطور بالأرض الذي بلغه الإنسان العربي عندما تجاوز حياة البداوة، فاستقر وتوطن، وأصبح حاضرا في المكان، الأمر الذي صحبه امتلاك قيم ونظم وعادات وأعراف وأفكار وعلوم مثلت بناءه الحضاري. (راجع للدكتور محمد عمارة - الإسلام والعروبة ص١٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦م.

(٢) راجع كتابنا: قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة ص١٠٧/١٠٨ - ٢ط

(٣) الأستاذ ناصر محمد الطيب - الفكر والواقع ص٢٣ ط أولى ١٩٦٨م.

ثقافة؛ كلما كانوا على نفس المستوى من الوعي السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي؛ لأن الثقافة هي المرآة التي تعكس عليها الحضارة الإنسانية.

والمتأمل لبلاد فارس في نهايات القرن الثامن عشر ومطالع التاسع عشر يجد بها حالات متناقضة، حيث تجري بين أعراف أهلها من العامة الأساطير [1]. وتسري في معارفهم الخرافات [2]، ويؤمن الأغلب الأعم من هؤلاء العامة بأن الأساطير حقائق. والخرافات أصول ثابتة، لا يمكن التخلص منها، أو التخلي عنها؛ لأنها سياج قدسي، ولها من المرجعية في نفوس المرددين لها القدر العالي، بجانب ما يزعمه قادتهم من وجود نصوص صحيحة تحفظ تلك الأساطير، وتصون ذات الخرافات على أنها معارف دينية.

وبخاصة أن الزرادشتية [3]، تمت قديما في بلاد فارس، بل كانت هي الموطن الأصلي لها. وإذا كانت الزرادشتية قد انقضى أمرها منذ قرون طويلة، إلا أن أفراد الشعب مازالوا يتذكرون ما نقل إليهم عن ذلك الدين الوضعي [4]، ويتمسكون به في الحل والترحال، ويجعلونه دائما على قمة الموضوعات التي يتناولونها، والقضايا التي يحاولون المحافظة عليها مدارسة لها واستمساكا بها، باعتبار أنه يمثل الاتجاه القومي.

ثم إن الفرس فيهم طبيعة قومية، تقوم على التعصب لكل ما هو فارسي. حتى لو كان يؤدي بهم إلى الهلكة، أو يوقفهم على شفير النار، فالعقل أمام القومية لا وجود له،

---

(١) جمع أسطورة، وهي الباطل الذي لا يقبل الوجود الفعلي. والحديث العجيب الذي يختلقه صاحبه. (المعلم بطرس البستاني – قطر المحيط – باب السين).

(٢) الخرافة : هي الكلام المستملح المكذوب كله، الذي أنشأه خيال صاحبه. (راجع للعلامة الزمخشري – أساس البلاغة – باب الخاء ط الشعب).

(٣) الزرادشتية : هي الديانة الوضعية التي نسبت إلى زرادشت المفكر الفارسي القديم. والذي اعتبره الفارسيون نبيا لهم: (راجع في هذا الشأن الأديان في القرآن للدكتور محمود سعد احمد بن الشريف، ص ١١١ ط١٩٧١/١م.

(٤) الشيخ محمد المرتضى الحسناوي – نظرات في الديانة الفارسية القديمة ص٨٩ طبعة دار حكمت ١٩٢٧م.

والقومية الفارسية فوق كل اعتبار، وذلك مما جعلهم يحققون بعض الانتصارات العسكرية في قليل من الأحيان، مع قلة عددهم، والعدة التي يستعملونها، حتى قيل إن سلاح الفارسي قوميته[1].

وذلك مما جعل الجهل قديما يتفشى فيهم، حتى كان هو السمة البارزة لأغلب أفراد الشعب الذين عبدوا في الماضي كسرى، واعتقدوا في ألوهية النار، فإذا كان حال العامة هو ما ألمحت إلى بعض منه، فإن حال العلماء هو الآخر قد وقع تحت وطأة التعصب للرأي، والخصومة لكل مخالف فيه، والمعروف أن تعصب العالم أسوأ من جهل الجاهل، فإذا تعصب كل عالم لرأيه؛ فإنه سينفر من ملاقاة الآخرين، الذين يخالفونه الرأي، وسيكون الحال مع جميع العلماء، كالحال مع بعضهم؛ لأنه الجميع يتكون من أفراده.

وبلاد فارس - في ذلك الوقت - كان علماؤها في الشريعة يعيش أغلبهم تحت تأثير فكرة القول بالإمام الغائب[2]، وموعد ظهوره، والأمل في أن يعايشوا تلك الرجعة حتى يكونوا أول من يسانده، ويظفروا معه باللقاء، وكفاهم ذلك شرفا وفخرا، إذ الرجعة لمن غاب تمثل أحد العقائد في فكر هؤلاء[3].

ويذكر الإمامية الاثنا عشرية، أن الرجعة عقيدة، فيقولون: عقيدتنا في الرجعة أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز فريقا ويذل فريقا آخر، ويديل المحقين من المبطلين، والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمد ﷺ، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان، أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد الرجعة إلى الموت كما كانوا، ومن بعده النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، والإمامية بإجماعها عليه إلا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة بأن معناها رجوع

---

(١) الأستاذ جميل عبدالوارث الطناحي - إيران الماضي والحاضر ص٣١ ط١٩٨١/٢م.

(٢) الشيخ محمد عطية - عقيدة الرجعة ص٧٣ - ط دار المنيرة ١٣٣٧هـ.

(٣) الأستاذ يونس حسن الظريف - الشيعة وعقائدها ص٨٧ ط١٣٣٥/١هـ.

... والأمر والنهي لآل البيت بظهور الإمام المنتظر من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتى[1].

إذن ليس بين الإمامية اتفاق على نوع الرجعة، وهل هي حسية لأشخاص بأعيانهم، أم هي رجعة نوعية تتمثل في حكم يؤول الأمر فيها، من حيث الحكم الديني والنظام السياسي إلى آل البيت ومجيء الإمام المنتظر، وذلك التفرق بين أفراد الفريق الواحد يؤدي حتما إلى الاختلافات المذهبية.

كما أنهم وقعوا في الخلافات المذهبية، فبعضهم تعبد الله على ما تركه الإمام زيد[2]، وهم الزيدية في الفروع[3]، وبعضهم تعبد الله على ما تركه الإمام جعفر الصادق في الفروع، وهم الجعفرية[4]، وبعض ثالث تابع فقهاء الاثنا عشرية[5]، وهكذا كثرت المذاهب الفقهية في البيئة الإسلامية، وانحاز لها العلماء، حتى صارت الخصومة بين أتباع كل مذهب والمذاهب الأخرى قائمة، مع أنها جميعا فروع فقهية، التعصب فيها يمثل نوعا من الخلل الفكري، والجهل بأصول المذهب الفقهي نفسه.

---

(١) العلامة محمد رضا المظفر – عقائد الإمامية ص٦٧/٦٨– ط١/١٣٧٣هـ في النجف الأشرف بالعراق.

(٢) هو أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . ولد سنة ٧٩هـ/٦٩٨م، فقيه خطيب. قرأ على واصل بن عطاء رأس المعتزلة، واشخص إلى الشام، فضيق عليه هشام بن عبدالملك وحبسه خمسة اشهر. وعاد إلى العراق، ثم إلى المدينة فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه إلى قتال الأمويين ورجعوا به إلى الكوفة سنة ١٢٠هـ، ونشبت معارك بين الطرفين، انتهت بمقتل زيد سنة ١٢٢هـ/٧٤٠م، ومن آثاره المجموع الكبير في الفقه والحديث أيضا من رواية ابن خالد عمرو بن خالد الواسطي. راجع معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٩٠/٤ – طبعة دار إحياء التراث العربي .

(٣) راجع عن الفقه الزيدي للدكتور محمد مصطفى إمبابي – الحركة الفقهية الإسلامية دراسة تحليلية تاريخية ج١ ص٢١٩/٢٢٨ – مطبعة السباعي بالقاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(٤) راجع أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله للدكتور علي أحمد السالوسي – ط٢/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٥) لأن المذاهب الفقهية الإسلامية المشهورة هي: ١- الزيدي . ٢- الحنفي. ٣- المالكي. ٤- الشافعي. ٥ ـ الحنبلي. ٦- الإمامية. ٧- الإباضية. ٨- الجعفرية. (راجع الحركة الفقهية).

وكلما اشتدت الخصومة بين هؤلاء الفقهاء، اشتد الجدل والصراع بين أتباع المذاهب، وبخاصة غير الفقهاء، ومن ثم فإن العوام يغرقون فيها؛ لأنهم سيقفون مع المذهب الذى يعتقدون أنه الصواب، ويقاتلون فى سبيله، وربما نالوا من أتباع المذاهب الأخرى فى دينهم أو أخلاقهم وأعراضهم، إلى غير ذلك مما يجلبه التعصب، وفى تلك الحال فإن أمن البلاد الاجتماعى والدينى سيكون معرضا للكثير من الهزات الاجتماعية والدينية[1]، ومثل ذلك يعطى الفرصة للآخرين حتى يعلنوا عن قدرتهم على تجاوز تلك الخلافات، ووضع حلول عاجلة لذات الخصومات، فقيمة الوسائل مرتبطة بالغايات.

فى نفس الوقت فإن الخلافات المذهبية تمثل صورة من ضيق الأفق؛ لأن كل مذهب فقهى قائم على أدلة شرعية تثبت صحتها عند أصحاب المذهب الذى يقع لهم التمسك به[2]، سواء أكانت على الناحية القطعية فى الورود والدلالة[3]، أم على الناحية القطعية فى الورود الاحتمالية فى الدلالة، أم فى الاحتمال على كل من الورود والدلالة[4]، وذلك مما يعلنه أصحاب الأصول، فالاختلاف المذهبى يجب أن لا يكون عقيدة تقوم فى قلب تابع المذهب، فيقوم هو الآخر بها تقليدا؛ لأن تقليد أصحاب المذاهب فى الفروع لا يضر الالتزام به، أو الانتقال من مذهب إلى آخر على سبيل التقليد لصاحب المذهب الذى ثبت عنده الحكم الشرعى بدليله.

---

(١) الدكتور السيد حسن مصطفى – التغيرات الاجتماعية والسلوكية– دراسة مقارنة ص١٩٧ .

(٢) راجع بهذا الخصوص القطب الثالث من كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى، حيث ضرب أمثلة له. وقد عرضت بعضها فى كتابنا: حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد ج٣ – الأفعال الإلهية – طبعة آل بسيونى ١٩٩٩م.

(٣) القطعى الورود هو القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف الصحيح. ومعناه أنهما من عند الله تعالى على سبيل اليقين والقطع. أما الاحتمالى الورود فمعناه أنه لم يثبت مجيئه على سبيل اليقين. وإنما على سبيل الظن والاحتمال. (راجع فى المسألة كتب الأصول وبخاصة الموافقات للعلامة الشاطبى. والأحكام لابن حزم الظاهرى).

(٤) تعرضت لتقديم لمحة عن ذلك فى كتابنا: أوراق منسية فى النصوص الفلسفية ص٢٢/٢٦ .

لما هو معلوم لدى الفقهاء من أنه إذا «اضطربت الروايات عن الأئمة المعتبرين؛ فإن الترجيح الذي يكون لبعضها على بعض، متى قام على أسانيد صحيحة، فإنه يكون مقبولا، حتى إذا ظهرت مسائل لم ترو عن الأئمة فيها نصوص، فما على الفقيه إلا أن يجتهد في الاستنباط من النصوص أو الآراء التي أخذها عنهم، أو من الإشارات التي جاءت تلميحا في مؤلفاتهم، ثم يصرح برأيه في المسألة بعد ذلك»[1]؛ لأنه مما يناط بالفقهاء العلماء، ولا يعتبر مسئولية العوام أو مقلدي أصحاب المذاهب الفقهية.

غير أن الوضع في بلاد فارس وصل درجة الصراع العنيف بين أصحاب كل مذهب شيعي على الناحية الفقهية ناحية أخرى، حتى إن البعض راح يكفر الآخر المخالف له في أصل التقليد، لا أصل الاعتقاد[2]، وبات أمر اجتماع هؤلاء على غاية واحدة، يمثل ضربا من المستحيل، إذن؛ تطلع الناس إلى من لديه إلمام فقهي، حتى يعيد هؤلاء وأولئك إلى مائدة المفاوضات السلمية، بدل حلبات المصارعة التي يصر كل طرف فيها على إسقاط الطرف الآخر بالقاضية، على ألا تقوم له بعد ذلك قائمة، وبالتالي؛ فقد مهدت تلك الخصومات للشيرازي من الإعلان عن آرائه الشاذة، وتفكيره غير المستقيم.

أما العلماء بالأمور الدنيوية، فقد خافوا شوكة الفقهاء الجامدين، الذين أفتوا بأن العلوم التي ترد من الغرب الكافر، إنما هي رجس من عمل الشيطان، فيجب اجتنابه، بل أفتوا أيضا بأن من يتعامل بوسائل الكافرين هو كافر، باعتبار أن التعامل مع الكافرين، يمثل نوعا من الموالاة لهم، والله عز وجل نهى عن تلك الموالاة في آيات كثيرة من القرآن الكريم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم

---

(١) الإمام المحدث الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الحنفي - مختصر الطحاوي ص٤ من مقدمة المحقق الأستاذ أبو الوفا الأفغاني - نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن الهند.

(٢) راجع كتابنا: حصاد الاقتصاد في الاعتقاد - الأفعال الإلهية ص٩٨ لمعرفة الفرق بين أصل التقليد وأصل الاعتقاد.

فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١) . فكل من والى الكافرين فهو منهم وليه الطاغوت، وبالتالي خشى العلماء بالأمور الدنيوية على أنفسهم من بطش الفقهاء الجامدين، وبخاصة أنه كلما كانت الحكومة ضعيفة، فإن سطوة العامة يكون لها تأثير على مجريات الأمور، متى كان لهؤلاء العامة من الموجهين من يمكنه التأثير القوى على الأتباع(٢)، حتى يكونوا أداة فى أيدى الموجهين يستخدمونها متى شأوا، وضد من شاءوا، فيتحول هذا التابع إلى آلة تستخدم عن طريق التوجيه إلى ما يريد المؤثر فيه.

إذن رأى الناس أن فتاوى هؤلاء الفقهاء تحرم العلم المدنى، وتحرم القائمين به، وتعتبر كل من تعلمه من أولياء الشياطين المأمور بقتالهم لقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(٣).

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٥٧ . وفى تفسير الآية يحدثنا العلامة ابن جرير الطبرى – رحمه الله – : « يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه، ﴿ يخرجهم من الظلمات ﴾ يعني بذلك: يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. وإنما عنى بالظلمات في هذا الموضع: الكفر. وإنما جعل الظلمات للكفر مثلا، لأن الظلمات حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء وإثباتها، وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن إدراك حقائق الإيمان والعلم بصحته وصحة أسبابه. فأخبر تعالى ذكره عباده أنه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الإيمان وسبله وشرائعه وحججه، وهاديهم؛ فموفقهم لأدلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب. ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به. فقال: ﴿والذين كفروا﴾ يعني الجاحدين وحدانيته ﴿ أولياؤهم ﴾ يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم، ﴿ الطاغوت ﴾ يعني الأنداد والأوثان الذين يعبدونهم من دون الله، ﴿ يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ يعني بالنور: الإيمان على نحو ما بينا إلى الظلمات، ويعني بالظلمات: ظلمات الكفر وشكوكه، الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الإيمان وحقائق أدلته وسبله » راجع جامع البيان عن تأويل آى القرآن للعلامة ابن جرير الطبرى – طبعة مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤ – الطبعة المصرية.

(٢) الأستاذ بيومى محمد عبدالقادر – المجتمع الإنسانى وقضاياه ص١٧١ ط دار مراد ١٩٦٧م .

(٣) سورة النساء – من الآية ٧٦ .

وبناء عليه فقد آثر الكثيرون من الناس الهرب السريع، من نيران تلك الفتاوى، إما إلى البعد عن العلوم المدنية، وفيها السلوى والمتنفس، أو إلى العلوم الشرعية، وأغلبها فيه العنف الأدبي والخصومة المذهبية، وقد أدى بهم ذلك إلى السطحية في تناول القضايا المعروضة والتعامل معها بنفس المستوى دون تعمق في مبانيها، أو غوص خلف أسرارها ومعانيها.

أضف إلى ما سبق أن العالم لا يستطيع الإنتاج في جو تحيط به القسوة من كل جانب أو يلفه الغموض من أية ناحية، إذ التفكير عملية عقلية لا يتحقق فيها النضج إلا من خلال الهدوء النفسي والسياسي والاجتماعي، بحيث يكون المفكر آمناً على لقمة عيشه، بعد تأمين حريته العقلية والدينية(١).

وما من شك في أن مثل هذا التأمين بجوانبه المختلفة لم يكن موجودا إبان تزمت الفقهاء الشيعيين الذين فتحوا باب الاجتهاد لمن يسمحون له به، ثم يغلقونه في وجه الآخرين، وتعصب العامة، وضعف الحكومة أو استبدادها، وذلك كله جعل الأرض ممهدة لاستقبال أي أفكار تخفف عن الناس بعض ما عانوا، أو ترف إليهم البشرى في أمل جديد يحيل لياليهم حالكة السواد إلى نهار فيه بعض الضياء، بحيث تحمل بين طياتها ملامح الأمل في غد جديد تشرق فيه على الناس شمس يوم صبوح، حتى ولو كانت تلك الأمنيات المبشر بها من قبيل الأحلام التي لا تقبل الوجود في عالم الواقع.

---

(١) أما الفكر فقد عرف بالعديد من التعريفات من أبرزها :

أ- أنه ترتيب أمور معلومة للتوصل إلى مجهول تصوري أو تصديقي - (الشيخ أحمد الملوي - شرح السلم المنورق ص١٩ ط الحلبي ١٩٣٨م). وبالحاشية تقريرات محمد الدنباوي.

ب- أنه ترتيب أمور معلومة للتوصل بها إلى مجهول، فالأمور المعلومة هي المقدمتان الصغرى والكبرى، والأمر المجهول هو النتيجة. (الشيخ حسن درويش القويسني - شرح القويسني على متن السلم في المنطق ص٤ ط الحلبي ١٩٥٩م وعليها تقريرات الشيخ خطاب عمر الدوري الشافعي).

جـ- أنه حركة النفس في المعقولات، شاملا المطالب والمبادئ. وقد يعرف بأنه ترتيب أمور معلومة تكون في التصديق الذي هو إدراك النسبة. (الشيخ محمد الأنبابي - تقريرات الأنبابي على متن السلم ص٦).

فلما أعلن الشيرازي عن نحلته - رغم أنها سطحية وساذجة - انضم إليه بعض من هؤلاء المطحونين من حجر السلطة وستدال الفقهاء المتزمتين، وأحلام الشيعة الغالية، التي لا تنقطع[1]، فكان ذلك كله من العوامل التي ساعدت على ظهور البابية ومن بعدها البهائية في أرض فارس والبلدان التي جاورتها.

ثالثًا: الناحية الاجتماعية

خلق الله الإنسان الطبيعي مائلا إلى الاجتماع مع بني جنسه؛ لأنه مدني بطبعه، يحتاج إلى بني جنسه في المؤاكلة والمشاربة والمؤانسة على النحو الذي يتحقق لهم به التشارك مع بعضهم، وحتما يقع بين أفراده ما تصلح به أمور معاشهم، فالزارع محتاج إلى الصانع، والمهندس محتاج إلى الخابز والطاحن، وكل منهم محتاج إلى أخوانه من بني جنسه يقاسمهم الآمال ويطارحونه الأحلام، وكل بني آدم الأسوياء على ذلك النحو يسيرون.

لكن إذا ظهرت الحكومات ضعيفة مهزوزة، أو قوية ظالمة غاشمة؛ فإن العلماء والفقهاء وعامة المثقفين يكون نصيبهم الانزواء والانغلاق والتعصب[2]، وحينئذ سيتربص كل واحد منهم بالآخرين من بني جنسه ويسود الأنا الذاتي، فتقع العداوات بدل المصادقات، وتسود فيهم روح التربص بدل التآزر والتعاون، حتى إن كل فرد من أفراد المجتمع سيعتبر نفسه هو الوحيد صاحب الحق في العيش بسلام، ولما كان الآخرون لا يعترفون له بذلك الحق، فإنهم قد صاروا من وجهة نظره ظالمين له، هاضمين كل حقوقه.

ونفس المفهوم سيجري في كل الأفراد، بحيث يتحول المجتمع كله إلى أعداء يتربص أحدهم بالآخر، وتسود فيهم نظرية الأنا الذاتي والأنا الآخر، بما تحمله النظرية من بذور

---

(١) الأستاذ هاشم محمود نجيدة - أثر الحكومات في العادات الاجتماعية ص١٩٣ ط دار فؤاد ١٩٤٧م.

(٢) الدكتور توفيق محمد الضبع - العلاقات الاجتماعية المتبادلة ص٥١ - طبعة الموصل ١٩٥٧م.

الخلاف وعوامل الاختلاف[1]، كما تغلب على عقولهم الأفكار السوداء، وتسيطر عليهم العقد السيكوباتية[2]، من كل ناحية.

في نفس الوقت فإن بعض الأفراد سوف يرفلون في نوع من رغد العيش والرفاهية، إذا أمكنهم إرضاء الحاكم الغشوم[3]، متى كان مستبدا، وإشباع نزواته التي يجدّ في طلبها[4]، ولا يتوقف عن إرسال رغباته المتواصلة في الوصول إليها.

أما إذا كانت الحكومات ضعيفة؛ فإن هذا العنف الوصولي سوف يستغل ذلك الضعف لصالحه هو على أوسع نطاق، فلا مانع لديه من استيراد سلع فاسدة، أو تهريب ما يجب أن تحتفظ به الدولة كرصيد لها على ناحية ثقافية أو اقتصادية[5]، بل إن هؤلاء الأفراد السلط سوف لا يجدون موانع من الاتصال بالأعداء والتغني بأمجادهم تصريحا أو تلميحا، بل ومن كانوا عيونا لهم على الوطن ذاته مادام الأمر متعلقا بالمصالح الفردية وتغليبها على غيرها.

---

(١) الأستاذ هاشم محمود نجيده – أثر الحكومات في العادات الاجتماعية ص١٩٥.

(٢) الدكتور فوزى محمد خضر – علم الاجتماع ص١٢١ . علم الاجتماع ص١٣٧ ط١٩٦٧/٢م.

(٣) الأستاذ خليل محمد عطية – علم النفس والأخصائي الاجتماعي ص٧٣ وهو غير كتاب الدكتورة نجيب الحصرى علم النفس والأخصائي الاجتماعي. فالاتفاق في العنوان لا يستلزم الاتفاق في ذات الموضوعات المطروحة.

(٤) من ذلك ما حدث مع بعض الحكام في منطقتنا – الشرق الأوسط – حتى جاء يوم كان الحامل للمصحف الشريف يتهم بأنه حامل قنبلة، والذي يؤدى الصلاة يتهم بأنه إرهابي، والذى يقول الحق يتهم بأنه يتعاون مع الأعداء، فانقلبت الأمور وفقد أغلب الناس الأمان الاجتماعي رغم أن ذات الحكومات والقيادات كانت أبواقها تعلن باستمرار عن العدل الاجتماعي، ولكن هناك فروق بين القول والعمل.

(٥) حدث ذلك في مصر بلد الأزهر إبّان الحاكم الذى كانت تفصل القوانين لتزيده على ما هو فيه استحكاما واستكبارا، وكانت الأبواق تسبح بحمده ورفاقه، وظل الشعب مخدرا حتى انكشف الأمر بهزيمة ١٩٦٧م التي ظل السلطويون يقلبون الحقائق فيها ويزعمون أنها هزيمة عسكرية، ولكنها لم تهزم تمثل انتصار إرادة الشعب. سامح الله الجميع، فكلنا سيحاسب، والله هو المطلع على القلوب والضمائر.

إذن هؤلاء السلطويون وضعاف النفوس سيصل بهم الأمر إلى حد الترف، بينما الآخرون سينحدر معهم الأمر إلى حد الهلاك، فيحدث خلل اجتماعي، وتظهر الطبقية غير المشروعة، التي تقوم على تلبية نداءات الغرائز الغائرة والعواطف المشبوبة، وتعمل على ترضية المشاعر التي حرمت من الوصول إلى مفهوم العدل الاجتماعي[١]، وما دامت الطبقية الجائرة قد افترست الطبقة الكادحة حتى النخاع، فماذا بقي لهؤلاء الكادحين من شيء يخافون عليه، أو يتمسكون به، لم يعد لهم شيء من ذلك أبداً، وسيكونون مستعدين لتلبية نداء من يلقي على بطونهم الجائعة، وعقولهم الحالمة مجرد الآمال أو يبعث فيهم روح الأمل في غد قريب تتحقق فيه العدالة الاجتماعية، وينتصر الأمن بمفهومه العام.

وبلاد فارس ظهرت فيها الطبقية بكافة أشكالها، فالحاكم المستبد استولى على ثروات البلاد باسم الدفاع عن الوطن، والمحافظة على الأمن الاجتماعي، ثم ما لبث أن احتفظ بما استولى عليه لنفسه وخاصته[٢]، الذين هم الأعوان له على تنفيذ خططه في الإمساك بالثروة القومية، حتى يكون وحده المسئول عنها، المتصرف فيها، يغدق منها على من يكونون له أعوانا وقد تحقق ذلك، فصرت تجد فقيرا معدما اليوم، ثم قفز إلى أجنحة السلطة في غفلة من القائمين عليها، فإذا أردت حصر ثروته بعد ذلك عجزت عنها لكثرة الأنواع التي تجيء فيها[٣]، ورغم أنه بالأمس القريب كان فقيرا معدما عندما كان نظيفا من أدران السلطة، فلما ركب متنها صار صاحب مال كبير.

---

(١) الدكتور فوزى محمد خضر – علم الاجتماع ص١٣٧ ط٢/١٩٦٧م.

(٢) ذكر الأستاذ الدكتور محمد البهي، الذى عمل وزيرا للأوقاف بمصر أبان الحكم الفردى، أن رجال الثورة وزعوا فيما بينهم بعض الممتلكات التى أعلنوا تأميمها لصالح الشعب، وأنها خصصت لهم وذويهم. إما باعتبار الأصول أو باعتبار العائد، بل ذكر أن بعضهم حول الأصول الثابتة إلى أموال سائلة عن طريق ذرع أسماء وهمية ومزادات لا وجود لها، كما زعموا زورا أنها لصالح الشعب، وكانت الفيلا التي يسكنها سيادته واحدة من تلك المظاهر. (راجع له حياتي في رحاب الأزهر طالبا وأستاذا ووزيرا – مكتبة وهبه)

(٣) الدكتور فوزى محمد خليل الثورى – البلدان النامية والثورات ص١٧٣ – مطبعة هنا بدمشق ١٩٤٣م.

كان الفقهاء يحافظون على ما لديهم من تراث ديني باسم الغيبة أو الرجعة، وذلك يتطلب تدبير الأموال حتى تستمر النفقات، ولا مانع من تدبير هذه الأموال عن طريق الهبات، أو النذور أو الفرض لها على الناحية التي مكن بعض فقهاء الشيعة من القيام بها وممارستها، باسم الخمس تارة، بجانب ولاية الفقيه المجتهد والدعم الإعلامي المستمر لها، ابتداء من ولاية إسماعيل الصغرى لإيران حتى يومنا هذا، ومما لا شك فيه أن فقهاء الشيخية كانوا من أوسع تلك الطوائف مراقدرهم في الحصول على الأموال من كل ناحية، وتكديس ذات الثروات، فعاشت هذه الطبقة في نوع من الثراء والترف[1]، كالذي يعيش فيه رجال الدولة الكبار، وأصحاب السلطان السياسي.

إذن كان الفقهاء والساسة يعيشون فوق رؤوس الجميع على الناحية الاجتماعية، هم الحاكمون باسم الدين وباسم القانون، وهم وحدهم الذين لهم الحق في إدارة شئون الآخرين، كأنهم بذلك يكررون العلاقة القديمة التي رسخت قواعدها السلطة المسيحية في أوربا، حين تم التعاون بين الملك الذي نادى بأن من يخالف تعاليم رجال اللاهوت؛ فلابد من معاقبته بأقصى أنواع العقاب، ونادى رجال اللاهوت بأن الملك ظل الله في الأرض والحاكم بأمره، وهو منفذ العدل الإلهي من فكر في الثورة عليه استحق الحرق[2].

أجل ظهرت الطبقية الاجتماعية في فارس بأشكالها المختلفة، فكان من أفراد الشعب الفقراء إلى حد العدم الكثير، والأثرياء إلى حد الفجور، وبين هؤلاء وأولئك فريق يكافح حتى لا ينزل إلى ناحية الفقراء، وهو في نفس الوقت يحاول بلوغ درجة الأثرياء حتى

---

(١) الشيخ محمود محمد عبدالعظيم – الشيعة في القرن الثامن عشر ص١٣٧ ط١٩٤٧/٣م.

(٢) فعلت محاكم التفتيش ذلك في أوربا، وقد استحسن ذلك الصنيع ودعا إليه توماس هوبز في إنجلترا، وقعّد إليه في العقد الاجتماعي. (راجع كتابنا: خواطر حثيثة في الفلسفة الحديثة ص١٩٧ ط١٩٩٩/٣م، وراجع كذلك للدكتور توفيق الطويل: قصة الصراع بين الدين والفلسفة ط٣ص١٠ دار النهضة العربية ١٩٧٩م.

يأمن على نفسه غدر السلطة، أو يؤمن مستقبله على ناحية يطمئن إليها[1]، فأدى ذلك إلى انهيار فكرة العدل الاجتماعي.

فإذا ما سقط من عليائه العدل الاجتماعي، فإن اللصوصية تكثر، والرشاوى تظهر، وتتعدم في الناس الرغبة للاستمساك بالقيم النبيلة، إذ ما قيمة الإمساك بالقيم النبيلة بالنسبة لواحد يفتقد أبسط وسائل الحياة الكريمة، ومثل هؤلاء متى ظهر فيهم أمثال الشيرازي، يلعب على أوتار قلوبهم ويمنيهم بحياة أفضل في رجعة منتظرة مع الإمام الغائب، الذي يترقبونه منذ ألف عام، فلاشك أنه سيجد منهم بعض الآذان التي تسمع له، وربما كانت استجابة هؤلاء لما يدعو إليه لا حبا فيه، وإنما أملا في التخلص من الأزمات التي يعايشونها، والآلام التي يلتظون بنيرانها.

رابعا: الناحية النفسية

الدارسون للبابية يؤكدون أن الباب علي محمد رضا الشيرازي كان يعاني في طفولته من أعراض مرضية، بدأ بعضها يظهر عليه في مظاهر متصارعة، فمرة يظهر عليه الاكتئاب، وأخرى تسيطر عليه الوساوس القهرية بجانب الشكوك النفسية، أما الجانب الأغلب فكان ينحصر في الهوس الهستيري، الذي ظل يأتيه من طفولته حتى شرخ الشباب[2]، وكانت تلك الأعراض المرضية تختفي حينا ثم تظهر بعد ذلك قوية لدرجة كبيرة.

ومن المؤكد -لدى الدارسين أيضا- أن خاله قد ذهب به للمعالجين على فترات وأنه كان يستجيب في بعضها للعلاج، وفي البعض الآخر كانت تحدث استجابة بطيئة، وربما لا يحدث نوع من الاستجابة، وإنما العكس فتكون الانتكاسة، فيضطر الفتى لعزل نفسه عن

---

(١) الدكتور حامد مرسي - تاريخ إيران ج١ ص٤٧.

(٢) الشيخ محمد عبدالكريم اليتانوتي - البابية في منظور الإسلام ص٩ - ط١ دار الرحمة ١٣١٩هـ.

أقرانه، طبقا لشعوره الطبيعي بأنه غير متكافئ معهم، وهي مسألة من الخصوصية بمكان عبرت عنها مشاعره المتناقضة[1]، ومواقفه التي انتهت به إلى حبل المشنقة حيث كانت نهايته.

في نفس الوقت. فإن مشاعر الفتى كانت معبأة من داخله بالشعور الذاتي بعدم التكافؤ مع أقرانه، الذين لم يمت آباؤهم إنما ظلوا يمارسون أنماط الحياة المختلفة، ويشاركون أبناءهم أتراح الحياة وأفراحها، وشعور كهذا متى استولى على صاحبه؛ فإنه يجعله في موقف يحتاج كثيرا من المؤازرة، حتى يمكنه الخروج من أزماته النفسية التي يعاني منها، أو التغلب عليها، وهو الشيء الذي كان يسيطر على الشيرازي[2]، حتى أدركه البلوغ وتشبعت مداركه بجلسات كاظم الرشتي.

إذن لما كبر الفتى توسم في نفسه أن يكون هو المنقذ المخلص أو نائب الإمام الغائب، الذي تحدثت عنه الأساطير والأفكار الشيعية الغالية، وبخاصة أن مظاهر الورع التي كانت تصدر عنه ساعدت الكثيرين من العوام على الإيحاء له بأنه قد يكون هو المنقذ والمخلص للشعب الفارسي من أزماته الطاحنة، وفي نفس الوقت يعيد للفرس ما كان لهم من حضارة قديمة[3] ضارعت حضارة المصريين القدماء واليونان، ونازعت حضارة بلاد الصين، كما نازعت الهنود حضارتهم، وتفوقت عليها في بعض الأحيان.

كل هذه العوامل - الإحساس بالنقص، والرغبة في استرداد المجد السليب، وتداخل مؤثرات المرض الهستيري - جعلت الفتى يتوقع أن يكون هو ذلك المخلص، بل لا أغالي إذا قلت: إن الشيرازي رسم لنفسه صورة المهدي المنتظر الذي تحدثت عنه كتب الشيعة في أحلام اليقظة، ثم رآها مناما، وأخيرا أراد تحقيقها في عالم الواقع[4]، وما المانع من ذلك، وكل

---

(١) العلامة الشيخ محمود عبدالمولى الأنصاري - البابية ص١١ ط١٣٣٥/١هـ.

(٢) ويؤكد ذلك علماء النفس وعلماء الاجتماع أيضا. (راجع في ذلك الشأن للدكتورة وفاء محمد عبدالرشيد: علم النفس مسائله وقضاياه ص١٩٣).

(٣) العلامة محمد عبدالعاطي الدينوري - البابية الأصول والغايات ص٢٧ ط دار التقوى ١٩٢٣م.

(٤) الشيخ محمود عبدالمولى الأنصاري - البابية ص١٣ .

الدلائل والوثائق الشيعية تذكر هذا المهدى، وتؤكد رجعته، وبات أصحاب هذا الفكر ينتظرونه فى الواقع المعاش.

أضف إلى ما سبق أن على محمد رضا الشيرازى هذا كان تدينه من النوع الذى يقوم على التقليد فى الاعتقاد؛ لأنه كان من العوام بالنسبة للعقيدة، وأنه عرف جلسات التصوف الشيعى[١]، وقد تابعها وتعلق بها، وأنها جعلته مثقفا فى هذا الجانب كثيرا لتأمل فيه، طموحا ينشد ثبات أقدامه بذات الطريق الروحى القائم على التصورات الشيعية الغالية.

ويذهب الدارسون فى العلوم السلوكية إلى أن الإنسان متى بلغت به الضغوط النفسية مبلغ الغلبة؛ فإنه يتحول معها من فرد متجاوب إلى فرد مقاوم سلبى، بمعنى أنه بدل أن يبحث عن حلول مقبولة للمشاكل التى تحيط به، فإنه يلجأ إلى الخيال، متى كان خصبا، أما إذا كان غير خصب، فإنه ينطوى على أحلام نفسه بحيث تكون هى عالمه الذى يستمد منه المعارف والعلوم[٢]، فإذا استمر على ذلك فربما صار فى عداد مرض الاكتئاب النفسى.

لكنه إذا خرج عن تلك الدائرة بأية معونة؛ فإنه يبدأ فى مخاصمة المجتمع الذى يعيش به، ويعمل على تقويضه بأية وسيلة دون أن يعلن عن ذلك الغرض؛ لأنه يخشى معرفة أفراد المجتمع ما ينتويه فيبحثون عن حلول يواجهون بها المشكلات التى يثيرها[٣]، وبالتالى فإنه يتحول من فرد يمكن أن يكون إيجابيا إلى فرد سلبى، أو عضو غير منتج فى محيط المجتمع الذى يعيش بداخله، وفوق ذلك فإنه يتربص بأمنه واستقراره حسب تصوراته الشخصية[٤]، التى طغت على نفسه طغيانا ليس يتمكن من مقاومته.

---

(١) التصوف السنى فى الإسلام يقوم على إخلاص القلب والعقل والنية والوجه لله رب العالمين وحده وكذلك الجوارح. (راجع كتابنا: أوراق مطوية فى التصوف والصوفية).

(٢) الدكتور توماس هيرز – الطب النفسى ص٨٩ ترجمة د/ نادر حسب الله – طبعة الدار البيضاء ١٩٥٣م.

(٣) الدكتور توماس سبنسر – الطب النفسى دراسة تطبيقية ص٥٧ – ترجمة فؤاد ناشد ١٩٥١م.

(٤) وذلك ينطبق على الجماعات التى يلجأ أفرادها إلى تكفير المجتمع المسلم، الذى يعيشون فيه؛ لأنه لم يتوافق مع رغباتهم الذاتية ولا يحقق بنظامه آمالهم الشخصية، أو أنهم درسوا مذهبا فى الفروع. فظنوا أن المخالف له كافر. بينما فى المذاهب الفقهية متسع يسمح للمقلدين أن يقوموا بالفروع حسب تيسيرات الله تعالى لهم.

فإذا لاحظنا الفترة السنية التى صاحبت الفتى، وأعلن فيها عن نحلته، أدركنا أن الناحية النفسية على النحو الذى سلف، كانت أحد العوامل الهامة التى دفعت به إلى ما صار إليه، وأنه كان ألعوبة فى أيدى المحترفين من دعاة الفكر اليهودى والمسيحى، بل والمجوسى الوثنى، الذين استقطبوا الفتى المحطم من الداخل، وأوهموه أن الأقدار قد أعدته ليكون هو المنقذ المخلص لشعب فارس من المشكلات التى يعانى منها، بل ربما أدخلوا إلى وجدانه أن خلاص العالم كله ينتظره هو وحده حتى يقوم به .

والتاريخ الإنسانى العام قد ذكر بعضها من مرضى الهلاوس والوسواس القهرى، وأمراض العصاب بجانب المانخوليا والعقد النفسية، وكلهم كانوا ألعوبة فى ايدى المحترفين فاستخدموا للقيام بأغراض خبيثة، ظاهرها الإصلاح، وباطنها الفساد، وكان المستخدمون لهم من جماعة محترفى الدس والوقيعة بين أفراد المجتمع الواحد؛ بغية الثأر من السلطة القائمة، أو الوثوب إلى كرسى الحكم (١)، فإذا نجح هؤلاء المرضى فى الوصول إليه - وهم غالبا لا يصلون - اعتبروا الداعمين لهم مستشارين، فيجلسونهم أعلى المجالس، حتى يكون المحترفون هم أصحاب الغنائم والثروات التى يصعب التعرف على مصادرها، حتى إذا أتيحت الفرصة للمستشارين انقضوا عليهم انقضاض الذئب الجائع على الفريسة الضعيفة، أما إذا لم ينجح المساكين فى الوصول إلى الحكم وانهزمت ثورتهم؛ فإنهم يكونون العصف المأكول الذى يشعل فيه الحاكم النار، كمظهر من مظاهر الانتصار .

فى نفس الوقت؛ كم أنبأت الأيام حادثها والغابر بأن الشيرازى وأمثاله ممن سبق فى الإعلان عن هذه الأفكار المنحرفة أو لحق، ما هم إلا أصحاب ظروف خاصة الأولى بهم الرفق والتعامل معهم على أنهم أصحاب أعذار يجب استعمال الحجر الصحى معهم (٢)، حتى لا يكون تعاملهم مع العامة أو الخاصة ضررا عليهم وعلى غيرهم، متى استخدمهم المحترفون كوسائل لتحقيق أغراض الآخرين التى يخافون الإعلان عنها .

---

(١) الدكتور توماس سبنسر - الطب النفسى دراية تطبيقية ص٦١ .

(٢) الدكتور عوض الله محمد الذاكى - المرض والأخطار الاجتماعية ص٧١ - ط٤ - دار المهدى بالعراق ١٩٥٧م

❁ **والذى أميل إليه**: أن الشيرازي كان من هذا النوع الذى تعددت الأمراض عليه، وتنوعت معه، وأنها غلبت قدراته العقلية، فصار يتصرف من غير وعي كامل؛ لأنه ليس من المعقول أن يصدر عن إنسان طبيعي عاقل دعوى الولاية لنفسه وهو يعلم أن الولاية لا يمكن الإعلان عنها، أو دعوى باب النبوة، وقد علم أن النبوة ختمت بسيدنا محمد ﷺ، فإذا ادعى أيا منها فقد أعلن عن مرضه العقلي والنفسي.

فما بالك به إذا ادعى الألوهية، ألا يدل ذلك على أن الرجل فقد عقله، ولم يعد من المقبول التعامل معه على أنه إنسان طبيعي أو شبه طبيعي، أو مريض يمكن شفاؤه، ثم إن هؤلاء المرضى يمكنهم بعض التعبير عن أغراضهم بلغة منطوقة مكتوبة، لكن من أبرز سماتها الخلل البنائي، والاضطراب التأليفي، وعدم القبول للأفكار المعروضة هذا، إذا أمكنهم التعبير، أما إذا عجزت الملكات عن الإبانة فذلك مما يتوقع منهم وأمثالهم.

خامسا: الصراع الديني والتنازع الفقهي

أ. الصراع الديني

بلاد فارس ما أستقر لها أمر قبل دخول الإسلام إليها(1)، بل كانت الصراعات السياسية هي القائمة، بجانب صراعات دينية يهودية ومسيحية ومجوسية، فلما استنارت بنور الإسلام اختفت الوثنية وتلاشت معالم اليهودية والمسيحية وتوارى دعاة المجوسية، غير أن بعض

(1) لأن حكم الأكاسرة كان قائما فيها. والخلافات بين ولاة العرش لم تنقطع متى استمر حكم واحد منهم زمنا طويلا. وقد أرسل سيدنا محمد ﷺ رسالة إلى كسرى أنو شروان يدعوه فيها إلى الإيمان بالله رب العالمين. ومما جاء فيها: « (بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس) »(مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - وثيقة رقم ٥٣ ص١٤٠، وراجع محمد رسول الله ﷺ للشيخ محمد رشيد رضا ١٣٠/١ - خاتم رسول الله ﷺ - طبعة دار المنار - فمزق كسرى رسالة رسول الله فقال ﷺ (مزق الله ملكه)). وراجع أيضا للزميل الفاضل الدكتور على يوسف السبكى : الرسائل النبوية وأثرها في الدعوة الله تعالى - رسالة ماجستير بكلية أصول الدين والدعوة بالقاهرة.

المهاجرين منها فى الماضى خوفا من بطش الأكاسرة عادوا إليها فى الحاضر، حاملين معهم ماضيهم القديم الفكرى والدينى، بكل ما فيه من سلبيات، فلما اطمأنوا فى رحاب الدين الإسلامى، وأدركوا أنه لا يحجر على العقول؛ حاولوا التعبير عن تراثهم الفكرى وعبادتهم الوثنية فى شكل قضايا مطروحة على الفكر قابلة للتفاوض كوسيلة من الوسائل الخداعية[1]، أو حيلة من الحيل الجدلية، حتى يحدثوا بها شرخا فى وحدة الأمة التى أظلها الإسلام بظله.

ولما كانت الدعاوى المعروضة من وجهة نظر هذا الفريق هى عبارة عن قضايا قابلة للتفاوض حسب زعمهم، وليس فيها إلزام لأحد بقبولها أو رفضها[2]، فقد أغرت البعض ممن لديهم فراغ فكرى ووقتى بتناولها، فانحاز فريق قليل للمستجدات التى يذكرها هؤلاء، بينما ظل الحجم الغفير غير قابل للتعامل معها؛ لأن دين الإسلام فيه الغنية بجانب أنه علم المسلم كيفية الاستفادة من وقته إن كان فيه متسع، لكن الوضع لم يدم طويلا، إذ انزلق إلى تناول تلك القضايا بعض من يزعمون فى أنفسهم الاستنارة العقلية، فأعجبوا ببعضها وصاروا يدافعون عنها من وجهة نظرهم مع تأييد النتائج التى انتهوا إليها بالنصوص الشرعية.

ولما كانت بلاد فارس يسكنها أتباع اليهودية والمسيحية، بجانب المجوسية وكافة الاعتقادات الوثنية بجانب الدين الإسلامى، فقد كان من السهل على أتباع تلك العقائد الوثنية أن يتجمعوا فى مواجهة الدين الإسلامى، باعتبار أنه الذى أزال تلك الوثنيات، وألغى هذه الاعتقادات، كما أن أهل الكفر ملة واحدة.

ومجتمع كهذا من اليسير أن تجد فيه صراعا وثنيا، لا يمنعه من الانتشار سلطان الدولة الصفوية مهما كان قويا، إذ يعمل أتباع كل نحلة على أن تكون لهم الصدارة بالمنطقة التى يعيشون فيها[3]، وكلما كانوا أكثرية عددية؛ كانت الغلبة معهم، أما إذا كانوا أقلية

---

(١) الدكتور منصور عبدالغنى زكى – الفرس فى ظل الإسلام ص٨١ – طبعة مراكش ١٩٢٧م.

(٢) ذلك مما اعترف به أصحاب هذا الاتجاه. وأنهم استعملوا كل لخدع فى سبيل إغراء السذج والبسطاء.

(٣) المستشرق – أرج أس – إيران من الداخل ص٢٣ .

فإن الهزيمة ستلحق بهم، وقد وضع أتباع كل نحلة من تلك النحل ذلك الهدف نصب أعينهم، حتى لا تأخذهم عنه غفلة[1]، فكان من المنطق الطبيعي أن تجد لدى هذه النحل المتباينة صراعاً انحصر أمره في الدين أو باسمه.

في نفس الوقت؛ فإن هذا الصراع داخل ذلك المجتمع لم يخرج عن نطاق العقائد التي يعتقد أصحابها ويتمسكون بها، عرضا لها، وشرحا وتفصيلا، ثم دفاعا عنها، مع محاولة تشكيل جبهات مختلفة، غايتها التمسك بذات الاعتقادات التي تؤمن بها كل نحلة استقلالا، وإصلاح ما يظن أنه يهدم أصلا من أصولها، وكل النحل في ذلك الشعور سواء، مما جعلهم يتصارعون مع بعضهم في شكل خرج عن دائرة الفكر والعقل إلى دائرة العنف في كثير من الأحيان[2]، وكان ذلك مما يدعو السلطة السياسية والتنفيذية للتدخل حتى تنهي أعمال العنف بشكل أو بآخر.

بيد أن مجتمعا كهذا تتصارع فيه الأفكار والاعتقادات، ويتشكك في أنظمته المقيمون به، لابد أن تتسع بينهم الشقة، ويزداد الخلاف لا بين كل نحلة والأخرى، وإنما بين أفراد النحلة الواحدة، باعتبار أن المبادئ التي تنادي بها والقواعد التي تحرص عليها كل فرقة من فرق تلك النحلة قد لا توافق بعضا من رغبات أفراد ذات النحلة، مما يجعلهم يهاجمونها أملا منهم في إثبات الذات، أو حرصا على بيان تفوقهم عن غيرهم في القضايا التي يعرضونها.

أضف إلى ما سبق؛ أن اليهود وهم أصحاب الدس ومحترفو الخديعة، وهواة التفرق والوقيعة قد أعملوا كل أسلحتهم في مواجهة دعاة المسيحية، بغرض التبرئة منهم، حتى زعم اليهود أن المسيحية لا علاقة لها باليهودية، وأنها ليست متممة لها كما يزعم دعاة المسيحية، بل ركزوا على أن اليهودية دين خاص لشعب إسرائيل وحدهم، لكنه لا ينقطع

---

(١) كأن لسان حالهم يقول: عدوك لا تنم له، وإن كان نملة. فتحولوا جميعا إلى أعداء يتربص كل واحد منهم بالآخرين حتى ساد النزاع الاجتماعي بين صفوفهم، كما تفشى النزاع الأخلاقي فيهم. وتبع ذلك كله وجود صراع ديني أفرزته تلك الاختلافات المتعددة.

(٢) الشيخ نصر الدين محمود زيدان – الشيعة وتأويلاتهم المنحرفة ج١ ص٩٧ .

أبد الدهر، وإنما يظل معهم، فهو دين يهودي لبني إسرائيل فقط على امتداد الزمن[١]، فمحاولة دعاة المسيحية الاستناد إلى العهد القديم، لم تجعل اليهود يقبلونهم أو يسمحوا لهم بالدخول إلى الديانة اليهودية، بل لم يعترف اليهود بأن هناك نبيا ظهر بعد موسى في بني إسرائيل يدعى يسوع[٢] الناصري، أو عيسى الجليلي، أو ما شابه ذلك من التسميات.

وفي المقابل؛ كان المجوس يطعنون على اليهودية والمسيحية معا، باعتبار أن زرادشت هو نبي الفرس وحدهم، وإذا كان ذلك في الماضي، فلا مانع من استمرار هذه الخصوصية حتى الآن؛ لأن الفرس لهم طبيعة قومية، كما أن لهم ديانة قومية هي الأخرى[٣]، فمن بقى منهم على مجوسيته، اعتبر اليهودية والمسيحية من الأديان المتطفلة، التي دخلت بلادهم دون أن يكون لها هذا الحق[٤]، ومن ثم؛ فقد حاولوا مقاومتهما معا، وذلك بالتعرض للعقائد الدينية التي تدعو إليها، وبيان أن تلك العقائد فاسدة على الناحية العقلية، وفي المقابل حرص اليهود والمسيحيون على إثبات العكس، وإثبات بطلان الفكر المجوسي أيضا، فاستمر الصراع فيهم[٥]، واستقر النزاع بينهم.

---

(١) المستشرق سيرغى أ- توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم ص٢٥٧.

(٢) الدكتور جوستاف لوبون – حياة الحقائق ص١٩٣ – ترجمة الأستاذ عادل زعيتر.

(٣) الدكتور منصور عبدالغنى زكى – الفرس في ظل الإسلام ص٩٢.

(٤) هذا لا يعنى أنهم تركوا الإسلام وشأنه، وإنما معناه أنهم كانوا ينظرون إلى أصحاب الديانات نظرات مختلفة. فإذا رفضوا واحدة منها، فليس معناه أنهم ركزوا ذلك الرفض عليها وحدها، وصدقوا بغيرها. وإنما معناه أنهم يسيرون في اتجاه واحد، لكنهم يعملون على تقويض الأكثر شراسة، حتى إذا حطموه، اتجهوا إلى من بعده.

(٥) الدكتور صالح عبدالمحسن الزينى – أثر الصراع الدينى على الأقليات ص١٦١ ط١/١٩٥٥م الدار النعمانية.

ولم يكن أهل الإسلام بمعزل عن تلك الصراعات المذهبية التى انطلقت باسم الدين، إذ كان فيهم سنية(1)، وسلفية(2)، وشيعة(3)، وكل فريق منها له أتباع يدافعون عنه. ويحرصون على عرض قضاياه الفكرية على الناحية الفقهية تارة، والكلامية أو الفلسفية تارة أخرى، وليس هذا فحسب، بل كان السنية - أشاعرة وماتريدية - والسلفية متقدمين ومتأخرين، أما الشيعة فقد تعددوا بتعدد المذاهب فى الفروع، فظهرت الزيدية، ثم الإمامية

---

(١) أهل السنة والجماعة مصطلح يطلق على الأشاعرة والماتريدية. راجع كتابنا : حبو الوليد فى علم التوحيد . ولا عبرة بصاحب منهج الأشاعرة فى العقيدة الذى يطعن فيه على الأشاعرة ويتهمهم بالفسق تارة والكفر أخرى. فحسابه على الله تعالى؛ لأن سب جماعة المسلمين. والله تعالى نهى عن ذلك كله فى قوله e : « سباب المسلم فسوق. وقتاله كفر » الإمام البخارى - صحيح البخاري - باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر - الحديث رقم: ٤٨، ٥٦٩٧، ٦٦٦٥. وأخرجه مسلم في الإيمان. باب: بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم، رقم: ٦٤. وراجع حاشية السندي على النسائي، للإمام السندي - ١٩٠٣ ـ باب قتال المسلم - الحديث رقم:٤١٠٣. وراجع سنن الترمذي (وشرح العلل). للإمام الترمذي - ٥١ - بَابُ مَا جَاءَ فِي الشَّتْمِ - الحديث رقم:٢٠٤٩ والمراد بـ: (سباب المسلم) شتمه والتكلم في عرضه بما يعيبه ويؤذيه. (فسوق) فجور وخروج عن الحق. (كفر) أي إن استحله، والمراد: إثبات ضرر المعصية مع وجود الإيمان]. وروى الترمذى أيضا فى ١٥- باب ما جاء سباب المسلم فسوق - في الحديث رقم:١٥- باب ما جاء سباب المسلم فسوق - عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:« "قتال المسلم أخاه المسلم كفر وسبابه فسوق »

(٢) اصطلاح يطلق على كل مسلم التزم الكتاب والسنة فى باب الاستدلال على العقيدة الإسلامية من تقديم النقل واعتباره المصدر الوحيد، وهو اصطلاح أرى التمسك به ضرورة فكرية وشرعية معاً؛ لأن السلف فكرة وليس مدة، أو فترة زمانية، كما أنها ليست أشخاصا. (راجع كتابنا منهج السلف الصالح فى إثبات وجود الله تعالى ص٣٣ وما بعدها)

(٣) هم الذين شايعوا عليا ابن أبى طالب كرم الله وجهه، وتمسكوا بأنه ولى ثم حكم بعضهم بأن من نسله جاء الأئمة الاثنا عشرية. راجع أصل الشيعة وأصولها للعلامة محمد آل حسن كاشف الغطاء

فالإباضية(١) ثم الجعفرية، وكل فريق من فرق الشيعة يحاول إثبات أنه الصواب الذي يجب اتباعه، وأن غيره على الضلال، الذي يجب اجتنابه والابتعاد عنه(٢)، مهما كانت التسميات.

لاشك أن مثل هذا المجتمع المتناقض فى توجهات أفراده وتنازعهم فى القضايا الدينية إلى الحد الذي جعلهم يكفرون بعضهم بعضا، يجعل المرء العادي يبحث حواليه عله يجد واحداً يقرب وجهات النظر بين المتصارعين، حتى يجمعهم على قول سواء، أو حجة تكون مقبولة، أو على الأقل يدفع عنهم شبح الاختلاف فى الفقه، والتنازع المؤدي إلى الافتراق والاقتتال.

أيقن الشيرازي أن الأنظار كلها ضائقة بالتصرفات السلبية، التي ملأت المجتمع الإيراني، فظن فى نفسه القدرة على القيام بدور المصلح الاجتماعي، أو الإمام الغائب والمهدي المنتظر، الذي يقود تلك الأمة إلى التصالح بعد التصارع، والائتلاف بدل الاختلاف(٣)، فكان ذلك كله بمثابة المؤشر القوي للرجل، حتى يعلن عن نحلته.

❀ بيد التنازع الفقهي ❀

بيد أن الفقهاء وهم الأحرص هى على ممارسة الحكم الشرعي بيانا وتنفيذا وممارسة، فقد رفضوا التعامل القضايا المعروضة؛ لأنها نتاج وثني، يعبر فى جانبه النظري عن مجوسية فيها ثقافات مختلطة، يجب الاحتراز عنها والالتفات إلى غيرها، فليس من الصواب إضاعة الوقت فى التعرف على مسائل تجري فيها الوثنية جري الدم فى العروق(٤).

غير أن نظرة الفقهاء الجامدة من الشيعة لم تنل قبولا لدى دعاة التنوير والمزيف، وبالتالي؛ حدث الصدام بين أصحاب التمسك بالقديم الصحيح دون قبول لأية مسألة جديدة، وهو الذي

(١) راجع فى هذا الشأن : الإباضية وعقائدهم للدكتور محمد حسان كسبة.

(٢) ولمزيد من التفصيلات يراجع كتاب الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوي.

(٣) الشيخ نصر الدين محمود زيدان – الشيعة وتأويلاتهم المنحرفة ج١ ص١١٢ .

(٤) الدكتور منصور عبدالغني زكي – الفرس فى ظل الإسلام ص٩٣– طبعة مراكش ١٩٢٧م.

دفع إلى اتهام الفقهاء بالجمود، ورميهم بالتخلف، وبين دعاة التنوير الذين آثروا الاستمساك بعض القديم والارتواء من الوافد مع المهاجرين الجدد.

انضم إلى كل فريق من يناصره، وكانت الغلبة للفقهاء أول الأمر؛ لأنهم أصحاب الأصول الصحيحة والقواعد السليمة، من هنا لجأ المنهزمون إلى إيجاد نوع من الوقيعة المقصودة بين طبقات الفقهاء من أصحاب الفقه السني، وأصحاب الفقه الذين اعتبروا أنفسهم وحدهم ممثلين للإمام الغائب وآل البيت، وهم فقهاء الشيعة، وذلك بعرض القضايا الخلافية بين أهل السنة والشيعة، وتدعيم وجهة نظر ضد الأخرى، ثم العكس، حتى بات المجتمع الإيراني عاجزا عن متابعة فريق من الفريقين أو تقليد مذهب بعينه.

أجل بات كل فريق في الفروع – من السنة والشيعة – يناهض الآخر، ويعمل على إثبات أنه المذهب الحق بالأدلة التي يراها تدعم موقفه، ولو اقتضى ذلك الطعن على أدلة الفريق الآخر. ورمي الأدلة بأنها مظنون في ورودها، أو أنها غير محكمة في دلالتها، أو أنها موضوعة، فتحولت نوع جديد من الصراع بين جماعة الفقهاء[1]، فضعفت شوكتهم، وقلة ثقة الناس فيهم.

غير أن ذلك الصراع المذهبي الفكري تحول في بعض الأحيان إلى صراع مسلح، تستخدم فيه الأدوات التي تنبئ عن خروج المسألة من دائرة الاحتكام للعقل إلى دائرة الخضوع للتعصب، والوقوع تحت سطوة الصراع المذهبي البغيض[2]، ومتى اتسع نطاق ذلك الصراع، فإنه يجعل أفراد المجتمع يعيشون في قلق تقود إليه اختلافات لا أساس لها.

---

(١) الأستاذ ناصر الدين محمد عبدالعاطي – مظاهر الجدل في الفكر الإسلامي ص١٧٣ ط١/١٩٤٧م.

(٢) ذلك شائع في أغلب فرق الشيعة، وبخاصة الإمامية الاثنا عشرية في أجيالها المتأخرة، ابتداء من القرن السادس الهجري، حتى يومنا هذا. والجدير بالذكر أنه لا يصدر كتاب من كتب الشيعة، سواء أكان في الحديث أم في التفسير. أم في الفقه أم في الأصول. أم في التاريخ أم الأدب أم غيره، إلا ويكون مليئا بالشتائم والتكفير والتفسيق لأخيار هذه الأمة وقادتها. (الأستاذ إحسان إلهي ظهير – الشيعة والقرآن ص٩ بالهامش – طبعة إدارة ترجمان السنة بلاهور – الطبعة السادسة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

فإذا أضفت إلى ما سبق صراع الفقهاء ونزاع المتكلمين، وتنازع الصوفية على الناحية الشيعية، وتشعب الفرق التى تظاهر كل واحد من أولئك المتنازعين فإنك تحكم بأن المجتمع كله صار أرضية للتنازع ومحلا للصراع، ومثله يكون بحاجة إلى من يعيد إليه الهدوء الناشز حتى يرفرف على أرجائه الأمن السليب.

لكن من ذا الذى يعيد ذلك الهدوء والأمن لابد أن يكون واحدا قد جالس الفقهاء، ولكن لم يتأثر بهم، وصادق المتكلمين لكنه لم يخضع لهم، وأن يكون له إلمام بالمذاهب والفرق الصوفية الشيعية، حتى يكون قادرا على الفصل فى القضايا المتنازع حولها، وكل من توسم فى نفسه ذلك الحق فى الإعلان عن كونه مصلحا اجتماعيا وفقيها على ذات الناحية[1].

أما وقد ظن الشيرازى فى نفسه القدرة على القيام بذلك الدور، فإنه لم يدع الفرصة تفلت منه، وإنما انطلق إليها معلنا عنها، مع الأخذ فى الاعتبار أن يكون بابا للإمام الغائب، أو هو ذات الإمام الغائب[2]، فإن لم يدركه بلوغ ذلك الغائب فلا مانع من أن ينصب نفسه المهدى المنتظر.

وقد بالغ الرجل فى إمكانيات نفسه حتى دفعته تلك المبالغة إلى اعتبار نفسه متمثلا فيه كل المراتب التى أفاضت فى ذكرها المصادر الشيعية، فهو الإمام الغائب، ثم هو المهدى المنتظر، والنقطة العليا، ثم هو فوق ذلك باب الحق أو هو الحق ذاته قد تجلى متشخصا فيه.

---

(١) الشيخ منتصر محمد عثمان – نظرات فى الشيعة فرقها ومبادئها ص٥٧ طبعة دار نصار ١٩٢٣م.

(٢) يتمسك الشيعة الاثنا عشرية بضرورة ولاية الفقيه، والاجتهاد المتجدد الذى يقوم به النائب عن الإمام الغائب. وهى أفكار لم يوافقهم عليها باقى الشيعة، وبخاصة الجعفرية والزيدية. (راجع للدكتور مو[illegible] الموسوى – الشيعة والتصحيح – الصراع بين الشيعة والتشيع ص١٤ وما بعدها حتى ص٥٤ . [illegible] كله يعالج مسائل من هذا القبيل. ومؤلفه حفيد الإمام الأكبر السيد أبو الحسن الموسوى الأصبهانى المولود فى النجف الأشرف على ما هو مدون بسطور الكتاب.

فكان الصراع الدينى من العوامل التى ساعدت على ظهور البابية كنحلة منحرفة تحاول فى الدين باسمه وتختلف مع المسلمين باسمه أيضا، وهو منهم ومما زعموا براء.

بل ذهب الشيخ كاشف الغطاء إلى أن الأمامية يعتقدون أن كل من اعتقد أو أدعى نبوة بعد محمد ﷺ، أو نزول وحى أو كتاب، فهو كافر يجب قتله[1]، فهل سكتوا على مزاعم الشيرازى، أم أنهم وقفوا له بالمرصاد حتى كانت نهايته، ذلك ما سوف أعرض له عند الحديث عن نهايته.

سادسا: عقيدة الرجعة

زعم الشيعة الاثنا العشرية والغالية على وجه الخصوص؛ بأن الأئمة فى الشيعة الاثنا عشرية قد انتهى الأمر فيها إلى الإمام الثانى عشر، وهو محمد بن الحسن العسكرى، الذى يقولون إنه ولد فى سنة ٢٥٥هـ، ولكنه غاب الغيبة الصغرى فى سرداب سامراء سنة ٢٦٠هـ، وهو ابن ست سنين، وتقوم عقيدتهم على أنه المهدى المنتظر من مدة تزيد على أحد عشر قرنا، وهم إذا ذكروه يدعون الله بأن يعجل خروجه، وبذلك تكون الرجعة[2].

ويكرر العلامة المظفر[3] أن الذى تذهب إليه الإمامية أخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام، أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا فى صورهم التى كانوا عليها، فيعز قوما ويذل فريقا أخر، ويديل المحقين من المبطلين، والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدى آل محمد ﷺ[4].

---

(١) الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء – أصل الشيعة وأصولها ص١٣٣ – دار القرآن الكريم بإيران.

(٢) الأستاذ السيد محب الدين الخطيب – البهائية ص٦/٧ – طبعة المكتب الإسلامى ١٣٩٠هـ.

(٣) العلامة الكبير الشيخ محمد رضا المظفر عميد كلية الفقه فى النجف الأشرف بالعراق. وهو من علماء الشيعة الإمامية ومدافع عن المذهب بكل حيلة.

(٤) العلامة محمد رضا المظفر – عقائد الإمامية ص٦٧ – ط١٣٧٣/١هـ فى النجف الأشرف بالعراق.

فالرجعة هنا إعادة للحياة مرة أخرى بكامل عوارضها، لبعض الأفراد المخصوصين يستوى فى ذلك أن يكون هؤلاء العائدون من الصالحين، أم من الفاسدين، فإن كانوا من الصالحين؛ فما ذلك إلا لرفعتهم، وإن كانوا من الفاسدين؛ فما ذلك إلا لبيان فاسدهم، وإنهم جميعا فى ضلال مبين.

ويذكر الدكتور موسى الموسوى: «أن الرجعة فى المذهب الشيعى قائمة على أن أئمة الشيعة مبتدئا بالإمام على، ومنتهيا بالحسن العسكرى الذى هو الإمام الحادى عشر عند الشيعة الاثنا عشرية، سيرجعون إلى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذى أرسى قواعده بالعدل والقسط الإمام المهدى المنتظر، الذى يظهر قبل رجعة الأئمة، ويملأ الأرض قسطا وعدلا، ويمهد الطريق لرجعة أجداده، وتسلمهم الحكم، وأن كل واحد من الأئمة حسب التسلسل الموجود فى إمامتهم سيحكم الأرض ردحا من الزمن، ثم يتوفى مرة أخرى، ليخلفه ابنه فى الحكم، حتى ينتهى إلى الحسن العسكرى، وسيكون بعد ذلك مجيء يوم القيامة»[(١)].

ويستشهدون على ذلك بالآيات القرآنية، من مثل قوله تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾[(٢)]، ويفسرون معنى الآية بأن العباد الصالحين أئمة الشيعة الذين غابوا، وحتما سيعودون فى دار الدنيا، حتى تكون لهم الغلبة، ومحاسبة الآخرين على الأخطاء التى وقعوا فيها[(٣)]، باعتبار أن الإمامة منصب الهى يختاره الله بسابق علمه بعباده، كما يختار النبى، ويأمر النبى بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه[(٤)].

---

(١) العلامة الدكتور موسى الموسى – الشيعة والتصحيح – الصراع بين الشيعة والتشيع ص١٤١/١٤٢.

(٢) سورة الأنبياء – الآيتان ١٠٥/١٠٦ .

(٣) العلامة شمس الدين على الأصفهانى – الشيعة المفترى عليهم ص٧١ – طبعة الأصفهانى بالعراق ١٩٧٥م.

(٤) الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء – أصل الشيعة وأصولها ص١٣٤ دار القرآن الكريم قم إيران.

يقول العلامة السيوطي: « قال الضحاك في قوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾ يعني بالذكر التوراة، ويعني بالزبور، الكتب من بعد التوراة. وقال ابن عباس ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ الكتب. ﴿من بعد الذكر﴾ الزبور، التوراة والإنجيل والقرآن، والذكر الأصل الذي نسخت منه هذه الكتب الذي في السماء والأرض، أرض الجنة. وقال مجاهد: الزبور، الكتب، والذكر، أم الكتاب عند الله، والأرض الجنة. وذكر ابن جرير عن ابن زيد قال: الزبور، الكتب التي أنزلت على الأنبياء، والذكر، أم الكتاب الذي كتب فيه الأشياء قبل ذلك. وعن ابن عباس: ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قال: أرض الجنة. وعنه أيضا في قوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ الآية. قال: أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض، أن يورث أمة محمد الأرض ويدخلهم الجنة، وهم ﴿الصالحون﴾ وفي قوله: ﴿لبلاغا لقوم عابدين﴾ قال: عالمين. وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قال: أرض الجنة، يرثها الذين يصلون الصلوات الخمس في الجماعات.

وعن قتادة في الآية قال: كتب الله في زبور داود بعد التوراة. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد في قوله: ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قال: الجنة وقرأ ﴿ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾[1] قال: فالجنة مبتدؤها في الأرض ثم تذهب درجا علوا. والنار مبتدؤها في الأرض، وبينهما حجاب، سور ما يدري أحد ما ذاك السور. وقرأ ﴿ باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴾[2] قال: ودرجها تذهب سفلا في الأرض، ودرج الجنة تذهب علوا في السماء. وأخرج ابن جرير عن صفوان قال: سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان، هل لأنفس المؤمنين مجتمع؟ فقال: يقول الله:

---

(١) سورة الزمر – آية ٧٤.

(٢) سورة الحديد – الآية ١٣.

﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قال: هي الأرض التي تجمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث.

وعن كعب الأحبار في قوله: ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾ قال: صوم شهر رمضان، والصلوات الخمس. وروى عن أبي هريرة ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾ قال: في الصلوات الخمس شغلا للعبادة. وعن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ﴿لبلاغا لقوم عابدين﴾ قال: هي الصلوات الخمس في المسجد الحرام جماعة. وعن محمد بن كعب ﴿إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين﴾ قال: الصلوات الخمس. وعن الحسن رضي الله عنه ﴿لقوم عابدين﴾ قال: الذين يحافظون على الصلوات الخمس في الجماعة. وعن قتادة رضي الله عنه ﴿لقوم عابدين﴾ قال: عاملين »[1].

إذن الشيعة على بكرة أبيهم يعتقدون القول بالرجعة، وكل من قرأ كتبهم وعرف مذهبهم؛ أدرك أنهم ما قالوا بإمامة أحد من علي إلى ابن الحسين العسكري الموهوم، إلا اعتقدوا رجوعه بعد موته[2]، وبخاصة أن الأئمة يعلمون الغيب ويعلمون كذلك متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم[3] بناء على أنهم يعلمون الغيب الذي يتميزون بمعرفته عن غيرهم.

وفوق ذلك فإن عقيدة الرجعة عندهم تشمل من علت درجته في الإيمان، أو من بلغ الغاية في الفساد، ثم يصيرون بعد تلك الرجعة الدنيوية إلى الموت كما كانوا، ومن بعده النشور، وما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثا لعلهم يصلحون[4].

---

(١) العلامة جلال الدين السيوطي – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ص٢١٦ دار الفكر، ط٢/ ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

(٢) الأستاذ: إحسان الدين ظهير – الشيعة والسنة ص٥٥ – طبعة دار الصحوة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

(٣) العلامة الكليني – الكافي في الأصول كتاب الحجة ج١ ص٢٥٨ – طبعة إيران.

(٤) العلامة محمد رضا المظفر – عقائد الإمامية ص٦٧.

ويستدلون على تلك الرجعة الشاملة الصالحين والفاسدين بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾[1]،

قال العلامة الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: «﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ قال ابن مسعود رضي الله عنه: هذه الآية، كقوله تعالى: ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾ وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية والمقصود أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عزَّ وجل في عرصات القيامة، كما قال عزَّ وجل: ﴿ ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾ فلا يجابون، ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: ﴿ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ﴾ فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامعها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، ﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل ﴾ كقوله ﴿ ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون ﴾، وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة، وهي قولهم: ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ أي قدرتك عظيمة، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتاً ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في دار الدنيا، ﴿ فهل إلى خروج من سبيل ﴾ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه، ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله

---

(١) سورة غافر – الآية ١١.

وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ﴾ أي أنتم هكذا تكونون، وإن رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل ﴿ ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾-»[١].

لكن الشيعة يقررون أن ظاهر الآية يؤكد وقوع الرجعة في دار الدنيا، حتى تكون موتتان وإحياءان كما نصت على ذلك الآية الكريمة[٢].

ويقررون أيضا أن القرآن الكريم قد جاء بوقوع الرجعة في دار الدنيا، ويزعمون أن الأخبار عن بيت العصمة قد تضافرت بها، والإمامية بأجمعها عليه إلا القليلون منهم، الذين تأولوا ما ورد في الرجعة بأن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر دون رجوع أعيان الأشخاص، وإحياء الموتى، ثم إن الاعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد، ولا في عقيدة النبوة، بل يؤكد صحة العقيدتين[٣].

إذن عقيدة الرجعة عندهم على النحو الذي سلف تشمل الصالحين، كما تشمل الفاسدين، وأنها ستكون في دار الدنيا مسبوقة بظهور المهدي المنتظر، وبالتالي فقد صارت مهمتها تدعيم العامل النفسي وخلق لون من المشروعية لهذه النزعة في نفوس الناس[٤]، الذين اعتقدوا فيها، وصدقوا بها، والتزموها كعقيدة دينية، تجمع بين العقائد الأخرى وتوحد بينها جميعا.

ويذكر أحد الباحثين أن الذين ألفوا الكتب في عقيدة الرجعة واستشهدوا على وقوعها بالروايات التي ذكرها بعض كتاب الروايات المنسوبة إلى أئمة الشيعة، لم يكتفوا

---

(١) تفسير القرآن العظيم – العلامة الحافظ ابن كثير – ٣٥٠/٣.

(٢) الشيخ محمد نور الله الأصبهاني – الشيعة لسان الحق ص٩٣ – ط١ النجف الأشرف ١٣٤٧هـ. وهو اتجاه غير مقبول في فهم الآية؛ لأن الإحياء الأول في دار الدنيا ثم يلحقه الموت الثاني، ثم يجيء الإحياء الثاني في دار الآخرة والموت الأول هو السابق على الإحياء الأول في دار الدنيا والله تعالى أعلم؛ لأن الآخرة لا موت فيها.

(٣) العلامة محمد رضا المظفر – عقائد الإمامية ص٦٨.

(٤) الدكتور الشيخ أحمد الوائلي – هوية التشيع ص١٧٥ – ط٢ مؤسسة أهل البيت لبنان ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

بهذا الحد من القول برجعة أئمة الشيعة فقط، بل أضافوا عليها أفكاراً أخرى، وكلها مستوحاة من تلك الروايات الموضوعة، والتي انتهت إلى أن الرجعة لا تشمل أئمة الشيعة فحسب، بل تشمل غيرهم، وذكروا أسماء نفر غير قليل من صحابة الرسول ﷺ زعموا أنهم من أعداء الأئمة، الذين منعوهم من الوصول إلى حقهم في الحكم كل ذلك حتى يتسنى للأئمة المغلوبين الانتقام منهم في دار الدنيا .

ثم يقول: « ولو أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة أخلصوا لأئمة الشيعة ما صوروهم بهذا المظهر الراغب في الحكم، حتى إن الله سيعيدهم إلى هذه الدنيا الفانية مرة أخرى، ليحكموا فيها بعض الوقت، وهم أئمة لهم جنة عرضها كعرض السماوات والأرض قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]، والإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: « والله إن دنياكم هذه لأهون عندي من ورقة في فم جرادة تقضمها »[2] .

ويقرر أحد الباحثين أن الاعتقاد بالرجعة وليد العقل الجمعي في مجتمعات تفكر تفكيراً ثيوقراطياً في شئونها السياسية، وبين شعوب قاست الظلم ورزحت تحت نيران الطغيان، سواء أكانت من حكامهم أم من غزاة أجانب، وإزاء استبداد الحاكم، وفي ظل الضغط على التفكير الديني تتعلق الآمال بقيام أو ظهور مخلص أو محرر يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً[3]، وهي اعتقادات نفسية لا أساس لها من الناحية الشرعية .

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٣٣ ، وفي سورة الحديد قوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ سورة الحديد – الآية ٢١ .

(٢) الدكتور موسى الموسوي – الشيعة والتصحيح ص١٤٢ .

(٣) الدكتور أحمد محمود صبحي – نظرية الإمامة ص٣٩٩ ط١٩٦٩/١م بالقاهرة.

ولا شك أن عقيدة الرجعة، على النحو الذى سلف، تفتح الباب واسعاً لكل دعى. فمن يدرى أن الأشخاص الذين يعيشون بيننا خلق جديد، وليس خلقاً راجعاً من عالم الأموات مادام الأخيار والأشرار غير معينين على الحقيقة، وذلك مما يؤكد على أن الفكرة على ما يزعمه دعاتها غير مقبولة على الناحية الشرعية، ولا الناحية العقلية والعرفية.

ولا أغالى إذا قلت: إن عقيدة الرجعة لدى القائلين بها متوافقة مع بعض اتجاهاتهم العامة. ومتخالفة مع النصوص المنقولة عن الأئمة، حيث نقل عن الإمام موسى بن جعفر قوله لتلميذه هشام بن الحكم: إن العقلاء زهدوا فى الدنيا ورغبوا فى الآخرة؛ لأنهم علموا أن الدنيا طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا، حتى يستوفى منها رزقه، ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته[1].

فإذا نظر الباحث إلى الغاية من الرجعة؛ عند القائلين بها على النحو الذى سلف تصويره، يراها تنسف الغاية من التعاليم التى يتمسك بها أئمتهم، وهكذا تتضارب النتائج، وتصطدم بالمقدمات؛ لأن العائد إلى الدنيا عن طريق الرجعة راغب فيها -حسب تصوراتهم- مع أن العقلاء زهدوا فى الدنيا، ورغبوا فى الآخرة، فهل الذين ستقع لهم الرجعة غير عقلاء، إن الفكر الشيعى الإمامى يقرر أن فى الراجعين جماعة الأئمة، وجماعة الأشرار، فكيف يوفقون بين هذه وتلك؟

ثم إنهم يذكرون عقيدتهم فى عدد الأئمة الذين لهم صفة الإمامة الحقة، وهم المرجع فى الأحكام الشرعية عندهم المنصوص عليهم بالإمامة الشرعية اثنى عشر إماما على النحو التالى:

(١) أبو الحسن على بن أبى طالب المرتضى المتولد ٢٣ قبل الهجرة، والمتوفى شهيدا سنة ٤٠ بعدها[2].

(٢) أبو محمد الحسن بن على الزكى (٢ - ٥٠هـ)[3].

---

(١) العلامة محمد باقر المجلسى - بحار الأنوار ج١ ص١٣٩ - ط طهران شركة طبع بحار الأنوار ١٣٧٦هـ.

(٢) ومعنى هذا أنه عاش رحمه الله قرابة الثلاثة والستين عاما - ولقبه المرتضى.

(٣) عاش قرابة الثمانية والأربعين عاما - ولقبه الزكى.

(٣) أبو عبدالله الحسين بن علي سيد الشهداء (٣/٦١هـ)[١].

(٤) أبو محمد علي بن الحسين - زين العابدين ٣٨/٩٥هـ[٢].

(٥) أبو جعفر محمد بن علي - الباقر ٥٧/١١٤هـ[٣].

(٦) أبو عبدالله جعفر بن محمد - الصادق ٨٣/١٤٨هـ[٤].

(٧) أبو إبراهيم موسى بن جعفر - الكاظم ١٢٨/١٨٣هـ[٥].

(٨) أبو الحسن علي بن موسى - الرضا ١٤٨/٢٠٣هـ[٦].

(٩) أبو جعفر علي بن علي - الجواد ١٩٥/٢٢٠هـ[٧].

(١٠) أبو الحسن علي بن محمد - الهادي ٢١٢/٢٥٤هـ[٨].

(١١) أبو محمد الحسن بن علي - العسكري ٢٣٢/٢٦٠هـ[٩].

(١٢) أبو القاسم محمد بن الحسن - المهدي ٢٥٦هـ - . . .[١٠].

وهو الحجة في عصرنا الغائب المنتظر، عجل الله فرجه وسهل مخرجه، ليملأ الأرض عدلا وقسطا بعدما ملئت ظلما وجورا[١١].

---

(١) عاش قرابة الثمانية والخمسين عاما - ولقبه سيد الشهداء.

(٢) فهو قد عاش قرابة سبع وخمسين سنة، ولقبه زين العابدين.

(٣) عاش سبعا وخمسين سنة كسابقه، ولقبه الباقر.

(٤) عاش قرابة خمس وستين سنة، ولقبه الصادق.

(٥) عاش قرابة خمس وخمسين سنة، ولقبه الكاظم.

(٦) عاش خمسا وخمسين سنة، ولقبه الرضا.

(٧) عاش خمسة وعشرين عام، ولقبه الجواد.

(٨) عاش اثنين وأربعين عاما، ولقبه الهادي.

(٩) فهو قد عاش ثمانية وعشرين عام، ولقبه العسكري.

(١٠) فهو بناء على ذلك ولد، ويقال أنه عاش خمس سنوات ثم اختفى بعدها وغاب، ولقبه المهدي المنتظر.

(١١) الإمام محمد رضا المظفر - عقائد الإمامية ص٦٢/٦٣.

فإذا كان الإمام الثانى عشر قد ولد عام ٢٥٦هـ، ثم اختفى من غير أن يخبر أحد بالمدة التى اختفى بعدها، ولم يقل أصحاب تلك الرجعة هل كل الذين ماتوا من الأئمة سيعودون، أم أنهم اختفوا ولم يموتوا، وإن رجعة الإمام الثانى عشر هى رجعة مخصوصة.

على كل؛ فإن عقيدة الرجعة بمعناها الواسع فتحت الباب أمام أمثال لشيرازى ليفكر هو الآخر فى القيام بدور تكون له به رجعة على أى نحو كان، أو أن يحظى هو بكل الرجعة، وبخاصة أن غيبة الأئمة هى الأخرى قد شغلت عقله، وجعلته يعيش أدوارها كاملة، كما أن شيوع فكرة المهدى المنتظر قد جعلته محبا لها، متعلقا بها على كافة النواحى، بحيث تجعله يعيش على أمل تحقق النصر[1]، كما تعمل على تلبية الاحتياجات النفسية التى كانت تعتمل داخل صدر فتى شيراز من قبل.

إذن القول بالرجعة لدى الشيعة قد صاحبته فكرة غيبة الأئمة، وشيوع فكرة المهدى المنتظر بين الأوساط الشيعية، ثم الحب الشديد، والأمل الأكيد فى تحقيق النصر بغرض تلبية الاحتياجات النفسية والاجتماعية، وذلك كله قد ساعد على ظهور البابية والإعلان عنها.

وقد ذكر بعد الدارسين أقوالا فيها الأساطير تجرى والخرافات تواخيها، وأغلبها بخصوص الإمام الثانى عشر، الذى وقفت الرجعة له تدعمه من كل ناحية، فذكروا أن الحسن العسكرى الذى هو الإمام الحادى عشر فى السلسلة لم يكن منجابا، وبالتالى؛ فلم تكن له ذرية حتى يأتى منها محمد العسكرى الإمام الغائب، واستدلوا على ذلك بما ذكره جعفر العسكرى الذى قال: إن خاه الحسن العسكرى مات دون أن ينجب؛ ومن أجل هذه الشهادة كان جعفر هذا موضع الغضب من الشيعة الاثنا عشرية، وحقدهم عليه، ويسمونه الكذاب؛ لأنه صدق[2].

---

(١) وبناء على هذا فإن عقيدة الرجعة قديمة، باعتبار أن فكرة النصر الموعود أمر يجرى فى مفاهيم كل المظلومين سواء بسواء.

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٩ .

فإذا صحت هذه الشهادة من شقيقه؛ فإن فكرة الإمام الثاني عشر الغائب تعتبر فكرة خرافية، نسجتها أوهام أصحابها، وليس لها أي وجود حقيقي، وجعفر شقيق الحسن العسكري أعرف بأخيه، وبخاصة أن الرجل كان يكتب شهادته للتاريخ من ناحية، ولأن عدم الإنجاب من الرجل يعتبر منقصة فيه، ولا يذيع جعفر هذا على أخيه إلا إذا كان متأكداً منه، وفي نفس الوقت حتى يبعد الاتهام عن شقيقه بأنه أنجب وهو في الواقع عقيم.

كذلك نقل المؤرخون أن الشيعة الاثنا عشرية يؤكدون على ضرورة مخالفة الواقع، حين يذهبون إلى أن الحسن العسكري هذا قد ولد له ولد اسمه محمد في سامراء سنة ٢٥٦هـ، وأنه المهدي المنتظر، الذي تحدثت عنه كتب السنة، وأنه القائم صاحب الزمان، وحتى يدفعوا الناس إلى قبول أنه المهدي المنتظر نسجوا حول ولادته الأساطير والخرافات، التي صاحبته حتى الطفولة والاختفاء في السرداب من تلك الأساطير والخرافات. وهي:-

(١) أنه لما وضعته أمه وجدوا مكتوبا على عضده الأيمن، جاء الحق وزهق الباطل، فالحق هو محمد بن الحسن، والباطل هم الذين يقاومون فكرة اختفاء المهدي ورجعته، وهذا من الأخبار بالغيب المستقبلي، والبشارة بأن الإمام محمد بن الحسن هذا هو صاحب المقام، وهو المهدي أيضا[1]، وهي أسطورة واضحة لا تحتاج جهودا حتى يفصح عنها، وأنهم صنعوها حتى يوهموا الأغرار بأنه المهدي الذي سيزول به الباطل، ويجيء معه الحق، وتناسوا أن المهدي المنتظر عند أهل السنة هو رجل يكون موجودا بين قومه على الحقيقة وليس غائبا قد اختفى أو مات من زمن، ثم يعود إلى الحياة من جديد[2].

---

(١) العلامة المظفر بن محمد الحسن الهاشمي - الإمام الثاني عشر ص٧٣ - طبعة أولى - دار كاشف الغطاء بكربلاء، ولا شك أنها أسطورة شعبية كالتي تجرى في أفهام بعض الناس.

(٢) وسوف أتعرض للمسألة في حينه إن شاء الله تعالى من هذا الكتاب، أو كتاب آخر أجعله مستقلا أعرض فيه المسألة والأدلة التي قامت عليها، والآراء التي انتصبت حلولها متى أمد الله في العمر. ويسر في الأسباب، وما ذلك على الله بعزيز. روى الإمام السيوطي - في الجامع الصغير - فصل: في المحلى بأل من حرف الميم - في الحديث رقم: ٩٢٤٤- «عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قال رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "المَهْدِيّ مِنّي. أجْلَى الجَبْهَةِ، أقْنَى الأنْفُ: يَمْلأُ الأرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظلماً وَجَوراً، وَيَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ"» . وذكره ابن القيم في تهذيب سنن أبي داود في الحديث رقم: ٤٢٧٨. وفي معجم الطبراني الكبير (١٨/ ٥٢) - « عن جبير بن نفير عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنت يا عوف إذا افترقت هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وسائرهن في النار قلت ومتى ذاك يا رسول الله قال إذا كثرت الشرط وملكت الإماء وقعدت الحملان على المنابر واتخذوا القرآن مزامير وزخرفت المساجد ورفعت المنابر واتخذ الفيء دولا والزكاة مغرما والأمانة مغنما وتفقه في الدين لغير الله وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأقصى أباه ولعن آخر هذه الأمة أولها وساد القبيلة فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل اتقاء شره فيومئذ يكون ذلك ويفزع الناس يومئذ الى الشام نعصمهم من عدوهم قلت وهل يفتح الشام قال نعم وشيكا ثم تقع الفتن بعد فتحها ثم تجيء فتنة غبراء مظلمة ثم يتبع الفتن بعضها بعضا حتى يخرج رجل من أهل بيتي يقال له المهدي فإن أدركته فاتبعه وكن من المهتدين » (معجم الطبراني الكبير ج١٨/ص٥٢).

[ب] أنه لما وضعته أمه تكلم في المهد بلسان عربي فصيح(١)، وأنه بشر بنفسه وأعلن منذ ولادته أنه المهدي المنتظر الذي أخبرت به كتب الشيعة، كما أعلن عيسى ابن مريم بلسان فصيح عن كونه نبيا مرسلا(٢)، وأن أمه مريم البتول طاهرة مما نسبه إليها القوم الكافرون، وأن كلامه سمعه البعيد والقريب، وكرر منه ذلك وهو ما يزال في المهد. فكأن كلامه علامة على أنه الإمام الذي تحدثت عنه الكتب الصحيحة(٣)، وأن هذا الكلام منه معجزة له، ناطقة به دالة عليه.

وهذه الأسطورة أكثر سخافة ونكارة من سابقتها؛ لأن سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام قص الله علينا خبر كلامه في المهد، في نص قرآني محكم، قطعي في دلالته، كما هو قطعي في وروده، وليس كالحال كذلك مع محمد بن الحسن العسكري الذي يزعمونه، ويختلفون فيه: هل وجد فعلا أم هي قصة خيالية؟ فالمقايسة بينهما لا تقوم على أسس صحيحة، فضلا عن كونها ساقطة؛ لأن إنطاق الله لعيسى ابن مريم دفع الشبهة عن أمه، وكأن اليهود قد ظنوا بها السوء، وفكروا في إنزال العقوبة بها، فكان إنطاق الله لعيسى دفاعاً عن أمه، وإرهاصا(٤) بأنه سيكون نبيا مرسلا، وأعلن أن نبوة مستجدة في بني إسرائيل.

---

(١) لست أدري كيف زعموا كلامه في المهد، ثم زعموا أنه كلام عربي فصيح. مع أنهم فرس يتمسكون بلغتهم القومية.

(٢) من ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ۝ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۝ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۝ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ۝ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ سورة مريم – الآيات ٣٤/٢٩.

(٣) العلامة المظفر محمد الحسن الهاشمي – الإمام الثاني عشر ص٧٥.

(٤) لأن الإرهاص يعرف بأنه أمر خارق للعادة. يظهره الله تعالى على من سيكون نبيا تأسيسا لدعواه. وإعلانا عن كونه نبيا. هذا عند الأشاعرة، أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيذهب إلى أن كل ما يجري على يد النبي منذ طفولته يعتبر من المعجزات لدالة عليه. (راجع كتابنا: الغزاليات في النبوات. عند الحديث عن مثبتات النبوة. ففيها كلام طيب إن شاء الله تعالى).

قال تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[1].

[جـ] أنه وقت ولادته رفرفت عليه طيور الجنة، وأن والده الإمام الحسن العسكري ناداها، وطلب منها أن تحمله إلى الجنة، ثم تعود به ففعلت، ثم طلب منها أن ترضعه أربعين يوما في الجنة ففعلت، ولم تخالف للإمام العسكري أمراً، كما لم تقصر في الإمام المهدي، ولم تضيع له حقا، فارتفعت به إلى السماء ثم عادت بعد أن رضع في الجنة أربعين يوما[2].

وفي تقديري: أن صاحب هذا القول ومن يوافقه فيه إما أنه وقع على قصص وأساطير وخرافات استملحها وحكاها، دون أن يفكر فيها، أو أنه غلب عليه ما يغلب على عوام الناس من حب الأقاصيص والهوس الفكري مع روايته والتعلق بما تحمله الأسطورة، والهوس من خيالات فيها الضلالات، فصدق هو الآخر به، ثم دونه، أو أن صاحب الكتاب الذي حكاها لا وجود له، وإنما صاحبه مجرد اسم وهمي استعمله أعداء الإسلام، حتى يكيدوا للإسلام والمسلمين عن طريق بث تلك الخرافات والأوهام ونسبتها إلى المسلمين، بحيث يكون كل من نظر إليها شاكا في أهل الإسلام على العموم؛ لأن ما حكاه هذا الكتاب الذي نقلت عنه يخالف صحيح المعقول، كما يخالف صريح المنقول.

[د] أن الله قد نصب الإمام الثاني عشر - محمد المهدي - لأن والده الحسن العسكري قد مات ولم يكن الابن قد بلغ من العمر السن التي ينصب فيها من قبل الإمام السابق، حتى

---

(١) سورة مريم - الآيات ٢٧/٣٦ .

(٢) العلامة المظفر محمد بن الحسن الهاشمي - الإمام الثاني عشر ص٨٣ .

يكون منصوصا عليه من سابقه ومبشراته، إذ كانت سنه حينئذ خمس سنوات، فانصبت المكايد من الأعداء عليه، والتف الظالمون حوله يريدون النيل منه، ونظراً لعدم قدرته في مواجهة هذا الظلم ومقاومته فقد دعا الله أن يبعده عن خصومه، ويرفعه من بين أيديهم كما رفع عيسى ابن مريم من أيدي أعدائه الذين تربصوا به[1].

إذن لم ينصب الإمام الغائب نفسه، وإنما الذي عينه إماما هو الله، والذي أقدره على الاختفاء من خصومه هو الله، وبالتالي فهو الذي جعله يختفي داخل سرداب سامراء منذ عام ٢٥٦هـ حتى الآن، وسيظل مختفيا به حتى يجيء موعد ظهوره للناس المكذبين به، فيقود إلى الخير بنفسه بدل أن كان يقوم بهذه المهمة وكلاؤه ومن أنابهم في القيام بها عنه[2]، ويكون ذلك النائب عن الإمام الغائب هو الإمام في العلم، والمراجع في الأحكام الشرعية، ولذا؛ فهم يقولون: إن من لم يؤمن بهذا الإمام الغائب أو يبايعه، فإنه يموت ميتة الجاهلية[3].

ولا شك أن هذه الروايات التي يتمسك بها أصحاب هذه الاتجاهات المنحرفة، تجري فيها الأساطير كل مجرى، إذ هم الذين افترضوا وجود الإمام الثاني عشر - محمد المهدي - رغم أن شقيق الحسن العسكري قد أنكر قدرة أخيه على الإنجاب، فمن أين جاء؟ وهم الذين منحوا هذا الإمام الغائب المنح والأوصاف إلى سمحت بها أنفسهم، ثم هم الذين أسعدتهم حكاية تلك الخرافات، فقاموا بإعادة ذكرها والإضافة إليها، والتركيز عليها، حتى صارت كأنها واقع معاش بدل أن كانت خيالا يجري في مشاعر الحالمين.

وأحسب أن فكرة الرجعة على النحو الذي سلف قد ملأت سماء الفكر في إيران والعراق وغيرها من البلدان الإسلامية، التي اعتنق بعض من أفرادها تلك الأفكار، قد أوجدت نوعا من الخلل الفكري لديهم، وفتحت الباب على مصراعيه لكل من تسول له نفسه الخوض في المسألة، فكأن الشيرازي ممن أعجبتهم تلك الأفكار، ولم يجد لديه مانعا من القول بها، بل كان القول بها من العوامل التي ساعدت على ظهور البابية، ومن سيظهر بعدها من الفرق والنحل المنحرفة، التي تتبنى تلك الأفكار وتساق إليها.

---

(١) الأستاذ ناصر الدين محمود موسوي التبريزي - الشيعة الإمامية في مواجهة الاتهامات ص١٣٧.

(٢) العلامة المظفر بن محمد الحسن الهاشمي - الإمام الثاني عشر ص٧٧.

(٣) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - البابية والبهائية - القسم الأول ص٢١.



الفصل الثالث

خطواته لإعلان دعوته

فرر الشيرازي التعبير عما يجري بداخله، من أنه الباب الموصل إلى الإمام الغائب، فإذا استقر له الأمر؛ ادعى أنه الإمام الغائب نفسه، ثم يزعم بعد ذلك أنه المهدي المنتظر، إلى آخر المسائل التي جمع أمره حولها، ولذا؛ فقد كان عليه اتخاذ العديد من الخطوات أبرزها :

الخطوة الأولى: العزلة

بعد أن جمع الشيرازي الأسباب التي ظنها تعينه في إعلان دعوته، وتحقيق رغبات انقطع عن جلسات الرشتي تماما، ولاذ إلى المسجد يقضي به أغلب الوقت متأملا منطويا على ذاته، لا يبيح بأسراره لأحد مهما كانت علاقته به، كأنه يقول لمن حوله إني كالحال مع نبي الله زكريا، أمرني ربي ألا أكلم الناس حتى يأذن لي.

ولم تكن عزلته فكرية، وإنما كانت جسدية فكرية معاً، فلا هو بالمنخرط بين الناس في علاقاته الاجتماعية، ولا هو بالمشارك لهم أفكارهم التي يتناولونها، وإنما اعتبر نفسه نسيجا جسديا وفكريا مستقلا، حتى إذا قطع العزلة، وأعلن عن ما يختلج بفؤاده، كان ذلك أدعى لقبول ما يريد إعلانه، وإذا كان فيلسوف الأندلس ابن باجه[1]، قد اعتزل عن الناس فلم تكن عزلته سوى الارتفاع بنفسه عن الصغائر، وبالتالي؛ فلم يشارك خصومه في الأمور التي تعرضوا له فيها، بمعنى أنهم قذفوه ونالوا عرضه ودينه، فلم يفعل ذلك معهم، ولا مع غيرهم، وإنما ترفع عن ذلك كله وسجله في أثره الخالد بكل من تدبير المتوحد ورسالة الوداع[2].

---

(١) هو أبو بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجه ، وابن الصائغ التجيبي الأندلسي السرقسطي. ولد في نهايات القرن الخامس الهجري أو أواخر القرن الحادي عشر الميلادي بمدينة سرقسطة. توفي عام ٥٣٣هـ/١١٣٨م. (راجع الأستاذة / زينب محمد عفيفي شاكر – ابن باجه وآراؤه الفلسفية – رسالة ماجستير – مخطوطة بجامعة عين شمس ١٩٧٦م .)

(٢) راجع كتابنا ابن باجة ومذهبه في الأخلاق، فقد تعرضت هناك لذكر بعض التفاصيل الضرورية في ذات الشأن. وكذلك مقالات في أصالة الفكر المسلم للدكتورة فوقية حسين محمود.

أما علي محمد رضا الشيرازي فقد اعتزل جسديا وفكريا، وهي العزلة التي تناسب من كان على شاكلته، ممن يختبئون من العواصف حتى تهدأ، ثم ينطلقون بعدها، يفعلون ما تسمح لهم به أهواؤهم بدليل أنه ما أن رأى عزلته قد أدت النتائج التي علقها عليها، إلا وأسرع إلى الإعلان عن ما يريد، وهو ما يعرف باسم المواقف الثابتة[1].

الخطوة الثانية: ملازمة الرياضة

هرب الشيرازي إلى الرياضة البدنية، حتى كان يسير على قدميه المسافات الطويلة، وهو مع ذلك لا يتحدث مع أحد وإنما يسير صامتا، يزعم أنه محجوب عن التعامل مع الناس، وكان إذا اضطر للحديث مع أحد فلا يكون إلا بالإشارة المعبرة، فإذا عجزت الإشارة المعبرة تكون الكتابة القليلة هي البديل، فإذا لم يفهم محدثه الإشارة ولا العبارة، فإنه يبتعد عنه[2].

ويذكر المؤرخون أنه كان يدرب بدنه على رفع أحمال ثقيلة، كأنه يستعد لمنازلة قوية[3]، ويغلب على ظني أنه توقع من الناس المعارضة له، متى أعلن دعوته، وأنه كان يمهد نفسه لإجراء بعض الخوارق على يديه، متى ألزمته الضرورة ذلك، بحيث يكون دوره بين الناس كدور النبي فيهم، متى طلبوا منه معجزة يتم بها تصديقه في دعواه، فإنه يسارع للإتيان بها لما هو معروف من أن المعجزة هي إحدى طرق إثبات صدق النبوة بالنسبة للنبي المرسل من قبل الله تعالى ولما هو معروف من أن طرائق إثبات النبوة قد جمعها أهل الإسلام في:

أ- المعجزة:

وتعرف بأنها: أمر خارق للعادة يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة أو الرسالة، تصديقا له في دعواه، مقرون هذا الأمر بالتحدي، مع عدم المعارضة، وعجز جميع الناس عن الإتيان

(١) الأستاذ توفيق محمد عبدالعاطي – السيكولوجية ص١١٢ طبعة أولى الدار البيضاء ١٩٥٦م.

(٢) العلامة مجد الدين محمد التبهاني – دراسات في النحل الفارسية ص٨٣ – طبعة دار زيدان ١٩٣٧م.

(٣) الأستاذ محمد حسن عبدالعاطي – أدعياء النبوة ص١١٧ – ط الفجر الجديد ١٩٤٣م.

بمثله، وأن يكون ذلك المعجز موافقا لدعوى النبي في دعواه، وأن يكون ذلك كله في زمان التكليف لا في زمان غيره[1]، فمتى ظهرت المعجزة على يد مدعي النبوة تصديقا له في دعواه، استقر في أفهام العقلاء أنه نبي.

٢- صفات النبي قبل البعثة -

كالحال مع سيدنا محمد ﷺ؛ فقد كان معروفا قبل البعثة بأنه الصادق الأمين، وأنه التاجر الصدوق، وأنه الحيي الكريم، إلى غير ذلك من الخلال الكريمة، والصفات الحميدة، وكلها دالة على أنه شخص أعلى من كل الناس، وأن العناية الإلهية قدرت أن يكون هو النبي، وآية ذلك أنه ﷺ لما جاءه الوحي قالت أم المؤمنين خديجة[2] لرسول الله ﷺ: إنك لتصل

---

(١) العلامة البغدادى - أصول الدين ص١٠٧ ، وراجع كتابنا الغزاليات في النبوات، وكذلك كتابنا الغزاليات في السمعيات، وكتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، وكتابنا عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية، فقد ذكرت المعجزة هناك وألمحت إلى بعض التعريفات حسب توفيق الله تعالى لي.

(٢) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشية الأسدية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأول من صدقت ببعثته مطلقا وكانت تدعى قبل البعثة الطاهرة وأمها فاطمة بنت زائدة قرشية من بني عامر بن لؤي وكانت عند أبي هالة بن زرارة بن النباش بن عدي التميمي أولا ثم خلف عليها بعد أبي هالة عتيق بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ثم خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة قبل البعثة بخمس عشرة سنة وقيل بأكثر من ذلك وكانت موسرة وكان سبب رغبتها فيه ما حكاه لها غلامها ميسرة مما شاهده من علامات النبوة قبل البعثة ومما سمعته من بحيرا الراهب في حقه لما سافر معه ميسرة في تجارة خديجة، وولدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاده كلهم إلا إبراهيم، وقد ذكرت عائشة في حديث بدء الوحي ما صنعته خديجة من تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم لتلقي ما أنزل الله عليه فقال لها لقد خشيت على نفسي فقالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا وذكرت خصاله الحميدة وتوجهت به إلى ورقه وهو في الصحيح . توفيت لعشر خلون من رمضان وهي بنت خمس وستين سنة ثم أسند من حديث حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بني هاشم من الشعب ودفنت بالحجون.-راجع الإصابة لابن حجر العسقلاني - القسم الأول [من ذكر لها صحبة، وبيان ذلك]. الفصل: ١١٠٨٦[ص: ٦٠٠].وراجع النبي زوجا للأستاذ نشأت المصري ص٣٣ المختار الإسلامي .

الرحم وتقرى الضيف، وتحمل الكل، وتعين على نصرة الحق[1]، ومن كان ذلك شأنه فهو الذى تجتمع فيه المؤهلات للنبوة .

٣ـ أحوال النبى :

كثير من الناس يدعون النبوة فإذا التفت الناس إليهم وجدوا أحوالهم قد تغيرت، أما النبى المرسل من قبل الله تعالى؛ فإنه يظل على حاله الأول، ويضيف إليه المزيد من التقوى والعمل الصالح، حتى إن أحواله قبل البعثة لتصير هى ذات الأحوال حينها، ويظل أمره معها كما كان .

وبالتالى يدرك الجميع أنه لم يكن صاحب غرض فى دعواه النبوة؛ لأن الله تعالى هو الذى أرسله بها، ومن ثم فإن حاله الأول لم يختلف عن حاله الأخير، ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ وهو فى قوة السلطان، وحوله سلطان القوة قال: «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد، وتشرب اللبن»[2].

٤ـ أخبار الكتب السابقة :

من المعروف أن كل نبى سبق كان يبشر بالنبى اللاحق، حتى انقطعت بسيدنا محمد ﷺ؛ لأنه ليس بعده نبى، وآية ذلك أن سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام قد أخبرا بنبوة سيدنا محمد ﷺ، من ذلك ما جاء فى القرآن الكريم . قال تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابن مريم

---

(١) العلامة السهيلى – الروض الأنف ص٢١٧ ، وكذلك الدكتور محمود زيادة – العرب وظهور الإسلام ص٢١٣ – الطبعة الثانية، والأستاذ محمد عبدالكريم – النبى الخاتم ص١٢٧ .

(٢) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمى – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (طبعة دار الفكر ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) – باب في تواضعه صلى الله عليه وسلم – الحديث رقم:١٤٢٢٠– ونصله : « عن جرير أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فاستقبلته رعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هون عليك فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة من قريش [كانت] تأكل القديد » وعزاه إلى الطبراني في الأوسط .

يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾[1] .

إذن هذه الجوانب لا تطبق على الشيرازي، بل ولا على أمثاله ممن يدعون النبوات[2]، فإذا إدعاها واحد منهم؛ فإنه يكون كاذبا في دعواه. فالشيرازي كان يعد بدنه للقيام بالأعمال الشاقة كأنه سيدخل معركة بدنية أو سيدخل في منازلة المطلوب منه أن يحقق فيها الانتصار والغلبة، وكذلك كان يعد نفسه بحيث تكون قادرة على مواجهة الاعتراضات وتفنيد الأدلة، بل ومقاومة آية ضغوط نفسية في هذا الجانب، وذلك لا يكون إلا من خلال نفس مدربة على استقبال الصدمات الاجتماعية، والتناقضات العقلية، والاضطرابات الفكرية، وهو الذي وطد الشيرازي نفسه عليه، من خلال صداقاته التي وثق عراها مع الجاسوس الروسي وآخرين ممن يشاركونه ذات الأوهام والخرافات[3] .

الخطوة الثالثة: الاعتكاف بمسجد الإمام علي

حتى ينفذ مراد الشيرازي في نفوس الناس، وبخاصة الذين سيعلن أمامهم ما يخصه، فقد لجأ إلى حيلة تقوم على دعواه الاعتكاف داخل مسجد الإمام علي مدة مفتوحة، يحددها هو بناء على التعليمات التي تجيئه من خارج نفسه[4]، فكأنه منقاد لتوجيه علوي، وليس صاحب اختيار لأمر يتعلق به، وقد أقام على هذه الحال فترة، كان فيها قليل الطعام والشراب والنوم،

---

(١) سورة الصف – الآية ٦ .

(٢) راجع في المسألة كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي ص٣٩٥ – ط٨ ، وكذلك نهاية الأقدام للعلامة الشهرستاني، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، وشرح العقيدة الطحاوية وغيرها مما تعرض لذلك الجانب .

(٣) والدليل على ذلك كثرة الخطابات التي تم تبادلها بين الشيرازي والجاسوس الروسي، وظلت حتى بعد إعلان الشيرازي أنه الباب في نفس الحماس والاندفاع.

(٤) العلامة مجد الدين محمد النبهاني – دراسات في النحل الفارسية ص٩٥ .

كأنه يعد نفسه لأمر عظيم، أو أن العناية الإلهية أعدته لذلك الأمر، بل دار بذهنه أن العناية الإلهية أرسلته لإصلاح ما أفسده علماء الدين الإسلامي بسوء فهمهم له[1]، أما هو فصاحب عقل ذكي لماح يستطيع القيام بهذا الدور، لو اتخذه وكان هو مصدر الصدارة فيه، أو هو المتحكم في مجرياته.

فلما قضى في مسجد الإمام علي من الاعتكاف ما قضاه، وأيقن أن بعض الناس بدءوا ينتظرون خروجه من الاعتكاف حتى يقص عليهم تجاربه في الزهد والورع والصلاح، فكر في الطريقة التي سيواجه بها هؤلاء وأولئك، وراحت الأسئلة تطل من رأسه، أيعلن ذلك على الملأ في كربلاء والنجف، وهي ديار حل ضيفا عليها، أم يخفي ما يجري في أعماقه، ثم يعود إلى ديار قومه فيعلن ذلك النبأ عليهم[2]؟ أم يظل على ما هو فيه من احتباس رغبة، وإمساك نفس عن هوى؟ ذلك كله كان يغالبه، ولا يستطيع اتخاذ قرار نهائي في شأنه.

الخطوة الرابعة: العودة إلى بوشهر الفارسية

فكر الشيرازي –علي محمد رضا البزاز– في الأمر كثيرا، ثم ارتحل إلى مدينة بوشهر من غير أن يشعر به جمع كبير من الذين كانوا ينتظرون انتهاء فترة الاعتكاف التي عقدها لنفسه، وكانت حجته أنه قد غلبه التعطش لرؤية من كانوا في بوشهر من أهل وأصدقاء ومعارف، وأن هذا الشوق إليها صار من الصعب السيطرة عليه[3]، فكان له ما أراد؟

- **وربما يتساءل المرء قائلا: لماذا فكر الشيرازي في العودة إلى بوشهر ثم يعلن عن دعوته من هناك؟ ولم يعلنها في النجف أو كربلاء، أو غيرها من المدن العراقية؟**
- **والجواب: أنه سيقع له في بوشهر أمور كلها مفيدة في مسألة الإعلان عن دعوته.**

---

(١) الدكتور / محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية ص٥١ .

(٢) وهو نبأ كونه الباب إلى الإمام الغائب، أو الباب إلى المهدي المنتظر، أو الباب الموصل لباب كل واحد منهما بعد الآخر. أو أنه الباب الأعلى من النبوة وهو النقطة.

(٣) العلامة مجد الدين محمد النبهاني – دراسات في النحل الفارسية ص٩٨ .

* **الأمر الأول:** أن أهله ومعارفه في فارس سيكونون أكثر عطفا عليه وتعاطفا معه من أهل النجف أو كربلاء لعدم وجود العصبية المانعة له من أذى الآخرين[١]، على افتراض وقوعه، وهو لا شك واقع، ومن ثم فإذا أعلنها في بوشهر مثلا، فلن يكون هناك مانع لدى أهلها من التعاطف معه، والأخذ بيديه في المسائل التي سيعلن عنها، والدعوة التي نذر نفسه لها.

* **الأمر الثاني:** أنه بعد تلك الغيبة التي قضاها في العراق فإنه متى رجع إلى بوشهر؛ فإن أهلها من أصدقائه ومعارفه سوف يلتفون حوله، ويعملون على الإعلان عنه والمحافظة على دعوته، التي نبتت وارتفعت في أرضهم، والغائب متى رجع إلى بلده؛ ظن الناس به معرفة جديدة. أو التمسوا عنده الصلاح الذي ينشدونه[٢]، ومن كان ذلك شأنه، فلابد أن يحصل على العديد من الفوائد أبسطها معاضدة قومه له، مع كسبه مودتهم وتعاطفهم معه.

* **الأمر الثالث:** أنه متى كان القوم الذين عاش فيهم قد صدقوه واتبعوه، وأيقنوا بأمر دعوته. فإنهم سيكونون النصير له، إذ هم الذين سينقلون أفكاره إلى غيرهم من الأمم. كما سيدافعون عنها[٣]، وفي نفس الوقت؛ فقد ألف الناس أن أي مصلح اجتماعي متى كذبه قومه وناصبوه العداء، فقد ضعف أمره وانكسرت قوته، ولم يعد لها وجود شوكته[٤]، أما إذا ظاهروه ونصروه؛ فإن الأمر معه سيختلف.

ولا شك أنها جميعا فوائد قد وضعها في حياته علي محمد رضا الشيرازي. عندما فكر في الإعلان عن دعوته التي زعم أنه يوحي إليه بها، وبالتالي؛ أراد أن يكون مسقط

---

(١) على افتراض أنه سيعلن دعوته، وأن أهل تلك البلاد سيرفضون ذلك الاتجاه بكل قوة، لأن طبيعتهم الدينية لن تسمح بممارسة ذلك النوع من الضلال الذي غرق فيه علي محمد رضا الشيرازي حتى أنفه.

(٢) العلامة محمد المرتضى الحسيني - نظرات في أنظمة المجتمع ص٢١٣ - ط١٣٣٧/١هـ.

(٣) حتى لو كان ذلك من باب العصبية له، والدفاع عن الجنسية التي ينتمي إليها، والمجتمع الإنساني كله يؤكد ذلك على الدوام.

(٤) الأستاذ نور الدين عبدالعاطي الطويل - الأنظمة الاجتماعية الجديدة ص٧٨ - طعالم الوفاء ١٩٥٧م.

الإعلان عنها هو مدينة بوشهر الفارسية، وليست مدينة كربلاء أو النجف العراقية، غير أنه لم يعلن عن دعوته الباطلة كلها في بوشهر، وإنما أعلن فيها أنه باب الإمام الغائب الذي يتحدثون عنه.

« فلما انتقل إلى شيراز مسقط رأسه أعلن أنه باب النبي، ثم زعم أنه باب النقطة التي هي أعلى من مقام النبوة بدرجات كبيرة، ثم استمر في الضلال حتى أعلن نفسه باب الحق، أو خالق الحق[1]، ثم وصل إلى مرحلة الهلاك الكامل، حيث ادعى أنه مظهر الله، أو أنه مشخص المولى الذي ظهر فيه الرب - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

لكن لما رجع الشيرازي إلى بوشهر، استقبله أصدقاؤه ومعارفه في نوع من اللهفة، كأنهم يريدون الاطمئنان على الرجل الذي عاش بينهم تاجرا في مال خاله، ثم تاجرا في متجره الذي افتتحه له خاله، ثم فاجأه المرض، وسارع به خاله إلى بلاد العراق للاستشفاء متى زار مشاهد آل البيت في النجف وكربلاء، كما هي عادة القوم في ذات البلاد على وجه الخصوص، وكل البلاد التي تحفظ الود على سبيل العموم.

ثم ها هو الشيرازي بينهم الآن، أما وقد رأوه أمامهم فلا يريدون إلا الاطمئنان عليه، وقد استغل هو تلك المشاعر الطيبة لصالحه، إذ عمد إلى مسجد قريب من محل إقامته في بوشهر اعتكف فيه، حتى غلب على القريبين منه أن الرجل صار قرين المسجد لا يفارقه، فأطلقوا عليه اسم مسجد على الشيرازي، لا لأنه هو الذي بناه أو أقامه، وإنما لأنه المسجد الذي أطال إقامته به[2]، واستمر اعتكافه بداخله.

وفي تلك الأثناء استطاع الشيرازي أن يصوغ آراءه صياغة مبدئيا بعضها على من اصطفاهم من أصدقائه عن طريق الهمس الخاص، لا الإعلان الواضح الصريح، حتى لا يصدم العامة في مشاعرهم، ولا الخاصة في معارفهم، ولا الشيعة الإثنا عشرية في اعتقاداتهم،

---

(١) لجنة من علماء الأزهر - البابية والبهائية في الميزان ص٥٣ .

(٢) الأستاذ طلبة عبدالباقي محمد عويس - الدعوات الهدامة ص١٢١ - ط الدار الميمنية ١٣٣٥هـ

ولذا؛ فإن ملامح دعوته تقوم على أمور عديدة، سوف أذكر في حينه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

الخامسة: الخروج المفاجئ من العزلة

حتى يخدع الشيرازي كل الناس الذين تابعوه، قطع اعتكافه الذي أعلن من قبل أنه سيكون طويلا، وكان عازفا عن ملذات الدنيا، منهمكا في العبادة، ثم خرج على الناس في حالة من الشرود والذهول، كأنه قد أصابه مس من الجن، وراح يدعو الناس ممن يتوخى فيهم الاستجابة إليه إلى الآراء التي يتمسك بها، فاختار عامة الناس وبسطاءهم[1] مؤكدا لهم أنه ما خرج عن اعتكافه رغبة في نفسه، وإنما رغما عنه، حيث كلفه الوحي بهذا الدور.

في نفس الوقت؛ فإن بعض الذين كانوا يحضرون مجلس كاظم الرشتي معه من سكان تلك البلاد، قد وجدوا فيه ضالتهم المنشودة، فلما أن إليهم أبلغهم عما يجول بخاطره، وما ينوي الإعلان عنه، فوجد منهم بعض الترحيب بما سوف يعلن عنه، بل كان من سبق الناس إلى إعلان التصديق بما سوف يجيء به، فهم قد سبقوا الأحداث[2] مما جعل المؤرخين يحكمون بأن علي محمد الشيرازي وأتباعه كان بينهم اتفاق مسبق مكتوب بين

(١) الدكتور حسن محرم السيد الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص١٨.

(٢) فهم بذلك الفعل قد أعلنوا عن اتفاقهم المسبق في أثاره القلاقل والفتن في المجتمع الإسلامي. كما أعربوا عن رغبتهم القديمة في النيل من الإسلام، والتعصب البغيض للشعوبية الفاسدة، التي كانت تمثل منطقا غير مستقيم في المجتمع الإنساني قبل أن يظلها الإسلام، فلما أكرم الله أهل تلك الديار بالإسلام، حاول أمثال هؤلاء الطعن عليه أو النيل منه، والله عز وجل غالب على أمره. ولن ينال المشركون أو الخارجون عن الإسلام منه شيئا؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ سورة المائدة – من الآية ٣.

الخطوات التى سيقومون بها، بما يفضى فى النهاية إلى أن عوامل قيام البابية كانت فى الأغلب الأعم سياسية، لا علاقة لها بالدين الإلهى الصحيح.

فيذكر أحد الباحثين: « أن هذا الاتفاق قد كشف الدوافع الخفية والعوامل التى كانت تخطط من وراء ستار على إقامة هذا الصنم الجديد، حتى يلقى فى خضم المجتمع الإسلامى فى تلك البذور المرة فى مذاقها، والتى عكرت صفو الأمن، وأثارت القلاقل فى تلك البقعة الهادئة من أرض المسلمين فى ذلك الوقت بالذات »[1].

السادسة : الزعم بأنه باب الإمام الغائب

سبق القول بأن الشيعة الأثنا عشرية ومن معهم يذهبون إلى فكرة الإمام الغائب، وأنها عقيدة وهى تقوم على أن الله اصطفى على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- ليكون أول الأئمة بعد النبوة الخاتمة، وأن عليا كرم الله وجهه ورث ذلك الاصطفاء كل واحد من أفراد أسرته، الذين تسلسلت منهم الأئمة الأثنا عشرية لدى الشيعة، وكل واحد من هؤلاء الأئمة ورثها هو الآخر لمن بعده من أبنائه[2]، وظل الأمر معهم كذلك لم ينقطع،

ثم إن كل ولى منهم إنما هو إمام حاضر، وارث عن الله الاصطفاء، ومن ثم والإمام الحاضر هذا يعرف عن الله كل شيء، يعرف ما تنطوى عليه بواطن الشريعة من العلوم والأسرار، كما يعرف ما فى باطن القرآن الكريم من أسرار، فالإمام عندهم هو عالم الشريعة والحقيقة معا، وبالتالى فمهمة الإمام هى التعليم والتلقين لكافة العلوم، وهو أيضا مصدر الحقائق الدينية[3].

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى – البابية والبهائية ص٥٢/٥٣.

(٢) فهم بذلك يؤمنون بأن الولاية تكتسب بالميراث الأسرى، وليست فضلا من الله، وهو ما لم يوافقهم عليه أحد من أهل السنة والجماعة والنصوص الشرعية تخالفهم.

(٣) الأستاذ محمود عبدالعاطى الخليلى – الأئمة الاثنا عشرية ص١٢٨ طبعة الدار القومية بسوريا ١٣٥٧هـ.

لأنه المجتهد الجامع للشرائط، فهو نائب الإمام عليه السلام فى حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام الغائب فى الفصل فى القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله. وبالتالى؛ فالمجتهد الجامع للشرائط هو نائب عن الإمام فى حال الغيبة، ولذلك يسمى نائب الإمام[1].

من ثم اعتبروا الإمام حال حياته مضطلعا بتلك المهام، وهو صاحب الزمان، ومجدد الشريعة، ومحيى الملة، وهو أيضا المدخر من قبل الله تعالى، لتجديد الفرائض والسنن، وبناء عليه فهو معصوم من الوقوع فى الخطايا، بجانب أنه لا يقترف الذنوب أو العيوب[2] أبدا؛ لأنهم قالوا بعصمة الأئمة.

وكل إمام من هذه الأئمة الاثنا عشرية له غيبتان: كبرى وصغرى، وهو فى أثناء غيبته الصغرى يختار نوابا له يكونون الأبواب التى تؤدى إليه، وشأن كل إمام منهم أن يختار الأبواب المناسبة التى يراها صالحة للقيام بتلك المهمة عنه.

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن سلسلة الإمامة عند الشيعة الاثنا عشرية لما وقفت عند الإمام الحسن العسكرى الذى مات، ولم يعقب ولدا، نظر أتباع المذهب إلى أنفسهم فوجدوا أنهم بعد موت الحسن العسكرى هذا لم يعد لهم إمام، ولما كان كل من لم يكن له إمام، فالشيطان إمامه، فقد اخترع شيطانهم محمد بن نصير من موالى بنى نمير فكرة أن للحسن العسكرى ولدا مخبوءا فى سرداب بيت أبيه بسامرا، ليتمكن هو وزملاؤه من الاحتيال

---

(١) العلامة محمد رضا المظفر – عقائد الإمام ص١٢ – مكتبة النجاح فى النجف الأشرف – العراق – الطبعة الأولى لعام ١٣٧٣هـ.

(٢) عصمة الأئمة من القضايا التى يتمسك بها بعض الشيعة. وبخاصة الاثنا عشرية ولست أوافقهم على ما ذهبوا إليه؛ لأن الله تعالى هو العاصم لمن أطاعه واتقاه.

على عوام الشيعة وأغنيائهم بتحصيل زكاة الخمس منهم باسم إمام موجود، وحتى يواصلوا الادعاء - كذبا - بأنهم إمامية[١].

ويقرر الكثيرون من الباحثين أن عقيدة الإمام الغائب في الشيعة الاثنا عشرية ما هي إلا عقيدة موهومة؛ لأن محمد بن الحسن العسكري الذي هو الإمام الثاني عشر عند الشيعة الاثنا عشرية مات سنة ٣٢٩هـ، والى الآن لم يعد، ومعنى ذلك أن هذه الغيبة مازالت مستمرة حتى يومنا هذا وسوف تستمر، ثم إن محمد بن الحسن قد مر على اختفائه ما يزيد على الألف عام، وأنها كانت قد اختفت من مفاهيم بعض الشيعة، إلا أن أحد الشيعة الاثنا عشرية وقف على ذلك التراث فأعلن عن إحياء ذات الفكرة، متزعما الجماعة التي تدعوا إليها، وعرف الرجل باسم الشيخ أحمد زين الدين الاحسائي المتوفى ١٣٤٣هـ/١٨٢٦م، كما عرفت الطائفة التي تتبنى ذات الآراء باسم نحلة الشيخية[٢].

إذن فكرة الباب للإمام الغائب أو المهدي المنتظر، إنما تعبر عن امتياز شخصي على غيره، ينوب هذا الشخص عن الإمام الغائب في تبليغ تعاليمه إلى أتباعه، بحيث يكون هو الوحيد القادر على التعبير عن أغراضه، وهو في ذات الوقت الباب الموصل إلى اللقاء بالإمام الغائب، الذي يعتقد الشيعة في اختفائه، ويترقبون وقت ظهوره[٣]. وينتظرونه بكل ما أمكنهم من وسائل[٤]، حتى إنهم لا يتوقفون عن ذلك أبدا.

---

(١) الأستاذ محب الدين الخطيب - الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الاثنا عشرية ص٣٠ بتصرف

(٢) الأستاذ عبدالعزيز محمود الجميل - البابية وخطرها على الإسلام ص٣٨ - طبعة دار المنار ١٣٣٨هـ.

(٣) الشيخ السيد عبدالله حسنين - نظرات في الفكر المنحرف - البابية - ص١٧ ط٢/١٩٦٢م.

(٤) ذكر البعض أن الشيعة الاثنا عشرية يوقفون الأوقاف الخيرية على الإمام الغائب، وأنهم لا يوقفون على المساجد وبيوت الفقراء، مثل ما يوقفون على السرداب الذي يتوهمون أن الإمام الغائب قد اختفى فيه. وأنه لابد أن يخرج منه، وتوسع البعض، فقال: إن الشيخية يوقفون بعض الوقوفات على السرداب. حتى يظل صالحا للاستعمال، وبخاصة أنهم يقيمون على بابه فارسا ومعه فرسه، حتى إذا خرج الإمام الغائب انطلق به الفرس والفارس إلى حيث غايته في إصلاح الكون، وهي كلها أفكار لا دليل عليها، وإنما هي أفكار فيها الوثنية بادية الملامح. (راجع البابية وخطرها على الإسلام ص٤٣ وما بعدها).

كما أن الشيرازي قد اعتبر نفسه ذلك الباب الموصل للإمام المهدي المنتظر القائم صاحب الزمان، أو أنه وكيله والسفير بينه وبين الخلق [١]، فجعلت فكرة الإنابة في الأفكار الوثنية محل الاعتقاد الصحيح لدى غلاة الشيعة الاثنا عشرية، مما كان له كبير الخطر على العقيدة الإسلامية، وبخاصة لدى العوام الذين يقلدون من يثقون فيهم .

السابعة: الزعم أنه يوحى إليه

أيقن الشيرازي أن العوام والبسطاء قد صدقوه في دعواه أنه باب المهدي، فعمل على تدعيم ذلك في نفوسهم من خلال أقاصيص استطاع حبكها وحكاياتها، مضمونها أنه يأتيه هاتف غير مرئي، يوحي له بأمور كثيرة، فإذا استيقظ من نومه أدرك أن هذه الرؤى صارت واقعا ملموسا، باعتبار أن رؤيا الأنبياء حق، لكن يمكن التعبير عنه [٢]، كالحال مع رؤيا الخليل إبراهيم بذبح ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وأمكن التعبير عنها . قال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [٣].

في نفس الوقت؛ فإن الشيرازي كان يتمتع بقدر من الذكاء والحيلة الواسعة، بجانب العبارة الرائقة والرخامة في الصواب، بجانب اصطناع الرزانة في التعبير والتعامل مع الآخرين، مما جعل بعض الدهماء، وقليل من ضعفاء المثقفين، يلتفت إلى آرائه ويرددها كبديل له أو نائب عنه، وبالتالي أدخل في وجداناتهم أن هذه الرؤيا التي تأتيه، إنما هي ناموس الوحي الذي جاء الأنبياء والمرسلين من قبل، ولم يعلن أنه نبي، وإنما أعلن في هذه المرحلة أنه يوحى إليه مناما فقط .

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - البابية والبهائية - القسم الأول ص٥٣ .

(٢) نحن المسلمين نعتقد أن رؤيا الأنبياء حق يمكن التعبير عنه. (راجع كتابنا: الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي، وعقيدتنا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية).

(٣) سورة الصافات - الآيات ١٠٤/١٠٧ .

فلما انطلت الفكرة على هؤلاء، حصل له نوع من التلذذ بتلك النتائج، التى جاءت سريعة، وصار العامة يتحدثون عن تلك الرؤى الليلية فقط، كأنها واقع فعلى[١] - رغم أنها كذوب كلها - رأى الشيرازى أنه لم تقع له معارضة من علماء عصره، الذين انشغلوا بقضاياهم عنه، وتحولوا من البحث العلمى والاجتهاد الفكرى إلى ظواهر ما كان لها أن تنال عنايتهم، أو تصرفهم عن أعظم أهدافهم، أو تعوقهم عن استكمال مناهجهم التى أوقفوا أنفسهم عليها.

مضى الشيرازى فى طريقه الخاطئ، فأعلن أنه نبى فعلا، ولم تعد نبوته نوعا من الوحى المنامى كما كان يزعم، وإنما أعلنها صريحة فى أنه يوحى إليه وحى حقيقى فى اليقظة، وأن النبوة جاءته من عند الله، كما جاءت الأنبياء من قبل، وأنه صار الباب إلى الله، باعتبار أن الوصول إلى الله لا يكون إلا من خلال النبوة، وهاهى قد جاءته[٢]، ومن ثم فقد صار هو الوحيد الذى يمكن اعتباره الباب إلى الله تعالى.

ولما اصطدم الشيرازى بالنصوص الشرعية فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. الدالة على أن النبوة قد ختمت بسيدنا محمد ﷺ لجأ إلى التأويل المنحرف، حيث أول قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾[٣]. بأن لفظ خاتم النبيين معناه الحلية، وليس معناه النهائى أو الذى ليس بعده نبى، وهو تأويل منحرف؛ لأن خاتم غير خاتِم، فالخاتِم اسم فاعل وصف لآخر كل شيء، وسيدنا محمد ﷺ والخاتم لكل الأنبياء والمرسلين وهى العقيدة التى نلقى الله تعالى عليها.

---

(١) الدكتور أبو بكر بن آدم إدريس - البابية والجمهوريون (دراسة مقارنة) ص٩٧ ط أم درمان ١٩٥٧م.

(٢) الأستاذ توفيق محمد خضر - النبوة والأنبياء ص٦٣ - ط٢/١٩٤١م.

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٤٠.

أما الخاتم فهو ما يختم به أو حلقة ذات فص يلبس في الإصبع(١)، وهو اسم وليس وصفاً، والجامع بينهما هو مجرد الاشتراك اللفظي، بمعنى أن لفظ الخاتم مادته اللغوية مشتركة بين الاسم والوصف، فالشيرازي استعمل التأويل المنحرف في لفظ خاتم النبيين على أنه حليتهم، وليس آخرهم(٢). وذلك من شذوذاته الفكرية التي حملت نهايته من خلال مفرداته التي ينطق بها.

ومادام الشيرازي قد أعلن النبوة، فمن الضروري أن يجيئه الوحي، وبالتالي فمن المناسب أن يكون الوحي مكتوبا يحمل تعاليم جديدة، فاضطر إلى تأليف كلام هو مزيج من ثقافات مختلفة، تحمل ملامح المسيحية واليهودية بجانب البوذية والبرهمية ثم الزرادشتية والوثنية والفلسفية(٣)، حيث كان لديه إلمام ببعضها، ثم درس البعض الآخر في خلواته ورياضاته، فانفعل بها وتأثر بما فيها.

أجل حاول تلفيق وتأليف كلام لم يزعم أنه منزل عليه باللفظ والمعنى، وإنما زعم أنه يلقى إليه في روعه، وأنه يعبر عنه حسب إمكانيات من يلقيه إليهم، حتى يكونوا قادرين على تفهمه والتعامل معه، مدعيا أن الكلام إذا لم يفهمه من يلقى إليه، فإنه يكون عبثا لا طائل من ورائه، وحتى يحكم هذه الأفكار الساذجة في النفوس، أعلن أنه نبي البابية، فمن أمن بأن الشيرازي نبي فهو بابي، يفهم الكلام الذي يوحى إليه. وبناء عليه أمن به عدد قليل ممن صدقوا الإمام الغائب، وأنه المهدي المنتظر، وسموا أنفسهم البابيين(٤).

إذن اعتبر علي محمد رضا الشيرازي نفسه من هذه الناحية يوحى إليه، وبالتالي أعلن أنه نبي، فصار من بعد هذا الإعلان يعرف باسم باب الدين، ولم يعد لقب باب الإمام الغائب أو باب المهدي المنتظر يشبع رغباته؛ لأنه قفز فوق هذه وتلك، وهي كلها سقطات وقع فيها.

---

(١) المعلم بطرس البستاني – قطر المحيط – باب الخاء ، المعجم الوجيز باب الخاء ص١٨٧.

(٢) الدكتور أبو بكر آدم إدريس – البابية والجمهوريون ص١١٢ .

(٣) البابية والبهائية في ميزان الإسلام ص٥٣ .

(٤) الأستاذ توفيق محمد خضر – النبوة والأنبياء ص٨١.

الثامنة - الزعم بعلوه على النبوة

لم تشبع الخطوات التي مر ذكرها أحلام الشيرازي، ولم تحقق الآمال التي علقها على دعوته، ومن ثم؛ فقد اعتبر نفسه فوق النبوة، إن مجرد الوحي هو منزلة النبي، أما هو فقد زعم أنه يتصل الوحي، لا عن طريق ملك الوحي، وإنما صار يأخذ من مقام اللوح المحفوظ مباشرة، بمعنى أنه لم يعد في حاجة إلى جبريل الأمين لتأخذ عنه[١].

وحتى يحبك تلك المنزلة في نفوس الأتباع، أطلق عليها اسم النقطة التي هي في نظره أرفع درجة من النبوة[٢]، بمعنى أنه صار ذات الملك الذي يبلغ الأنبياء، وبما يوحي إليه به الله، بغية أن يتفادى الاصطدام بعقيدة خاتم النبوة لسيدنا محمد ﷺ[٣]، زاعما أن ذلك التجرد تم بالاتفاق بينه وبين الله تعالى، بحيث يظهر لأتباعه في صورته الجسدية التي عرفوه بها، ثم يحتلي بالملأ الأعلى في صورة أخرى روحانية صرفة[٤]، هي المثلة لله الحق جل شأنه.

بيد أن الناظر لتلك الفكرة الساذجة يراها معبرة بشكل واضح عن التناسخ الروحي الهندي، الذي آمن به الهنود في الماضي السحيق، ثم أعلن عنه التناسخية في صدر الإسلام، وما يزال البعض منهم يكرره حتى يومنا هذا، مستخدمين ألفاظا وهمية، وعبارات غير مراد بها الحقيقة البارزة، وإنما يستعملون ألفاظا فيها الإبهام بغرض التضليل لمن يسمع منهم أو ينحى إليهم.

---

(١) الأستاذ عطا الله محمد نصر الدين - الباب بداية ونهاية ص٧٣ - ط٢/١٣٣٥هـ.

(٢) البابية والبهائية في الميزان ص٥٣ ط الأزهر.

(٣) الأستاذ عطا الله محمد نصر الدين - الباب بداية ونهاية ص٨١ .

(٤) الشيخ محمد عبدالعاطي البناني - التناسخ المرفوض ص١٧ ط١/١٣١٨هـ

إذ المعروف أن التناسخ نوعان :-

الأول: التناسخ الجسدي:-

وهو استفادة الأجساد بعضها من بعض، فالأجساد التي نمت في الماضي من الإنسان والحيوان والنبات، قد حدث لها نوع من الموت والبلى، ثم عادت إلى التراب كما كانت قبل الخلق المتحول، ومعناه أن عناصر الإنسان والحيوان والنبات قد تحولت إلى التراب، كما كانت من قبل، ثم تمت الزراعة على التراب المختلط فنمت عليه أشجار ونبات، أكل منه الإنسان والحيوان مرة أخرى والنبات تغذى عليه فتحولت بقايا الأجساد القديمة المتحولة إلى أجساد جديدة مستأنفة[1] وهو معنى التناسخ الجسدي.

فالمقابر التي امتلأت في الماضي بأجساد الإنسان، ثم اندثرت وهجرت بعد قرون حتى تناسى الناس دورها السابق، ثم قاموا بتسوية أجزائها وتهيئتها للزراعة أو البناء عليها. فإنها إذا زرع فوقها، فإنما يتغذى الزرع الجديد، وينمو فوق بقايا الأجساد القديمة لا محالة. فيكون ذلك المزروع المستحدث قائما في تغذيته على مادة جسم الإنسان أو الحيوان والنبات السابقة المختلطة بالتراب، وهذا مما لا مخالفة فيه، بل عده أحد شيوخ الأشاعرة[2] ليس تناسخ مرفوضا فيقول: إنه ليس بتناسخ مرفوض؛ لأن التناسخ المرفوض هو عود في الدنيا إلى بدن آخر. أما المعاد والبعث في الإسلام فهو عود في الآخرة إلى بدن من الأجزاء الأصلية للبدن الأول. والقول بأنه ليس هو الأول بعينه لا يضر[3].

---

(١) راجع كتابنا: أوراق منسية في النصوص الفلسفية ص٢٣٧ ط٤/٢٠٠٠/٢٠٠١م.

(٢) هم أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري : الذى قدم بغداد وأخذ الحديث عن زكريا بن يحيى الساجي وتفقه بابن سريج. ذكر ابن خلكان أنه كان يجلس في حلقة الشيخ أبي إسحاق المروزي وقد كان الأشعري أول أمره معتزليا فتاب منه بالبصرة فوق المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم وله من الكتب الموجز وغيره وحكى عن ابن حزم أنه قال للأشعري خمسة وخمسون تصنيفا وذكر أن مغله كان في كل سنة سبعة عشر ألف درهم وأنه كان من أكثر الناس دعابة وأنه ولد سنة سبعين ومائتين وقيل سنة ستين ومائتين ومات في سنة بضع وثلاثين وثلثمائة فالله أعلم . راجع البداية والنهاية لابن كثير (٢/٣٩٥).

(٣) العلامة السعد التفتازاني - شرح المقاصد ج٥ ج٨٨ - تحقيق الدكتور عبدالرحمن عميرة

مثال ذلك: إذا أكل الحيوان أو الإنسان حيوانا أو إنسانا آخر أو نما نبات على أرض المقابر التي زرعت، فمن أي مادة تنشأ أجساد الحيوان والإنسان، فضلا عن النبات على الناحية المستجدة، لا جدل في أن المادة الترابية التي اختلطت في الأصول المتحولة قد حدث فيها تناسخ جسدي، يتمثل في نوع من التداخل الذي يصعب فصل أجزائه عن بعضها[1]، وهو مفهوم التناسخ الجسدي القائم على تغذي أجساد الحاضرين من بقايا أجساد السابقين.

وهذا التناسخ الجسدي على النحو الذي سلف تصويره أمر طبيعي، جعله الله تعالى في الكائنات الحية، وعلى الأخص الإنسان والحيوان والنبات، ولا ينافي ذلك أبدا أمر البعث الشرعي في الآخرة، القائم على الأجزاء الأصلية لكل إنسان استقلالا، والشرع الإسلامي الشريف لم ينكره، بل ظواهر الشرع تؤيده وتنبه إليه[2]، من ذلك قوله تعالى: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون﴾[3].

يقول أحد الباحثين: « إننا نتعامل مع الكائنات المخلوقة لنا طبقا لما شرعه الله تعالى، ومما شرعه الله تعالى لنا فيها شرب ألبان حلالها، وأكل لحومها والاستفادة بأشعارها، وأوبارها، وأصوافها، بل وعظامها، وهي كلها تتداخل في أجسادنا متى أكلناها أو شربناها، يستوي في ذلك أجساد النبات كلها، والحيوانات البرية والبحرية ويتساوى في ذلك أن يكون الأكل أو المأكول صغيرا أو كبيرا، فهذا مما شرعه الله، فإن أطلقنا عليه اسم

---

(١) هذا مما تشهد به العقول الصحيحة والفطر المستقرة، لأننا نمارسه في عاداتنا اليومية. فنحن نأكل من النبات وهي أجساد، وكذلك نأكل لحوم الحيوان، وهي أجساد تتحول كلها في أجسادنا إلى طاقة. بجانب بعض الشحوم أو الدهون التي تبقى بعد التحول. فهل لو لم نأكل ذلك المباح لنا شرعا كانت أجسادنا ستنمو، من أين تنمو إذن. ولا مصدر لها. فكل عاقل يقر بأن ما نأكله من الحيوان والنبات وهي أجساد متميزة في أصولها، يتحول إلى أجسام متداخلة في أجسامنا نحن فيحدث نوع من التناسخ.

(٢) راجع كتابنا: أوراق منسية في النصوص الفلسفية ص٢٣٧.

(٣) سورة الحج – الآية ٣٦.

التناسخ الجسدي فهو مقبول شرعا وعقلا وعرفا »[1] . فالتناسخ الجسدي هو تداخل بعض أجساد في بعض أجساد أخرى، عن طريق التغذية بالمأكول بالنسبة للآكل أو المشرب بالنسبة للشارب.

الثاني : التناسخ الروحي :-

وهو يقوم على أن الأرواح تستطيع تبادل الأجساد المختلفة، ثوابا أو عقابا، وذلك كله يتم في دار الدنيا؛ لأن القائلين به ينكرون الآخرة[2]، وكذلك يعتبرون ما يتعلق بالثواب أو العقاب، إنما يجيء في ترقية الروح رفعة أو هبوطها انخفاضا وانزالا، فإذا كانت الروح طيبة هادئة، فإنها تظل آخذة في الرقي، وكما يعرف بأنه انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول[3] .

مثال ذلك: روح الإنسان فإنها متى كانت صالحة، يمكنها الرقي حتى تصل مرحلة الملائكية، ثم تجاوزها إلى أعلى منها، حتى تبلغ الملأ الأعلى، ويكون لها به اتصال ثابت طبيعي على وجه دقيق، بمعنى أن الإنسان يتحول إلى ملك، ثم يتحول الملك إلى نور غير مرئي، ثم يتحول النور غير المرئي إلى ما لا يمكن التعبير عنه[4]، مادام ذلك يحقق السعادة التامة لروح الإنسان الراقية، التي اكتسبت هذا الرقي بصلاحها الذاتي.

وكذلك تظل الروح صاعدة في سلم الرقي لا تتوقف، ولكنها قد تبطئ الحركة وهي في طريقها إلى الرقي حينا، كما تسرع إليه في حين آخر، وكلما أرادت

(١) العلامة عبدالمولى السيد محمد عبدالخبير – والأنعام خلقها لكم ص٤٢ – طبعة الدار العثمانية ١٣٠٩هـ

(٢) الشيخ محمد عبدالعاطي البناني – التناسخ المرفوض ص٣٣ .

(٣) العلامة محمد رضا المظفر – عقائد الإمامية ص٦٩ – تقديم الدكتور حامد حفني داود – مطبوعات النجاح بالقاهرة.

(٤) الأستاذ أحمد فهمي العجمي – التناسخ بين القبول والرفض ص٧٣ – ط٣ دار البحر مراكش ١٩٣٧

الروح الحركة من السرعة أو البطء، فإن ذلك من إمكانياتها، وليست بحاجة إلى دعم خارجي، أو إضافة جديدة؛ لأن ذلك كله من طبيعة الروح وتكويناتها الذاتية[١].

أما إذا كانت الروح الإنسانية شريرة؛ فإنها تهبط من الجسد الإنساني إلى جسد حيوان آخر، يحمل الخسة والدناءة، مما يدفعه إلى ممارسة سلوكيات غير مقبولة، مع الآخرين على الدوام مما يثير العقلاء عليه، وبالتالي فإنهم يواجهون خسته ودناءته بالعنف معه، والقسوة عليه، ومعاملته بالعقوبات التي تجعله يشعر بالمذلة والإهانة.

فإذا استمر في الأخطاء التي يمارسها؛ فإن روحه تظل آخذة في الهبوط والدونية إلى ما سبق، فتحتل جسم حيوان أكثر صغرا، وأحقر وجودا، وأكثر عرضة للخطأ والاستذلال، حتى تذوب فيه ذوبانا، بحيث يقع عليها الأذى من كافة النواحي؛ لأن العقاب عندهم كالثواب يقع في دار الدنيا على إحدى الصورتين السالفتين؛ لأنهم لا يؤمنون بالآخرة[٢].

وكانت عبادة أرواح الأسلاف سائدة في إيران القديمة، وفي ظل الإسلام كانت تلك الديانات البائدة تمثل نوعا من الثقافة لمن يلجأ إليها على الناحية المعرفية، وهي التي ذكرت أن الهنود عبدوا أرواح الشياطين، بينما عبد الإيرانيون أرواح الأسلاف[٣].

وهذا النوع من التناسخ باطل شرعا، غير مقبول عقلا ولا عرفا؛ لأن الله تعالى خلق لكل جسد روحا خاصة به، تظهر فيه وتتعلق بها، حتى تدبره، فإذا خرجت الروح منه وقعت الوفاة عليه؛ لأن الموت هو انفصال الروح الحيواني عن الجسد الذي تسكنه[٤]. كما

---

(١) فكأن الروح عندهم يمكنها أن تقوم بذلك كله استقلالا، وليست بحاجة إلى الجسم، حتى تظهر فيه أو يحملها على العمل المطلوب. وذلك مما لم يقل به أحد سواهم.

(٢) الأستاذ أحمد فهمي العجمي – التناسخ بين القبول والرفض ص٨١ .

(٣) سيرجي أ. توكاريف – الأديان في تاريخ شعوب العالم ص٣٥٧– ترجمة م. أحمد فاضل – ط١٩٩٨/١م – مكتبة الأسد بسوريا.

(٤) الشيخ محمد عبدالحميد رضوان – الروح الإنسانية ص١١٢ – ط دار مختار ١٩٣٨م .

يعرف أيضا: بأنه عرض يعقب الحياة على الناحية الوجودية[1]، يدل عليه قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور﴾[2]. إذ الخلق إنما يتعلق بالأمر الوجودي، وبناء عليه: فالموت أمر وجودي، وليس أمرا عدميا.

وربما عرف الموت على الناحية العدمية بمعنى أن الموت أمر عدمي بأنه: عدم الحياة عما من شأنه الحياة، وحينئذ يكون التقابل بينه وبين الحياة تقابل العدم والملكة[3]، التي تكون أمرا خاصا بصاحبها، إذ تعرف الملكة بأنها: استعداد ذهني أو وجداني لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة[4]، وذلك مما يكشف عن وجود فروق بين الملكة والآلة، التي تعبر عن ذات الملكة، فالسمع ملكة، والأذن آلة لها، ولا يلزم من تعطل الآلة أو عدم وجودها عدم الملكة، وكذلك في الوجود[5].

وبناء عليه: فإن كل روح تتعلق بجسد متميز ولا تخرج عنه إلا إذا حدثت الوفاة النهائية، وأعني بها الموت الذي إذا حدث: فإن الروح لا تعود للبدن عود تدبير إلا في الآخرة،

---

(١) هذا تعريف من يذهب إلى القول بأن الموت أمر وجودي. بمعنى أنه أمر مخلوق موجود. (راجع شرح العلامة الهدهدي ص٩٥) وكذلك حاشية العلامة الدسوقي على شرح أم البراهين ص١٦ ط الحلبي الأخيرة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

(٢) سورة الملك – الآية ٢ .

(٣) شيخ الإسلام عبدالله بن حجازي الشرقاوي – حاشية الشرقاوي على شرح الهدهدي ص٩٠ – طبعة الحلبي الرابعة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.

(٤) المعجم الوجيز باب الميم ص٥٩٠ طبعة وزارة التربية والتعليم.

(٥) والبصر ملكة في المخ والعين آلة لها. وقد تكون العين موجودة، ولكن الملكة معطلة. فيقع العمى بدل الإبصار. وقد فرق شيوخنا بين الآلة والملكة في مواضع كثيرة من كتبهم الكلامية والمنطقية رحمهم الله أجمعين.

وأصحاب القول بالتناسخ الروحي لا يؤمنون بالبعث، ولا باليوم الآخر، فهم كافرون بالبعث(١)، حتى لو زعموا الإيمان بالله رب العالمين.

وفي تقديري: أن علي محمد الشيرازي حين ادعى أنه باب الإمام الغائب، أو المهدي، فقد دخل عالمًا غريبًا دل دخوله إليه، وانطلاقه فيه أنه فقد أهم ملامح التميز الفكري المستقل؛ لأن الولي الحق لا يزعم لنفسه ذلك، ولو زعمه لحبست الولاية عنه، لما هو معروف من أن الولي لله يستحي من الإعلان عنها، حتى لا يفتضح أمره، فتخبوا الأنوار التي كانت تأتيه، وربما يبلغ أمرها حد التلاشي، فيتحول من الولي لله إلى الولي للشيطان والأولياء المخلصون لله تعالى يرفضون الإعلان عنها تمامًا(٢)، أما الأدعياء فهم أولياء الشياطين خصوم رب العالمين.

التاسعة: الزعم بأنه مشخص المولى، أو خالق الحق

مشكلة بعض الناس أن أحلامهم أكبر من إمكانياتهم، فإذا حاول تحقيق بعض الأحلام في دنيا الواقع اصطدم بطبيعة الإمكانيات الضعيفة التي لا يمكنها أن تحقق بعضًا من ذات الأحلام على الناحية الواقعية، وحينئذ يلجأ إلى الخيال الخاص بكل ما أمكنه، يجري فيه مع أحلامه جري حيوانات البرية، وربما انقضى عمره دون أن يتحقق في دنيا الواقع شيء من أحلامه(٣).

---

(١) ذكر الشهرستاني الأشعري: أن أصحاب القول بالتناسخ الروحي من الصابئة وجميعهم من أسباب القول بالتناسخ والحلول. (الملل والنحل ج١ ص١١٣).

(٢) راجع في هذا الشأن للأستاذ محمد عبداللطيف الحسن – ولاية [illegible] وولاية الشيطان ص٩٨، وكذلك لشيخ الإسلام ابن تيمية: الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، وكذلك لابن الجوزي: تلبيس إبليس، فكلها تحدثت عن هذين النوعين من الولاية في شيء من التفصيل.

(٣) هذا مما يعرف لدى البعض من أصحاب الدراسات السيكولوجية، باسم أحلام اليقظة. راجع للدكتورة تهاني مصطفى – علم النفس العام ص٢١٧ طبعة دار الانتصار ١٩٦٧م.

وعلى محمد الشيرازي لما لم تتحقق أحلامه في دنيا الحقيقة، لجأ إلى الهرب بها نحو عالم الأحلام والخيالات، لكنها ليست من قبيل أحلام وخيالات الأصحاء، وإنما هي خيالات وأحلام المرضى فزعم أن جسمه صار مؤهلاً لاستقبال التنزلات العلوية، كما زعم لأصحابه أن الرب تجلى فيه. فصار هو المظهر الجسدي للرب غير المرئي (١)، كما زعم اليهود والمسيحيون من أن الله تجلى في العزير، وتجلى في جسم عيسى ابن مريم.

ثم قرب الشيرازي لأتباعه الفكرة بأنه لما صلى كثيراً، وصام كثيراً، فقد تحول جسده الطيني إلى وعاء نقي صاف يستقبل النور الإلهي: فكما لا نرى التيار الكهربائي إلا في مكثفات جسدية له، ولا ندرك الجاذبية إلا في المظاهر التي تحملها، أو تدل عليها، فكذلك ادعى أن جسمه الطيني صار هو المصور الوحيد الذي يتجسد فيه المظهر الإلهي (٢)، وبعبارة أخرى صار الباب هو الشخص الذي يظهر فيه الرب بصورة يمكن لآحاد الناس أن يتعاملوا معه من خلالها على وجه اليقين، فمن أراد التعامل مع الرب؛ فليقل على ما يقول الشيرازي الذي صار هو الله ذاته.

بيد أن تلك الفكرة ربما كانت صعبة في قبولها بالنسبة لبعض العوام، فتحتاج إلى تقريب وتبسيط، وهو الذي فعله الشيرازي، أما المثقفون ومن لهم إلمام بالعلم الديني، فلم يغرهم ذلك الخيال، وإنما انطلقوا في أثره يتعقبونه، ويظهرون فساده ويوجهون إلى الأخطاء التي تحيط بتلك الأوهام التي هي في مجملها خليط مشوه من الديانات الوثنية والأفكار الوضعية التي ارتضعت الكفر كله، وحفلت بالخيال العارم، كالبوذية والزرادشتية، بل والبرهمية والتناسخية وسائر الوثنيات على وجه العموم.

ولكن على ما يبدو فإن الرجل كان صلب العزيمة، فلم يثنه تعقب العلماء له عن الرجوع للصواب، والابتعاد عن الخطأ، وإنما اندفع فيه بكل ما أوتي من قوة اندفاع المجنون إلى لعبة، وكأنه قرر في نفسه أن الأمر لم يعد يحتمل سوى المواجهة، فأما الانتصار وأما الانتحار أما

---

(١) الأستاذ أحمد فهمي العجمي – التناسخ بين القبول والرفض ص٩٧ .

(٢) الشيخ محمد عبدالعاطي البنائي – التناسخ المرفوض ص٧٣.

الثالث فإنه مرفوع بينهما[1]، والانتصار من وجهة نظره هو التصديق بما يقصه من خيالات، أما الانتحار فهو الخروج عن مجتمع يحميه هؤلاء، وبالتالى فكان الشيرازى يقاتل بأقصى ما لديه من أوجه احتمال، وما فوق الاحتمال أيضاً.

أطلق الشيرازى على نفسه الوصف بأنه خالق الحق، كما زعم أنه مشخص المولى، أو أن الله حل فى جسمه، كما حل فى جسم العذراء مريم، لكنها أخرجت النور الذى دخل جسدها عن طريق ولادتها ليسوع[2]، أما هو فلم يخرج منه ذلك النور الذى دخل فيه، ولم يرحل عنه، ومن ثم فهو ما يزال على نورانيته، فطار به خياله إلى ما هو أبعد مما كان قد خطه لنفسه أول عهده بما أعلن عنه.

ويبدو لى أن الرجل قد امتص الوثنيات التى كانت سائدة فى بلاده بكل ما أوتى من ثقافة، وأنها غلبت على كل ناحية فيه، ثم طلاها بطلاء باطنى فيه الغنوصية[3] كل مجرى، ثم أضاف إليها من نتاج المسيحية المفلسفة ما يتعلق بوحدة اللاهوت[4]، حتى قيل إنه بعد أن بلغ

---

(١) تلك عادة بعض الأفراد الذين لا تحمى مبادئهم شريعة الله، وهم فى كل حال تجار عواطف، أو قتلى أفكار، وأصحاب نزعات عدوانية، طلاب إشباع حاجات وجدانية، أما الأنبياء والمرسلون فلهم شأن آخر، أنهم وحق الله يمدهم الله تعالى بمدد من عنده؛ لأنهم الذين يبلغون شريعته لعباده فنصرهم أكيد من الله تعالى. قال تعالى: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ○ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾(سورة غافر – الآيتان ٥١/٥٢).

(٢) القس غبريال مراد اسحق – سنوات مع يسوع ص١٧ ط كنيسة الأخوة ١٩٥٧م.

(٣) هى نزعة فكرية ترمى إلى مزج الفلسفة بالدين، وتشتمل على طائفة من الآراء المضنون بها على غير أهلها. وتطلق على جماعة من المفكرين فى القرنين الأول والثانى للميلاد، الذين كانوا يزعمون تعلقهم بالباطن، وانصرافهم عن الظواهر. (الأستاذ محمد عبدالدايم – الفكر المنحرف ص١٧١).

(٤) يراد به الخالق عند المسيحية، وعلم اللاهوت هو علم يبحث فيه عن الخالق وصفاته وعلاقاته بمخلوقاته فى المسيحية، ويقابله علم التوحيد عند مفكرى المسلمين. (راجع للأستاذ خيرى رضوان – التوحيد بين المسيحية والإسلام ص١١٢ ط١٣٤٧/٢هـ)

أتباعه ثمانية عشر منهم امرأة واحدة، أطلق عليهم لفظ حي؛ لأن مجموعها بحساب الجمل ثمانية عشر.

وزعم أن وحدة اللاهوت مؤلفة من تسعة عشر أقنوما هي الباب رئيسهم ومعه هؤلاء الأتباع الثمانية عشر، ثم أرسل الباب فيما بعد هؤلاء الأتباع الثمانية عشر إلى كافة البلاد، حتى يكونوا دعاة لمذهبه الذي دعاه، ونحلته التي أنشأها في بلاد الفرس[1]، وأوصاهم بأن تكون دعوتهم موجهة أولا للعامة والبسطاء والدهماء، لأنهم الأسرع لقبول تلك الأفكار والاستجابة لها، ثم إن التأثير عليهم يكون واضحا.

ومن ثم فقد تصور أن هؤلاء الثمانية عشر سوف يكونون في المستقبل دعائم الإعلان عن دعوته، بل أوصى الأتباع أن يتجنبوا ملاقاة العلماء والمثقفين، أو دعوتهم في بادئ الأمر، كما حذرهم من دعوة العلماء والفقهاء، وأن تكون السرية في دعوة العامة والدهماء هي الخط الفاصل بين محبي الشيرازي والناقمين عليه، وكان غرضه من ذلك الالتفاف حول الوازع الديني في نفوس الناس، بل والالتفاف أيضا حول القيادة السياسية، حتى لا تعجل به فينتهي أمر المهدي والمهدوية[2].

في نفس الوقت أوصى أتباعه الثمانية عشر أن يكونوا حريصين على عدم التصريح باسمه مباشرة، ولكن يسمح لهم بممارسة الإعلان عن بعض أوصافه التي لها وجود في فكرة الإمام الغائب والمهدي المنتظر، كما يصرح باسمه، متى استوثق الداعي من المحيطين به وموقفهم حياله، كما يسمح لهؤلاء الدعاة بذكره اسما وأوصافا متى وجدوا لما يقولونه قبولا، وأنسوا منهم رغبة في الانطلاق إليه ومتابعة الأفكار التي يدعون إليها.

---

(١) راجع في ذلك: البابية والبهائية في الميزان ص٥٥.

(٢) راجع في هذا الشأن – المهدي المنتظر ومن ينتظرونه للأستاذ عبدالكريم الخطيب، وكذلك المهدي والمهدية له أيضا، والحركات المهدية للأستاذ خيري نور الدين وكثير غيرهم كتب حول هذه الفكرة.

وربما كان تحذيره لأتباعه من دعوة العلماء والفقهاء البابية أول الأمر راجعا إلى أن يستعملون عقولهم ومعارفهم الإيمانية، ومن ثم. فلن يقبلوا تلك الأفكار، بل يعملون على إنكارها، وبيان فسادها، وربما جندوا أنفسهم لمقاومتها، وهم الأقدر على ذلك فتموت الدعوة التي ينادي بها الشيرازي وهو يخشى عليها[1]، وقد مكن ذلك كله الرجل. حتى صارت دعوته يسمع بها البعض وهم قلة، ويقف لها بالمرصاد البعض الآخر وهم الكثرة.

إذن صدم الرجل الناس في عقيدتهم الدينية، وصارت الأمنيات المعلقة على مثله في إصلاح رجال الدين تتهاوى الواحدة تلو الأخرى حتى أدرك الجميع أن الرجل مزور عواطف يتناقض مع نفسه، ويحارب في كل اتجاه ينقلب إليه، وأنه كان يستعمل عذوبة ألفاظه. ونعومة صوته لترويج أفكاره[2]، مستغلا – بجانب ما سبق – وجود أفكار ناقصة أمكن وضعها في نفوس أولئك الأغرار الذين صدقوا به، وظنوا أنه صار بينهم قديسا.

انقلب الناس عليه – بعد ادعائه الألوهية – وصار مطاردا في كل مكان يصل إليه، غير أنه سارع إلى تكذيب ما نقل عنه في مسألة الألوهية، ثم تنازل عن كونه نبيا مرسلا على سبيل الاستقلال، وفي المقابل تمسك بأنه ذاته محمد رسول الله الذي لم يمت، باعتبار أن رسول الله ﷺ قد انتقل فاحتاج إلى مظهر دائم كان هو ذلك الشيرازي، وهي مشكلة ظهرت عليه، كالشأن مع كل كاذب، تطارده أكاذيبه أينما كان.

فادعى أن الله أنزل عليه كتابا يجمع فيه ما يتعلق بالفقه والشريعة والأحكام كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ، وأطلق عليه اسم البيان، بحيث يكون بديلا عن سيدنا محمد ﷺ، ويكون كتابه البيان بديلا عن القرآن الكريم، محاولا الاستدلال على ما ذهب إليه

---

(١) الأستاذ أحمد فهمي العجمي – التناسخ بين القبول والرفض ص١١٠.

(٢) الشيخ عبدالعاطي محسن نجم الدين – البابية وأخطارها على الإنسانية ص٩١.

بظواهر النقل المنزل في القرآن الكريم من مثل قول الله تعالى: ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾(١) .

فكأن يقول إن أدلة نبوتي قد بشر بها القرآن الكريم، حيث اعتبر نفسه هو الإنسان الوارد قوله تعالى ﴿ خلق الإنسان ﴾ كما اعتبر لفظ البيان الوارد في الآية علمه البيان هو الكتاب الذي يدعيه كبديل عن القرآن الكريم، وهو في كل ما ذهب إليه ملحد، والله عز وجل قد توعد الملحدين بالعذاب الأليم. قال تعالى: ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾(٢) .

إذن هو فسر الآية على وجه يريده هو، بحيث يؤيد بها أغراضه الخبيثة، لا على الناحية التي تجيء شرعا، لما هو معروف عند كل الأفهام ثابت لدى جميع العقلاء أن القرآن الكريم علمه الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾(٣) .

وأنه جل علاه أخبر رسول الله الأمين سيدنا محمد ﷺ أن الحافظ والجامع للقرآن الكريم، والضامن بلوغه قلب النبي ﷺ هو رب العالمين. قال تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾(٤) . فدل ذلك الأمر على أن الإنسان المراد على هذه الناحية من الكمال، الذي لا يوجد الكمال البشري في غيره هو سيدنا محمد ﷺ، وأنه الذي أنزل عليه القرآن الكريم، وأنه القادر على البيان، والإبانة بأجلى بيان من عند رب العالمين.

---

(١) سورة الرحمن - الآيات ٤/١ .

(٢) سورة فصلت - الآية ٤٠ .

(٣) سورة الحجر - الآية ٩ .

(٤) سورة القيامة - الآيات ١٩/١٦ .

ففي مزاعم الشيرازي ما يبين فسادها من أصلها، وينقضها من أساسها، ويهدم ما زعمه قواعد فوق رؤوس أصحابها، وذلك مما جعل الكثيرين ينفرون منه، ويحاولون صده والوقوف في وجهه، والتقليل من شأنه[1]، وإبانة أن رفاقه على ضلال مبين، سواء أكانوا أولئك الذين عرفوه في بوشهر أم الذين تلاقوا معه في شيراز، أم كانوا من ضحايا مجلس الرشتي، كما أن قدرته الخطابية لم تسعفه في إقناع الرافضين له.

في نفس الوقت فإن الأذكار والأدعية التي كان يجيد كتابتها وترديدها هي الأخرى لم تقنع المثقفين، ومن لهم معرفة بأصول الدين بأن ما يقرره فيما يزعمه يعد مقبولاً، بل أكثرت هذه وتلك من حجم المشكلات التي باتت تعترض طريقه[2]، وتهدم مستقبل الأفكار الشيطانية التي أعلن عنها أو راح يهمس بها، أو يدعو إليها.

وكما ذكرت فإن الشيرازي كان سريع الانتقال بأفكاره من حال إلى أخرى، فإذا وجد من يناوئ تلك الأفكار الفاسدة التي دعا إليها على جانب دعواه الإلهية، تراجع وفسر الأمر على أن الناقلين عنه أخطأوا التعبير، ثم يتنزل إلى المرتبة التي قبلها، وهي مرتبة النقطة الملائكية، فإذا وجد القوم لم يهاجموها تمسك بها، أما إذا وجدهم تبرموا بها ونقضوا أيديهم عنها، وأن أسئلتهم يعجز عن تقديم إجابات لها، فإنه يتنزل إلى التي قبلها، وهي النبوة وقد ظل في ذلك التنازل حتى تمسك بأنه المهدي المنتظر، ولم يتنزل عنها واعتبر ذلك هو الرصيد الأخير الذي يمكنه أن يتمسك به، ولا يجوز بحال من الأحوال التنازل عنه.

غير أن الشيعة الاثنا عشرية وقد رأوا من الشيرازي صعودا بأفكاره حتى الألوهية، ثم هبوطا حتى المهدي المنتظر، فقد ازدادت شكوكهم حوله[3] بالرغم من

(١) وقف بعض علماء الإسلام له، لكن وقفتهم لم تتم إلا بعد أن انتشر أمره، وصار له بعض من الاتباع السذج الذين يرددون مقالاته، ويذيعون بعضها على استحياء تارة وفي غير خجل أخرى.

(٢) الشيخ عبدالعاطي محسن نجم الدين – البابية وأخطارها على الإنسانية ص٩٣ – ط١٣٣٧/١هـ.

(٣) الشيخ محمد عبدالعاطي البنائي – التناسخ المرفوض ص٧٢ .

أن دعواه المهدية لا تتصادم مع الأفكار التى كان يعلنها الاحسائى زعيم الشيخية من قبل، وكم بشر بها الرشتى الذى يمثل الامتداد المتواصل للاحسائى .

إلا أنهم لما اكتشفوا هذه التنازلات فيه، راحوا يتساءلون عنه وعن ماضيه، ومدى انطباق صفات الإمام الغائب أو المهدى المنتظر عليه، حتى انتهوا إلى أن فى دعوة الباب الجديدة خروجا على عقيدتهم الثابتة فى شريعتهم الموروثة عن شيوخهم والمستقرة فى أعرافهم، فالمهدى الغائب هو محمد بن الحسن العسكرى، وهو محجوب بجسده، وإن مر على غيبته ألف سنة أو أكثر، ولا يضر هذا مخالفته للسنن الطبيعية، فإن الخضر وإلياس عليهما السلام فيما احتجوا به يعيشان فى الدنيا منذ آلاف السنين، دون أن يحتاجا إلى طعام وشراب، ودون أن يتعارض هذا مع النواميس الكونية(١) .

بناء على ما سلف فقد نظر الشيعة الاثنا عشرية إلى الشيرازى ودعوته الساذجة نظرة أخرى، فيها الكثير من ألوان السخط(٢) والتبرم والاستنكار لكل ما يقوله، حتى اتهمه بعضهم بالفسق، بينما اتهمه البعض الآخر بالجنون، وفى نفس الوقت فقد رماه آخرون بالكفر، ومن كان ذلك شأنه فلابد أنه سيكون بينهم مهدر الدم(٣)، غير مقبول الإقامة خطل الرأى ضعيف العقل كافراً بالله رب العالمين .

خشى الشيرازى من مواجهة علماء الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، الذين صحت عندهم أحاديث المهدى، واستقرت فى أعماقهم أوصافه، وتواترت بينهم علاماته، وأن مطلعه من الكوفة، أو من بين الركن والمقام بمكة على ما هو مدون فى مؤلفاتهم التى بأيديهم، وهم يحرصون كل الحرص عليها، ولا يسمحون لأحد بتجاوزها؛ لأنها صلب عقيدتهم فى الإمام الغائب المهدى المنتظر .

---

(١) الدكتور حسن محرم السيد الجوينى – البابية والبهائية والقاديانية فى المعابير الإسلامية ص٢٠/٢١.

(٢) السخط هو الغضب مع الكره الشديد، بحيث لا يرضى عن شيء منه أبدا (المعجم الوجيز باب السين ص٣٠٥).

(٣) الأستاذ عباس أفندى – مقالات سائح ص١٧ نقلا عن البابية والبهائية والقاديانية ص٢١ .

فحاول الرجل أن يجعل هذه الصفات تنطبق عليه، ذكر البعض أنه اصطحب الثمانية عشر الذين يمثلون دعامة الداعين له، ثم خرج بهم من الكوفة إلى مكة، بحيث يكون خروجه منها حتى تنطبق عليه صفات المهدي، فلا يكون لهم اعتراض على سلوكياته، ولكن هذه الحيلة منه لم تستر خفاياه؛ لأن اسمه علي محمد رضا البزاز الشيرازي، أما المهدي المنتظر عندهم فهو محمد بن الحسن العسكري، ثم إن المهدي عند الشيعة سيكون موجودا معه المسيخ الدجال، متى ظهر ليقاتله، ولم يوجد المسيخ الدجال مع الشيرازي، فصار من العسير على الباب إيجاد هذه الأمور الواضحة، ولو عن طريق البدائل، بل إن ذلك صار من الأمور المستحيلة التي ساهمت في كشف ألاعيب الشيرازي وأكاذيبه على كل ناحية.


الفصل الرابع
موقف العلماء
والحكومة منه

تمهيد

ذكرت فيما سلف أن الباب على محمد رضا الشيرازى قد صدم الناس فى عقيدتهم الدينية، وذلك بالأفكار المنحرفة التى نادى بها أو دعا إليها، أو أرسل أتباعه الثمانية عشر للقول بها، ومنها أن الباب هو النقطة الأولى والمثال الأعلى المبشر بجمال ربنا الأبهى جل ذكره وعز اسمه، وأنه قام بالأمر وهو ابن خمس وعشرين سنة(١)، وكانت هذه الأفكار تصادم العقيدة الدينية الإسلامية لدى الشيعة عموما، فقد حركت تلك المزاعم ما فى صدور العلماء عليه، وجعلت الفقهاء يتتبعون تصرفاته، ويرفضون الآراء التى يبثها دعاته.

كما أن الجو العام لم يكن يسمح بمثل تلك الدعاوى من الناحية السياسية أيضا؛ لأن كثرة أتباع الباب ستدفع هؤلاء الأفراد المنحرفين إلى استعمال القوة والعنف فى تنفيذ مخططاتهم التى شرعوا فيها، وأقاموا أفكارهم عليها، كشأن أية جماعة تريد النيل من النظام السياسى القائم تحت أى اسم تعلن عنه، وربما يظل القائمون على قيادة الدولة، غير ملتفتين لتلك الجماعة مادام خطرهم مقدورا عليه، أو لم يتجهوا به نحو السلطة القائمة، أما إذا اتجهوا به إليها، أو شعر القائمون على السلطة بأن وجود هذه الجماعة سوف يتهددهم؛ فإنهم يسارعون للقضاء عليها حتى لو استخدموا هم الآخرون أى اسم فى طريق ذلك القضاء وبلوغ ذات النهاية(٢).

(١) أبو الفضائل الجرفادقانى – الحجج البهية ص١٢٧ طبعة المحفل البهائى الروحانى المركزى بمصر ١٣٤٣هـ/١٩٢٧م. وكان أبو الفضائل هذا داعية البهائية الأول فى مصر، والبهائية وريثة الأفكار البابية، والاتجاه واحد، وهى كلها منحرفة، ولا تعبر عن اتجاه يقوم على الشرع الإسلامى أبداً.

(٢) من أمثال ذلك فى مصر الإسلامية الحبيبة وجود جماعات غرضها كرسى الحكم، ولكنها استخدمت اسم الدين بغية الوصول إليه كجماعة التفكير والهجرة، وجماعة النهى عن المنكر، وجماعة التبليغ، وجماعة صالح أبو سليم وغيرها من الجماعات التى انتشرت فى مصر أبان نهايات القرن الماضى، وكلها تهدف إلى كرسى الحكم، مستغلة اسم الدين فى الوصول إليه، وكانت السلطات تسكت عنها أول الأمر، طالما كانت بعيدة عن السياسة، أما إذا اتجهت نحوها، فإن الصراع معها يكون حتميا، والقضاء عليها يصير أمنا قوميا.

إذن؛ لم يشغل الشاة محمد سلطان البلاد ذهنه بما أعلن الباب وما تدعوا إليه جماعته، طالما كان ما يدعيه الباب وجماعته متعلقا بالأمر الذى لا يخص شئون الدولة، وكان هذا يمثل نوعا من التسامح غير المعلن مع الباب، سمح له أن يتحرك فى البلاد الإيرانية شيراز، وأصفهان، وبوشهر، وغيرها من المدن والقرى التى أمكنه الوصول إليها، كما سمح له بجمع الأموال التى تعينه على ما يدعيه، وينفق منها بسخاء على أبتاعه، ولا مانع من إغراء البسطاء والمحرومين بما لديه من أموال[1] خاصة متى كانت الظروف الاقتصادية فى مرحلة متدنية، ودخل الفرد العادى يقترب من حد الفقر.

فلما اشتد عود نحلة الباب المنحرفة، وصار يقترت منها البسطاء والدهماء طمعا فى ما تعطيه من مال، بجانب بعض من المثقفين الذين رأوا فى الانضمام إليها وسيلة من وسائل التنفيس عن النفس، بجانب الطمع فى بعض المساهمات المالية التى كانت تدفع لأتباع هذه النحلة بسخاء من باب تقريب النفوس، وتأليف القلوب، والوصول إلى ما تتطلع إليه العقول.

---

(١) الأستاذ محسن عبدالحميد لبيطة – الدعوات العنصرية فى القرن العشرين ص١٩٣ ط أولى ١٩٨٧م، وكانت تلك الظروف فى بلادنا حيث أمكن لتلك الجماعات أن تجمع أموالا كثيرة باسم إطعام الفقراء أو كفالة الأيتام، أو مساندة شعوب البوسنة والهرسك وأفغانستان وغيرها، ثم استفاد أفراد تلك الجماعات من هذه الأموال كلها أو بعضها، حتى صار لبعضهم من الأعمال التجارية الكثير، بجانب العقارات والأرصدة فى البنوك، والأسهم فى الشركات، وبخاصة العاشر من رمضان والسادس من أكتوبر، مع أنهم قبل انضمامهم لتلك الجماعات كانوا لا يجدون القوت الضرورى إلا بصعوبة بالغة، وهم ما أكلوا إلا حراما، وما استغلوا إلا الأبرياء، وما أكلوا إلا من مال البسطاء، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به. فقد روى العلامة المتقى الهندى فى كتابه: كنز العمال – الإكمال من ملحق في ذم الحرام – الحديث رقم:٩٢٦٦– عن ابن مسعود قال: قال ﷺ : من أكل لقمة من حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة، ولم تستجب له دعوة أربعين صباحا، وكل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به، وإن اللقمة الواحدة من الحرام لتنبت اللحم » وذكر الإمام العجلونى فى كشف الخفاء – حرف الميم – الحديث رقم: ٢٦٣٢ – « من نبت لحمه من حرام – وفي لفظ من سحت فالنار أولى به » وقال: رواه مسلم عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه.

◈ **وربما يقال: من أين لهم بالمال، وما هى مظاهر وجود هذا المال بين أيديهم؟**

❋ **والجواب:** أن الباب لما تخلى عن تجارته بعد الإفلاس، لم يكن معه مال، وأنه رفض معونة خاله المالية، وبالتالى فقد صار فقيرًا معدما، وكان ذلك من تخطيطه قبل الإعلان عن نحلته، فلما أعلن عنها بدأت الأموال تجرى بين يديه، من باب العطف عليه تارة، ومن باب الدعم الأجنبى الراغب فى زعزعة الدولة المسلمة الصفوية فى إيران، بدليل أنه لما قرر الذهاب إلى مكة حتى يحج وينشر دعوته من البيت الحرام؛ حين علم أن المهدى تظهر دعوته من بين الركن والمقام[1] كان معه مال كثير أمكنه أن يحمل معه عددا من هؤلاء الأتباع للحج معه، وكان ذلك كله من ماله الذى وجد بين يديه.

وقد اصطحب معه فى هذه الرحلة جمعا من أصحابه على نفقته الشخصية، كما استأجر سفينة لتقلهم وحدهم، فمن أين جاء بهذه الأموال إذن، إن لم تكن هناك عمليات دعم مالى من الداخل والخارج؟

كما أنه لما لم يوفق لهذا الحج، حيث غرقت السفينة التى كان يركبها، رجع إلى بوشهر بلدة خاله[2]، فاستأجر الباب دارا كبيرة أمام دار خاله، ونزل بها مع رجاله، وبعث منها دعاته مرة أخرى إلى كل من شيراز وأصفهان[3]، فمن أين له بتلك الأموال؟ لا بد أنه استغل الناحية الدينية على أوسع نطاق، حتى يضمن تدفق تلك الأموال التى تساعده على اجتذاب الفقراء، واقتراب المحرومين، ليكونوا من خواص دعاته إلى النحلة التى يريد أن يكون زعيما لها.

ويذهب البعض إلى أن يدا أجنبية قد امتدت إلى الباب والبابية، فأمدتهم بالمال الوفير، كما وفرت لهم الحماية التى يحتاجون إليها أول الأمر وظلت تلك الإمدادات والحماية قائمة

---

(١) الشيخ مصطفى محمد الطير – البابية والبهائية فى الميزان ص٥٩ .

(٢) لما هو معروف من أن البلد الذى ولد به الباب هو شيراز؛ ولذا نسب إليه. وأنه انتقل منها إلى بوشهر بعد وفاة والده، حيث كفله خاله، راجع من هذا الكتاب الفصل الأول.

(٣) الشيخ مصطفى محمد الطير – البابية والبهائية فى الميزان ص٥٩ .

حتى انتشرت النحلة بين أفراد كثيرة من شعب إيران، سواء أكانت تلك الإمدادات فى السر أم فى العلن، وأنها كانت من السخاء بمكان[1].

ويشكك الأستاذ الخطيب فى أن تكون هناك يد أجنبية هى التى أمدتهم بالمال، فيقول: « يتساءل بعض الناس عن تمويل هذه الدعوة والإنفاق على هؤلاء الدعاة الثمانية عشر، فى تنقلاتهم ومعيشتهم، ويرى بعضهم أن من وراء ذلك يدا أجنبية -إنجليزية أو روسية - وأن تلك اليد الأجنبية هى التى أوجدت البابية والبهائية، ثم يقول، وأنا أرى فى ذلك مبالغة، فالأجنبى أعجز من أن يوجد مثل هذه التيارات الدينية، ولكنه يستغلها بعد وجودها ويشجعها إذا رأى فى ذلك مصلحة له »[2].

غير أن ما تشكك فيه إنما ينصب على إيجاد تلك التيارات لا على إمدادها بالمال اللازم، والحماية السياسية أو الأدبية، والفرق بين الاتجاهين واضح، ولكنى أميل إلى أن هناك مساعدات مالية كبيرة قد تمت لهم، وأنها كانت مقصودة، سواء أكانت آتية من داخل البلاد، عن طريق أهلها، أم من خارج البلاد عن طريق عملاء للدول الأخرى الذين يهمهم إضعاف الدولة الإسلامية، وذلك عن طريق إمداد مثل تلك النباتات الشيطانية بما يساعدها على تحريك الثورات داخل الوطن الواحد، وزرع أعواد الشقاق بين أفراده .

✽ إذن خرج أتباع الباب على الإطار العام، وراح الباب نفسه يتحرك فى بعض البلاد الإيرانية، يتحدث عن نحلته، والكل يوجه اتهامات للسلطة القائمة، فالتف حوله بعض الأغرار الذين لهم وجود غير منظم، حتى أحدثوا من المشكلات السياسية والاجتماعية ما دفع بالسلطة السياسية والتنفيذية إلى اتخاذ خطوات معنية تجاه تلك النحلة، انتهت بإعدام الباب رميا بالرصاص من خلال المراحل التالية.

---

(١) الأستاذ محمود محمد شعيب - البابية الحركة والهدف ص٣٧ - طبعة أولى ١٩٤١م.

(٢) الأستاذ السيد محب الدين الخطيب - البهائية ص١٠ .

عرفنا أن الباب أعلن عن نحلته عام ١٢٦٠هـ، وأنه استطاع أن يجمع حوله فريق عمل من ثمانية عشر رجلا، وفيهم امرأة واحدة، وهم الذين أعلنوا تصديقه في مزاعمه الكاذبة، حتى صار يرمز هو إليهم بكلمة (حى) باعتبار أن حرف الحاء بحروف علم الجمل يدل على العدد تسعة عشر، وهو العدد الذي تبناه الماسونية وأحدث في البلاد الإسلامية فتنة العدد ١٩[1].

فلما أرادت حكومة إيران تنفير الناس منه، قررت إذاعة ذلك الانحراف عنه، وربط ذلك بالماسونية والصهيونية وطبيعة العقل الجمعي أن ينفر عمن يخالف اتجاه السلطة متى كان في ذلك شيء من المساس بالعقيدة الدينية، وحتى تضمن حكومة إيران السير في ذات الاتجاه؛ قامت بنفي بعض من ينتسبون للبابية ممن أغرتهم دعاوى أحد الثمانية عشر.

في نفس الوقت؛ فإن الحكومة الإيرانية سعت لإيقاع الباب في جماعة الفقهاء، كما أطلقت لهم الحق في الفتوى بالنسبة للأمور المتعلقة بما يدعيه، وبالتالي فلما وصل دعاته إلى شيراز وجدوا من فقهائها نوعا من الاستعداد للمواجهة وليس المحاورة، بدليل أن هؤلاء الدعاة كانوا يحملون رسالة من الباب إلى الشيخ أبي تراب كبير فقهاء شيراز وهو في ذات الوقت شيخ الصوفية فيها[2]، الذي كان يقول بالعلم المتميز الذي حظي به آل البيت، والحكمة

---

(١) راجع كتابنا: أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ص٢٢١. وفيه حديث مستقل عن فتنة هذا العدد داخل البلاد الإسلامية. وراجع أيضا فتنة العدد (١٩) للمستشار حسين ناجي - ط الكويت ١٩٨٦م.

(٢) كان شيخ شيوخ الفقهاء وكبير الصوفية، يتبركون به، ولا يقتطعون في رأى إلا بأمره وينتهيهم في كافة أمورهم. وكان يقول بالحكمة العالية والعلم المتميز راجع علماء شيراز في القرن الثاني عشر للشيخ حكمت الله محمد الشيرازي ص٨٧ وما بعدها.

العالية التى أفاضها الله على سيدنا محمد، ثم انتقلت منه إلى أعقابه الذين كانوا جميعا من فاطمة(١).

فلما سلموه الرسالة من الباب؛ ثار الشيخ ثورة عارمة، ثم جمع العلماء وشيوخ الصوفية وحدثهم عن الباب ونحلته، وعبأ شعورهم تعبئة كافية بالعداء الشديد على هؤلاء المهووسين وزعيمهم، ثم فض رسالة الباب أمام العلماء فإذا هى دعوة من الباب إلى أبى تراب يدعوه فيها إلى الإيمان به بمعنى أنه النبى الشيرازى، والمظهر الإلهى، فكانت هذه الرسالة بمثابة الشرارة التى انطلقت فى وجوه هؤلاء الفقهاء، فأسرع كل منهم إلى إصدار أحكام التكفير والتفسيق على الباب، ومن يعتقد اعتقادات نحلته(٢)، وطالبوا الحكومة الإيرانية المسلمة بإنزال أشد العقوبات عليه وأتباعه.

اتخذ الفقهاء قرارهم بضرورة مكاشفة والى شيراز، بما يدعوا إليه هؤلاء المنحرفون، وتبصيره بخطورة هذا الضال وعصابته على السلطة الحاكمة والدينية أيضا، وأنه إذا لم يتخذ بشأنهم موقفا صارما؛ فإن هؤلاء الفقهاء والصوفية ربما رفعوا الأمر إلى الحكومة، أو إلى الشاة نفسه فى طهران، أو الباب العالى فى الدولة العثمانية، حتى يتم حسم أمر هؤلاء المنحرفين، وكان هذا الوالى من الدهاة السياسيين، الذين فيهم براعة خاصة، فأوصاهم أن يقوموا بدورهم فى تبصير الناس بأخطار الباب، ونحلته على الناحية الشرعية، أما هو كوال فإنه سيتولى باقى المهمة على الناحية التى يملكها، فقام العلماء والفقهاء بفضح الباب ونحلته من كل جانب، حتى باتت نفرة الناس منهم وابتعادهم عنهم أمرا واقعا ملموسا(٣)، فكانت تلك النفرة الناجحة بمثابة الخطوة الأولى فى مراحل القضاء على الباب ونحلته.

---

(١) العلامة محمد مهدى شمس الدين – ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها السلبية ص١٤٦ .

(٢) الأستاذ محمود محمد شعيب – البابية الحركة والهدف ص٤٢ .

(٣) وممن وقع عليهم التعذيب بالباطل هو الإمام أحمد بن حنبل ﷺ، ومسالة القول بخلق القرآن الكريم وجلده معروفة فى كتب علم الكلام وغيرها من السير. (راجع للعلامة العليمى المنهج الأحمد فى أتباع الإمام أحمد – تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبدالحميد).

المرحلة الثانية: إعلان فتاوى العلماء بأنهم مرتدون

شأن الساسة المحترفين إذا أراد الواحد منهم التخلص من مصدر القلق بالنسبة له، أن يسارع بالحصول على فتوى دينية تدينه حقا أو باطلا، بحيث إذا أوقع به العقاب الذي يتمناه يرد الأمر فيه إلى الفقهاء والعلماء، حتى لا يؤاخذه أحد بما جنت يداه(١)؛ لأنه في حالة الاقتصاص عليه إنما ينفذ فتوى الفقهاء ورغبة العلماء، وينفذ ما اتفق عليه الفقهاء، والعلماء وهم أهل الحل العقد.

وقد سار إلى شيراز هذه المسيرة، حيث كان شديد الصرامة، فأرسل إلى الدعاة الذين بعث بهم الباب إلى شيراز، فلما حضروا بمجلسه سألهم عن الأمور التي نسبت إليهم، فلم يخفوا ما جاءوا من أجله إلى شيراز، وإنما صارحوه بكل شيء وأخبروه أن زملاءهم من أتباع الباب قد انطلقوا إلى مدن أخرى كأصفهان وغيرها، وأن دعوتهم مركزة في الإيمان بما يدعوا إليه الباب من نسخ النبوة والشريعة والأحكام والقرآن بما جاء للباب، وأنزل عليه في كتابه البيان، بل وربما حاول هؤلاء الأغرار إقناع الوالي ذاته ودفعه إلى الإيمان بالباب ودعوته(٢)، كأنهم يريدون أن تعلن أفكارهم من خلال هذا الوالي وأمثاله.

أعجب والي شيراز بشجاعتهم وتمنى لو كانت في الحق، ثم استضافهم في دار الولاية يوما، حتى يجمع العلماء والفقهاء، وأظهر للدعاة المنحرفين نوعا من التعاطف معهم، دون أن يخبرهم بأنه سيجمع العلماء والفقهاء حتى يروا فيهم رأيهم(٣)، فلما اجتمعوا له أخرج

(١) الأستاذ على محمد هاشم – البابية نهاية مخزية ص٨٣ .

(٢) الشيخ نصر الدين محمد البنغالى – البابية الأصول والفروع ص٧٣ – طبعة دار رضوان ١٣٣٧هـ.

(٣) لأن من تعاليم الباب إلى دعاته أن لا يناقشوا العلماء، ولا يعرضوا دعاواهم على الفقهاء؛ لأن هذه الجماعات العلمية والفقهية قادرة على كشف الضلالات. فلو علم هؤلاء الدعاة أن الوالى سيجمع لهم العلماء والفقهاء لما قبلوا الاستضافة فى دار الولاية بإرادتهم، وإنما كانوا سيعملون على الهروب منها.

إليهم الدعاة الذين استضافهم فى دار الولاية، ثم سأل الدعاة بنفسه وأمام الفقهاء والعلماء بشأن ما يقولون به، كأنه يريد إقرار القاعدة بأن الاعتراف سيد الأدلة.

وفى محفل من العلماء والفقهاء ودون تردد أو خوف دعا هؤلاء الضالون الوالى والعلماء والفقهاء إلى الإيمان بالباب والتصديق بكل ما يدعوا ليه، من أنه النبى الشيرازى، وأنه المظهر الإلهى، وأنه نسخ الشريعة والأحكام، وفوق ذلك فهو صاحب مقام خالق الحق، الذى جمعت له كل الصفات الإلهية: فثار الفقهاء والعلماء عليهم، وأصدروا فتاواهم بأنهم مرتدون، يجب قتلهم ولا تقبل لهم توبة أبدا[1]، ورأى العلماء كذلك أن القضية ليست هى مجرد القبض على بعض البابية ومعاقبتهم مهما يكن خطرهم، بينما زعيمهم الباب لا يزال حرا طليقا، يتحرك بحرية فى البلدان الإيرانية، ويستقطب كل يوم أتباعا جددا، فقاموا بتنبيه الحكام إلى خطورة هذا الأمر[2]، وبينوا لهم أن القضاء على الباب هو الذى ينهى قصة هؤلاء، أما القضاء على الأتباع فربما دفع غيرهم إلى القيام بنفس أدوارهم.

نفذ الوالى فى هؤلاء الدعاة جزء من فتوى العلماء، فأمر بقطع العصب من كعوبهم، ثم ألقاهم فى السجن، وأخبر الحكومة فى طهران بما جرى، ويبدو أن السلطة القائمة استحسنت ذلك الفعل المنصف فى العقوبة، إذ كان الأجدر بالوالى تنفيذ الحكم الفقهى كله، بقتلهم حدا، أما وأنه قد فعل جزءا من العقوبة، فلابد أن هناك شيئا أخر ستقرره الحكومة المركزية فى طهران[3]، وذلك مما يؤكد أن دعوة الباب كانت الحكومة على شيء من العلم بها، ولكنها لم تلتفت إليها أول الأمر، لكونها بعيدة عن الجوانب السياسية.

رأت السلطة الحاكمة فى إيران أن البابية قد أصبحت خطرا على أمر الدولة الصفوية وعقيدتها، حيث قد نشطت دعوتهم، وكثر أتباعهم، وانتشرت آراؤهم المتطرفة فى

---

(١) الأستاذ على محمد هاشم – البابية نهاية مخزية ص٩٧.

(٢) الدكتور حسن محرم الحوينى – البابية والبهائية والقاديانة ص٦١.

(٣) الأستاذ عبدالباقى محمد ثروت – حكومات طهران فى القرن التاسع عشر ص١٣٧ – طبعة الدار القومية باكستان ١٩٢١م.

إيران وخارجها، فلم تجد الحكومة الإيرانية بدا من تعقبهم وملاحقتهم، فقبضت على بعضهم ممن رأت فيهم ثقلا ينعكس على ترسيخ البابية وتنشيط حركتها[١].

غير أن الشاة محمد قد أوعز إلى أحد مستشاريه برغبته فى التخلص من الباب ونحلته بالطرق التى لا تظهر، إدانة الحكومة فيها، أو لا يظهر لحكومة الشاة فيها يد[٢]، وأن هذه الرغبة قد وصلت الوالى فى شيراز، فقام هو الآخر بممارسة ذلك بالطريقة التى رآها محققة لأغراض القيادة السياسية، ولكن فى شيء من البطء فى التنفيذ، حتى لا يؤاخذ هو الآخر بأحكام تجرى فى مفاهيمهم العامة.

المرحلة الثالثة: إدانة الباب وحبسه

كلف الوالى فى شيراز رجاله بضبط الباب - بناء على مطلب الفقهاء والعلماء الذين ساءهم استمراره حرا طليقا - طالما كان فى حدود المدن والقرى الواقعة فى التبعية لشيراز، حتى لا يقع الوالى فى الاتهام بممارسة أعمال خارج نطاق ولايته، وكان الباب فى تلك الفترة مقيما بمدينة بوشهر التى بها خاله، حيث نزل أول الأمر بها، حين حملته أمه إليها، حتى يكفله خاله حين كان صغيرا بعد وفاة أبيه[٣]، ثم نزل إليها مع جماعته الذين يذيعون أخباره ويتمسكون بدعواه، وكان يود معاونة خاله له فى الأمر الذى يدعو إليه، أو ينضم إلى نحلته على الوجه الذى تقع به المساندة.

غير أن ذلك الخال قد تغيرت أحواله، كما بلغه خروج ابن أخته على الشرع فى دعاواه الكاذبة الضالة، فلم يقبل إقامتهم معه، وإنما قابلهم بالجفاء وإعلان رغبته فى عدم استضافتهم، بل احتقرهم؛ لأنهم صدقوا مزاعم ابن أخته الذى يعانى خطرات مرضية

(١) الدكتور حسن محرم الحوينى - البابية والبهائية والقاديانة ص٦١.

(٢) الأستاذ عبدالباقى محمد ثروت - حكومات طهران فى القرن التاسع عشر ص١٣٩.

(٣) لطالب المزيد الرجوع إلى ما سبقت كتابته فى هذا الباب عند الحديث عن نشأته.

هى إلى الجنون أقرب، وسارع بطردهم وإعلان كفرهم وضلال ما يدعون إليه[1]، بل كان ذلك الحال على قدر من الكياسة؛ لأنه بذلك أبعد نفسه عن دائرة الاشتباه.

نجح الباب فى استئجار دار فى مواجهة دار خاله، لتكون مركزا ينطلق منه الدعاة البابيون إلى باقى البلاد الإيرانية وخارجها أيضا؛ بغية الكيد لخاله من ناحية، والحصول على نوع من الحماية غير المعلنة، مع تأكيده على مزاعمه، واستمرار دفعه لأعوانه من بوشهر، حتى تكون هى المركز الذى تنطلق منه دعوته المزعومة[2]، وفيما بعد تنسب إليها فى جزء أو مرحلة من مراحلها.

إذن من الناحية الجغرافية كانت إقامة الباب فى حدود ولاية شيراز، فلما وصل رجال الوالى إليها، طلبوا من الباب المثول بين يدى الوالى حسين، دون أن يخبروه بالغرض من ذلك، بل غمز إليه بعضهم بأن دعوته نالت من الوالى بعض القبول، وأنه لو نجح فى إقناع الوالى بها، فربما انضم إليه، وساعده فى الإعلان عنها، دون خوف من أحد، فكان ذلك أحد الدعائم التى جعلت الباب يسارع فى لقاء ذلك الوالى المحنك.

وصل الباب إلى شيراز فى صحبة رجال الوالى حسين، فقابله الوالى أول الأمر مقابلة طيبة وأكرمه[3]، حتى أنزله دار أبيه التى ولد فيها، وأجرى عليه بعض الأرزاق، بغرض أن تطمئن نفسه من جهة، ويفكر الوالى فى كيفية التعامل مع بطل النحلة من جهة أخرى؛ لأن

---

(١) راجع البابية والبهائية لشيخ الإسلام الخضر الحسين وجمع من علماء الأزهر الشريف وبخاصة الجزء لذى كتبه الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير.

(٢) الأستاذ محمود محمد شعيب – البابية الحركة والهدف ص٤٥ .

(٣) ويذهب الدكتور الجيوشى إلى: « أن الوالى استقبل الباب أسوأ استقبال من رميه بكل نقيصه إلى لطمه والبصق فى وجهه، حتى إن الباب قد استبد به الخوف، وأحاطت به الذلة من كل جانب، ويعتبر تلك الرواية حقيقة، فيعقب عليها بقوله: وعلى الرغم من كفر الباب واستحقاقه للقتل إلا أن البصق فى وجه أدمى مهما كان كفره أمر تأباه سماحة الإسلام وشريعته، التى تأمر بالعدل حتى مع الأعداء. ومن العدل أن يقتل المرتد بكفره، ولكن ليس من العدل أن يبصق فى وجهه، ثم يتلمس العذر للوالى، فيقول: لعل الغيظ من كفر الرجل وتماديه فى الشر هو وأتباعه قد جعل الحاكم يقدم على هذا التصرف الغاضب. » (البابية والبهائية – القسم الأول ص٦٢/٦٣) ولست أوافقه حكايته، كما لا أوافقه على الأعذار التى تلمسها مادامت الحكاية لم تصح عند الثقاة من الناقلين، فليس من السياسة مهاجمة الباب قبل أن يستند الوالى على رأى فقهى يكون فى مواجهة الباب وفى ذات الوقت.

ذلك من طرائق الحكام محترفي السياسة، فإنهم لا يأخذون خصومهم غرة، طالما كان هؤلاء الخصوم قد أثروا في غيرهم، ولهم أعوان غير معروفين على ناحية العدد والإقامة[١]، ومن جهة ثالثة حتى يأخذ الإشارة الصريحة من حكومة طهران بما ينتهي إليه الأمر.

وفي ليلة طلب الوالي حسين والي شيراز الباب دون أن يعلم الوالي أحدا بذلك، فلما دخل عليه الباب ألان له الوالي الداهية وجوه الكلام، وبالغ له في الإكرام، حتى أبدى في ذلك اللقاء السري نوعا من الأسف المقبول على ما حصل منه مع دعاة الباب الذين حضروا إلى شيراز، واحتال على الباب فيما قام به من إكرام وتباك، وإظهار الندم[٢]، وقد كان الوالي في كل ما قام به ممثلا بارعا، وسياسيا محنكا، أمكنه إتقان دوره وتأديته بنجاح[٣].

ويذكر المؤرخون أن الوالي ادعى للباب أنه رأى في منامه شخص الباب وهو يقول له: يا حسين إني أرى نور الإيمان يلوح في وجهك، فاستيقظت من نومي وفي قلبي حلاوة الإيمان بك، وها أنذا بين يديك، فإن تعف فبفضلك، وإن تقضي فبعدلك، وكان في كل ما حكى مخادعا للباب، إذ لم يقع له شيء من ذلك، وإنما افتعله على سبيل الخداع للباب والتمثيل عليه.

أجل كان الباب كاذبا في كل شيء، فلم يكشف ما يدور في ذهن الوالي الممثل وما إذا كان صادقا فيما يزعمه أم هو كاذب، ففرحت نفسه بما خدعه به الوالي، حتى قال الباب موجها حديثه للوالي: طوبى لك ثم طوبى لك، لقد رأيتني في اليقظة لا في المنام، وأنا الذي كنت أخاطبك بنفسي، ثم جعل يمدحه ويثني على إيمانه، حتى قال له: إني أعدك وعدا واقعا أن أجعلك سلطان الروم، يقصد بذلك سلطان الدولة العثمانية، بعد امتلاكي الدنيا

---

(١) الدكتور محمد عبدالقادر يسري – فن السياسة والسيطرة على الآخرين ص١٨٧ طبعة دار مصباح ١٩٦٥م.

(٢) وذلك شأن كل الولاة الذين خبروا الحياة وطحنتهم السياسة، حتى إنها بلغت بهم مبلغ القدرة على التعامل مع الأحداث باستمرار، فهم ينظرون للحياة نظرة فيها اللولبية مع المرونة، والصرامة في آن واحد. لكن على جهات متباينة.

(٣) الأستاذ يحيى محمد اليوزدجي – الباب وحسين الداهية ص١٧ طبعة الدار النعمانية.

بجذافيرها وإخضاعي الملوك[1] لسلطاني، حيث لا يكون لأحد في هذه الدنيا سلطان آخر، والباب بهذا يكشف عن رغبته في الدنيا شأن أصحاب الدعوات المنحرفة والآمال الكاذبة.

وفي المقابل استمر الوالي في الخداع الذي وقع فيه ذلك الساذج، فأمطره بالكلام المعسول، وأحاطه بالعبارات التي فيها إبراز التكريم له مع التجلية والاحترام، وما كان الوالي في كل ذلك إلا مخادعا للباب، مستغلا ضعف قدراته العقلية التي هبطت به إلى أدنى حد، وقد سر الباب هو الآخر بما سمعه من الوالي إلى حد كبير، جعله يتخيل أن الوالي نفسه قد آمن به، وصدق مزاعمه، وصار واحدا من أتباعه[2]، وبخاصة بعد أنزله الوالي في منزل واسع فسيح مع من حضر من دعاته، وأظهر لهم جميعا الإكرام، وما كان يفعل معهم ذلك إلا استدراجا لهم، حتى إذا أراد إنفاذ أمر الفقهاء فيهم كانوا في قبضته وتحت سلطانه.

وإمعانا في ممارسة الخداع الذي قام به الوالي حسين مع الباب، توسل إلى الباب أن يكف دعاته عن الانطلاق إلى البلاد الأخرى داعين لنحلته، خوفا عليهم من ثورة الفقهاء الجامدين وأهل شيراز، حتى يتمكن الوالي من جمع الأتباع الكثيرين له، وإظهار أمره بقوة السلاح، فاستحسن الباب ذلك الرأي، وأذعن لنفس الأفكار[3] التي كانت يمهد بها الوالي للقضاء التام على فتى شيراز المارق، وأفراد نحلته الذين فقدوا قدرتهم على القيادة الصحيحة لأنفسهم، ومعرفة إمكانياتهم.

طلب الوالي العلماء والفقهاء ومعهم جمع من الوجهاء، حتى يكونوا أمة واحدة في مواجهة الخطر الذي يتهدد بلادهم من داخلها، فاجتمع له في ذلك الوقت عدد كبير، فعرض

---

(١) الشيخ مصطفى الطير - البابية والبهائية في الميزان ص٦١ بتصرف يسير.

(٢) الأستاذ يحيى محمد اليوزدجي - البابية وحسين الداهية ص ١٩.

(٣) الشيخ مصطفى الطير - البابية والبهائية في الميزان ص٦٢.

عليهم ما كان منه مع الباب، ولم يحدثهم عن ممارساته التي تمت له في السر[1]، ولكنه اكتفى بعرض الآراء التي ذكرها الباب على مجلس الحاضرين، ثم طلب منهم أن يحكموا الشرع في المسائل المتنازع عليها، وكأنه يريد أن يذبح الباب لكن باسم رجال الفقه والوجهاء، لا باسم السلطة السياسية أو رجال الحكم، حتى يقع لأحد أفرادها اللوم على النتائج المترتبة.

طلب الوالي حسين من الباب الحضور لمقابلة هؤلاء العلماء، وأفهمه أنه اجتمع إليهم ليمهد له الأسباب، حتى ينضموا إليه، وما عليه إلا أن يأخذهم باللين، ويتعامل معهم بالحكمة، بل وعده أن من آمن منهم بأنه نبي وأنه مظهر الألوهية نجا، ومن انقلب على وجهه وكفر بالباب فقد وجب قتله[2]، وهكذا احتال الوالي حسين على الباب الساذج مرة أخرى، فخرج هذا المغفال إلى العلماء والفقهاء كأنه قد انتصر عليهم، وهو الحقيقة مخدوع، وخرج معه كذلك أصحابه الذين أمكنهم الوصول إلى شيراز، ومشاركة الباب في الإقامة داخل البيت الذي أعده لهم الوالي حسين في نفس المدينة، وتعامل مع العلماء لا على أنه متهم، وإنما على أساس الخديعة التي وقع فيها، وأنه مظهر الإله في الأرض[3].

بلغت به الحماقة مبلغا أعمى عن معرفة ما يدور بين يديه، أو ما تحت قدميه من أخطار تحيط به، وكأنه تصور استطاعته في كسب بعض السذج إليه، أو استمالة عطف البعض عليه.

---

(١) حكى كتاب البابية والبهائية بعض السلوكيات التي قام بها الوالي مع الباب من جثي الوالي على ركبتيه، وذرف الدموع من عينه، إلى غير ذلك مما فيه تمثيل وتوسلات، هي في مجملها لا تليق بالوالي مهما كان سياسيا داهية، أو ضعيفا منهارا، ولذلك لم أنقلها؛ لأن ذلك مما لا يتناسب مع الوالي المحنك. وإن كان ذكرها يتناسب مع القصاص وهواة الأخبار الغير مكتملة فنيا.

(٢) الأستاذ محمد محمود شعيب – البابية الحركة والهدف ص٤٦ ، وراجع البابية والبهائية ص٦٢ .

(٣) الأستاذ يحيى محمد البوزوجي – الباب وحسين الداهية ص٢١ .

وفى تقديرى: أنه كان يستطيع الإفلات من قبضة الوالى حسين، لو أنه اصطنع الحيلة وغلب الشيطان الذى يدفعه للخسران، إذ كان يكفيه إعلان التوبة عن الأفكار التى يرددها، وحينئذ كانت المسائل التى تتربص به انقضت، ولكنه أصر على مواقفه السلبية وأفكاره الهزيلة، التى راح جواسيس الاستعمار الروسى وعملاء الإنجليز يجعلونه منشيئا بها[1].

على كل؛ فإن الباب قابل العلماء والفقهاء بطريقة غير لائقة، حيث وجه الاتهامات إليهم، كما رماهم بالنقائص وكان قاسيا فى كل ذلك، مما دفع بالعلماء إلى إعلان غضبهم عليه - أمام الوالى الذى حاول امتصاص غضب الجموع الثائرة - والإفتاء بكفره، مع وجوب قتله، وكل من ينتسب إليه بحد الردة إعمالا للحديث الشريف: «عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة)»[2].

---

(١) ويذهب بعض الدارسين إلى أن الجواسيس الروس والإنجليز كان لهم فى إقامة البابية والإعلان عنها دور كبير ابتداء من النفخ فى الباب نفسه إلى التجميع للأتباع حوله، وكذلك إمدادهم بالمال اللازم، وتوفير الحماية الأمنية لهم، وانتهاء بمحاولة تفادى وقوع القتل على الباب. (راجع فى ذلك الشأن: الباب وحسين الداهية ص٣٠/٣٥. البابية الحركة والهدف ص٥١/٥٧. والبابية والبهائية ٦٠/٦٦)

(٢) الإمام البخارى - صحيح البخارى - ج٥ - باب: قول الله تعالى:. الحديث رقم:٦٤٨٤ - وأخرجه مسلم في القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، رقم: ١٦٧٦، وأخرجه الترمذى بسننه - ١٠ - باب ما جاء لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث. الحديث رقم:١٤٢٣ - وأخرجه ابن القيم - تهذيب سنن أبي داود - ص١٥٩٧ ـ باب الحكم فيمن ارتد - الحديث رقم:٤٣٤٣ ـ والمراد بـ: [(لا يحل دم امرئ) لا يباح قتله. (النفس بالنفس) تزهق نفس القاتل عمدا بغير حق، بمقابلة النفس التي أزهقها. (الثيب الزاني) الثيب من سبق له زواج، ذكرا أم أنثى، فيباح دمه إذا زنى. (المفارق) التارك المبتعد، وهو المرتد. وفي رواية (والمارق من الدين) وهو الخارج منه خروجا سريعا. (التارك للجماعة) المفارق لجماعة المسلمين].وأخرجه ابن ماجة بسننه - (١) باب لا يحل دم امرئ مسلم إلا في ثلاث - الحديث رقم:٢٥٣٤-بلفظ « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا أحد ثلاثة نفر: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة » وذكره الإمام السندى فى حاشية السندي على النسائي- ص١٨٨١ ـ باب ذكر ما يحل به دم المسلم - الحديث رقم:٤٠١٥ ـ بلفظ « والذي لا إله غيره لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا ثلاثة نفر التارك للإسلام مفارق الجماعة والثيب الزاني والنفس بالنفس »

غير أن الوالى حسين كان على قدر من المرونة والدربة السياسية، فطالب العلماء والفقهاء بمناظرة الباب فى كل ما يدعو إليه، مناظرة علمية مفتوحة، حتى يكون موقفه واضحا أمام الرأى العام، الذين ربما بلغتهم الشائعات عن صحة دعواه، فانضموا إليه دون وعى لما لأخطار ما يدعون الله[1]، وكأن الرجل يريد أن ينفض الجميع أيديهم عن مناصرة هذا الباب المنحرف، وأتباعه الذين فقدوا أبسط أنواع القدرة العقلية على التمييز.

استجاب العلماء لما طلب الوالى، فدفع الباب إليهم كتابه البيان وبعض الرسائل الأخرى التى زعم أنه أوحى إليه بها، فلم يجد العلماء فيها شيئا ذا قيمة، بل كانت كلها تحمل الأخطاء من كل ناحية، وتحمل الكفر بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ، كما تحمل القول بنسخ الشريعة الإسلامية، والإعلان بأن الباب هو المظهر الحقيقى المتجرد لله رب العالمين[2]، إلى غير ذلك من الأفكار الوثنية التى إذا اعتقد مسلم مؤمن شيئا منها؛ حكم عليه بالردة.

أعلن العلماء رفضهم لتلك الكفريات، فما كان من الباب إلا أن رماهم بالجمود والجهل والخروج من الإيمان، وشاركه فى هذا أتباعه وجمع من العامة وأصحاب الغوغاء، الذين لا يعنيهم الوصول إلى الحق، بقدر ما يعنيهم الإعلان عن شجاعتهم الكاذبة، وإرادتهم الفاسدة، ومعتقداتهم التى لا توزن إلا بميزان الكفر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد من التجاوز، وإنما خرج الباب مهددا العلماء والفقهاء بقوله: اسمعوا لى وأطيعونى فإنى لكم من الناصحين[3].

---

(١) كثيرا ما يفعل ذلك أصحاب العقل الجمعى، الذى ينساقون خلف غيرهم تقليدا لهم، واتباعا مع أن الله تعالى حذر من ذلك. قال تعالى: ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴾ سورة الأنعام – الآية ١١٦ .

(٢) الشيخ السيد عبدالله حسين – نظرات فى الفكر المنحرف – البابية ص٩٥ ط١٩٦٢/٢م. وراجع كذلك للأستاذ عوض محمد داود – البابية حركة هدامة ص١٣٨ .

(٣) الأستاذ محمود محمد شعيب – البابية الحركة والهدف ص٥٢ .

غير أن الفقهاء، ومعهم العلماء أظهروا فساد أقواله على كافة النواحي، مما دعاه إلى الهياج، ومحاولة التعدي على العلماء والفقهاء، ومعه بعض الأتباع، فما كان من الوالي حسين إلا أن طلب إلى الباب أن يكتب أقواله التي يدافع بها عن كتابه البيان والرسائل التي يزعم أنه أوحي إليه بها على أن تكون دفاعاته كالمذكرات التوضيحية، أو التفسيرية التي تلحق بالقوانين والقرارات المعمول بها في ظل الدول ذات القوانين التي تسير عليها أمور حياتهم[1] المنظمة للشئون الإدارية والسياسية، بل والاقتصادية والعسكرية والثقافية أيضاً.

قام الباب إلى غرفة بعيدة عن مجلس الوالي والفقهاء، ثم دون دفاعاته عن دعاواه التي أعلنها، وكتابه الذي ادعاه، ورسائله إلى زعمها، كما قدم وجهة نظره في الاتهامات التي وجهها الحاضرون إليه، وقد استغرق ذلك منه وقتاً قارب الثلاث ساعات، والكل ينتظر خروجه، لعله يؤوب إلى رشده، ويتوب عن غيه، ففي ذلك خير له ولمن معه، لكن عماه العقلي والوجداني غلب كل شيء عنده.

✿ فلما خرج من الغرفة رفع للفقهاء والعلماء ما كتب بطريقة غير مقبولة، فنصحهم الوالي بتجاوز ذلك على أن ينظروا في دفاعاته وأوراقه، بعيداً عن التأثر بسلوكياته، فلما أخذوا في مراجعتها تبين لهم أنها:

[أ] مجموعة من الأغلاط خالية من المعاني، فاسدة المباني، ركيكة الألفاظ، خاوية الهدف[2].

[ب] مجموعة من الكفريات الاعتقادية، التي امتلأ بها عقله من الثقافات الوثنية، التي عايشها فترة طويلة، حين يعمل كان يعمل السحر والتنجيم[3].

[جـ] مجموعة من الأوهام التي تخرق التكاليف الشرعية، حيث تدعو إلى إلغاء الصلاة والزكاة والصوم والحج، وتهدم أركان الإسلام كلها[4].

---

(١) الأستاذ يحيى محمود - البوزيجي - الباب وحسين الداعية ص٣٧.
(٢) الأستاذ محمود محمد حبيب - البابية الحركة والهدف ص٨١.
(٣) الأستاذ علي محمد هاشمي - البابية نهاية مخزية ص١١٩.
(٤) الأستاذ يحيى محمد البوزيجي - الباب وحسين الداعية ص٤٢.

[د] مجموعة من العناصر الوثنية الاستحلالية التي تدعو إلى ممارسة الجنس مع المحارم، ولا تعطي للأسرة أدنى حقوق مشروعة، حتى تأكد الجميع أنها تمثل صورة من الفكر اليهودي الذي كتبه الوثنيون باسم اليهودية الموسوية، وهي منه براء[١].

[هـ] مجموعة من السلوكيات الشاذة، والأخلاق المنحرفة التي تسمح بارتكاب الموبقات ابتداء من الكذب والسرقة، وتدخين الحشيش، وتعاطي المخدرات، وإباحة المحرمات، وارتكاب الجرائم بجانب استعمال الألفاظ السوقية في التعبير عن الأغراض والاحتياجات الطبيعية، إلى غير ذلك من المسائل الشاذة[٢]، التي تعبر كلها عن عدم التزام القائلين بها أية ناحية أخلاقية.

رأى الوالي حسين أن ما دونه الباب لا يعطي لأحد فرصة للتعاطف معه، بل أوجب على كل مسلم أن ينبذه، كما أوجب على الحاكم المسلم معاقبته، باعتبار أن ذلك من واجباته الشرعية، ففي الحديث الشريف «من رأى منكرا فليغيره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[٣]، والوالي في هذا الموقف يستطيع تنفيذ حكم الله تعالى فيه، فصار تغيير المنكر بيده مع هذا المارق واجبا شرعيا.

---

(١) ليوتاكسيل – التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٩٧ – ترجمة حسان ميخائيل. وراجع للأستاذة نجلاء مصطفى بدوي – الدوافع في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها أثناء الحديث عن دافع الجنس في العهد القديم – ماجستير – بإشرافنا – معهد البحوث والدراسات الآسيوية بجامعة الزقازيق ٢٠٠١م.

(٢) لمزيد من التفصيلات يراجع: البابية نهاية مخزية ص١١٢/١١٥، البابية الحركة والهدف ص٦٧/٧١.

(٣) الإمام مسلم – صحيح مسلم – (٢٠) باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجبان – الحديث رقم: ٧٨ – (٤٩) وراجع تحفة الأحوذي، شرح جامع الترمذي، لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري – ١٤٤٧ – باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو اللسان أو بالقلب – الحديث رقم: ٢٢٠٠ – وراجع حاشية السندي على النسائي للإمام السندي – ٢٢٣٣ – باب تفاضل أهل الإيمان – الحديث رقم: ٥٠٠٦ – وقال السندي: [قوله: (فإن لم يستطع) تغييره وإزالته بيده «فبلسانه» أي فلينكر بلسانه (فبقلبه) أي فليكرهه بقلبه وليس المراد فليغيره بلسانه وقلبه إذ اللسان والقلب لا يصلحان للتغيير عادة سيما بالنظر إلى غير المستطيع (وذلك) أي الاكتفاء بالكراهة بالقلب (أضعف الإيمان) أي أضعف أعمال الإيمان المتعلقة بإنكار المنكر في ذاته لا بالنظر إلى غير المستطيع فإنه بالنظر إليه هو تمام الوسع والطاقة وليس عليه غيره والله تعالى أعلم» وذكره في نفس الباب الحديث رقم: ٥٠٠٧ عن أبي سعيد الخدري قال ﷺ: «من رأى منكرا فغيره بيده فقد برئ ومن لم يستطع أن يغيره بيده فغيره بلسانه فقد برئ ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ وذلك أضعف الإيمان» وذكر العلامة محمد شمس الحق العظيم، آبادي أبو الطيب – في عون المعبود، شرح سنن أبي داوود – ٣٩٠ – باب الخطبة يوم العيد – الحديث رقم: ١٢٤٠ – والإمام ابن ماجه في سننه – باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الحديث رقم: ٤٠١٣ – بلفظ عن أبي سعيد الخدري قال: قال ﷺ: (من رأى منكم منكرا. فاستطاع أن يغيره بيده. فليغيره بيده. فإن لم يستطع، فبلسانه. فإن لم يستطع، فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان).

غير أن بعض الحاضرين مجلس الوالي، قد اعتبر الباب من ضعاف العقول، وبالتالي فإن ما ذكره بلسانه أو سجله بقلمه؛ يعتبر دليلا على مرض عقله، والشرع رفع التكليف عن المجانين، واعتبرهم من أصحاب الأعذار، فقد روى أن رسول الله ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل".»[١] .

وفي رواية أخرى: عن ابن عباس قال:« قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: أو ما تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون المغلوب

---

(١) الإمام أبو داود – سنن أبي داود -- كتاب الحدود -- باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا – الحديث رقم: ٤٤٠٣ ج٤ص١٣١(تحقيق صدقي محمد جميل – طبعة دار الفكر بيروت ١٩٩٤م) عن أبي الضحى، عن علي ﷺ. وأخرج في الباب نفس الحديث رقم: ٤٣٩٨ ـ عن عائشة رضي الله عنها « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن المبتلى حتى يبرأ، وعن الصبي حتى يكبر".» وروى أيضا في نفس الباب الحديث رقم: ٤٤٠٢ـ عن أبي ظبيان، قال هناد: الجنبي قال:« أتي عمر بامرأة قد فجرت، فأمر برجمها، فمر علي رضي الله عنه فأخذها فخلى سبيلها، فأخبر عمر فقال: ادعوا لي عليا، فجاء علي رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين. لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ" وإن هذه معتوهة بني فلان، لعل الذي أتاها أتاها وهي في بلائها، قال: فقال عمر: لا أدري. فقال علي رضي الله عنه: وأنا لا أدري » . وأخرج الإمام الترمذي بسننه (وشرح العلل) – باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد، في الحديث رقم: ١٤٤٦ عن الحسن عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «"رفع القلم، عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشب، وعن المعتوه حتى يعقل"» وذكر ابن ماجة بسننه – باب طلاق المعتوه والصغير والنائم، في الحديث رقم: ٢٣٥٢ عن عائشة :«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ. وعن الصغير حتى يكبر. وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق)».

على عقله حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم؟" قال: صدقت قال: فخلى عنها. »[١].

ولما لم تكن التعليمات الصريحة بقتل الباب حدا قد وصلت من الحكومة المركزية في طهران فقد أمر الوالي حسين بإدخاله السجن، حتى ترى فيه الحكومة والشاة الرأي، فإما تعزيز بتكرير حتى يتوب، أو قتله حدا وتنتهي المسألة برمتها، شاملة الباب وأتباعه الثمانية عشر، وكل من يؤيد تلك الآراء المنحرفة مادام قد أعلن عنها وتمسك بها.

المرحلة الرابعة: تعزيره بالسجن

تبين للوالي حسين أن الباب لم يعد يمكن السكوت عليه، وأن فضائحه ونحلته بلغت الزبى، فراح يؤنبه ويحتقره ويتناوله بالألفاظ القاسية، بدل أن كان يلاطفه، وفي نفس الوقت كال له القول بالجهل، والغرور والابتداع، ومما قاله له: أيها الجاهل المغرور: ما هذه البدعة السيئة التي أحدثتها في الإسلام، وكيف تدعي الرسالة أو المهدوية، وتفضل نفسك على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وتدعي أن كلامك الفاحش أبلغ وأفصح من القرآن الكريم، مع أنك عاجز على إظهار ما يكنه ضميرك بالعربية، فلأعزرنك ولأعذبنك، حتى ترجع عن غيك وتهتدي إلى رشدك، أو تموت في سجنك[٢]، فيرتاح الناس من فتنتك.

ثم أمر الوالي به فأخذ من المجلس بشكل فيه المهانة، حتى أدخله الحراس السجن في قلعة ماكو بعد أن تلقى من الإهانة ما لا يقبله حر، ولو كان هذا الباب المنحرف صاحب قول صدق لواجه أشد المواقف، وهو رافع الرأس، رابط الجأش، ولكن من أين له ذلك وهو

---

(١) الإمام أبو داود - سنن أبي داود - كتاب الحدود - باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا - الحديث رقم: ٤٣٩٩

(٢) الأستاذ يحيى محمود اليوزدجي - الباب وحسين الداهية ص٤٥، والبابية والبهائية في الميزان ص٦٤.

يعيش فى الأكاذيب، ويدرك فى قرارة نفسه أنه كاذب فى دعواه، وأنه منفذ لمخطط قد رسم له(١) من قبل أعداء الإسلام، الذين نفخوا فيه بالأمانى الكاذبة.

فى تلك الآونة قرر أتباع الباب عقد مؤتمر عام يعد له الدعاة الثمانية عشر إعدادا كاملا، بحيث يحضرون - الأتباع الثمانية ومن آمن بالباب وصدق بدعوته - جميعا فى مكان واحد، ويتخذون فى ذات المؤتمر قرارات لها قوة القانون، بحيث تلتزم بها الحكومة، فكان ذلك هو المؤتمر المعروف باسم مؤتمر بدشت(٢)، وقد حضره الدعاة الثمانية عشرة وكل من اعتنق آراء هذا المنحرف، بجانب تجميع إدارة المؤتمر وقيادتها فى أيدى الزعماء:

(١) ملا حسين البشروئى الملقب بباب الباب.

(٢) ملا محمد على البار فروشى الملقب بالقدوس.

(٣) ميرزا حسين على المازندرانى الذى لقب فيما بعد بهاء الله وصار هو ربهم الأعلى قاتلهم الله أنى يؤفكون.

(٤) أم سلمى خانم زرين تاج بنت ملا صالح القزوينى البرقانى التى يسمونها قرة العين ويلقبونها بالطاهرة(٣).

إذن الوالى سمح للساجنين بتعذيب الباب بالقدر الذى لا يزهق روحه، فلعل الحكومة المركزية لا تريد القضاء عليه الآن، أو لا تسرع به، ويذكر المؤرخون أن السجانين فى

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى - البابية والبهائية - القسم الأول ص٦٣.

(٢) بدشت: منطقة صحراوية بإيران، واقعة على نهر شاهرور بين خراسان ومازندران، وهى التى انعقد فيها مؤتمر البابيين الأول بغرض الإعلان عن نحلتهم، وانطلاق قوتهم وإنقاذ الباب من سجنه. والكشف للحكومة الإيرانية عن بعض مظاهر القوة التى يتمتع بها البابيون.

(٣) الأستاذ محب الدين الخطيب - البهائية ص١١ - ويذكر أن خانم لفظ يفيد التأنيث، ولفظ خان يفيد التذكير. كما أن بيكم تأنيث بيك، وخانم اصطلاح إيرانى انتقل إلى الترك ومنهم إلى مصر بلفظ هانم. وبيكم اصطلاح هندى فالميم فى الكلمتين للتأنيث.

شيراز قد فرشوا للباب جلود الشياة فى فناء الدار التى حوكم فيها قبالة البهو الذى كان فيه المجلس، وربطوا رجليه على خشبه، وجعلوا يضربونه بالأعواد الصلبة وهو يستجير ولا يجار، حتى كاد يغمى عليه، فاستغفر مما جنى وتاب[1]، وكان هذا التعذيب والتعزير جزءا من العقاب الذى تقرر فى ذهن القيادة التنفيذية الممثلة فى الوالى[2]، على ما هو بين من طريقة تعاملهم معه.

لكن الباب - كما قلت - مريض بعقله، فما أن يسترد عافيته بعد العقاب الذى وقع عليه إلا ويعود إلى تكرار ما كان يعلنه من دعاوى كاذبة، وأوهام لا مكان لها إلا فى عقله المريض، فيتكرر العقاب عليه، وفى كل مرة يشتد نوع العقاب، وتتعدد ألوان التعذيب، دون أن يصل به إلى أن زهاق روحه، وفى أواخر سجنه بشيراز أرسل السجين للوالى من يخبره بأمره، وأنه خلع تلك الأفكار من رأسه إلى الأبد.

فأراد الوالى الاستيثاق من الخبر عن طريق الممارسة الفعلية، فأخرج الباب من السجن وأنزله فى الدار التى كان قد أنزله فيها من قبل، ثم طلب إليه أن يحاور العلماء والفقهاء مرة أخرى، فربما تنازل عن تلك الآراء والأفكار المشوهة أمامهم، والجمع الذين حكموا

---

(١) الشيخ مصطفى الطير - البابية والبهائية فى الميزان ص٦٥.

(٢) المعروف أن الدول التى تسير على نظام توزيع القيادة تقوم على وجود أنواع من السلطات:

الأولى: السلطة التشريعية: ومهمتها سن القوانين والقرارات والتشريعات، التى تنظم العمل، ويحتكم إليها أهل تلك البلاد، ومن يعيش معم، وتتمثل فى مجلس الشعب ومجلس الشورى عندنا فى مصر. بجانب القرارات التى يصدرها رئيس الدولة فى الأوقات الاستثنائية، ولها قوة القانون.

الثانية: السلطة السياسية: - وهى التى تقوم بضبط علاقات الدولة مع الدول الأخرى، وتعتبر مسئولة عن الأمن السياسى داخليا وخارجيا، كاتخاذ قرارات الحرب والسلم والمقاطعة، إلى غير ذلك، وهى فى مصر تتمثل فى رئيس الدولة ونائبه، ومجلس الوزراء ومجلس المحافظين. ١

الثالثة: السلطة التنفيذية: ومهمتها تنفيذ القوانين ومراقبة ضرورة القيام بتنفيذ الأحكام التى تصدرها السلطة السياسية والتشريعية، وتتمثل فى وزارتى الدفاع والداخلية.

عليه من قبل بالكفر(١)، فربما وجدوا له طريقا يدخل منه للتوبة، والمعروف أن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة الصادقة تقطع هي الأخرى ما قبلها، ففي الحديث الشريف: « عن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: إن الإسلام يجب ما كان قبله؛ والهجرة تجب ما كان قبلها »(٢).

جمع الوالي إليه العلماء والفقهاء مرة أخرى وأخبرهم بأن الرجل ربما كان مريضا بعقله، وأن ما حدث منه في الماضي عوقب عليه، فهل لهم في محاورته مرة أخرى، حتى يقولوا رأيهم فيه، فأجابه الفقهاء إلى ما جمعهم إليه، وطلبوا أن يقابلوا الباب، فأعد لهم الوالي المجلس حتى يلتقوا به، فما أن خرج الباب عليهم هذه المرة إلا كان أسوأ من ذي قبل، حيث غضب منهم، ووجه الاتهامات إليهم؛ لأنهم وصفوه بالجنون تارة والكفر أخرى.

ثم صرخ في وجوه الحاضرين قائلا لهم: إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن(٣)، فهاكم كتابي البيان فاقرءوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن، فثار غضب العلماء لما سمعوه من تطاول الباب وكفره(٤)، وكان الأجدر به أن يصلح في هذا اللقاء ما أفسده في لقاءات سبقت، لكن عمى القلب الذي أصابه، فضح ما يخفيه، وكأن الله تعالى

---

(١) الأستاذ يحيى محمود اليوزجي – الباب وحسين الداهية ص٥٧ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى ج: ٩ ص: ١٢٣ – الحديث رقم: ١٨٠٦٩، مسند أحمد ج: ٤ ص: ٢٠٤ – الحديث رقم: ١٧٨٤٦ .

(٣) وهو بهذا التصريح يكذب بالسنة النبوية المطهرة الصحيحة وينكرها، وجودا ودلالة. مع أن الله تعالى قال: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ [سورة الحشر – الآية ٧] وقال ﷺ: « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » (راجع كنز العمال للمتقي الهندي – الباب الثاني في الاعتصام بالكتاب والسنة – الحديث رقم: ٨٨٠ وهذا جزء من حديث طويل)، وإجماعنا نحن أهل الإسلام على أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة هما النقل المنزل من عند الله تعالى – وهما معا مصدر واحد في التشريع الإسلامي – فمن كفر بواحد وآمن بآخر فهو كاذب بهما معا، لأنهما جزءان لشيء واحد. (راجع في هذا الشأن كتابنا: دفاع عن السنة النبوية المطهرة ج١ ص٥٧ ط١٩٩١/١م).

(٤) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص٦٦ .

يقول لنا فيه وأمثاله: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[1].

يقول الإمام القرطبي: «قوله تعالى: "أرأيت من اتخذ إلهه هواه" عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من إضمارهم على الشرك وإصرارهم عليه مع إقرارهم بأنه خالقهم ورازقهم، ثم يعمد إلى حجر يعبده من غير حجة. قال الكلبي وغيره: كانت العرب إذا هوي الرجل منهم شيئا عبده من دون الله، فإذا رأى أحسن منه ترك الأول وعبد الأحسن؛ فعلى هذا يعني: أرأيت من اتخذ إلهه بهواه؛ فحذف الجار. وقال ابن عباس: الهوى إله يعبد من دون الله، ثم تلا هذه الآية. قال الشاعر:

لعمر أبيها لو تبدت لناسك ∴ قد اعتزل الدنيا بإحدى المناسك
لصلى لها قبل الصلاة لربه ∴ ولارتد في الدنيا بأعمال فاتك

وقيل: "اتخذ إلهه هواه" أي أطاع هواه. وعن الحسن لا يهوى شيئا إلا أتبعه، والمعنى واحد. "أفأنت تكون عليه وكيلا" أي حفيظا وكفيلا حتى ترده إلى الإيمان وتخرجه من هذا الفساد. أي ليست الهداية والضلالة موكولتين إلى مشيئك، وإنما عليك التبليغ. وهذا رد على القدرية»[2]، وفيها تسلية أيضا للنبي محمد ﷺ، بحيث لا يحمل نفسه عبئا فوق الأعباء التي حملها الله عليه من تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله.

لم يمهله الوالي هذه المرة، وإنما أمر به فجر من المجلس جرا مهينا، وعلق من ساقيه كما تعلق الشاة المذبوحة، وانهالت عليه الضربات من السجانين الأشداء الذين أغاظتهم مواقفه المتعددة في الكفر بالله ورسوله، والعناد الذي لا حيلة له به، وكان كلما اشتد به الضرب صرخ مستغيثا بطريقة فيها الاستجداء الرخيص، والتنازل المهين على عادة الجبانين، وكان يتلوى في التعليقة على أشكال تلوي الحية[3]، حتى كادت تزهق روحه، ولو

---

(١) سورة الفرقان - ٤٣/٤٤.

(٢) العلامة القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - (ج٢/ص٣٣٥).

(٣) الأستاذ على محمد هاشمي - البابية نهاية مخزية ص٩٧.

كانت الغلبة له على الفقهاء بالحجة والمنطق؛ ما فعل به أحد ذلك، فبان كذبه وفسقه وكفره بالله رب العالمين.

ومن ثم تسقط مزاعم الجرفادقانى التى يقول فيها: لعمرى لم يجدوا مغمزا فى آياته، وشبهة فى كلماته، إلا أنهم قالوا فيها ما يخالف قواعد النحو والصرف، ويخرجها عن حدود الفصاحة والبلاغة، وهو جل ذكره أفحمهم بما جاء مثله فى القرآن الكريم والسفر القديم[1]، فهى مزاعم كاذبة حرص أتباع البابية على إلهاء العامة بها، ولو كان زعيمهم صاحب عقل سليم أو فكر مستقيم؛ ما أوقع نفسه فى هذا الكفر الذى نطقت به كلماته وفاحت نتنها من عباراته.

يقول الكاظمى القزوينى: « إن حمل الآيات القرآنية الأحاديث النبوية وصرفها عن ظواهرها بلا قرينة قطعية، لفظية كانت أو حالية أو عقلية كما يرتكب البابيون والبهائيون لإثبات مدعياتهم شيء لا يجوز فى عرف التفهيم والتفهم وإلا لانسد باب التفهيم بالتصرف فى كل كلام وهو معلوم البطلان، والبابيون يوردون الآيات والروايات، ويصبون عليها من آرائهم ما يشتهون، وإن كان لا يساعدهم عليه العرف واللغة، ولا يقره العقل والمنطق، كما يجد ذلك كل من راجع كتبهم »[2]؛ لأنهم يعتمدون على الغش والخداع ترويج كذبهم، واستعمال ألفاظ موهمة لإقناع العامة والسذج، وهم فى كل ما يقولون كاذبون.

---

١) أبو الفضائل الجرفادقانى – الحجج البهية ص١٢٨، ويعتبر هذا من أكبر دعاة البهائية فى وقته. وله العديد من المؤلفات التى يدافع فيها عن البابية والبهائية والأفكار المنحرفة ومن أهم تلك الكتب : الحجج البهية. الفرائد الذى ذكر فيه محاورات العلماء للباب. وزعم أنه أفحم العلماء فيها، والمؤسف له أن هذه الكتب ترجمت إلى العربية وطبعت بمصر أيضا، من خلال المحفل البهائى.

٢) السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى – البهائية فى الميزان ص٢٢/٢٣ طبع على نفقة المحسن السيد حسين السيد هاشم.

أمر الوالى بإنزاله من الخشبة، وفك قيوده والكف عن تعذيبه، ثم أمر كبوه دابة شوهاء بطريقة معكوسة، فكان وجهه للخلف، وظهره للأمام؛ إهانة له، وأن يذهبوا به إلى المسجد وهو على ذات الحال، وأن يمروا - وهم فى طريقهم للمسجد - بالسوق الكبير؛ حتى يراه الناس، وهو على تلك الحال من المذلة والمهانة، تشهيرا به وتحقيرا لشأنه[1]، لكن هذه الغاية لم تبلغ فى عوام الناس المبلغ الذى فى ذهن الوالى، بل كانت لها بعض النتائج السلبية، انعكست فى تعاطف بعض هؤلاء العوام، مع الباب المدعى الكاذب، وقد ظهر ذلك التعاطف فى الأموال التى جمعت للدفاع عنه، والوسائل التى بذلت فى إخراجه من سجن شيراز.

على كل؛ فلما وصل المسجد الكبير، وجد فيه العلماء والفقهاء، ومن معهم من الوجهاء وقد امتلأ بهم المسجد عن آخره، فأمره قد أعد له فى الوالى بالصعود إلى منبر المسجد وإعلان توبته وفساد مزاعمه، وكذب دعاواه وبطلانها، ففعل دون تردد، ثم نزل من فوق منبر المسجد، فراح يقبل أيدى العلماء شيخا بعد آخر، وفقيها بعد فقيه، وهو يبكى ويتوسل شأن المعتوهين أو المجانين - بطريقة مهينة جدا - فلما وصل إلى الشيخ أبى تراب راح يقبل يديه ورجليه ورأسه، ويكرر التوبة والندم على ما بدر منه[2]، ولو كان عاقلا ما تصرف هذا النوع من التصرف الذى لا يدل إلا على سذاجة صاحبه، وجنون عقله، وعلى هذا فقد انتهى به الأمر إلى أن ألقى به فى ظلمات السجن من جديد[3].

---

(١) الأستاذ عبدالرحمن الوكيل - البهائية تاريخها وعقائدها ص٨٥.

(٢) الشيخ فارس عبدالعاطى ثعيلب - الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام ص١١٣ طبعة الدار العثمانية ١٣٢٣هـ.

(٣) الاستذا عبدالرحمن الوكيل - البهائية وعقائدها ص٨٦.



الفصل الخامس

مؤتمر بدشت[1]
ودوره فى دعم البابيه

---

(١) انعقد مؤتمر بدشت فى عام ١٢٦٤هـ. وانتهى فى نفس العام، لكن كان لـه دور فعال فى دعم الأفكـار الإلحادية، وتنمية الرغبات الانحلالية التى دعا إليها البابية، وظهرت فى دنيا الأفكار داخل إيران أبان تلك الفترة. وكـان لها تأثير سلبى واسع على أصحاب تلك البلاد.

تمهيد

سبق القول بأن أتباع الباب ومن يقفون خلفه قد أفزعهم أمر اعتقاله في قلعة ماكو، وأنهم قد أصابتهم دهشة؛ لأنهم يرون فيه المصلح لما فسد، المجدد لما بلى، ومن ثم فما كان يجب تقييد حركته، أو الوقوف في وجه نحلته، بل كان يجب تقديم العون لهم، وبدون كافة ألوان المساعدة التي تحقق الغايات المنشودة منه، وتلبي احتياجات تلك الأمة الفارسية من جديد وتجعل أحلامها وآمالها واقعاً محسوساً.

على كل؛ فقد كان لاعتقال الباب، وسجنه في قلعة ماكو بشيراز رد فعل معاكس لدى أتباعه، وكان من المتوقع أن يرعبهم هذا الموقف من السلطة الحاكمة، ويحد من نشاطهم الدعائي له ودعونه، ولكن الأمر جاء عكس ما يتوقع، فقد ازداد نشاطهم، وطفقوا يقومون بالدعوة إليه جهراً، وينتشرون في مختلف الأماكن والبلدان، بل إنه قد أضيف إلى مهامهم وواجباتهم قبل زعيمهم المسجون مهمة أخرى، هي واجب إنقاذه من سجنه، وتخليصه من قيود أسره، فانتهوا إلى ضرورة عقد مؤتمر لبحث ذلك الأمر وغيره من الأمور التي يمكن أن تبحث لصالح الدعوة البابية على النحو الذي تصوروه، وهم في كل ما ذهبوا قد كذبوا[1].

إذن؛ لابد من الخروج عن دائرة الصمت والغضب الداخلي، إلى دائرة الكلام وإعلان الغضب الظاهري، فلعل الوالي والحكومة يقدران خطورة الموقف، وأن دعوة الباب يجب قبولها، والتعامل مع الرجل على أنه مجدد ومصلح، لا على أنه خارج عن القوانين المعمول بها، أو بعيد عن العقائد الإسلامية القائمة؛ «لأنه فيها يقوم بدور المجتهد، وليس من شأن أحد إفساد خطته، وحتى يغنموا انحياز الكثيرين إليهم، أعلنوا – الثمانية عشر داعيا ومن معهم – عن انعقاد

(١) الدكتور حسن محرم السيد الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٦٢ .

ذلك المؤتمر فى المكان الذى حدوده، وبالتالى فقد أعلنوا عن أفكارهم الساذجة فى وجه كالح وبطريقة سافرة »[1]، اعتادوا عليها، وكان زعيمهم من أبرز القائمين عليها.

فى نفس الوقت سارعت الأبواق الشيطانية إلى الإعلان عن ظلم الوالى والفقهاء للباب، بأنهم لم يعطوه الفرصة لعرض آرائه ومشروعاته الإصلاحية، وأنهم فى تحاورهم معه كانوا القاضى والخصم والجلاد، وأنهم استعملوا معه وسائل القهر النفسى والفكرى، حتى لا يكشف أخطاءهم التى يعيشون عليها، كما أن الشيوخ الذين حضروا ليسوا فوق مستوى الشبهات، وفوق ذلك فإن الرجل فى عقيدته الدينية لم يخرج عن عقائد الشيعة الاثنى عشرية، وكان يجب التعاطف معه، بل التعاون على إجهاض محاولته الإصلاحية، ولو كان له من الأمر شيء كبير؛ ما اقترفوا معه تلك الآثام، إلى غير ذلك من الاتهامات التى ألصقوها بالعلماء والفقهاء والوالى أيضا، وأزادوا فيها بأن الباب من بيت النبوة، ومن كان ذلك شأنه، يجب التعاطف معه بدل القسوة عليه[2]، فحولوا الأمر من محافظة على ما جاء به سيدنا محمد ﷺ إلى اضطهاد آل بيت سيدنا محمد ﷺ وهم فى كل ما أعلنوه قصدوا الكذب وتربحوا فى الباطل.

وقد نجحت تلك الأساليب الدعائية الكاذبة - التى تمت فى الخفاء مرة والعلن أخرى - فى إثارة العطف على هذا الشاب المسكين، المنتسب زورا لبيت النبوة الذى عذب وطيف به فى الأسواق، فضاعف ذلك من انتشار أخبار الباب داخل أوساط عامة الناس الذين

---

(١) الشيخ فارس عبدالعاطى ثعيلب - الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام ص٩٣ .

(٢) كلها دعاوى كاذبة، واتهامات لا أساس لهم، ولكنها الدعايات المسمومة التى يحرص أصحابها على ممارستها، والقول بها كلما أتيحت لها الفرصة، حتى يحققوا أغراضهم الخبيثة التى امتلأت بها صدورهم اللئيمة، وهؤلاء وأمثالهم مازالوا موجودين بيننا الآن يقلبون الحقائق، ويتهمون الأبرياء، ويقذفون الآمنين؛ بغية التعبير عن ما فى صدورهم من حقد وحسد وضغينة قد أعمت منهم القلوب. قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ سورة الحج - الآية ٤٦ .

رباهم سدنة الاثنى عشرية على انتظار الإمام الغائب، فإذا قام مبشر به أو منتسب إليه، فلماذا ينالون منه(١) بهذا الشكل، ويتعاملون معه بتلك الطريقة غير المقبولة.

فلما عرف هؤلاء البسطاء من الناس بأمر ذلك المؤتمر، وأنه سيعقد داخل صحراء بدشت سارعوا إليه، ويبدو أن الإعداد له كان منذ فترة طويلة؛ لأن أوراق العمل التى قدمت فيه كانت مرتبة بطريقة دقيقة، كما أن القرارات التى اتخذت فيه كانت معدة إعدادا فنيا يتناسب مع الدعوة التى ينادى بها الباب.

❁ **وفى تقديرى:** أن ذلك هو القريب للصواب، وأنهم قد رتبوا أنفسهم لهذا المؤتمر قبل اعتقال الباب، وأنه لو لم يعتقل فى تلك الفترة، لكان المؤتمر سينعقد أيضا، ويتم فيه الإعلان عن حق الباب فى ممارسة شعائر ما يدعو إليه، ولو احتاج الأمر استخدام القوة(٢)، فلما اعتقل تأخر موعد ذلك الإعلان فترة قليلة.

وقائع المؤتمر وقراراته

انعقد المؤتمر فى صحراء بدشت الإيرانية، الواقعة على نهر شاهرود بين خراسان ومازندران(٣)، وكانوا قد أوهموا عامة الأتباع أن الغرض من انعقاد هذا المؤتمر هو إعلان

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - البابية والبهائية - القسم الأول ص٦٨.

(٢) المعروف أن أصحاب تلك الدعاوى المنحرفة التى تعمل فى الخفاء يعتمدون على عواطف الجمهور. والعامة بشكل كبير؛ لأنهم الوقود الذى يقدمونه على أرضية المعركة. بحيث يكون هو المهد للأرض. والممتص للألغام. والذبيح على مقصلة الحاكم، إن لم تنجح المحاولة فى قلب نظام الحكم.

(٣) ربما يقال: كيف تكون صحراء وهى واقعة على نهر؟ والجواب: أن مبانى المدينة تقع على النهر. لكن امتدادها من الداخل إلى الصحراء التى تندر فيها الزراعة، مع صعوبة استخدام وسائل فى الوصول إليها مع أنها ممكنة. وهى فى نفس الوقت ليست واقعة تحت أمرة أحد أو سلطانه حتى يمنعهم من عقد مؤتمراتهم بها. وفى بلادنا المصرية مدن على نهر النيل بالوجه القبلى، وامتدادها إلى الصحراء امتداداً كبيراً متى بعدنا عن دلتا نهر النيل.

بشائر جديدة للباب تلقوها عنه في سجنه، وكذلك بحث مسألة اعتقال الباب، وما يمكن أن يتخذ من الوسائل لإنقاذه(١) .

رئاسة المؤتمر

كان زعماء هذا المؤتمر أتباع الباب ودعاته الثمانية عشر، وقد اختاروا أن يكون المتحدثون الرسميون فيه أربعة يتولون رئاسة اللجان المنبثقة عنه، كما يقومون بالحديث عنها وتلاوة القرارات التي ستتخذ فيما بعد، وبالنسبة للمؤتمر ككل على أن يكون في الأربعة ممثل للجنس الآخر فكان الأربعة هم:

(١) ملا حسين البشروئي ولقبه باب الباب .

(٢) ملا محمد علي البار فروشي ولقبه القدوس .

(٣) ميرزا حسين علي المازندراني ولقبه بهاء الله وقد صار فيما بعد ربهم الأعلى .

(٤) أم سلمى خانم زرين تاج بنت ملا صالح القزويني البرقاني وتسمى قرة العين ولقبها الطاهرة(٢) .

وكان لهؤلاء الرؤساء الحق في مقاطعة أي متحدث في الجلسات، كما كان لهم الحق أيضا في تقديم أو تأخير متحدث على آخر؛ لأنهم معينون من قبل الباب نفسه، لإدارة مثل هذه المؤتمرات، فهو الذي خاطبهم من سجنه، وهو الذي كلفهم بالرياسات التي يقومون بها، كما أنه الذي يتابع بعين قلبه وعقله وقائع مؤتمرهم، ثم هو فوق ذلك الذي سيقرب هذا منه ويبعد ذاك عنه؛ لأنه المظهر البشري للإله الحق(٣) .

---

(١) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٦٢ –، وراجع للأستاذ محب الدين الخطيب: البهائية ص١٠ .

(٢) الأستاذ محب الدين الخطيب – البهائية ص١١/١٠ .

(٣) الشيخ فارس عبدالعاطي ثعيلب – الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام ص١٢١، وكذلك للأستاذ محمود محمد شعيب: البابية الحركة والهدف ص٩٢، وللأستاذ علي هاشمي: البابية نهاية مخزية ص١١٧ .

حتى يضمن الداعون للأفكار الشيطانية المنحرفة التى أعلنها عنها الباب بعض النجاحات، ولو كانت شكلية – فقد قسموا المؤتمر إلى فريقين، كل فريق يمثل جانبا منه، وفى نفس الوقت يمثل قسما ضروريا هو عبارة عن أى المجلسين اللذين يقوم عليهما المؤتمر، من حيث الأفراد الذين يحضرونه.

الأول: مجلس الخاصة:-

وهو يمثل الطبقة الأولى التى تعقد بكبراء الأصحاب وعظمائهم، ومهمة هذا المجلس هى البحث عن إثبات النبوة الجديدة وطرائق تغيير الفروع، وتجديد الشريعة، وفى نفس الوقت: إيجاد الوسائل الكافية للإفراج عن الباب سلما أو عنفا، وإرسال المبلغين والدعاة المبشرين إلى الفيافى والقرى والنجوع، حتى يحثوا الأحباء على زيارة الباب فى معتقلة؛ بغية إعلام السلطة الحاكمة، أن هذه الدعوة البابية لا يمكن أن تنتهى.

الثانى: مجلس العامة:-

وهو يمثل الطبقة التى ليس فيها الكبراء، أو بتعبير أخر يمثل طبقة العامة وسواد الناس، ومهمة هذا المجلس تنفيذ ما يقرره مجلس الخاصة، باعتبار الخاصة بمجلسهم يمثلون السلطة التشريعية، ثم يأتى مجلس العامة، بحيث يكون ممثلا للسلطة التنفيذية[1] بطريقتها الخاصة، متى طلب منه ذلك، أو تعلق به أمر تنفيذه على ناحية القوة.

يقول أحد مؤرخى البهائية: «لما تم عقد اجتماع الأحباء فى بدشت، شرعوا فى البحث، وكانت مجالسهم منقسمة إلى طبقتين: الطبقة الأولى: المجالس الخاصة، وهى التى تعقد بكبراء الأصحاب وعظمائهم. والطبقة الثانية: المجالس العامة: وهى التى تعقد بمن

---

(١) حتى الانتزاع لدور السلطة التنفيذية الذى أخذت به جماعة الباب ونحلته، ليس له ما يبرره، لأن مثل هذه القضايا يجب أن يكون الأمر فيها راجعا للرغبة الشعبية فى القيادات المستجدة.

سواهم، أما المجالس الخاصة فكانت المذكرات التي تجري بين خواص الأحباء وأكابرهم فيها تدور حول تغيير الفروع، وتجديد الشريعة[1].

وبعد أن أقر الرأي العام على وجوب السعي في تخليص الباب وإنقاذه؛ قرر أيضا إرسال المبلغين -يعني الدعاة المبشرين- إلى النواحي والأكناف[2]، ليحثوا الأحباء على ضرورة زيارة الحضرة، أي الباب في قلعة ماكو، التي اعتقل فيها الباب، مصطحبين معهم من يتسنى لهم من ذوي قراباتهم وودهم، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم في ماكو، حتى إذا تم منهم العدد الكافي طلبوا من الشاة محمد الإفراج عن حضرة الباب، فإذا لبى الشاة طلبهم فبها ونعمت، وإلا أنقذوا الحضرة أي الباب بصارم القوة وحد الاقتدار »[3].

ولا شك أن هذا لا يصدر إلا من أحد فردين، أما غير عاقل فيتحدث من غير أن يعني بما يقول أو يعيه، ومثله لا يهتم برأيه أحد؛ لأن غير العقلاء لا حسبان لآرائهم، وإنما يحرص الناس منهم أثناء التعامل معهم، وأما عاقل عارف بإمكانياته، حافظ تقدرات الآخرين، أو على الأقل قادر على النجاة من سلطة الدولة التي يقيم بها متى أرادت النيل منه، أما غير ذلك فما أظنه احتمالا يرجح عندي.

مقترحات المؤتمر

بعد أن تمت عمليات التحضير الأولي للمؤتمر، وعرضت الأوراق المقدمة بالاحتمالات المطروحة، تم تداول تلك المقترحات لتكون بين يدي الجمهور، حتى يكون لهم في كل مسألة رأي شعبي لا يعبر عن إرادة حرة، بقدر ما يعبر عن تعاطف أو ورع إليه أصحابه،

---

(١) ميرزا عبدالحسين أواره - الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢١٨ .

(٢) الأكناف: جمع مفرده كنف وهو جانب الشيء والمراد أنهم يقومون بدعوة من ليسوا على طرق معبدة. (راجع أساس البلاغة للزمخشري، والمعجم الوجيز باب الكاف ص٥٤٢)

(٣) ميرزا عبدالحسين - الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢١٨ .

تمكنهم من أن يتنزوا الآخرين به، وفى نفس الوقت؛ حتى تكون القرارات التى تنجم عنه بقوم بتحمل مسئوليتها العامة والخاصة[1].

وبعد أن تم تقرير هذه الأمور وتقبلها وعرفها الجمهور الذى حضر المؤتمر، دار البحث حول الأحكام الفرعية التى يجب تبديلها فى نظرهم، وهى الصلاة والصيام والزكاة والحج، هل يدخل إليها التبديل ككل أم يدخل بعضها فى بعض الأحيان، ولا يدخل بعضها فى بعض آخر، كل هذه الأسئلة والاعتراضات نالت من منظمى المؤتمر منالا كبيرا؛ لأنهم يريدون الانتصار على السلطة الحاكمة، وتنفيذ اتجاهاتهم المنحرفة، من غير حاجة إلى الانتظار[2].

ويقرر مؤرخ البهائية أنه بعد تداول المذكرات التى تمت فى مجلس الخاصة، تبين أن أكثر أكابر الأحباء يعتقدون بوجوب النسخ للشريعة، والتجديد للإصلاح، كما زعم أن من قوانين الحكمة الإلهية فى التشريع الدينى أن يكون الظهور اللاحق أعظم مرتبة، وأعظم دائرة من سابقه، وأن يكون كل خلف أرقى وأكمل من سلفه، فعلى هذا القياس يكون حضرة الباب أعظم مقاما وآثارا من جميع الأنبياء الذين خلوا من قبله، وثبت أن له الخيار المطلق فى تغيير الأحكام وتبديلها[3]، وكان ذلك هو الذى ذهب إليه مجلس الخاصة،

---

(١) مما يؤسف له أن بعض المجالس النيابية فى بعض بلادنا الإسلامية يشترط فيها تمثيل العمال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ وهم قد وصلوا إلى تلك المجالس بطرائق خاصة فيها نوع من التعاطف معهم، أو نوع من الرشوة المقنعة، أو شراء الذمم الخربة، التى تمثلها بعض الأبواق الدعائية، فإذا أرادت المنصة اتخاذ قرار طلبت رفع اليد ممن يوافق عليه -- كما يفعل المدرس غير الناجح مع تلاميذه الذين يعتقد بلاهتهم – وربما لا يعرف ما هو مطلوب منه، بل ولا يعلم على أى شيء يوافق أو يخالف، وتظل تلك الرهبة للمنصة فى قلبه وعقله، حتى يخرج من المجلس أو يفارق الحياة، وعذره أن فاقد الشيء لا يعطيه.

(٢) الشيخ فارس عبدالعاطى ثعيلب – الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام ص١٣٧ .

(٣) ميرزا عبدالحسين آواره – الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٠٠

وبالتالى يمكن القول بأن مقترحات هذا المؤتمر فيما يتعلق بمجلس الخاصة قد انتهت إلى :-

(١) وجوب النسخ للشريعة المحمدية بالشريعة البابية.

(٢) وجوب التجديد للشريعة المحمدية عن طريقة حضرة الباب، وذلك بتغيير فرائض الإسلام وفروعه من صلاة وزكاة وصيام، وحج وغيرها[١].

(٣) أن الباب أعظم مقاما وأثارا من جميع الأنبياء والمرسلين.

٤) أن له الخيار المطلق فى الأحكام القائمة بالتبديل لها، كلها أو تغيير بعضها[٢].

ولا شك أن تلك النتائج تعبر عن طوية سوداء، وتكشف عن قلوب غلب عليها العمى من كل ناحية، كما تدل على أن أصحاب تلك العقول فقدوا القدرة على كافة ألوان التمييز، وأن يدا غير إسلامية هى التى تمتد إلى هؤلاء وأولئك فتزودهم بالمال والدعم الأدبى، الذى يجعلهم يجتازون العقبات، ويقفزون فوق الحواجز، وليس لديهم شيء من رهبة الحاكم، أو سطوة السلطان، مع أن ظهورهم كان فى ظل الدولة الصفوية التى اشتهرت منذ قيامها بالمحافظة على الدين الإسلامى، بل اشتهر أيضا أن الشاة محمد هذا كان من أكثر الحكام محافظة على الشعائر الإسلامية[٣].

فى نفس الوقت؛ ذهب عدد قليل ممن شملهم المؤتمر إلى عدم جواز التصرف فى الشريعة الإسلامية لا بالنسخ، ولا بالتبديل، مستندين إلى أن حضرة الباب ليس إلا مروجا لها، مصلحا لأحكامها بما دخل عليها من البدعة والفساد[٤]، فهو مصلح أعلى درجة من النبى الذى جاء بها، وبناء عليه؛ فإن الفريقين مجتمعان على وقوع أخطاء، وفى الشريعة الإلهية، وأنها

---

١) فهذه النتائج تدل على النية الغالبة التى كانت تقود هؤلاء المجتمعين وتمثل اتجاهاتهم الخاصة قبل بدء المؤتمر.

٢) الأستاذ فاروق محمد يسرى – الدولة الصفوية فى القرن التاسع عشر ص١٧٢.

٣) الدكتور حسن محرم السيد الحوينى – البابية والبهائية والقاديانية ص٦٣.

٤) ميرزا عبدالحسين آوارة – الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢٢١.

بحاجة إلى إصلاح لا يتم إلاَّ على يد هذا الباب، وهم جميعا قد أخطأوا الطريق من أوله إلى منتهاه، كما أنهم فقدوا الدعائم العقلية التي تسمح لهم بمباشرة أبسط المهام العقلية.

دور المرأة في مؤتمر بدشت

سلف القول: بأن المرأة شاركت في هذا المؤتمر، وكان تمثيلها فيه بنسبة ٢٥٪ من حيث الأعداد التي تدخل في نطاق حتى التصويت(١)، ولكن هذه المرأة - قرة العين - كانت زعيمة لها دور كبير، بجانب أنها رئيسة جلسة، ومن ثم فقد أصرت على وجوب أفهام الحاضرين من جميع الأحباء للباب، وإشعارهم أن للقائم مقام المشرع حق التشريع، وعلى وجوب الشروع فعلا في إجراء بعض التغييرات على الناحية العلمية كإفطار رمضان ونحوه، وقد أصرت على رأيها(٢)، وكانت تقول: إن هذا العمل سيبرز إلى ساحة الوجود لا محالة، وسيطرق هذا القول آذان العام والخاص، وحكما أسرعنا في الكشف عن هذه

---

(١) حيث ذكر المؤرخون أن رؤساء الداعين لتلك النحلة، كانوا أربعة فيهم امرأة واحدة. تمثل الربع. فهم قد ظلموها من حيث زعموا إنصافها، لأن تمثيلها بنسبة ٢٥٪ ربع ما شرع الله تعالى. ففي الحديث الشريف عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: « سُئِلَ رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنِ الرَّجُلِ يَجِدُ الْبَلَلَ وَلاَ يَذْكُرُ احْتِلاَماً؟ قَالَ: يَغْتَسِلُ. وَعنِ الرَّجُلِ يَرَى أَنَّهُ قَدِ احْتَلَمَ ولَمْ يَجِدْ بَلَلاً؟ قَالَ: لا غُسْلَ عَلَيْهِ. قَالَتْ أُمّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ الله. هَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ تَرى ذَلِكَ غُسْلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ » . راجع تحفة الأحوذي. الإصدار للمباركفوري - ٨٢ - بابٌ (مَا جَاء) فِيمَنْ يَسْتَيْقِظُ فَيَرَى بَلَلاً، ولاَ يَذْكُرُ احْتِلاَما - الحديث رقم: ١١٣. وراجع كشف الخفاء للإمام العجلوني - حرف الهمزة مع النون - الحديث رقم: ٩٤٦ - وقال: رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن عائشة، ورواه البزار عن أنس. والمراد بقوله: (النساء شقائق الرجال) هذه الجملة مستأنفة فيها معنى التعليل. قال ابن الأثير أي نظائرهم وأمثالهم كأنهن شققن منهم ولأن حواء خلقت من آدم عليه الصلاة والسلام. وشقيق الرجل أخوه لأبيه ولأمه، لأنه شق نسبة من نسبة يعني فيجب الغسل على المرأة برؤية البلل بعد النوم كالرجل.

(٢) الشيخ فارس عبدالعاطي ثعيلب - الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام ص١١٢.

لغوامض كان أليق وأوفق وأنفع للأمر والعمل الذى سنقوم به، حتى ينفصل عنا كل ضعيف لا يحتمل التجديد، ولا يبقى معنا إلا كل قوى مخلص يفدى بنفسه هذا السبيل القويم البديع[1].

لكن يبدو أن قرة العين هذه قد حظت لدى هؤلاء المنحرفين بمكان عال، وأنها خطفت إليها بعض القلوب المتعلقة بالنزعات الشيطانية، فكانت آراؤها تنال منهم الاستحسان، مهما كانت شاذة، وتقع فيهم موقع الرضا والقبول مهما كانت ردية، حتى لم ينكر أحد فى معارضتها معارضة جادة، أو يظهر لها شيئا من التبرم بالنسبة للآراء التى تعرضها، « وكان الملا محمد على البارفوشى الملقب بالقدوس، من أكثر الأحباب تعلقا بها، وحرصا على تحقيق رغباتها، فرغم أنه كان يظهر التمسك الشديد بالعادات والقيم الإسلامية بجانب الالتزام بالفروع، إلا أنه لما رأى منها الإصرار على أن للقائم مقام المشرع حق التشريع، وعلى وجوب الشروع الفعلى فى التبديل، وإجراء بعض التغيرات فيها كإفطار رمضان، لم يتمكن من منازعتها، ولم يفكر فى تلك المنازعة؛ خشية أن يقع فى غضبها »[2].

وقد شعرت هى بتلك الجوانح المتجهة نحوها، وبعقل الأنثى اللعوب أدركت كيفية اللعب بتلك الحلوم، فطارحت الرجل غرامه، حين اعتبرته موجها لها ومرشدا، وكأنها لا تريد أن تظهر أمام الرأى العام على أنها مستقلة بما تدعو إليه، وإنما على أنها رغبة يشاركها فيها بعض من الرؤساء من الرجال المعروفين لدى الدعاة الثمانية عشرة.

بدليل أنها قدمت اقتراحا أخر يقوم على أن « ارتداد النساء فى الشريعة الإسلامية لا يستوجب القتل[3]، بل يستلزم بذل النصائح اللازمة لهن، واستتابتهن وتفهيمهن ما يرجع بهن إلى

---

(١) الأستاذ السيد محب الدين الخطيب – البهائية ص١٥٠ .

(٢) الشيخ عبدالباقى سالم الكبير – دراسات فى الملل والنحل ج٢ ص١٧٧ – طبعة مراكش ١٣٣٥هـ

(٣) لست أدرى من أين جاءت بهذه الخبالات؛ لأن الله تعالى ذكر فى كتابه الكريم قوله تعالى: ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ سورة آل عمران – الآية ١٩٥. فالتكاليف الاعتقادية يتساوى فيها الجميع، ولا عبرة بكونها أنثى فى المسألة.

دور التوبة والإيمان »[١]، فلا يتعسر على أذن أن أميط اللثام[٢]، وأرفع الستار عن أسرار هذه المسائل حين غياب القدوة[٣]، من باحة المجلس، حتى إذا وقعت تصريحاتي موقع القبول، وصادقت محل الاستحسان من الأحباب، تم المرام وبلغنا الغاية، وإلا فعلى القدوس أن يباشر نصحي لأعود عن هذا الجنون، وانفض اليد من الكفر وأتوب وأرجع إلى أحضان الإسلام.

فاستحسن حباء هذا المقترح؛ لأنهم أصحابه ومرتبوه أيضا، وقامت به قرة العين كنوع من التمثيل على العامة وسواء الناس حتى يتم خداع العوام وسواء الناس معا[٤]، وهي من الأساليب التي يجيدها أصحاب الأفكار الضالة، ويتقن القيام بها دعاة الفكر المنحرف.

فهي تعترف بأن ما يدعو إليه يخرج صاحبه عن نطاق الإسلام تماما، كما أن القائل به مجنون، يجب أن يتوجه إليه الناصحون بالنصح، إن كانت لهم فيه رغبة لإصلاحه، كما تقرر أن متى يعتقد تلك الأفكار هو في الكفر مقيم لا محالة، مستوجب التوبة العاجلة قبل الآجلة، وهي بذلك تضع نفسها والأفكار التي تدعو إليها في الموضع الطبيعي اللائق بها، وهو إعلان الكفر والدعوة إليه، وليس بعد ذلك الفجور ما هو أشد منه.

---

(١) كأنها تريد لنفسها ومن يماثلها كسب جولة على الرجال. لكنها هذه المرة جولة خاسرة؛ لأنها متعلقة بمحل القبول عند الله تعالى أو الرفض منه.. وهو الإيمان أو الكفر. وشأن النساء في أغلب الأحيان التماس أي نوع من السبق على الرجال، أو تفوق عليه حتى لو أدى ذلك بهن إلى الهلاك. وفي مصرنا الإسلامية كانت المرأة الكريمة تعيش في كنف زوجها مكرمة معززة. توصف بأنها ست، وتلقب بالسيدة كناية عن كونها عظيمة يقوم بخدمتها غيرها. ثم حاولت قلب الموازين. حتى تنال كسبا فوق كتف الرجل. فصارت تلقب بالمرأة العاملة بدل الست أو السيدة، حتى باتت هي وخادمتها في الوصف سواء. فأي تقدم أو كسب و تفوق ذلك الذي ينزل بصاحبه إلى الحضيض، بدل أن يرتفع به إلى العلا.

(٢) اللثام هو النقاب الذي يوضع على الفم أو الشفة أو عليهما معا. وتلثمت المرأة معناه شدت اللثام على فمها وشفتيها. بجانب أنها متخفية الوجه. فلم تعد معالمها معروفة- (راجع المنجد في اللغة والآداب والأعلام- باب اللام وكذلك قطر المحيط. ومقاييس اللغة. والمعجم الوجيز ص٥٥١).

(٣) تقصد به ملا محمد على البارفروشي. إذن كانت هناك علاقة بينهما متبادلة. ولها طابع خاص.

(٤) الأستاذ السيد محب الدين الخطيب – البهائية ص١٥ .

ولما لم تكن تلك المرأة الفاجرة على استعداد للمواجهة بأفكارها المنحرفة التي تخالف الاتجاه العام لدى بعض الحاضرين، فقد لجأت إلى أسلوب تخمين الفرض بالنسبة لرؤساء الجلسات الأخرى، فلما ألم بحضرة بهاء الله – ميرزا حسين على المازندراني – زكام وتمارض القدوس – ملا محمد على البارفروشي – تولت قرة العين الطاهرة رئاسة الجلسات بدلا منهما، فشرعت في تنفيذ مخططاتها، وهي تفهم الأحباب حقيقة المقصود وكشفت السر المكنون من ضرورة تبديل الفروع وتغيير الأحكام على الناحية العلمية.

فلما رنت في آذان الجميع هذه التصريحات دار التهامس والتناجي بينهم(١)؛ لأنهم لم يقبلوا تلك الأفكار على وجه العموم وانقسموا إلى فريقين:

- فريق أعجب بأفكارها، وناشدها الاستمرار في عرض الاقتراحات، غير مبال بالقيم التي تدعو لهدمها، أو الأسس الدينية التي تطالب بإزاحتها بعد تبديلها.

- وفريق استنكر ما تنادي به، وقام ينتقدها بطريقة معلنة، حتى قاموا إلى رئيس الجلسة الأصلي – القدوس – ملا محمد على البارفروشي – يقدمون إليه شكواهم، ويعبرون له عن سخطهم من الآراء التي قالت بها، ويعلنون عن رفضهم للمقترحات التي قدمتها وتدعوا إليها، ويهددون بالانسحاب من المؤتمر(٢)، إن استمرت هي في رئاسة الجلسات وعرض الآراء التي تتبناها على الدوام.

غير أن الرجل – القدوس – كان محنكا سياسيا، فعمل على تهدئة الغاضبين، وامتصاص ثورتهم، وطمأنهم بأنه سوف يلتقي بها، ويعرف منها المقترحات التي تقدمت بها، فأرجأ الأمر في الاعتراضات عليها إلى حين ملائم، ووعدهم بأنه لن تتم الموافقة على

---

(١) التهامس مباشرة القول أو الفعل في السر أو بصوت خفي؛ لأن الهمس هو كل خفي من كلام وغيره.
(راجع قطر المحيط باب الهاء)

(٢) فكأن القوم لم يقبلوا تلك الأفكار. (راجع الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢٢٢).

قرارات إلا بالرجوع إلى مجلس العامة، ومجلس الخاصة معا[1]، وبذلك استطاع أن يعيدهم إلى جلسات المؤتمر مرة أخرى.

فلما تماثل للعافية من العلة التى كانت به قابل قرة العين، وتباحثا فى جلسة مغلقة كنوع من التكتيك والتخطيط السياسى، فلما انتهيا إلى صيغة مقبولة، يمكن عرضها على هؤلاء المعترضين، بحيث تنال منهم القبول، ويقع لها الإقرار خرجا من الجلسة المغلقة، على أن يعودا إلى الاجتماع مرة أخرى، بغرض البحث فى المسائل المتنازع حولها من جديد، كأن الأمر صعب، والمباحثات فيه شاقة[2]، بحيث إذا أعلنا نتيجة لا يشك القوم فى أنها جاءت على عجل، وإنما يوقنون أنها جاءت بعد جهد طويل، ومباحثات مستمرة، وذلك من الأساليب التى يتقنها دعاة السياسة الابتزازية، ويبدو أنهما قد اتفقا على عدم الإدلاء بأية تصريحات لأى جهة من الجهات التى تنتظر نتائج الاجتماع.

إلا أن المرأة - قرة العين - خرجت عن هذا الاتفاق، فأعلنت أنها ستلزمه الحجة، وتقيم عليه البرهان القاطع[3]، وهى بذلك تصادر على نتائج المباحثات مقدما، ولا يخفى خطر هذه المصادرة على ذى لب؛ لأن معناه وقوف المرأة على دعم قوى يؤكد لها أن النهاية لصالحها بغض النظر عن إعداد الموافقين لما تطرحه من آراء ومقترحات أو المخالفين لها فى كل منهما[4].

المهم أن هناك قرارات سيتم التعامل معها وقبولها، بل والمطلوب هو التصديق عليها، بغض النظر عن كونها موافقة لاتجاهات الرأى العام أم غير موافقة، وحتى تقدم نتائج تدفع

---

(١) الشيخ فارس عبدالعاطى ثعيلب - الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام ص١٢٣.

(٢) ذلك شأن أصحاب الاتجاهات المنحرفة الذين يحاولون خداع الناس البسطاء والعامة، وإظهار أن المباحثات كانت بحاجة إلى المزيد من المناورة.

(٣) ميرزا عبدالحسين أواره - الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢٢٢.

(٤) ذلك مما يجرى مثله فى بعض البلدان النامية، ومصرنا المسلمة كانت فى إحدى الفترات تمارس فيها هذه المصادرات على سبيل الإيجاب أو السلب. ومن يطالع الكتابات التى ظهرت فى الفترة التالية لحرب العاشر من رمضان يرى ذلك واضحا بشكل كبير. وبخاصة فى الكتب السياسية.

الآخرين للرضا بالواقع، خرجت المرأة على الناس من خدرها سافرة مجردة من حجابها، طارحة لبرقعها ونقابها، ثم صعدت المنبر الذى كان قد أعد لها، وقامت فى أعضاء المؤتمر خطبة معلنة:-

أ- وجوب نسخ الشريعة الإسلامية المحمدية بالشريعة البابية الجديدة .
ب- سقوط التكاليف الشرعية من صلاة وزكاة وصيام وحج .
جـ- إباحة التمتع بملذات الحياة بدون قيود ولا حدود .
د - وجوب الاشتراك فى المال والنساء[1] .

من ثم صارت مزاعم تلك المرأة فى الإصلاح والتجديد غير حقيقية، بل الصواب أنها واحدة من دعاة الانحلال والإباحية، وأنها تخفت فى زى المصلح الاجتماعى والدينى، حتى تنفذ أغراضها الشيطانية، التى عبرت عنها مفرداتها اللغوية والسلوكية أيضا، ومن ثم فقد لجأت إلى قراءة خطبة مطولة كانت قد أعدت لها سلفا من خلال محترفى التزوير والكذب، غرضها هدم دين الإسلام، وخدمة أغراض الخبثاء من أعداء الإسلام .

خطبة قرة العين

كان مما قالته هذه المرأة: « اسمعوا أيها الأحباب والأغيار على طلب الحقيقة[2]، إن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا بعد، وأن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة، وسائر ما أتى به محمد بن عبد الله

---

١) الدكتور حسن محرم السيد الحوينى – البابية والبهائية والقاديانية ص٦٣ (بتصرف يسير) .

٢) لغة التقرب من الجمهور كنوع من الخداع قديمة، يمارسها دائما أتباع الاتجاهات المنحرفة. الذين يلعبون على أوتار العوام، وينافقون فى سبيل ذلك، ولا يعنيهم أن ينقلبوا فيما بعد على من أحسنوا إليه. المهم أن يبلغوا الغاية التى يحرصون عليها، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة.

صار عمل لغو، وفعل باطل، ولا يعمل به بعد الآن إلا كل عاقل وجاهل »[١].

ثم تواصل خطبتها قائلة: « إن مولانا البأب سيفتح البلاد، ويسخر العباد، وستخضع له الأقاليم السبعة المسكونة، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة، حتى لا يبقى إلا دين واحد، وذلك الدين الحق هو دينه الجديد، وشرعه الحديث الذي لم يصل إلينا إلى الآن منه سوى النذر اليسير، فبناء على ذلك أقول لكم وقولي هو الحق: لا أمر اليوم ولا تكليف، بل ولا نهي ولا تعنيف، وأنا الآن في زمن الفترة »[٢].

ثم طلبت من الأتباع إشاعة الفوضى والركون للهمجية، فقالت: اخرجوا من الوحدة إلى الكثرة، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن الأعمال، وأن تقاسموهن بالأفعال، واصلوهن بعد السلوة، وأخرجوهن من الخلوة

---

(١) وهي تقذف كل مسلم متمسك بدينه، طالما كان لا يوافق اتجاههم المنحرف، ولو كانوا على شيء من الصدق ما تجاهلوا قول الرسول : « لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض. وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره: التقوى ههنا. وأشار إلى صدره: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ». [الإمام السيوطي – زيادة الجامع الصغير، والدرر المنتثرة– حرف اللام ألف – الحديث رقم: ٣٥٤٩– وذكره ابن ماجة – سنن ابن ماجه – (ج٢) باب حرمة دم المؤمن وماله – الحديث رقم: ٣٩٣٣– بلفظ عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال (كل المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)] وقوله ﷺ : « سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر » الإمام البخاري – صحيح البخاري – باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر – الحديث رقم: ٤٨، ٥٦٩٧، ٦٦٦٥. وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: بيان قول النبي صلى الله عليه وسلم: سباب المسلم، رقم: ٦٤. وراجع حاشية السندي على النسائي، للإمام السندي – ١٩٠٣ ـ باب قتال المسلم – الحديث رقم: ٤١٠٣، وراجع سنن الترمذي (وشرح العلل)، للإمام الترمذي – ٥١ – باب ما جاء في الشتم – الحديث رقم: ٢٠٤٩.

(٢) هذه الادعاءات الكاذبة التي تعلن عنها المرأة، إنما تدل على مدى رغبتها في النزول إلى أعماق الانحلال؛ لأن عباراتها في السجع المصنوع المتكلف، بجانب أن الانحطاط الخلقي يحرق فيها على كل ناحية. وفوق ذلك فإنها تعلن عن انحلال وتحلل لا يليقان إلا بأمثالها.

إن [illegible] خود(1). فما هي إلا زهرة الحياة الدنيا، وأن الزهرة لا بد من قطفها وشمها؛ لأنها خلقت للضم والشم(2)، ولا ينبغي أن يعد ولا يجد شاموها بالكيف والكم، فالزهرة تجنى وتقطف [illegible] وتتحف(3)، وهي بهذا تعلن عن دعوة للجنس الصارخ، الذي تجيء على الأوجه الأخرى. ومثله لا يكون مقبولا على أية ناحية، ومع هذا فهؤلاء المنحرفون يدعون إليه، ويطالبون به.

وأما ادخار المال عند أحدكم، وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال له، فهو أصل كل زور، وأساس كل وبال؛ لأنه لم يخلق لنفس واحدة تتلذذ به من حيث تحسر الحد [illegible]، بل هو حق مشاع غير مقسوم، جعل للاشتراك بين الناس وللتداول من دون احتكار، و[illegible]حصلتم، فليشارك بعضكم بعضا بالأموال، ليرفع عنكم الفقر، ونزول الوبال. ساووا فقيركم بغنيكم، ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، إذ لا ردع الآن ولا حد، ولا منع ولا تكليف ولا صد، فخذوا حظكم من هذه الحياة، إذ لا شيء بعد الممات(4).

فالمرأة تنكر اليوم الآخر، وترفض الإيقان بوجود أنعم في الآخرة، وبالتالي؛ فهي لا تخرج بفكرها عن الطبيعيين الذين يدعون إلى الإباحية والانحلال بجانب القفز فوق الأحكام الشرعية، ثم إنكار الحقائق الإيمانية، كما لا يخفى أنها تدعو إلى إنكار الغيب، الذي يعتبر الإيمان به من صفة المؤمنين والإنكار له صفة الكافرين. قال تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم

---

(١) هذا استعمال جنسي فاضح. وإعلان صريح عن الدعوة إلى ممارسته. ذلك الجنس وأشياعه بالطرق المحرقة.

(٢) الضم هو قبض الأشياء إلى بعضها أو جمعها.

(٣) بعضها فوق بعض في شيء من المعانقة. (قطر المحيط – باب الضاد. وفيه تكنية عن الجماع.. ويغلب عليه النوع المحرم المتعلق بشم الروائح وإدراكها على ناحية فيها الاستعمال الجنسي.

(٤) الكواكب الدرية ص٢١٨/٢٢٣. مفتاح باب الأبواب ص٨١ نقلا عن البابية والبهائية ص٦٣/٦٤.

ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾(١).

وقال أيضاً: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾(٢).

يقول العلامة الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : «قال مجاهد: ﴿وجلت قلوبهم﴾ رقت وفزعت وخافت، وهذه صفة المؤمن حق الإيمان الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي خاف منه، ففعل أوامره، وترك زواجره، كقوله تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ الآية، وكقوله تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى﴾ ولهذا قال سفيان الثوري، سمعت السدي يقول في قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ قال: هو الرجل يريد أن يظلم، أو قال يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه؛ وعن أم الدرداء في قوله: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ قالت: الوجل في القلب كاحتراق السعفة (السعفة: جريدة النخل)، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قالت: إذا وجدت ذلك فادع الله عند ربك فإن الدعاء يذهب ذلك، وقوله: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾، كقوله: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾(٣).

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأمة. بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد. ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي لا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون

---

(١) سورة البقرة – الآيات ٢/٥.

(٢) سورة الأنفال – الآيات ٢/٤.

(٣) سورة التوبة – الآية ١٢٤

أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، و ﴿لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾[١]، ولهذا قال سعيد بن جبير: التوكل على الله جماع الإيمان.

وقوله: ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾، ينبه تعالى بذلك على أعمالهم بعدما ذكر اعتقادهم، وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها، وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى، وقال قتادة: إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها، وقال مقاتل: إقامتها المحافظة على مواقيتها، وإسباغ الطهور فيها، وتمام ركوعها وسجودها، وتلاوة القرآن فيها، والتشهد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، هذا إقامتها، والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة[٢]، وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب، والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه. قال قتادة في قوله: ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ فأنفقوا مما رزقكم الله، فإنما هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها.

وقوله تعالى: ﴿أولئك هم المؤمنون حقا﴾ أي المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان بالله رب العالمين. [فعن الحارث بن مالك الأنصاري: أنه مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "كيف أصبحت يا حارث؟" قال: أصبحت مؤمنا حقا، قال: "انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟" فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون (يتضاغون: أي يرفعون أصواتهم بالصراخ والعويل) فيها، فقال: "يا حارث عرفت فالزم" ثلاثا] [٣]. وقال عمرو بن مرة في قوله تعالى: ﴿أولئك

---

(١) سورة الرعد – الآية ٤١ .

(٢) كما يشمل لإخراج أنواع الصدقات التى تدخل فى نطاق أعمال الخير والزكاة أحد فروعها.

(٣) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمى – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – ج١ص٢٢١ – باب في حقيقة الإيمان وكماله – الحديث رقم: ١٨٩ وعزاه إلى الطبرانى فى المعجم الكبير.

هـم المؤمنون حقا﴾ إنما أنزل القرآن بلسان العرب كقولك: فلان سيد حقا، وفي القوم سادة؛ وفلان تاجر حقا، وفي القوم تجار؛ وفلان شاعر حقا، وفي القوم شعراء . وقوله: ﴿لهـم درجات عند ربهـم﴾ أي منازل ومقامات ودرجات في الجنات، كما قال تعالى: ﴿هـم درجات عند الله والله بصير بما يعملون﴾[١]، ﴿ومغفرة﴾ أي يغفر لهـم السيئات ويشكر لهـم الحسنات.

وقال الضحاك: أهل الجنة بعضهـم فوق بعض، فيرى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه، ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد، ولهذا جاء في الصحيحين [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغائر في أفق من آفاق السماء" قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم ؟ فقال: "بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين][٢] .

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٦٣ .

(٢) الإمام البخارى صحيح البخاري – ج٨ – باب: ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – الحديث رقم:٣٠٨٣ – عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق، من المشرق أو المغرب. لتفاضل ما بينهم). قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: (بلى، والذي نفسي بيده. رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) » وأخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب: ترائي أهل الجنة أهل الغرف. رقم: ٢٨٣١. والمراد بـ[(يتراءون) يرون وينظرون ويتكلفون لذلك. (أهل الغرف) أصحاب المنازل العالية، والغرف جمع غرفة وهي العلية. (الغابر) الذاهب، أو الباقي بعد انتشار ضوء الفجر. (الأفق) أطراف السماء. (لتفاضل ما بينهم) لبعد منازل أهل الغرف وعلو درجاتهم عن باقي أهل الجنة].

وفي الحديث الآخر: [إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما](1)(2) .

إذن لم تكن المرأة إلا إحدى الوسائل العديدة التي يستخدمها أعداء الإسلام في حربهم الطويلة معه، وعداوتهم المستمرة له، فما انتهت من خطبتها الحاسمة المغرقة في الانحلال والإباحية، إلا وهاج عليها من في قلوبهم بقية من إحساس أنهم وقعوا فريسة أصحاب أفكار منحرفة، وكان هياجهم عاطفيا، وليس هياجا من النوع الذي تجري فيه الغيرة على القيم والمشاعر الإسلامية، وبالتالي: أعلنت قرة العين أن ما ذكرته ليس رأيا نهائيا لها، وإنما هو اقتراح يمكنها أن تسحبه، وتراجع عنه معلقة ذلك كله بلقائها المرتقب مع ملا محمد علي البارفروشي - القدوس - .

في اليوم الثاني لإلقاء تلك الخطبة النارية الانحلالية انعقد اجتماع ثاني بين قرة العين والقدوس، وطال الاجتماع وجموع الحاضرين في تلهف لما يسفر عنه ذلك الاجتماع من تحقق نجاح الرجل في إقناع هذه المرأة، واقتلاع الأفكار التي أعلنتها من جذورها - كما هو معلق على أمثاله ممن يظهرون التمسك بشعائر الإسلام - أم هي التي أقنعته بما أعلنته من مقترحات مسيحية انحلالية، وبخاصة أنها وعدت قبل انعقاد الاجتماع بإلزام - البارفروشي الحجة التي لا يمكنه إنكارها، والبرهان الذي يعجز عن مقابلته بمثله.

« فلما خرجا من الاجتماع أعلنت أنها استطاعت إقناعه بما قدمت من مقترحات. وألزمته الحجة التي بين يديها، فاشتد الجدل بين الحاضرين، وكثرت أعداد الساخطين على رأيها، الناقمين لكل من المرأة والرجل رأيهما معا، ونظرا لذلك فقد هم بعض الحاضرين إلى الأمتعة الخاصة حتى يجمعوها، ثم خرج عن الحضور عدد آخر، ابتعد عن المؤتمر، وانفصل من

---

(١) تحفة الأحوذي للمباركفوري - ص٢٠٧٨ - باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه واسمه عبد الله بن عثمان ولقبه عتيق - الحديث رقم: ٣٨٠٨، وأخرجه ابن ماجة - سنن ابن ماجه- (فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه) - الحديث رقم: ٩٦ .

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ٣٨٧/٢ .

القضايا التى يعرضونها، مما جعل الكثافة العددية تأخذ فى التلاشى »[1] بحيث تتقطع الثرة منهم.

أدرك ميرزا حسين على المازندرانى - بهاء الله - خطورة الموقف، وأن انهيار المؤتمر متوقع فى أية لحظة، فأسرع إلى استعمال لغة الاستمالة - وكان يجيدها - مستغلا ما بقى لدى العوام من ميل إلى الناحية الوجدانية التى يمكن استخدامها على الناحية الإيمانية، حيث طلب إحضار المصحف الشريف أمام الجميع، فأحضر إليه ثم فتحه على سورة الواقعة، حيث أخذ فى تلاوتها، وتفسيرها مستفيدا من ثقافته اللغوية، وقدرته على المناورة، وأفاض فى ذلك الشرح والتفسير والتأويل أيضا، بما يوافق اقتراح تغيير دين الإسلام، وتبديل الشريعة المحمدية، زاعما أن نصوص القرآن الكريم تؤيد ذلك، بل هى التى أشارت إليه. وأنبأت به، وأن الواقعة قد وقعت وتغير الشريعة لابد منه، طبقا لما أخبرت سورة الواقعة[2]، وقد أسرف فى مزاعمه إلى أبعد حد، وبرع فى استخدام الاستعمالات اللغوية والمظاهر التمثيلية، حتى لان إليه بعض من كانوا فى طريقهم للشدة، وإطاعة من سلكوا عليه طريق العصيان.

ويعلل الأستاذ الخطيب ذلك بقوله: « لأن الذى كانت لا تزال فى قلوبهم بقية من الإسلام انسحبوا، وبقى الأبالسة والمنقادون لهم »[3]، فكان من اليسير عليه استقطابهم وإعادتهم إلى نفس المستوى الفكرى الذى أوقفهم عنده الباب من قبل ومن معه.

---

(١) الشيخ موسى محمد البيرومى - الباب خرافة قديمة ص١١٧.

(٢) الأستاذ محمود محمد شعيب - البابية الحركة والهدف ص١١٣.

(٣) الأستاذ محب الدين الخطيب - البهائية ص١٧.

نهاية المؤتمر

سبق القول بأنهم كانوا قد أعدوا العدة لإنجاح هذا المؤتمر وقراراته، ولكنهم فى النهاية انقسموا إلى :ـ

أ- فريق الناقمين

وهم الذين فروا من المؤتمر قبل نهايته، ولم يتمكن أحد ممن انعقدت فيهم رئاسة الجلسات من استردادهم، بل إن هؤلاء الناقمين راحوا يفكرون فى الأمر من أوله إلى آخره، ويراجعون مواقفهم السالفة، بكل ما أمكنهم من قوة، ورصيد ثقافى أو معرفى أو وجدانى، ويبدوا أنهم رأوا الرجوع للحق فضيلة فرجعوا عن الباطل الذى زينه لهم الباب وخدعهم به من جاءوا معه كدعاة له.

ب- فريق المؤيدين

يذكر أواره أنه فى خاتمة المجلس تقرر تحرير هذه المسألة ورفعها إلى حضرة الباب فى قلعة ماكو المعتقل فيها، والتماس إصدار الحكم الفاصل الجازم منه فيها، وهذا ما قد كان، ومما علم فيما بعد وتبين أن خواص الأحباء كانوا على حق، وأن رأى حضرة بهاء الله كان متفقا مع حكم حضرة الباب على وجوب تغير الشريعة، وأن القدوس وباب الباب والطاهرة كانوا أيضا قائمين على سواء السبيل، وجادة اليقين فى إدراكهم وفهمهم أسرار الأمر[1].

جـ- فريق المتوسطين

وهم الذين لم ينقموا على مقترحات قرة العين، حتى يدفعهم الأمر إلى مغادرة المؤتمر والتحلل من البقاء مع المؤتمرين، وفى نفس الوقت ليسوا من المؤيدين لها على وجه كامل، فهم بين الأمرين قد توسطوا، لكنهم لم يعلنوا عن ذلك، وكأنى بهم قد وقفوا يراقبون أى الفريقين

(١) ميرزا عبدالحسين أواره - الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢٢٢ .

ستكون له الغلبة، حتى ينضموا إليه، فلما غلب عليهم ما هم فيه ضاقت صدورهم من طول مدة الانتظار بغية انجلاء المسائل، فأدى بهم ذلك إلى اتخاذ خطوات فيها بعض السلبيات تارة والإيجابيات أخرى.

وإزاء هذا الاختلاف القائم في صفوف اتباع الباب فقد استشعر المسلمون الذين يخافون ربهم الخطر القادم عليهم، إن هم تركوا هؤلاء المنحرفين يعيشون في الأرض فسادا فكان « ما لا تنتظره قرة العين، ولا ينتظره أصحابها من سخط المسلمين عليهم، واستنكارهم ما يقومون به» بل ثورتهم على أولئك الذين خدعوهم، ثم فاجأوهم بهذا الجحود الصارخ، والإباحية التي لا تعدو أن تكون ردة إلى المانوية[1] المجوسية والباطنية الغليظة. ولم يجد هؤلاء المؤتمرون بدا من الفرار أمام ثورة المسلمين، وسخطهم، فتبدد شملهم وتفرق جمعهم، وتشتت السبل بزعمائهم، حيث اتجه البهاء إلى طهران، والبشروئي إلى

---

(١) المانوية : ماني كلمة فارسية. معناها: الفريد النادر، وهم فرقة من فرق الثنوية. وقد يسمون المنانية. وهم نسبة إلى ماني بن فتق بابك بن أبي يرزام ٢٧٤/٢٣٦م. عاش حوالى ثمانية وخمسين عاما. ظهر فيه زمان سابور بن أردشير. وكان خفيف اليد. إذ كان يعمل نقاشا. وهي مهنة تحتاج خفة اليد مع الحركة. وقيل إنه كان أسقفا مسيحيا. ولكنه ادعى النبوة. وكان يقول بنبوة عيسى لا بألوهيته. وكان يقول بنبوة موسى خوفا من سابور. فلما ولي بهرام بن هرمز بن سابور الحكم؛ أعلن ماني الأمور التي كان يخفيها. فأخذه بهرام فقتله. ثم سلخه وحشى جلده تبنا وعلقه ليكون عبرة لمن بعده. وتتبع أصحابه أيضا بالقتل. وكان ماني قد زعم أن العالم مركب من أصلين قديمين فيهما أزلية. وأبديه أحدهما قديم. وهو النور والأخر قديم. وهو الظلمة. كما فرض على أصحابه إخراج العشور من الأموال. وفرض عليهم أيضا عشرة فرائض. كما فرض عليهم سبع صلوات لمن قدر وأربع. لمن عجز ودون ذلك في كتبه منها. سفر الأسرار. وسفر الأحياء. وسفر الجبابرة. وقد تبنى أصحابه آراءه. ومازالوا تواجههم السلطات بالمقاومة للأفكار التي يزعمونها. (راجع في هذا الشأن : الفهرست لابن النديم ص٥٠٧ إلى ص٥٢٣. وكذلك الأستاذ : أحمد أمين – فجر الإسلام ص١١٢/١٠٩).

خراسان، واتفق القدوس مع قرة العين على اللقاء في جهرق لإنقاذ الباب من سجنه، به الاستعداد لذلك باستجماع القوى، وتجييش جيش لمواجهة جيش الدولة إن لزم الأمر[١].

... وا عن أفكارهم والمحافظة عليها، وبالتالي فقد اعتبروا من ضاق بند الطاووس ضيق الأفق، يقول ميرزا أواره الذين ضاقت صدورهم ولم تتسع لقبول هذا التجد العظيم الذي أعلنت عنه قرة العين الطاهرة، فإنهم قاموا بتشويش الأفكار، وإفساد الـ عن زمرة الأحباب، ونجم عن ذلك ما نجم من إغارة عصابة متسلمين عليهم، واعتدائ بالضرب والسلب وطردهم عن الجهة، فتفرق عن ذلك جمع الأحباب إلى ثلاث فرق:-

... حضرة بهاء الله - ميرزا حسين على المازندراني - متجه طهران.

☆ وأخرى ذهبت مع القدوس - ملا محمد على البارفروشي - والطاهرة - قرة العين مازندران.

☆ وثالثة ظلت في مركب لواء باب الباب - ملا حسين البشروئي - فاتجهت أولا إلى ماز فلما رأت فرقة القدوس متجهة إلى مازندران غيرت وجهتها حيث وجهت أخيرا إلى ... خراسان، ولكن الجميع أجمع العزم، وعقد النية الأكيدة على تنفيذ ما تقرر في م بدشت من التجمع ولم الشعث في ماكو، والعمل على إنقاذ حضرة الباب[٢]، واستـ الوسائل الكفيلة بتحقيق ذلك.

إذن لم يكن مؤتمر بدشت مجرد حدث إعلامي، أو مظهر من مظاهر التعبير عن بعينه، وإنما كان خطة مدروسة قد وضعت بعناية لدفع الأفكار الإنحلالية إلى دنيا الو حتى تتحول من أفكار نظرية إلى الواقع العملي، وتقديم الدعم الكافي لدعاة الانحلا الشريعة الإسلامية، حتى يعبروا عن ما يريدون الإعلان عنه أمام الرأي العام، مما يجعلني أ

(١) الدكتور حسن محرم الحويني - البابية والبهائية والقاديانية ص٦٤ .

(٢) ميرزا عبدالحسين أواره - الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢٢٣ .

في هدوء وجود توجيهات قوية، ودعم مستمر لأفراد تلك النحلة من الخارج، حتى يضعفوا من سلطة الدولة الحاكمة، أو على الأقل حتى يكونوا شوكة قوية في جنب الدولة الإسلامية.

وقد ظلت الدول الاستعمارية تباشر تلك المهمة، حتى قسمت إيران إلى منطقة نفوذ روسية، وأخرى إنجليزية، وبذلك سقطت تلك المملكة الإسلامية بين براثن الاستعمار، وكان ذلك في ٣١ أغسطس ١٩٠٧م، حيث أذيع في طهران نصوص المعاهدة التي عقدت بين روسيا وإنجلترا بهذا الخصوص(١).

۞ **وفي تقديري**: أن مؤتمر بدشت قد كشف عن وجود خلل تنظيمي وتكتيكي حكومي في مواجهة أصحاب هذا الفكر المنحرف؛ لأن الأرض التي انعقد عليها المؤتمر تقع تحت سلطة الدولة الصفوية، التي أعلن زعماؤها مرارا كثيرة، بأنها تحرص على شريعة الإسلام، وتنفذ تعاليمها على الكافة والخاصة، فكانت الدولة الصفوية من هذه الناحية أقرب إلى الحكومات العسكرية في أنظمتها التي تسير بها، وبالتالي فقد كان على قيادة تلك الدولة ممثلة في الشاة محمد وأعضاء حكومته مطاردة أعضاء تلك النحلة والقبض عليهم وإلقائهم في السجون مع تنفيذ أحكام الله فيهم بما يستحقونه طبقا لشريعة الإسلام.

على كل؛ فإن مؤتمر بدشت قد انعقد وانتهى، بينما كان الباب ما يزال مقيد الحرية في قلعة ماكو، فلما أعلن الباب رجوعه عن الآراء التي يرددها أمام جمع حاشد من العلماء والفقهاء، فقد أخذ من مجلسهم إلى الاعتقال مرة ثانية، حتى رفع أمره إلى الوالي من جديد وتدخل البعض للإفراج عنه، فتم ذلك الإفراج المؤقت عن الباب وأفراد نحلته.

---

(١) الدكتور محمد عبدالغني مرسي شامة – أثر البيئة في ظهور القاديانية ص٢٨.

في تبريز

بعد الإفراج عن الباب - على محمد رضا الشيرازي - قرر الارتحال من شيراز، ولكن إلى أين يتجه، وقد انكشف أمره أمام العلماء، كما التفت حوله الفضائح من كل ناحية، وشاع بين الناس في تلك المنطقة خبر سقوطه أمام مجلس العلماء ومذلته، بجانب هوانه أمام العامة والخاصة في المسجد الكبير، الذي جمعهم، ثم إن عيون الوالي ستظل آخذة في مراقبته، حتى إذا صدر عنه سلوك مشين، فلابد من إعادته إلى السجن مرة أخرى، جزاء نقضه شروط العفو عنه(١).

قرر الباب الارتحال إلى تبريز، عله يجد فيها متسعا لأفكاره، وبخاصة أن بعض اليهود الذين كانوا يسكنون المدينة لديهم رغبة في الإمساك بالأفكار الفاسدة والإعلان الدائم عنها، بل وإذاعتها حتى تنال من وحدة الأمة، وتضعف من قوتها وتنل في عزيمتها، وهي طبيعة ثابتة فيهم(٢)، فلما وصل الباب تبريز وأقام بها بعض الوقت، بدا حنينه يراوده في العودة للأفكار الشاذة التي كان يرددها واعتقل بسببها.

تجمع معه في تبريز بعض الأعوان القدامى، وانضم إليهم بعض الذين أطمعتهم أفكاره في الانحلال، وداعبت رغباتهم في ممارسة الإباحية، فبدأ الهمس والتناجي يظهر بينهم من جديد في تبريز، حيث أظهر الباب ما كان قد أخفاه، ووعد بعدم ذكره، كما

---

١) ولهذه الأسباب فقد قرر الابتعاد عن شيراز، زاعما أن القرآن الكريم قد طلب منه تلك الهجرة. مستدلا بقوله تعالى: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ سورة النساء - الآية ٩٧.

٢) الأستاذ حسن محمد سليمان - الكحكي معالم الفرق المنحرفة ص١٧١ طبعة دار حسن ١٩٥٧م.

عاد إلى القول بأفكاره القديمة، وأضاف إليها ما تولد عنده من أفكار استجمعها حين كان معتقلا بقلعة ماكو[1].

كان من غايات تلك الأفكار السوداء، أن تحدث فى الناس المؤمنين بعض القلق على العقيدة الدينية، التى يتمسكون بها، فأبلغوا العلماء بالموقف الجديد، مما دفع هؤلاء العلماء إلى الكتابة للوالى، حتى يتصرف مع هذا الدعى الذى نزل تبريز بأفكار غير مقبولة، فما كان من الوالى إلا أن طلب من الفقهاء والعلماء أن عقد مجلس له يناقشونه فى الآراء التى يدعوا إليها، وأخبروه بالموعد واليوم المحدد.

فلما جاء الموعد المتفق عليه جاءوا بالباب إلى ذلك المجلس، وحضره من العلماء الأعلام نظام العلماء، وملا محمد ما متافى، وإمام الجمعة وشيخ الإسلام أصغر، وبعض آخر من المجتهدين، وأخذ أعضاء المجلس يسألونه عن دعوته، فأجابهم بأنه المهدى[2]، فعند ذلك عم الهياج وتداخلت الأصوات، وطالبوه بالبرهان، فتلا الآيات دون تأمل وقال: إن هذا برهان عظيم لبقائه إلى الأبد.

فما كان جوابهم إلا الاعتراض على الكلام الذى ذكره، بأنه غير منطبق على القواعد النحوية، فاحتج عليهم بالقرآن المحمدى وأتى منه بعدة شواهد لا تنطبق على تلك القواعد[3]، وفى أثر ذلك تفرق المجلس، ورجع الباب إلى مستقره دون أن ينال منه أصحاب المجلس من العلماء والفقهاء الذين جاءوا بغرض امتحانه، والتأكد من أنه المهدى[1]، بل لم يجد

(١) الشيخ موسى محمد البيرومى - الباب خرافة قديمة ص١٢٥ - الطبعة الحديثة ١٩٦٥م.

(٢) وهو بهذا يعلن أنه المهدى مرة أخرى، بل فى كل مرة مما سبق يعلن أنه مجرد باب الإمام الغائب، أو باب المهدى، أما بعد ذلك فلم يعلن أنه باب الإمام أو باب المهدى، وإنما أعلن مباشرة أنه المهدى، مما يعتبر نوعا من التطور الجديد فى السلوك البابى.

(٣) هذا القول من السذاجة بمكان. وفيه دلالة على أن صاحبه غير طبيعى؛ لأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى. وليس كلاما محمديا. حتى ينسبه إلى سيدنا محمد ﷺ. كما أن القرآن الكريم سابق بكثير على وضع اللغة العربية. فلا يحتج باللغة فى مواجهة القرآن الكريم. ثم إن اللغة العربية قد استخرجت من أسرار القرآن ولغته. وبالتالى فالقرآن الكريم هو الحاكم على اللغة والحجة. والشاهد عليها وليس العكس.

من العلماء والفقهاء الذين جاءوا بغرض امتحانه، والتأكد من أنه المهدى[1]، بل لم يجد أحدهم علة عليه، فلما رجع إلى مقر إقامته بتبريز اعتبر نفسه منتصرا فى المعركة، وظن أن أسهمه آخذة فى الصعود، وبخاصة بعد أن أوعز إليه بعض أصحاب النفوس المدربة على تحريك النوازع، بأن نجمه لابد أن يعلو فى تبريز، بعد أن اختفى فى شيراز، فكان ذلك بمثابة الشرارة التى انطلقت فى الهشيم البالى. بدليل أنه راح يعلن آراءه فى غير خفاء، بل ويستخف بأهل الإسلام المتمسكين بشرع الله، وبخاصة عند قيامهم بأداء ما افترضه الله عليهم فى الفروع من صلاة وزكاة وصيام وحج[2]، وزعمه أن ذلك كله قد نسخ بشريعته الجديدة، التى أعلن عنها، رجاء ليكون هو النبى المبلغ بها، ونفخ أتباعه فى تلك النار فى كل ناحية.

ضاق المخلصون من أهل الإسلام فى تلك البلاد بتصرفات الباب ونحلته، فكثرت شكاواهم للوالى والحكومة فى طهران، وقد بينوا مخاطر السكوت عليه، كما ضمنوا شكاواهم فيه ما يعلنه من خرق دين الإسلام ونسخ الشريعة الإسلامية، وتبديل الأحكام والقرآن[3]، إلى غير ذلك، مما دفع الحكومة إلى توجيه الوالى وتكليفه بسرعة القبض عليه، ومواجهته بالعلماء حتى يناقشوه فى المزاعم التى يكررها.

عقد الوالى مجلسا آخر من العلماء والفقهاء، فحضره الباب ومعه بعض من أتباعه وكأنه الطاووس، فدخل عليهم متجهما منهم، متهجما عليهم، يلقى على كل واحد منهم بالألفاظ القاسية، والعبارات التى خرجت منه كأنها طلقات الرصاص المصوبة، وكان يوجه شتائمه للعلماء كل باسمه، ويؤنبهم كل واحد بشخصه.

وفى الوقت نفسه؛ كان العلماء فى تبريز قد كاتبوا العلماء فى شيراز، وعرفوا منهم أمر الباب مع الوالى فى شيراز، ومع الشيخ أبى تراب، وأن الوالى سجنه وعذبه، وأنه أعلن التوبة النصوح، والرجوع عن كل ما سبق القول به.

---

(١) مقالة سائح فى البابية والبهائية ص١٥ - مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م.

(٢) الأستاذ على محمد هاشمى - البابية نهاية مخزية ص١٣٥.

(٣) الأستاذ محمود محمد شعيب - البابية الحركة والهدف ص٩٧.

❊ ثم عقدوا جلسة أخرى، حيث طلب الوالى إليه أن يحضر ومعه الكتب التى يدعى أنه ألفها، والصحف التى يزعم أنها أنزلت عليه ففعل، وهنا تقدم إليه العلماء بأسئلتهم طالبين منه الإجابة عليها:-

◈ حيث سألة نظام العلماء والملا محمود عن الكتب والصحف، قائلين له: هل أنت الذى أصدرتها أم افتراها عليك أحد ؟ فقال: أعطونيها أنظر فيها، فلما قلب بعض أوراقها وتصفح البعض منها؛ قال: هذه من عند الله؛ لأنى باب العلم[1].

ويبدو أن زعمه هذا بأنه باب العلم، قد فتح شهية العلماء لإثبات كذبه وطمعهم فيه، فراحا يسألانه فى علوم الدين وغيرها، وهو لا يحاول الإجابة، فثبت أنه قد عجز تاما عن آية إجابة.

◈ سألة نظام العلماء قائلا له: تدعى تارة أنك نبى ورسول، وتدعى أخرى أنك الإمام المهدى، وثالثة تدعى الولاية، فإن كنت رسولا فأين معجزتك[2] ؟ وإن كنت المهدى الغائب، أو وليا فأين كرامتك[3]، حتى تقوم فى الناس حجتك ؟

فقال الباب الشيرازى: أنا المهدى الذى تنتظرونه من ألف عام، فإن لم يكن فيكم إيمان بعقيدة المهدى فأنكرونى، وإن كان عندكم إيمان بها فها أنا بينكم الإمام الغائب والمهدى المنتظر.

---

(١) وهو هنا قد ادعى النبوة. ومادام الأثر: أنا مدينة العلم وعلى بابها قد تمسك به الشيعة، فقد أعتبر نفسه هو النبى. وهذا غاية الضلال والإسفاف.

(٢) المعجزة : أمارة صدق النبى. وهى أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدى فى غير زمن التكليف. يجريه الله على يد مدعى النبوة تصديقا له فى دعواه، مع عجز جميع المتحدين عن الإتيان بمثله أو معارضته فيه. (راجع للإمام الأمدى غاية المرام ص٣١٧، وكتابنا : عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية ص٢٧٥).

(٣) الكرمة : هى أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد عبد ظاهر الصلاح، تخليصا له من شدة أو إجابة لدعوة أو قطعا لمسافة طويلة فى وقت قصير، أو إظهار طعام فى غير أوانه. (العلامة القشيرى [illegible] القشيرية ص٢١٧ طبعة الحلبى).

هنا ذكر له العلامة نظام العلماء، إمارات المهدى وعلاماته، وأنه من ولد فاطمة. وإن اسمه محمد، فعجز الباب عن إثبات انطباق شيء من أوصاف المهدى عليه.

◈ سألة العلامة الملا محمد الممعانى قائلاً له: أنت تقول: أول من آمن بك هو نور محمد ونور على، ويعنى هذا أن مقامك أعلى من مقامهما وأرفع(١)، فأين دليلك على ذلك العلو والرفعة؟

وقف الباب عاجزا عن الجواب أيضا، واضطربت مفرداته اللفظية إلى أبعد حد، حتى إن الكلمات أبت الخروج من فمه، واعتصمت داخل فؤاده، وظل العلماء به يسألونه وهو عاجز لا يجيب، فظهر أمام الناس من جديد كذبه، حتى إن كل من حمل نفسه على التعاطف معه أعلن التخلى عنه. وفى نفس الوقت ذكره العلماء بما كان له فى الماضى مع والى شيراز.

فلما واجهوه بما كان منه مع والى شيراز وعلمائها، وما كان منه مع الشيخ أبى تراب، أنكر ذلك كله، وأعلن أنه فعل ذلك تقية لهم(٢)، ومداراة وخداعا، وفى نفس الوقت أغلظ فى القول لهم، فاضطروا لمواجهة الخطأ بمثله، ومن ثم وقعت بين الناس المجتمعين حالة من الهرج والمرج فهدأ الوالى الحضور، وطلب محاورة الباب فيما يدعيه، فبان للجميع بعد المحاورة، أنه فقد

---

(١) راجع فى ذلك البابية والبهائية فى الميزان ص٦٩، والبابية نهاية مخزية ص١٣٩، والبابية الحركة والهدف ص٩٦.

(٢) يذكر الشيعة الإمامية أن التقية جاء بها الأثر: التقية دينى ودين آبائى، وكذلك من لا تقية له لا دين له، ويذكرون أنها كانت شعارا لآل البيت عليهم السلام دفعا للضرر عنهم وعن أتباعهم، وحقنا لدمائهم، واستصلاحا لحال المسلمين، وجمعا لكلمتهم، ولما لشعثهم، وهى واجبة فى بعض الأحوال، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِلا أن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ (سورة آل عمران – من الآية ٢٨) ولهم فى ذلك كلام طويل. (راجع للعلامة محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ص٧٢/٧٤) والتقية على أنه متى أحس إنسان بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أو التظاهر به لابد أن يتكتم ويتقى فى مواضع الخطر وهذا أمر تقتضيه فطرة العقول. (المصدر نفسه ص٧٢).

إيمانه وغلبه شيطانه، حيث حكم عليه العلماء بالكفر والقتل[١]، فألقى به الوالى فى السجن حتى يرى فيه رأيا.

وقد أمكن للشيرازى أن يلعب هذه المرة أيضا على أوتار حبال التوبة، ويستفيد منها، كما فعل مع والى شيراز من قبل، وأعلن الرجوع عن الأفكار التى رددها من قبل، وأنه ما قصدها على الحقيقة، وإنما العبارات هى التى هربت منه، وأنه مستعد لإقامة حكم الشرع فيه، إذا كان مذنبا، وعزز موقفه بزعم أنه من نسل النبى محمد ﷺ، بل ذكرهم متسائلا: كيف يسمح لنفسه إدعاء مثل هذه الأمور الكبيرة، وأنه ما فعل ذلك إلا ليختبر قوة إيمان هؤلاء التبريزين، ويعرف مقدار حبهم لآل البيت، فانطلت ألاعيبه على الوالى، الذى كان هو الآخر غير مستعد لإبقاء الباب الشيرازى فى تبريز، على ناحية إذ كان يفضل أن يقع أمره فى مكان أخر، بدل أن ينتشر هذا الأمر فى تبريز، فأطلق سراحه، ونصحه بالخروج من هذه الديار؛ لأن أهلها غير مستعدين لتقبل ما دعوا إليه من أفكار.

في أذربيجان

يبدو أن الشيراوى - الباب - قد شغف بالترحال، فهو كلما انغلقت أمامه الطرق المأمونة سلك أخرى، بغض النظر عن كونها مأمونة، أم غير مأمونة، فالاندفاع صار سمة له، وهو من طبيعة الحمقى، الذين لا يقدرون لأقدامهم قبل الخطو مواضعها وبالتالى يسقطون فى الحفرات، وتكثر لهم الكبوات[٢]، وبالتالى فقد ارتحل إلى أذربيجان وأقام بها.

لكنه أسرع بالإعلان عن أفكاره بمجرد استقراره فى أذربيجان، حيث وجد فيها خليطا من الأفكار بعضها مشوش مهزوز، وبعضها الآخر ثابت مستقر، وبينهما عقائد

---

(١) الأستاذ محمد المرتضى التبريزى - موقف العلماء من المنحرفين ص١٣١.

(٢) لكن المشكلة حين تترك الجهات المسئولة هؤلاء الحمقى طليقى القيد يفعلون ما تشتهيه أنفسهم دون رقابة عليهم. تحد من تلك التحركات أو تقلل من أخطارها، وحينئذ تكون الحماقة قد شملت الجهات المسئولة كما شملت هؤلاء الأفراد.

تجرى فى كل منهما، والصراع بين أتباع كل منهما على أشده[1]، ومثل ذلك الجو الملبد بالغيوم يكون مرتعا خصبا للأفكار المنحرفة، بحيث تنمو فيه، وعلى ضفاف شواطئه المرتعشة تترعرع.

وكان الباب يستعمل فى الإعلان عن أفكاره المنحرفة هذه وسائل عديدة بعضها يتعلق باللغة المعبرة التى تحمل الاستمالة واللولبية والبعض الآخر يتعلق بوسائل الإغراء المتعددة، ومنها الوعد بعيشه رغدة، وحياة أفضل[2]، وبخاصة أن المهدى الموعود به سيملأ الأرض عدلا بعد ملئت جورا وظلما، فإذا جاء الباب وأعلن عن نفسه أنه المهدى، فقد تحقق ما وعدهم به من نعيم ماز الوا ينتظرونه، وهم على أحر من الجمر انتظارا للعدل الذى وعدوا به.

بات المقربون منه فى أذربيجان يتعاملون معه بشيء من الحذر، يستوى فى ذلك من لديهم أطماع فى إزاحة السلطة الحاكمة[3]، ومن يتعلقون بالآمال فى الخروج من الأزمة الفكرية والدينية التى غطت مساحات كثيرة من سماء الفكر فى إيران، ومن لديهم رغبة فى الغلبة والانتصار على المجوسية والوثنية، بكل اعتقاداتها المختلفة[4]، حتى تتخلص البلاد من تلك الانحرافات التى يعتقد أنها سبب رئيسى فى كثافة السلبيات المحيطة بالأمة، وتهددها آنا بعد آخر فى أصولها وعقيدتها الثابتة.

---

(١) الشيخ موسى محمد البيرومى – الباب خرافة قديمة ص١٢٨ .

(٢) الأستاذ محمود محمد شعيب – البابية الحركة والهدف ص١٢٧ .

(٣) وكان اليهود والمسيحيون يطمعون فى إزاحة السلطة التى ثبتها إسماعيل الصفوى. كما يتمنون إزالة الدولة الصفوية كلها؛ لأنها رسخت فى بعض المفاهيم أنها دولة إسلامية. وأنها حامية الإسلام فى بلاد فارس. وأنها الدرع الواقى للإسلام من هجمات الأعداء المتربصين. (راجع للشيخ محمود حسن الحر – الدولة الصفوية وحكم الشاة ص٩٧ طبعة الدار الجديدة ١٩٣٧م).

(٤) الأستاذ نجم الدين محمد أبو الحسن – فارس والمعتقدات الدينية ص١٢١. وقد ذكر أنماطا كثيرة من المعتقدات الدينية والوثنية، وهو كتاب مفيد لم يريد التعرف عليها من حيث المبادئ والأفكار؛ لأنه تمثل رصدا فنيا ومتابعة ميدانية.

لم يتوقف الباب الشيرازي في الإعلان عن أفكاره المنحرفة عند هذا الحد، وإنما صار يمارس ذلك الإعلان في الأماكن العامة التي يتردد عليها العامة والخاصة، ويبدو أنه من كثرة إدخاله المعتقلات قد صارت لدية رغبة في الاندفاع إليها، أو أنه اكتسب مناعة، فلم تعد أفكاره التي تصدم عقيدة الناس الثابتة بحاجة إلى الإخفاء، وإنما بات أمر إذاعتها والإعلان عنها على الدوام أمرا مهما بالنسبة له(١).

بيد أنه أسرف في ذلك، حتى أنه خلال فترة وجيزة، من إقامته بها كان يتردد على المساجد في أذربيجان، ويحاور شيوخها، فصار هو البادئ، ولم يعد كما كان في الماضي هو المستدرَج، وذلك يمثل تطورا جديدا في مرحلة بناء الأفكار والمبادئ البابية، مما يدفع الباحث لمراجعة المواقف السابقة، ويؤكد من جيد أن هناك دعما خارجيا كان يقدم للباب، وفي نفس الوقت كان يحظى بنوع من الحماية الأمنية، التي تمثلت في تعاطف بعض الساسة والولاة معه في السر، وتلمسوا له الأعذار في العلن.

ضاعف ذلك الهجوم التي يمارسه على الأصول العامة والثوابت القائمة من حدة الغاضبين عليه، الذين ثاروا ثورة عارمة كادت تزهق فيها أرواح بريئة، وهم في ذات الوقت لم يجدوا مفرا من الدفاع عن دينهم الحنيف، فاستدعى ذلك مقاومة الأفكار المنحرفة، ومحاربة الباب وأتباعه حتى حدث بين الناس عنف أوجب على الوالي إصدار الأمر بالقبض على الباب وإيداعه السجن، ثم إجراء مواجهة بينه وبين العلماء والفقهاء، كما كان يحدث معه في الماضي(٢).

---

(١) بعض الناس يتلذذون بالعقاب الذى يقع عليهم، وهم يسعدون به حتى يقول الناس عنهم أنهم أحرار. ويزعمون أنهم بذلك يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه، وهم فيما زعموا واهمون.

(٢) لأنه هذا المرة يمثل خروجا عن الأمن العام، فصار أمر السيطرة عليه ضرورة أمنية، وهنا لابد من تدخل الحاكم محافظة على السلطة السياسية، ولو أن الحاكم وضع في حسبانه أمر المحافظة على هيبة الدين في النفوس لكسب الأمرين معا، أمر الدنيا والآخرة.

وساعد على ذلك أن حاكم أذربيجان في ذلك الوقت كان هو نفسه ولي العهد[1]، ومن حقه أن يمارس مهام عمله من خلال كونه الشاة المنتظر، متى انتقل إلى رحمة الله والده، ومن كان ذلك شأنه فليس بحاجة إلى فتوى شرعية، إذ يكفي بالنسبة له إنفاذ ما يراه، ثم يصدر الفقهاء والعلماء فتاواهم بعد ذلك متوافقة مع النتيجة التي انتهى إليها الموقف.

مكث الباب في السجن بأذربيجان فترة قليلة، كان فيها يلقى المعاملة الطيبة حيناً، والقاسية حيناً آخر، فمتى كان ممسكاً لسانه بعيداً عن اتجاهات السياسة، فإنه يلقى معاملة طيبة. أما إذا ترك لسانه، يلج في شئون السياسة فإن الحاكم يفرض عليه نوعاً من العقوبة حتى يرتدع[2]، وكم تمنيت أن يلقى نفس العقاب متى تعرض للشريعة الإسلامية؛ لأن المحافظة على العقيدة الإسلامية هي غاية ما ينشده المسلم ويحافظ عليه، بل إن ذلك من الواجبات التي تتوافر عليها النفوس، وتتمسك بها القلوب، متى كانت متطلعة إلى رضوان الله تعالى.

على كل: قضى الباب في هذا السجن فترة من الوقت كان أتباعه يسعون لإخراجه من السجن بطريقة أو أخرى، وقد بذلوا في سبيل ذلك مجهودات كثيرة، وكان هناك من يعمل في الخفاء لمساعدة البابيين ومحاولة إنقاذ الباب، وعلى رأسهم منوجهر خان الروسي المتخفي، الذي تظاهر بالإسلام، حتى اكتسب ثقة الشاه، فولاه على مدينة أصفهان، وكان هو أحد الركائز الهامة التي يعتمد عليها الاستعمار الروسي في إيران، فسعى الرجل سراً إلى إطلاق سراح الباب من سجنه ونقله إلى أصفهان[3]، وقد نجحت حيلته وساعده على ذلك نزول البلاء ببعض البلاد، ومنها أذربيجان متمثلاً في الكوليرا، حيث هرب الناس خشية الموت، وأمكن لذلك الحاكم أن يرسل بعضاً من أعوانه إلى أذربيجان، حيث يقيم الباب في سجنه وقد أمكنهم كذلك فك قيده وإطلاق حريته ضمن الذين أمكنهم الهرب من أصفهان.

---

(١) وهو ناصر الدين بن الشاة محمد الصفوي، والذي تولى حكم إيران بعد وفاة السلطان محمد وحكم على الباب في عهد ناصر الدين بالكفر ونفذ فيه حكم الإعدام على ما سيأتي.

(٢) الشيخ موسى محمد البيرومي – الباب خرافة قديمة ص١٢٩ .

(٣) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص٦٨ .

أوعز الحاكم الأصفهاني - منوجهر خان الروسي الأصل - إلى أتباع الباب حتى لا يكون مقصده هذه المرة إلى أصفهان، كما أنه هو الآخر كان يميل إلى ما يقرره هذا الباب من اعتقادات فاسدة، ويعجب جداً بما فيها من ضلالات سوف تنتهي إلى شق وحدة الأمة[1]، لكن لا يظاهر ذلك للملأ، إنما يكتفي بهذا الإعجاب، وممارسته داخل نفسه .

في أصفهان

توجه الباب إلى أصفهان حيث الموئل القوي، والحصن المنيع، وقد كان له ما كان، فكثر في أصفهان أتباعه، وعلا شأن نحلته، وحدثت له مع العلماء محاورات ومناظرات كان الغرض منها إبطال اتجاهات الفقهاء، حتى يبحثوا عن الجديد، وهو التمسك بنسخ الشريعة وقد غالبه الأمل أن يحصل من طول التباحث، وكثرة التكرار، استجابة بعض الناس لهذه الأفكار .

إذن اغتنم الشيرازي الفرصة، فعاد إلى غيه وفساده، الذي أعلن أنه تاب عنه، وكذب نفسه فيه، ولكن الناس لا يفقهون، فقد استطاع هو ودعاته أن ينشروا في الأرض الفساد، منتهزين فرصة اشتغال الحكومة بمرض الشاة محمد سلطان البلاد، ولكن الحكومة تنبهت لخطورة دعوته ودعاته، رغم مشغوليتها بمرض الشاة[2]، فطلبت متابعته وتحديد إقامته، ومحاولة صرف الناس عنه، وتنفيرهم منه .

وفي أصفهان اجتمع له العلماء، وحتى يناقشوه فيما يزعمه أو يدعيه، وقد أوعز إليهم منوجهر خان حسن استقبال الباب بزعم أنه شريف، منتسب لآل البيت، كما أضفى عليه بعضاً من ألوان الحماية غير المعلنة، بجانب إحاطته بالتكريم الذي تفنن حاكم أصفهان في إضفائه عليه، وقد تفنن هذا الحاكم - الروسي الأصل - في استعمال وسائل التضليل

---

(١) الأستاذ نجم الدين محمود أبو الحسن - فارس والمعتقدات الدينية ص١٢٥ .

(٢) الشيخ مصطفى الطير - البابية والبهائية في الميزان ص٦٧

بكل ما أمكنه، وهو فى ذات الوقت يمهد السبيل له حتى يجتمع بأتباعه خفية فى مقر إقامته. ويماطل فى تحقيق ما وعد به من اجتماع العلماء بالباب على وجه السرعة كسبا للوقت[1].

وفى النهاية اضطر الحاكم والباب إلى الانصياع للأمر، حيث راح العلماء يناقشونه فيما ذكره مناقشة فيها الكثير من استعمال العبارات الواضحة الصريحة التى تبين عن المقصود بسرعة، فانكشف أمره، والمؤسف له أنه فى كل مرة تتكشف عوراته وتسقط أوهامه، وتظهر أكاذيبه، يعلن التوبة والخضوع، كما يعلن التنازل عن الأفكار التى كان يرددها، وهى حيلة صار لجوءه إليها عادة ثابتة.

فيذكر كتّاب مقالة سائح: «أنه عندما وصلت دعوى المهدوية إلى مسامع فحول المجتهدين والعلماء المتبحرين قاموا على المنابر صارخين صائحين[2] قائلين: إن القول بالمهدى الغائب من ضروريات الدين المبين، بل من أقوى دعائم المذهب الجعفرى بالنسبة للغيوبة الكبرى، بل تساءلوا ما معنى أقوال حسين بن روح[3] التى مهد فيها للإمام الغائب، كأنهم يريدون القول بأن الباب كاذب فى كل ما يدعيه، أو أن هؤلاء الأئمة هم الذين يقع الكذب على أقوالهم، ولما كان الأئمة معصومين؛ فإن الكذب يكون حليف الباب لا محالة.

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى - البابية والبهائية - القسم الأول ص٦٩ (بتصرف يسير).

(٢) إذن إصابتهم دعوة الباب بالغثيان، ورفضها داخلهم، فانطلقوا على كل ناحية يعبرون عن ذلك الرفض. ونعم ما فعلوا.

(٣) هو الباب الثالث الغائب الحسين بن روح النوبختى المتوفى سنة ٣٢٦هـ باعتبار أن مرتبة الباب الأول كان يطمع فيها محمد بن نصير مؤسس النصيرية، ولكن زملاءه رفضوه وولوها غيره، وهو عثمان بن سعيد، ثم من بعده ابنه محمد بن عثمان المتوفى سنة ٣٠٥هـ ثم جاء ثالثهم، وهو النوبختى الذى أوصل بالبابية إلى الباب الرابع على بن محمد السمرى، فكانت له السفارة إلى أن مات عام ٣٢٩هـ وبموته وقعت الغيبة الكبرى فى اصطلاحهم. (راجع البهائية للأستاذ محب الدين الخطيب ص٢٢)

بل أعلنوا متسائلين: أين ذهبت مرويات ابن مهزيار؟ وكيف نعمل بطيران النقباء[١]، والنجباء[٢]؟ وإلى أين تذهب بفتوح الشرق والغرب غيبوبة الإمام المعصوم الثانى عشر، ثم ذكروا علامات المهدى الإمام الغائب بحسب النصوص التى يتوارثونها[٣]، وقالوا: ما الذى جرى بجابلقا، وأين ذهبت جابلصا[٤]، وما معنى الغيبوبة الصغرى؟ وماذا حدث وأين حمار الدجال، ومتى ظهر السفيانى، وأين العلائم المذكورة فى أحاديثنا، فلا يخلو الحال، أما إن نكر أحاديثنا، ونبذ المذهب الجعفرى، وتحسب النصوص الصريحة للإمام الغائب أضغاث

---

(١) « النُّقَباء: جَمْع نَقيب، وهو كالعَريف علـى القـوم المُقَدَّم عليـهم. الـذي يَتَعَـرَّف أخبـارَهم. ويُنَقِّب عـن أحوالهم: أي يُفَتِّش. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جَعَل نينةَ العَقَبة كُلَّ واحدٍ من الجَماعة الذيـن بـايعوه بها نَقِيبا على قومِه وجَماعتِه. ليأخُذوا عليهم الإسْلام. ويُعَرِّفوهم شرائِطَه. وكان الإثْنَيْ عشَر نقيبا كلُّـهم من الأنصار. وكان عُبَادة بن الصَّامت منهم » (راجـع غريـب الحديـث والأثـر لابـن الأثـير - المجلـد الخـامس - حرف النون - باب النون مع القاف - مادة (نقب).

(٢) « النَّجيب: الفاضِل مِن كُلِّ حَيوان. وقد نَجُب يَنْجُب نَجابةً. إذا كان فاضِلا نَفِيسا في نَوعِه. وفيه [إن كُلَّ نَبيٍ أعْطِيـَ سَبْعَةَ نُجَبَاء رُفَقاء]، ومنـه الحديـث [إن اللّـه يُحـب التَّـاجر النَّجيـب] أي الفاضِل الكَريـم السَّخيّ. ومنه حديث ابـن مسـعود [الأنْعـامُ مـن نَجـائب القـرآن. أو نَواجـب القـرآن] أي مـن أفـاضل سُورَه. فالنَّجائب: جمع نَجيبَةٍ، تأنيثُ النَّجيب. وأما النَّواجب. فقـال شَمِر: هـي عِتاقُـه. مـن قولهـم: نَجَبْتُـه. إذا قَشَرْتَ نَجَبَه. وهو لِحاؤه وقِشْره. وتركْتَ لُبابه وخالِصَه » (راجع غريب الحديث والأثر لابن الأثـير - م٥ - حرف النون - باب النون مع الجيم مادة نجب).

(٣) توارث الإمامية الاثنا عشرية الاعتقاد بأن الإمام الثانى عشر المعصوم غائب فى سرداب بمدينة سامراء - سرمن رأى. ويمكن الرجوع إلى عقائد الإمامية للأستاذ محمد رضا المظفر. والحقائق الخفية عن الشيعة الاثنا عشرية للأستاذ محمد حسن الأعظمى؛ وكذلك الشيعة والتصحيح للدكتور موسى الموسوى.

(٤) ذهب العلامة محب الدين الخطيب إلى أنهما مدينتان اخترعتهما عقول أهل الخيال. فزعموا أن أولاهما فى طرف المشرق، والأخرى فى طرف المغرب. وان لكل منهما ألف باب، وعلى كل باب ألف حارس. ولهما شأن فى علامات ظهور المهدى؛ لأنه وأولادا له ثلاثة يظهرون منهما. (راجع البهائية ص٢٢).

أحلام. وأما إن نقضى بتكفير هذا الشخص، بل نعد محوه أعظم فريضة[١]؟ فالمهو في الاحتمال الثاني.

ولا شك أن هذه الانتقادات قد انتهت إلى الحكم عليه بالكفر، بينما لجأ بعض منهم إلى الحكم عليه بأنه مجنون، غير أن الكثرة هي التي طالبت بقتله؛ لأنه مرتد. فأخذ منوجهر خان يراوغهم، ويحاول أن يجد وسيلة يمكنه بها أن يجعل الباب يفلت من القتل حداً، فاتخذ حيلته، وهي إخراج الباب من المدينة أمام أعين الناس، بزعم ترحيله إلى طهران، ولكن ذلك الوالي خدع الناس وأعاد الباب إلى قصر الوالي في جنح الظلام، واضعاً تحت تصرفه كل ماله من نفوذ وجاه ومال وتدبير، وظل الباب يمرح في ساحات القصر بعيداً عن العيون أربعة أشهر يلتقي فيها بأعوانه، يدبر معهم خططهم بتوجيه من منوجهر خان حتى هلك الأخير بعد أربعة أشهر، فاكتشف الحاكم الجديد أمر الباب، وأخبر السلطان فصدر الأمر بنفيه[٢].

في تلك الآونة كان مرض الشاة محمد قد اشتد، وأخذ ولي العهد ناصر الدين في التجوال داخل مدن وقرى فارس، وكان غرضه من ذلك التعرف على اتجاهات أهل البلاد ورغباتها على الناحية السياسية، وكانت الحكومة قد أمرت بإلقاء الباب في سجن قلعة جهريق، وأثناء مرور ولي العهد بمدينة جهريق، أمر بالباب فأخرج من سجنه، ثم طلب من العلماء مواجهته بمزاعمه فنطق الباب كفراً على كل ناحية.

هنا قرر ولي العهد التعامل معه بلغته، فقال له: ما هذا الضلال والإضلال، وما هذه الخزعبلات[٣] والترهات[٤]، أتحسب إنه لم يأتنا نبأ ارتضائك الشاق في بوشهر، وهوسك الزائد بتسخير الشمس والكواكب، وقيامك المدة الطويلة من الصباح إلى المساء حاسراً الرأس

---

(١) مقالة سائح في البابية والبهائية ص١٨ نقلا عن البهائية للأستاذ محب الدين الخطيب.

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية ص٧٠.

(٣) خزعبل: الخُزَعْبل والخُزَعْبيل: الباطل. وفي الصحاح: الأباطيل. قال الجرمي الخُزَعْبِيلة ما أضحكت به القوم، يقال: هات بعض خُزَعْبيلاتك، خُزَعْبيلاتُ الكلام: هَزْله ومِزاحه. والخُزَعْبلة: الفكاهة والمِزاح. ومن أسماء العَجَب الخُزَعْبلة والحَنْبَنَى، وقال ابن دريد: خَزَعْبَل وخُزَعْبيل هي الأحاديث المستطرفة. (لسان العرب للعلامة ابن منظور ج٣/٢٤٥).

(٤) التُّرَّهَةُ، كقُبَّرَة: الباطِلُ، كالتُّرَّه، والطريقُ الصَّغيرةُ المُتَشَعِّبَةُ من الجادَّةِ والقاصِعَةُ والرِّيحُ والسَّحابُ والصَّحْصَحُ، ودُوَيْبَةٌ في الرَّمْل. وتجمع: تُرَّهاتٌ وتَرارِيهُ، وتَرِهَ، كسَمِعَ: وقَعَ فيها، أو الأصلُ للتَّقابِي، واسْتُعيرَتْ للأباطيلِ والأقاويلِ الخاليةِ من الطائِل. (القاموس المحيط للفيروز آبادي – باب الهاء – فصل التاء).

تحت أشعة الشمس المحرقة، حتى أفسدت حرارتها دماغك، وأذبلت مخك، وأزالت عقلك، فصرت إلى ما أنت فيه من الخبال والجنون، وانتهيت إلى هذا الحد من الضلال والإضلال[1].

وكالشأن مع الباب في كل مرة يختلف الناس حوله، فريق يقضي فيه بالكفر، وأنه يجب أن يقتل حداً، بينما يقضي فيه أخر بالجنون، وأنه يجب أن يعذب ويحبس حتى يتوب، فأخذ ولي العهد بما أخذ به من قبل، وهو حبسه وتعذيبه، فوجه إلى الباب بعض العبارات القاسية، ومما قاله له لولا ثبوت جنونك، وشرف انتسابك إلى بيت النبوة[2]، لأمرت بقتلك حتى يعلم الناس أن المهدي المنتظر لا يغلب على أمره، ولا يأتي بما يخالف دين جده سيدنا محمد ﷺ الذي ارتضاه الله لعباده في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾[3]، وفي ذلك القول شهادة من ولي العهد بأن الباب خرج على ملة المسلمين، وخالف دين رب العالمين، وبالتالي يستحق القتل حداً.

ويقول أحد العلماء: «كانت السلطات الحاكمة فيما قامت به من إجراءات قد منعت اتصال البابين بالباب في سجنه، ولكن هؤلاء الأتباع تمكنوا بشتى الحيل من لقائه

---

(١) الأستاذ الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير – البابية والبهائية في الميزان ص٦٩ – مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) ويذهب السيد أمير محمد الكاظمي القزويني إلى أن انتسابه لبيت النبوة ليس محل قبول. حيث يقول: «إن دعوى سيادة الباب. وأنه من ولد فاطمة باطلة وغير صحيحة. أما أولا فلأنه لم يأت على سيادته بدليل مشروع فليس له سوى الزعم الفاسد أنه من ولد فاطمة. الأمر الذي يستطيع أن يدعيه كل إنسان. فحديثه شهادة لنفسه. وهي باطلة. لا تثبت حقا. ولا تنفي باطلا. ولا تحج خصما. بل لخصم لا يكون حكما عقلا ونقلا. وثانيا أن ولد فاطمة كثيرون. فمن أين للباب علي محمد الشيرازي الذي لا يعرفه المسلمون من الإمام أبي القاسم الحجة محمد المهدي بن الإمام الحسن العسكري عليه السلام المتعرف عنه في حديث النبي ﷺ المولود في أواسط القرن الثالث من الهجرة. وبين الناس الذي ولد في أوائل القرن الثالث عشر من الهجرة. وبين ولادتهما ٩٧٩سنة. فكيف ينطبق هذا عليه. إن كنتم تعقلون». (العلامة السيد أمير محمد الكاظمي القزويني – البابية والبهائية في الميزان ص٤٢).

(٣) سورة المائدة – من الآية ٣ .

والاتصال به، وتلقى توجيهاته بأن يكثفوا نشاطهم، ويوسعوا دائرة انتشارهم، ويخرجوا بالدعوة من طابعها السرى إلى المجاهرة بها، وكان موقف الحكومة بعد اعتقال الباب واضطهاد أتباعه، وتعقبهم فى حد ذاته عاملا من العوامل التى حولت حركة البابيين إلى شكل جديد، اختلطت فيه أطماعهم الدينية بأطماع سياسية، وبرزت فى مخططهم تطلعاتهم إلى الحكم، وأصبح من أهدافهم القضاء على الحكومة القائمة حتى يتسنى لهم إقامة مملكة دينية بزعامة الباب[1]، يتوارثها أتباعه من بعده، ويكون وجود هذه الزعامة البابية مفروضا على الجميع بغير استثناء.

وذلك كله قد ساهم فى وجود نوع من الصراع بين أعضاء نحلة الباب من ناحية، والحكومة الإيرانية من ناحية أخرى، وبخاصة أنها اعتبرت هذه النحلة - بعد قرار ولى العهد - تمثل نوعا من الخروج على الشرعية المتمثلة فى الحكومة القائمة، فإما أن تعبر الحكومة عن قوتها وقدرتها على السيطرة التامة، بحيث يخضع جميع المقيمين داخل البلاد لسلطة الدولة على الناحية السياسية، وإما أن تعبر البابية عن قدرتها على فرض إرادتها، وإزاحة الحكومة الإيرانية من طريقها، ومن ثم فقد اشتد الصراع، وبات كل من الطرفين يسعى للخلاص من الثانى الذى يعتبره العدو الوحيد.

ممارسة الباب وأتباعه الفواحش والمنكرات

نجح أتباع الباب فى استغلال وفاة الشاة محمد، وانشغال السلطة والمجتمع بذلك الحدث، فانطلقوا إلى حيث اعتقال الباب، حيث أمكنهم فك قيوده، بل وإخراجه من السجن، فأسرع الباب ومن معه التحصن بقلعة الطبرسى، حيث اتخذ منها مكانا يأوى إليه وجماعته، وفى نفس الوقت يغيرون منه تحت جنح الظلام - هو ومن معه - على القرى الآمنة القريبة من القلعة، فينهبون الأموال، ويسفكون الدماء، ويثيرون الرعب فى نفوس الناس[2]، بغرض إظهار السلطة فى

(١) الدكتور حسين محرم الحوينى - البابية والبهائية والقاديانية ص٦٥ .

(٢) الأستاذ محسن محمد يسرى - الحركات الهدامة ص٨٧ ط٢/١٩٣٧م.

موقف الضعف. فيحدث نوع من فقدان الثقة فيها؛ لأن الحكومة العاجزة عن توفير الحماية لأفراد الشعب لا قيمة لها، وبالتالي يصير من حق الجميع الخروج عليها، فأتبع الباب وجماعته ما يلي:-

٤ـ ممارسة الفواحش

انطلق هؤلاء البابيون في التعبير عن شهواتهم وملذاتهم، بشكل لم يسبق له مثيل، بدليل أن آثام القدوس وقرة العين قد فاضت أمام الرأي العام، إذ كانا يركبان معاً في هودج[1] واحد، وكانت المرأة قد أصرت على صحبته في ذلك الهودج الواحد، لتقضي بتأثير أنوثتها وإغرائها على ما تبقى في نفسه من تردد فيما أعلنته هي من نسخ الشريعة، وتبديل الأحكام، وغير ذلك مما ادعته وأكدت عليه.

ويبدو أن الرجل - القدوس - قد انهارت مقاومته أمام تأثيرها الأنثوي، فقد بلغ الأمر بهما أن نزلا إحدى القرى، فدخلا الحمام سَوِيّاً - مع أنهما ليسا زوجين - فثار بهما سكان القرية الذين رفضوا أن يسمحوا للخطيئة أن تلوث أرضهم، وطاردوهما، ففرا هاربين تلاحقهما اللعنات[2] من كل ناحية، وبالتالي؛ فقد كانا يدعوان للفواحش ويمارسانها ومعهما كل الأتباع، كما هو الحال مع عصابات الجنس الرخيص.

ولم يكن ذلك حال واحد منهم، وإنما كان الجميع فيه سواء، إذ أنهم اعتبروا ما قالته قرة العين بهذا الشأن من القواعد التي يجب العمل بها، وليس مجرد اقتراحات تحتاج المزيد من الدراسة، ومن ثم فقد أخذوا في ممارسة ما دعت إليه المرأة من فجور وفسق وزنا، وإسقاط حواجز الشرع من طرقهم، فصاروا حيوانات همجية، لكنها تمشي على قدمين، ولها

(١) الهودج مقصورة ذات قبة توضع على ظهر الجمل لتركب فيها النساء، وجمعها هوادج. (راجع المعجم الوجيز باب الهاء ص٦٤٦)

(٢) الأستاذ عبدالرحمن الوكيل - البهائية تاريخها وعقائدها ص١٠١.

شكل الآدميين، وما هم إلا شياطين مردة فى ثياب قديسين(١)، وبان خداعهم وكذبهم، كما انكشفت نواياهم العدوانية التى لا هم لها سوى النيل من أمن المجتمع وسلامته.

ومن المؤسف جدا أن ما فعلته قرة العين مع عشيقها القدوس صار قاعدة يتمسك بها البابيون؛ لأنه لما اشتكى الناس من سلوكياتها الشاذة، وتهتكها السافر، وفواحشها العلنية، وتقدموا بشكاياتهم للباب، كان رده عليهم مخيبا للآمال، ومصادما للطبيعة البشرية السليمة، حيث قال لهم: ماذا عساى أن أقول فيما فعلت، وقد سماها لسان العظمة القدرة الطاهرة(٢)، فإذا كانت المرأة بأعمالها الفجورية قد اعتبرت طاهرة ألا يفتح هذا التصرف الشاذ لكل البابيين المغاليق الشرعية، حتى ينطلقوا فى الفواحش إلى أبعد مدى.

إذن كان البابيون يتطلعون إلى بلوغهم غاية من الغايات فى قيادة الدولة السياسية، مهما كانت الأسباب، وقد تجسدت هذه التطلعات تارة فى مواجهات حربية، وأخرى فى تدبير المؤامرات، واقتناص الفرص المواتية للفتك بالحاكم(٣)، وأخرى بالمؤتمرات المتعددة التى يقع فيها ضغط جماهيرى، يمثل وسيلة من وسائل إقلاق السلطة الحاكمة، وتعبئة الشعور العام بالعداء على ذات الحكومة، فيتحول الصراع من أفراد مع بعضهم إلى جماعات مع الحكومة نفسها.

كثرت شكاوى الناس من هذا البلاء المتمثل فى نوع من العصابات التى تمارس الضغوط الفكرية والدينية والجسدية معا، فتوجهت قوة من قوات الحكومة إلى مطاردة أعضاء هذه النحلة، حتى تقضى عليهم، وتريح الناس من متاعبهم، وكان قائد تلك القوة

---

(١) الأستاذ محسن محمد يسرى - الحركات الهدامة ص٩١.

(٢) الأستاذ إحسان إلهى ظهير - البابية ص٢٤٧.

(٣) الدكتور حسن محرم الحوينى - البابية والبهائية والقاديانية ص٦٥.

العسكرية ممن يتميزون بالدربة والحنكة السياسية[1]، فدعاهم أولاً إلى الهدوء والكف عن إثارة الفتنة، فرد عليه القدوس رداً مليئاً بالمكر والخداع، زاعماً له أن البابية لم يقوموا بفعل شيء أكثر من تبشيرهم بظهور القائم، وأنهم جمع ضعيف، وأن كل ما يقال عنهم بهتان لا أصل له.

وإمعاناً منهم في المكر طلب اتباع الباب من قائد الحملة أن يمهد للباب، حتى يلتقى بالعلماء ليقارعهم بالحجة والبرهان، فإما أن يسلموا له أمام الناس، وإما أن يظهر أمره بما سيقوم به من الإتيان بمعجزات، ويبدو أن قائد الحملة كان على قدر قليل من الثقافة الدينية والإلمام بالظروف التي أحدثتها فتنة الباب ونحلته، بدليل أنه عمل على الاستجابة لمطالبهم في التمهيد للباب حتى يلتقي بجماعة العلماء والفقهاء بغية المحاورة[2]، وكان ذلك التحايل منهم بمثابة الفرصة، حتى يلتقطوا أنفاسهم، ويبحثوا عن طريقة أخرى لممارسة أعمالهم العدوانية.

﴿ بدء القتال ﴾

ظن الرجل أن القوم صادقون في مزاعمهم، أو أنهم جنحوا للسلم، فلم تعد هناك حاجة داعية للقتال، وكما أن حقن الدماء من شريعة الإسلام، فلم يأخذ بالأسباب من الحيطة والحذر في التعامل معهم، وبخاصة أنهم معتصمون داخل قلعة الطبرسي، بمعنى أنه كان بإمكانه محاصرتهم حتى الموت من غير قتال، ولكن حسن النية لدى القائد العسكري جعله لا يأخذ القوم على غرة، طالما أعلنوا عن رغبتهم في السلم، فراح يمهد للقاء الباب بالعلماء.

في ذات الحين كان الباب ومن معه من الدعاة يحشون نفوس الأفراد الذين معهم بالآمال، ويمنونهم بالعطايا، وكبير الأعمال، وإمعاناً منهم في التأكيد على شرعية ما

---

(١) دربته وحنكته العسكرية غير ثقافته الدينية والعلمية، بجانب علاقاته الاجتماعية، وبالتالي: فقد وقع في خداعهم. ولم يتمكن من الدخول إلى أغوار أنفسهم فيعرف ما يخفونه. من ثم: وقع في الشراك الذى نصبوه له.

(٢) الأستاذ محسن محمد يسرى – الحركات الهدامة ص٩٣.

يقومون به، أضفوا على هؤلاء الرجال بعض الأسماء والألقاب، مما جعلهم يظنون أن الأمور بأيديهم، وأن الحملة العسكرية قد انتهى أمرها، وأن الحقوق السليبة ستعود إليهم. وإن التاريخ سيقف معهم بذكر تضحياتهم التى قاموا بها من أجل نصرة الباب القائم صاحب الزمان[1]، الذى تحدثت عنه الكتب، ومازالت الآمال والنفوس بانتظاره من ألف عام.

بل إن الباب وأتباعه رءوس النحلة، كانوا قد أعدوا فريقاً ليقوم بأعمال تخريبية. ومن يستلزمها من إعداد خاص لعناصر وكوادر مدربة على القيام بها فى وقت قصير، مع الإنجاز السريع؛ لأنهم كان يعدون أنفسهم لقيادة الدولة الإيرانية، ثم قيادة العالم كله من بعد إذا أمكنهم ذلك، كما اعتبروا أن الملك الجديد سيكون وراثيا باسم الدعوة التى يتنادون بها، فرتبوا أنفسهم على ذلك، ومن كان شأنهم هكذا فلابد أن يكون الخداع وسيلتهم الفعالة، والقتل طريقهم[2]، الذى قد يغلب عليهم طيلة مراحلهم حتى يبلغوا الهدف وهو كرسى الحكم.

جـ- القتل والتمثيل بالقتلى

ظن قائد الحملة العسكرية أن البابين انحصرت مسالكهم فى التفاوض السلمى بدل الصراع العسكرى، وذلك عمل يستدعى الهدوء، ويتطلب الاسترخاء، فأمر جنوده بالتخفف من عتادهم العسكرى، وأفسح لهم المجال فى التوسعة على أنفسهم، حتى يقال: إنهم -الجنود والقائد- فى تلك الليلة أكلوا وشربوا ما طابت لهم به أنفسهم، كأنهم قد انتهوا من المهمة، وبالتالى؛ استرخوا حتى النوم من غير أن يداخلهم الحرص أو الحذر، أو يغلب على ظنهم شيء من خداع البابيين لهم، وكان ذلك بعد دخول الليل بوقت قليل.

لكن البابين كانوا يعدون العدة لعلميات قتل واسعة النطاق، فبعد أن اطمأنوا لغفلة الحملة جنودا وقوادا، تسللوا من القلعة فى الوقت الذى كان القائد وجنده يغطون فى نوم عميق.

---

(١) راجع هذه الفكرة فى كتب الشيعةالإمامية. والجعفرية. والزيدية. والنطحية. فكلها تحدثت عن القائم. كما تحدثت عن صاحب الزمان. ودافعت عنها دفاعاً طويلاً.

(٢) الأستاذ محسن محمد يسرى - الحركات الهدامة ص٩٧ .

ثم صاحوا فوق رءوس النيام بقولهم: يا صاحب الزمان[1]، وأخذوا في قتل النيام الأبرياء، وأججوا فيهم النيران، ثم ألقوا فيها من أثختهم الجراح أو غلبت عليهم المفاجأة فعجزوا عن استبانة الطريق، ففعلوا بالجنود وقادتهم الأبرياء ما لم يفعله الولاة بالباب وأفراد نحلته الذين استوجبوا القتل حداً، والتعذيب تعزيراً، والحبس تأديباً[2]، وما ذلك إلا لأن الباب ومن معه يمثلون عصابة إجرامية تسعى لأغراضها الشخصية، بغض النظر عن أية نتائج تترتب عليها سلبية أو إيجابية، كما أنهم يؤمنون بمبدأ غير طبيعي، هو أن الغاية تبرر الوسيلة.

ورغم أن رجال الحملة كانوا من العسكريين، الذين خدموا في البلاط السلطاني فترة كبيرة، وكانوا كذلك ممن لهم تميز عسكري، لكن المفاجأة التي جاءتهم في ثوب المخادعة، لم تعطهم الفرصة لاستخدام إمكانياتهم في الدفاع عن أنفسهم، والقضاء على هؤلاء المارقين، وكثيراً ما يكون عنصر المفاجأة عاملاً مهماً من عوامل الهزيمة بالنسبة للمتراخي، وهو في نفس الوقت العنصر المهم في نصرة من أخذ به[3]، لكن من المهم القول بأن قتل الأبرياء أو التمثيل بجثثهم من حرق لها، أو تقطيع أو تشويه، كالذي فعله البابيون، أو فعله ويفعله غيرهم لا يعبر إلا عن نزعة إجرامية، وطبيعة عدوانية، ورغبة قائمة في صدور أصحابها لا علاقة لها بالجوانب الشرعية والإنسانية[4]، بل هي اتجاهات شيطانية مغرقة في الانحلال والخروج على شرع الله تعالى.

---

(١) كانت تلك العبارة – يا صاحب الزمان – هي الشفرة المتفق عليها، بحيث تكون دافعاً لأعمال القتل وداعمة للرجال حتى كأنها صيحة الله أكبر بالنسبة للجندي المصري في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ/السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

(٢) الشيخ موسى محمد البيرومي – الباب خرافة قديمة ص١٣٧ .

(٣) وقد فعلت نفس الشيء العصابة الكافرة الفاجرة المسماة إسرائيل في الخامس من يونيو ١٩٦٧م حيث اعتدت على مصر وسوريا والأردن، واحتلت أجزاء منها. وظلت فيها حتى وقعت المفاجأة على هؤلاء اليهود في يوم الغفران عندهم الذي أطلقوا عليه اسم يوم القطران، حيث تمكنت الدول العربية من مباغتة اليهود. وتحقق لنا النصر في العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ/ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.

(٤) الشيخ توفيق صالح رفيق - خارج إيران ص٤٨

د- النهب والسلب

بعد أن غلب على ظن هؤلاء السفاحين تحقق النصر لهم ضد الحملة العسكرية المسترخية، وبخاصة من بعد أن صار حال الجنود وقادتهم بين قتيل فاضت روحه، وجريح ينزف دما، وغائب عن وعيه، وقعيد في النار تأكله، ولائذ بالفرار معتصم بخوف. لا يدري أين يتجه. انطلقوا في وحشية بالغة كالضواري الفاتكة(1)، والجوارح القاتلة والكلاب المسعورة يفتكون بكل من يلقيه حظه العاثر في طريقهم، يسلبونه وينهبونه ويقتلونه إذا احتاج الأمر، وكانت تلك الليلة طويلة على الأبرياء، فما أن بزغ الضوء وتنفس النهار، حتى أسفر عن أعمالهم العدوانية، التي كشفت عن خزايا يندى لها جبين أي إنسان.

ثم استكانوا بالنهار، حتى لا يظن أحد أن الفاعل لتلك الجرائم اللاأخلاقية هم دعاة البابية الضعفاء، وبالتالي ألقى الناس بالجرائم على الحملة العسكرية جنودا وقادة(2). وظنوا بهم السوء، فكأن حاميها هو الذي صار حراميها، وبات لسان حالهم يقول:

أمسيت في الماضي أعيش كأنما ∴ قطع الزمان طريق أمسي عن غدي

تكررت من الباب ونحلته عمليات النهب والسلب والاغتصاب، واتسع نشاطهم فتسللوا إلى الطرقات يفتكون بسالكيها، يغتصبون أمتعتهم، كما ينتهكون حرماتهم من أعراض وأستار وأموال، وينهبون كل ما تصل إليه أيديهم عن طريق الاستحلال ـ يفعلونه(3)، دون أن يستيقظ في واحد منهم شيء من بقايا ضمير، أو يستجمع أحدهم أثـ وعي، أو يطرق باب قلوبهم ومبض من الرحمة، أو بصيص من العدل، مع أنهم يزعمون رغبتهم في الإصلاح، وكأني بهم وقد عناهم القائل:

وتطل من رأسي الظنون ∴ تلومني وتشد أذني

---

(1) الضارى من الجوارح والكلاب هو المدرب على الصيد، ومن السباع المولع بأكل اللحوم. وجمعه ضوار.
(انظر معجم مقاييس اللغة – باب الضاد. والمعجم الوجيز ص٣٠٨)

(2) الأستاذ تهامى محمد عبدالعظيم الدويقى – البابية في مراحلها الأولى ص١١٣ ط [illegible] فؤاد ١٩٢٣م.

(3) الشيخ موسى محمد البيرومى – البابية خرافة قديمة ص[illegible].

ولما كانت فضائحهم قد بلغت الزبى، وشكايات الناس منهم لم تتوقف، وأخبار الحملة العسكرية لم تقدم جديداً، وكان الشاة محمد قد مات، ومراسيم تولى الشاة الجديد ناصر الدين بن الشاة محمد قد تمت، وهو الذى كان من قبل ولى العهد، ولديه إلمام بما يزعمه البابيون، فقد أرسل حملة أخرى دعما للسابقة، وتقوية لها مع التأكيد على قواد تلك الحملة بضرورة أن يتم الإمساك بالباب وأفراد نحلته أحياء أو القضاء عليهم.

حضرت الحملة المدعمة وكان أغلب أفرادها من القناصة، وبخاصة القواد، فلما وصلوا إلى قلعة الطبرسى، راحوا يراقبون تحركات هؤلاء المجرمين العتاة ليلاً ونهاراً[1]، وفى أثناء عملية الترقب هذه أمكن لأحد القادة رصد تحركات باب الباب، فلما تمكن منه أمطره بوابل من النيران فلقى مصرعه فى الحال، وانقضى بموته هدم أحد العناصر الفعالة فى دعم النحلة البابية على الناحية الدعائية والأخلاقية والدينية والعسكرية[2]، فكان قتله بمثابة فاتحة خير للحملة العسكرية الجديدة، حتى تتمكن من القضاء على هذه النحلة، وفى نفس الوقت يدخل الرعب والفزع قلوب الذين يحيطون بالباب، أو يحتمى فيهم.

لكن على ما يبدو كانت هذه العصابة بحاجة إلى المزيد من ممارسة العنف والسرقة والقتل والنهب، فلجأوا إلى أعمال التخفى فى النهار من أعين الرقباء، والانطلاق فى جنح الليل لنهب الأموال التى يحتاجونها حتى تدعم مراكزهم، ويمكنهم أيضا شراء بعض أصحاب الذمم الخربة، والضمائر السيئة، والقلوب الخاوية إلا من معانى العنف والقتل والسرقة، والنهب والخروج على تعاليم الشرع، والكفر بكل ما شرع الله تعالى، فدفعهم ذلك إلى ارتكاب المزيد من الجرائم، التى تقض مضجع أى مجتمع ينشد أفراده الأمن، أو يتلمسون فيه الاستقرار.

---

(١) ذلك الشأن مما يمارسه الفنيون العسكريون؛ لأن معرفة إمكانية من يتعاملون معه يعتبر ضرورة عسكرية يترتب عليها حماية أنفسهم وحماية من أوكل إليهم القيام بتلك المهام.

(٢) الشيخ توفيق صالح وفيق - خوارج إيران ص٧٨ .

يقول شمتز: « إن الباب تملكتهم العصبية الدينية، واستولى عليهم شعور العقيدة المتوهج، فأصبحوا خطراً على الفكر الديني الشيعي، كما كانوا خطراً على رجال السلطة الذين بدءوا في تعقبهم ومحاولة القضاء عليهم »[1].

ونظراً لتحرش بعض البلدان المجاورة بالدولة الإيرانية، بعد تولية الشاة ناصر الدين[2]، وبخاصة أصحاب الأطماع الروسية والإنجليزية، وتوجههم بها إلى بلاد فارس، واتساع نطاق التعاون بين البابين والأعداء، فقد رأت الحكومة إمهال البابين بعض الشيء، فربما رجعوا عن سبهم، وتماسكت الصفوف الداخلية في مواجهة العدو الخارجي، وربما تكشفت بعض الاتصالات التي تثبت وجود علاقة آثمة وعمالة مؤكدة بين الخارجين في الداخل على النظام العام، وبين العدو الخارجي الذي يستعملهم كأعوان له لزعزعة النظام العام في الداخل، أو جواسيس يستعملهم متى شاء[3].

لكن ذلك التمهل قد أطمع أعضاء نحلة الباب في الحكومة القائمة، فلما سقط باب الباب صريعاً، أسرعوا بتعيين القدوس نائباً له أو بديلاً عنه، حتى يقوم بنفس الدور الذي كان يقوم به سابقه من قيادة هذا القطيع الأرعن، المندفع الذي تستولي عليه رغباته الذاتية، وتقوده من أزمته غرائزه المتدفقة التي تنبعث منها رائحة عفنة، وتجري في أوصالها مياه غير صالحة للاستعمال، ودماء ملوثة بكل ما فيها من فيروسات، ما أن تصيب بدن صاحبها إلا وتودي به.

---

(١) باول شمتز – الإسلام قوة الغد العالمية ص١٤٢ – ترجمة الدكتور محمد عبدالغني شامة – طبعة مكتبة وهبة.

(٢) حيث قد حرصت تلك الدول على انتزاع سيادة الخلافة العثمانية عن إيران. بحيث تكون فريسة سهلة، وبخاصة أن الخلافة الإسلامية هي الأخرى كانت تعاني من بعض الصعوبات. مما جعلها أيضا بحاجة إلى الدعم. فكانت نظرة الاستعمار إلى إيران بشكل خاص. وقد انتهى بهم الأمر إلى تقسيمها لمناطق نفوذ روسية وإنجليزية في معاهدة ١٩٠٧م.

(٣) توماس هيزر – الجواسيس والحكومات الخفية ص١١٧ – ترجمة وفاء خاطر ١٩٧٣م .

أجل أسرف البابيون تحت أمرة القدوس[1]، أيما إسراف، وتعاووا على الأبرياء من كل ناحية، فأكثروا من أعمال الاغتيالات بجانب السرقة والنهب للأموال والأمتعة، مستخدمين الليل ستاراً لأعمالهم الإجرامية، كالحال مع كل الجماعات الإرهابية، التي تستلذ العمل تحت السطح، وترفض العمل في النور[2]، وربما كان ذلك مما وعته خوافظهم عن التقية، وأنهم طبقوا ذلك كله على ناحية عملية، وقد استفادوا من تسامح الحكومة الجديدة معهم، فازدادوا بغياً وعدواناً .

أدرك قادة الأمر أن استعمال اللين مع هؤلاء لا يجدي، فصدرت الأوامر العليا للقوات العسكرية بالهجوم عليهم، وإنقاذ الناس من أخطارهم، وعلى الفور قامت قوات الجيش الإيراني بمحاصرة المنطقة في شيء من الإحكام، وتضييق الخناق حول هؤلاء المارقين، فلما رأى زعيمهم العسكري القدوس أن محاصرة الجيش قائمة، وأن الطوق قد ضرب عليهم، أسرع إلى التفاوض مع الجنود المرابطين، وكلما وجد فيهم إصراراً للقضاء عليه، أسرف معهم في التنازلات حتى انتهى الأمر به إلى أن عرض عليهم التنازل عن كل أتباعه وأصدقائه مقابل أن ينجو بنفسه وحده من الوقوع في الأسر أو يلحق به الهلاك[3] .

---

(١)« هو الملا محمد على البارفروشي الملقب بالقدوس، من أكثر الأحباب تعلقا بقرة العين، وحرصا على تحقيق رغباتها، فرغم أنه كان يظهر التمسك الشديد بالعادات والقيم الإسلامية بجانب الالتزام بالفروع، إلا أنه لما رأى من قرة [illegible] الإصرار على أن للقائم مقام المشرع حق التشريع، وعلى وجوب الشروع الفعلي، وإجراء بعد التغيرات فيها كإفطار رمضان، لم يتمكن من منازعتها، ولم يفكر في تلك المنازعة؛ خشية أن يقع في غضبها »(راجع الشيخ عبدالباقي سالم الكبير – دراسات في الملل والنحل ج٢ ص١٧٧ – طبعة مراكش ١٣٣٥هـ).

(٢) توماس هيزر – الجواسيس والحكومات الخفية ص١٢٣ – ترجمة وفاء خاطر ١٩٧٣م.

(٣) هذه طبيعة أصحاب النفوس المريضة المتطلعة للمجد على أكتاف الآخرين، فهم يعتبرون أصدقاءهم وقود النار، فإما أن يغلبوا لهيبها، فتنطفئ أو يغلبهم فيكونون هم الضحايا، أما هو فيظل بعيداً عن هذه وتلك حتى يفوز بالغنيمة فقط.

وهكذا انكشفت شجاعته الكاذبة، وسقط القناع الزائف من فوق رأسه، فأين هي الشجاعة التي يزعمها وهو يخضع الأمانات التي في عنقه لأقدام الجنود المحيطين به، حتى صارت حياتهم جميعا هي المقابل الذي يفرط فيه، بغية أن تكون النجاة له وحده، فأي إنسانية رخيصة تلك التي سمحت لصاحبها بالتنازل عن كل شيء مقابل حياته الشخصية، وكأنه من اليهود الذين عناهم القرآن الكريم: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(١).

يقول العلامة الحافظ ابن كثير: «قوله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ أي على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيء وعاقبتهم عند الله الخاسرة، لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم. وما يحاذرون منه واقع بهم لا محالة، حتى وهم أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم، وهذا من باب عطف الخاص على العام. وقال الحسن البصري: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ المنافق أحرص الناس، وأحرص من المشرك على حياة ﴿يود أحدهم﴾ أي يود أحد اليهود لو يعمر ألف سنة ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ أي وما هو بمنجيه من العذاب، وذلك أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيع ما عنده من العلم فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا منجيه منه ﴿والله بصير بما يعملون﴾ أي خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازي كل عامل بعمله»(٢).

لكن قضاء الله كان أسرع من أحكام المتجاوزين، حيث طلب القدوس من رجاله الاستسلام لقوات الحكومة، فسيقوا سوق الأغنام إلى المجاذر، حتى إنهم قتلوا جميعا، ولم يقدر لواحد منهم الفرار لعله ينجو بنفسه، بل كانت النهاية الأليمة المخزية لهم

(١) سورة البقرة – الآية ٩٦.

(٢) العلامة محمد علي الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير (٢١٦/٢) – حقوق الطبع محفوظة لدار القرآن الكريم.

جميعا، وما بقى من هؤلاء المتجاوزين، سوى القدوس الخائن والأتباع الذين باعوا الرعاع، وقبضوا أثمانهم المتلفقة فى عباءات النجاة لأنفسهم وحدهم[1]، وكأنهم بذلك قبضوا مكافأة الخيانة التى قاموا بها مع من صدقوهم، وتلطفوا بهم.

غير أن حكم الله العادل لم يتح لهؤلاء الخائنين فى الإفلات من العقوبة والاستعاذة بالخيانة، إذ تمسك شيخ شيوخ الشيعة وكبير علمائها بضرورة الأخذ بثأر مئات الضحايا الذين قتلهم أفراد تلك العصابة الآثمة، وعلى رأسها الباب والقدوس، فنال هو الآخر جزاءه، وتجرع ذلك القدوس غصص الموت فى ذلة ومهانة[2].

أما من بقى من أتباعه على قيد الحياة، فقد أسرعوا إلى ذم الباب ولعنه، وإعلان كفرهم به، والتأكيد على أنهم وقعوا ضحايا لأصحاب نفوس مريضة، وقلوب سوداء، وهكذا عاشت إيران أياما محمومة راح ضحيتها الكثير من الأبرياء، الذين كانوا ضحية حماقة نادى بها الباب وتابعه عليها عصابة من ذوى الأهواء والأطماع المتطلعين إلى إحياء المواريث المجوسية، والباطنية بجانب أحلام الملاحدة الذين كان غرضهم إطفاء نور الإسلام، والقضاء على مبادئه السامية ومثله العليا[3].

---

(١) هكذا يفعل أصحاب الاتجاهات المنحرفة والزعامات الكاذبة والنفوس المريضة. والوجدانات المعبأة بنتن لا يفارقها ولا تستطيع العيش بعيدا عنه. وذلك مما لا يرتضيه صاحب همة عالية. أو نفس كريمة. بل إن ذلك مما تأباه الطباع السليمة. ولذا قيل شرط الرفاق الوفاق.

(٢) الأستاذ حسن محمد سليمان – الكحكى – معالم الفرق المنحرفة ص١٨٣ .

(٣) الأستاذ عبدالرحمن الوكيل – البهائية تاريخها وعقائدها ص١٠٧ .

ﷺ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(١).

يقول الإمام القرطبي: « قوله تعالى: "يريدون أن يطفئوا نور الله" أي دلالته وحججه على توحيده. حيث جعل البراهين بمنزلة النور لما فيها من البيان. وقيل: المعنى نور الإسلام، أي أن يخمدوا دين الله بتكذيبهم. "بأفواههم" جمع فوه على الأصل، لأن الأصل في فم فوه. مثل حوض وأحواض. "ويأبى الله إلا أن يتم نوره" يقال: كيف دخلت "إلا" وليس في الكلام حرف نفي، ولا يجوز ضربت إلا زيدا. فزعم الفراء أن [illegible] دخلت لأن في

---

(١) سورة ص – الآية ٣٢. وقال أيضا: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ سورة الصف – الآية ٨. وفي تفسيرها قال القرطبي: « قوله تعالى: "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم" الإطفاء هو الإخماد، يستعملان في النار، ويستعملان فيما يجري مجراها من الضياء والظهور. ويفترق الإطفاء والإخماد من وجه، وهو أن الإطفاء يستعمل في القليل والكثير. والإخماد إنما يستعمل في الكثير دون القليل، فيقال: أطفأت السراج، ولا يقال أخمدت السراج. وفي "نور الله" هنا خمسة أقاويل: أحدها: أنه القرآن، يريدون إبطاله وتكذيبه بالقول، قاله ابن عباس وابن زيد. والثاني: إنه الإسلام، يريدون دفعه بالكلام، قاله السدي. الثالث: أنه محمد صلى الله عليه وسلم، يريدون هلاكه بالأراجيف. قاله الضحاك. الرابع: حجج الله ودلائله، يريدون إبطالها بإنكارهم وتكذيبهم، قال ابن بحر. الخامس أنه مثل مضروب، أي من أراد إطفاء نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا فكذلك من أراد إبطال الحق، حكاه ابن عيسى. وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يوما، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود، أبشروا! فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتم أمره، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية واتصل الوحي بعدها، حكى جميعه الماوردي رحمه الله. "والله متم نوره" أي بإظهاره في الآفاق. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم "والله متم نوره" بالإضافة على نية الانفصال، كقوله تعالى: "كل نفس ذائقة الموت" [آل عمران: ١٨٥] وشبهه. حسب ما تقدم بيانه في "آل عمران". الباقون "متم نوره" لأنه فيما يستقبل، فعمل. "ولو كره الكافرون" من سائر الأصناف. » (تفسير القرطبي ج١٨ ص٨٥)

الكلام طرفا من الجحد . قال الزجاج: الجحد والتحقيق ليسا بذوي أطراف . وأدوات الجحد : ما، ولا، وإن، وليس: وهذه لا أطراف لها ينطق بها ولو كان الأمر كما أراد لجاز كرهت إلا زيدا، ولكن الجواب أن العرب تحذف مع أبى . والتقدير: ويأبى الله كل شيء إلا أن يتم نوره . وقال علي بن سليمان: إنما جاز هذا في "أبى" لأنها منع أو امتناع فضارعت النفي . قال النحاس: فهذا حسن، كما قال الشاعر:

وهل لي أم غيرها إن تركتها ∴ أبى الله إلا أن أكون لها ابنما[1]

ولعلي لا أعدو الحقيقة إذا قلت: إن ما تزعمه البابية فكرواه، استطاع المنتسبون إليه إقامته على خيالات وأحلام، فلما أرادوا إيجاده في الواقع اصطدموا بأن حقائق الأشياء ثابتة، وأن الخيالات والأحلام تلعب بعقول الصغار وإذا تمسك بها واحد من الكبار، فإنما يلقي بنفسه في أتون الهلاك، إذ سيقع الحسبان عليه بأنه ممن نفذوا عقولهم، وطاشت أحلامهم .

في نفس الوقت فإني أقرر بأن النزعة العدوانية والطرائق الاستعمارية، كان لها دور كبير في بناء هذه الأوهام، وفوق ذلك فقد بات واضحا أثر اليهود والمجوس، وحملة الصليب على هؤلاء الكفرة، حديث أمدوهم بالمال والتدريب على استخدام السلاح، الذي تكاتفوا في إيصاله إليهم؛ بغية أن ينالوا من الدولة المسلمة، وأن يجعلوا خطواتها المباركة مقيدة، بدل أن تكون منطلقة، ضيقة بدل أن تكون متسعة[2]، وهم يخططون لذلك منذ زمن بعيد، وسيظل أمرهم كذلك مادامت نفوسهم للحق لا تؤوب وعن الباطل لا ترتدع .

على كل فلم يطل الأمر بعد القضاء على رءوس أتباع هذه الزمرة المنحرفة، حتى نظر الناس إلى أن الباب رأس النحلة الكبير مازال حرا طليقا، يجوب البلاد ويفسد العباد، ويكابر في العناد، كأنه البعيد عن كل منال أو العالي فوق الرءوس، فكاتب الناس

---

(١) العلامة القرطبي - الجامع لأحكام القرآن (ج٨/ص١٢١).

(٢) راجع في هذا الشأن - العرب والاستعمار للأستاذ هاني محمد بدران، الإسلام والاستعمار لمنى جبران. والإسلام في مواجهة الاستعمار لتوفيق محمود الطويل، وراجع كتابنا: ملامح الحكمة الإسلامية في المغرب.

رئيس الوزارة فى ذلك الشأن وأكدوا له أن الفتنة ستظل قائمة، مادام هذا الباب على قيد الحياة، ولن تتوقف سلسلة الأغرار الذين يخدعون بمعسول قوله، ويسقطون فى براثن حبائله[1]، مما يسبب قلقاً على الدوام، أما إذا تم القضاء عليه فقد أمكن للدولة اقتلاع الفتنة من جذورها، وبالتالى تجف المنابع من أعضائها، فيقع الفناء عليهم جميعاً سيقانها وأغصانها، جذورها ورأسها.

اقتنع الصدر الأعظم بما كاتبه به الناس، وقد انضم إلى ذات المكاتبة الفقهاء والعلماء، فتقدم الصدر الأعظم إلى الشاة ناصر الدين بمذكره، يخبره فيها بضرورة قتل الباب، والتخلص السريع منه، حتى تنقطع هذه الجرائم، التى أقضت مضاجع الدولة على الناحية الأمنية، وجعل الناس يعيشون فى ظل رعب دائم[2]، يتوقعون أن يتسلل إليهم الموت معه فى لحظة، ومن أية ناحية عن طريق سم فى طعام دسيس، أو خنجر خسيس أو ضربة عشواء فى ليلة ظلماء، ومن يد تحسست طريقها فى الظلام فلعبت بأوتار قلب صاحبها قبل أن ينام.

كما كان الناس يتوقعون الموت الجماعى عن طريق مهاجمة بربرية متوحشة تقوم بها ثلة من هؤلاء المنحرفين، تجتاح أنفس الكبير والصغير، وتخطف السعادة من عيون الأبرياء. وتسوق الناس بعصا الاستعباد، أو تلقى بهم فى مهاوى الذل والاستبداد، وهى مما ذاق الناس على أيدى هؤلاء شرها، واكتووا بنارها، حيث كانت تصب عليهم فى غير رحمة، وتذيقهم العذاب، دون نظر لأدنى شفقة[3].

---

(١) وكانت توقعاتهم فيها الكثير من التوفيق، بدليل أنه بعد إعدام الباب قام من نسبوا أنفسهم إليه بتضليل البعض من الأغرار والدفع بهم إلى نفس الطريق، فكانوا حطبا اشتعلت بهم الثورات التى لم يقدر لها شئ من النجاح فيما بعد.

(٢) الأستاذ تهامى محمد عبدالعظيم الدوينى – البابية فى مراحلها الأولى ص١١٧ .

(٣) الشيخ موسى محمد البيرومى – البابية خرافة قديمة ص١٦١ .

وكالعادة وصل الخطاب للشاة الجديد، ورغم أنه قد عاصر تلك الفتنة حين كان وليا للعهد إلا أنه لم يشأ اتخاذ شيء في أمرها إلا بعد إحالة الأمر إلى مجلس العلماء[1]، فلما أحيل الأمر إلى العلماء والفقهاء، رأوا أن ذلك ينقص من أقدارهم؛ لأنهم كم من فتى أصدروها، وفي كل مرة لا تنفذ من الفتوى إلا الجوانب التعزيرية فقط، أما الحدية فلا، فترى ثم؛ كان عندهم من المبررات ما يسمح لهم بعدم إصدار فتوى جديدة، احتراما لمواقفهم الدينية، ومحافظة على هيبتهم الاجتماعية؛ لأن الرجل هو الرجل، والأحداث هي ذات الأحداث، بل الأسباب التي دعت إلى إصدار فتاوى سابقة هي ذاتها الأسباب، فلماذا يصدرون فتوى أخرى إذن؟

في ذات الوقت؛ كان الوالي على أصفهان هو عم الشاة ناصر الدين، وإزاء تمسك العلماء بموقفهم من عدم إصدار فتوى جديدة بشأنه هذا الدعي مع التمسك بالفتاوى السابقة، فقد رأى هذا الوالي أن يعقد مجلس العلماء في قصره يحضره الباب، بحيث يكون تحت يده، ويمكنه التعامل معه مباشرة، وفي نفس الوقت يختبر الوالي معارف هذا الباب الذي أرهق بعضا من أفراد المجتمع بأفكاره، وجعل الكثير من العلماء والفقهاء يضجرون منه ويطالبون السلطة بالقضاء عليه.

انعقد المجلس ولم يحضر سوى عدد قليل من العلماء، بينما حضره الباب ومن يناصرونه الرأي من الأتباع الجدد، وراح الوالي يناقش الباب في مزاعمه، فبان له أن الباب كذاب[2]، جاهل مغرور، يعتمد على السفسطة وسلاحه الغوغائية، وأنه يعيش في بلغ من قدميه حتى أذنيه، بجانب حماقة مغلقة بالكثير من الغباء مع محاولة اصطناع العلم وادعاء الفهم.

من هنا طلب الوالي من الباب ارتجال خطبة أنية يصف فيها قصر الأمير بكل ما فيه من أنوار باهرة، وطنافس موضوعة، وفرش مرفوعة، يقول أحد الباحثين: كأنما كان الأمير يسخر من حماقة الباب الذي اندفع يخطب واصفا أنوار القصر الساطعة، ولست أدري كيف

---

(١) مما صنعته الدولة الصفوية منذ تأسيسها هو وجود قيادة دينية تكون بمثابة المرشد الروحي والديني لها، وهو ما عرف باسم المرشد الروحي تارة أو ولاية الفقيه المجتهد تارة أخرى، وما تزال تلك الوظيفة في إيران حتى يومنا هذا، حيث يكون للمرشد الروحي الحق في توجيه رئيس الدولة إلى ما يراه من الناحية الشرعية.

(٢) الشيخ موسى محمد البيرومي – الباب خرافة قديمة ص١٦٢.

غطت الحماقة على عقل هذا الباب المغلق، الذى يزعم أن الوحى ينزل عليه بطلب شخصى منه[1]، أما كان الأولى أن يطلب إلى الوحى التدخل السريع، حتى لا تكون خطبته بهذا العوج اللغوى، والإسفاف الموضوعى والوضعى، أو الجنوح الفكرى؟! وأن يصوبه الوحى حتى لا يكون عواره بهذا الشكل السافر.

رأى الأمير أن يبعث بالباب إلى شيخ علماء الشيعة حجة الإسلام وإمامه نزعه الشيرازى أنه القائم وأنه المهدى المنتظر، إلى غير ذلك من الخرافات التى عاشت فى ذهنه ورددها لسانه، فأعلن الشيخ بصوت عال قائلا: الآن وجب قتلك وعندها تعلق الباب بأثواب الشيخ فى ضراعة قائلا: أيها الحجة، وأنت أيضا تفتى بقتلى، فانتهره قائلا له: أنت الذى أفتيت بقتل نفسك[2]، وكالعادة جثا الباب على قدمى الشيخ يقبلهما فى خشوع ومذلة، بجانب الضراعة والرجاء، وهكذا ظهرت الحقيقة عارية بأن الباب مفتر كذاب، خارج على شرع الله. وقد انضم إلى الشيخ فى فتواه آخرون حكموا جميعا على الباب بأنه كافر، فأخذ يبكى أمام الحاضرين، ويقول:-

إلى الديان يوم الدين نمضى ... وعند الله تجتمع الخصوم
لهوت عن الفناء وأنت تفنى ... فما شىء من الدنيا يدوم[3]

كتب الوالى إلى الشاة الجديد بالذى حدث، فاستشار خاصته فى أمره، فرأى أن العلاج الحاسم لمشكلة هذا المفترى الكذاب، لن يكون إلا فى إعدامه، والقضاء عليه. فاستحضره ناصر الدين - الشاة الجديد - إلى تبريز مرة أخرى ونزل على رأى العلماء والفقهاء فى فتواهم بقتله[4]، وما بقى سوى التنفيذ، حتى تنتهى تلك الخرافة التى عاشت فى أفهام الناس وقتا كان المسلمون فيه بحاجة إلى بذله فى مواجهة أعداء الإسلام، بدل أن يتوجه كل سهم إلى ظهر أخيه، فيطعنه فى أصول دينه، أو يصده عن بلوغ الحق، أو يصرفه عن الوجهة الصحيحة.

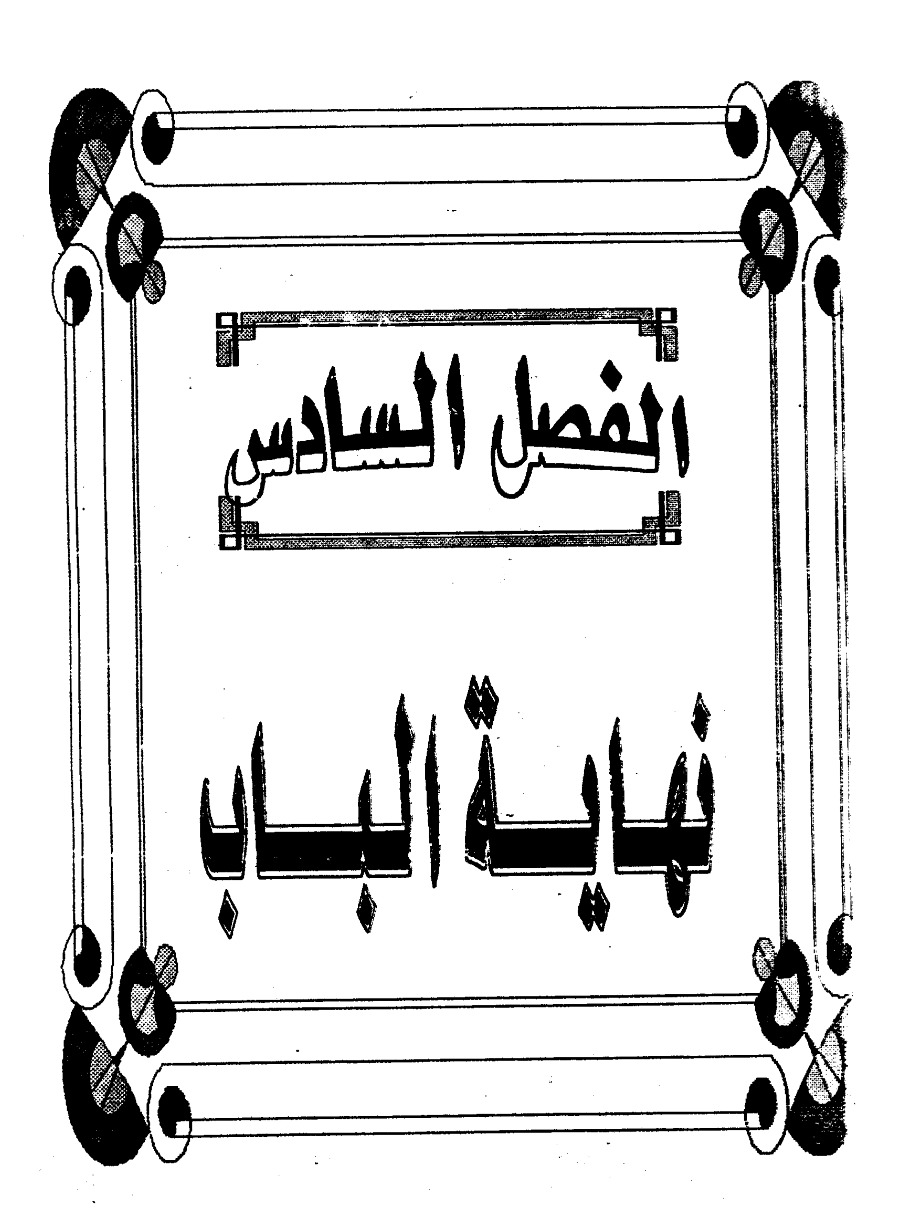
---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى - البابية والبهائية - القسم الأول ص٨١.

(٢) الأستاذ عبدالرحمن الوكيل - البهائية تاريخها وعقائدها ص١١٠.

(٣) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى - البابية والبهائية - القسم الأول ص٨٢.

(٤) الدكتور حسن محرم الحوينى - البابية والبهائية والقاديانية ص٦٧.



الفصل السادس

نهاية الباب

نقل الباب مرة أخرى إلى تبريز بأمر الشاة ناصر الدين، وقد أضحى أمر الخلاص منه قريباً، وأن الحكم الذى أفتى به العلماء يوشك أن ينفذ فيه بين لحظة وأخرى، وقد أدرك العملاء الروس والإنجليز وغيرهم من الاستعماريين: أن عينهم التى غرسوها توشك أن تفقأ فراح بعضهم يبحث عن فرية جديدة يخدعون بها الناس، ويلبسون[1] على العامة والخاصة[2]، وقد استطاع القنصل الروسى أن يصل هو الآخر إلى رئيس فرقة الحرس التى وكل إليها تنفيذ حكم الإعدام فى الباب فى طهران فى ١٢٦٥هـ/يوليو ١٨٤٩م، بينما نفذ الحكم نفسه فى تبريز[3].

☜ ودبرت المؤامرة حتى يفلت الباب من تنفيذ الحكم، وكانت تقوم على ـ

[أ] أن توجه الرصاصات كلها إلى جسم رجل تابع الباب، الذى تقرر إعدامه معه.

[ب] أن تبقى رصاصة واحدة تسدد إلى الحبل الذى يشد الباب فتقطعه، ويفلت الباب من العقوبة، رمياً بالرصاص، وحينئذ سيدرك الجميع أنه الإمام.

[جـ] إذا نجحت الخطة وهرب الباب من العقوبة، ظهر للحاضرين أنه المهدى المنتظر فتنطلى الحيلة على العامة والخاصة الذين يرون الوقائع تجرى أمام أعينهم، ولو نجحت تلك المؤامرة الدنيئة لوقعت فى المجتمع الإيرانى فتنة كبيرة.

[د] أن يتم تفادى إصابة الباب من بالرصاص على أن يكون ذلك متوافقاً مع ظروف إحاطته بالرصاص، كأنه المقصود، بحيث يمكن النظر إلى نجاته من الرصاص على أنها نوع من

---

(١) المراد بالتلبيس هنا هو أن العملاء الروس أذاعوا بأن الباب وأعوانه مسلمون أكثر من غيرهم، بجانب أنهم يحسنون تأويل الإسلام، وتفهم مراميه من العلماء التقليديين الذين لا يحسنون فهم الإسلام. ولا يعرفون أسرار القرآن. فكان من جراء ذلك وقوع البعض فى تلك التلبيسات إلى أبعد مدى.

(٢) الشيخ توفيق صالح وفيق – خوارج إيران ص٧٣ – طبعة أولى دار رياض ١٣٣٧هـ.

(٣) هناك فرق بين التكليف بتنفيذ الإعدام، وهذا التكليف كان من الشاة فى طهران، وبين عملية الإعدام نفسه. حيث تمت فى تبريز.

الخوارق التى تؤكد دعواه الولاية والنبوة، ولو حدث لذلك اختلطت الأمور مع بعضها، وتداخلت بحيث لا يتميز الصادق من الكاذب، ولا تمايز التقى من الفاجر، وهو مما لا ترتضيه العناية الإلهية، بل إنه لا وجود له إلاّ فى أحلام أهل الضلال.

[هـ] لو نجحت تلك الخطة الشيطانية؛ لاستطاع هذا الشيطان الخبيث أن يضيف إلى قائمة الخديعة والمكر حلقة جديدة، وذلك أن العقيدة السائدة عند الشيعة هى أن المهدى لا تؤثر فيه الأسلحة، سواء أكانت سيوفا أم قذائف، وإذا نجحت خطة الشيطان الروسى، فهذا يعنى أن الشيرازى هو المهدى بحق وسيكون ذلك أمام جمهور الناس، بدليل أن الرصاصات لم تقتله[1]، بل سيكون الوقوع فيه من العامة والخاصة أمراً عاديا لا ينطبق إلا على المهدى الذى تحدثت عنه كتب الشيعة.

لكن بعد أن اطمأن الروسى إلى أن خدعته ستأخذ طريقها فى التنفيذ، وقف يرقب الأحداث على المسرح الطبيعى لها[2]، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة من هؤلاء الثكلى الذين فقدوا عقولهم وكانت ابتسامة ذلك الروسى ماكرة مترقبة النجاح للمسرحية التى أعد لها وأخرج فصولها، وتمت وقائعها بأحكام، فانطلقت الرصاصات حيث مزقت جسد التابع، وقطعت الحبل الذى يشد الباب، فسقط مذعورا يحجبه دخان الطلقات فجرى هلعا إلى الحجرة التى كان مسجونا بها، وظن أنه قد افلت منهم أو أنهم قد غفلوا عنه[3]، فداخله السرور وانتابه الفرح.

غير أن بعض الحراس أبصروه وهو يجرى، ولم يكونوا داخلين فى نطاق المؤامرة والرشوة، حيث لم ينلهم نصيب منها، مع أنها كانت ضخمة، فأفرغوا رصاصاتهم

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى – البابية والبهائية – القسم الأول ص٨٣/٨٤.

(٢) لأنها ستتم على مرأى ومسمع من الناس، دون حذف أو إضافة وستتم مباشرة من غير سبق تدريب عليها. وبالتالى يكون المسرح الطبيعى هو الشاهد الوحيد الحقيقى، وحينئذ لكن يكذب أحد فى أن الباب هو الإمام الغائب، والمهدى المنتظر مادام الرصاص لن يصيبه.

(٣) الشيخ توفيق صالح وفيق – خوارج إيران ص٨٤.

الحكمة في جسم الباب الذي انتهت بانتهاء حياته أكذوبة كبرى شغلت الناس حينا من الزمان، ولم يستطع الشيطان الروسي أن يتمالك نفسه عندما فوجئ بالنتيجة، فانخرط في البكاء يندب أماله التي راحت أدراج الرياح[١]، ويبكي حظه العاثر، إذ لم يقدر لخطته شيء من النجاح.

إذن تم إعدام الباب رميا بالرصاص مع اثنين من مريديه، هما محمد على اليزدي وأغاسيد حسين، وألقى بجثته الممزقة في حفرة بالمدينة، وضاع بذلك ما تبأ به من ملك الدنيا، وانضمام ملوكها تحت لوائه، وما كان قد وعد به والي شيراز من سلطنة الدولة العثمانية[٢]، بل كان القتل هو الذي رفع الستار عن خداعه المشين وأكاذيبه التي بلغت حد الكثرة، وغروره الذي فاق كل الحدود، ولو كان نبيا لما خابت له نبوءة.

بل كيف يصح مدعاه الساقط في كونه نبيا بعد سيدنا محمد ﷺ، والله عز وجل قال: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾[٣]. بل كيف يصح مدعاه النبوة الجديدة والله عز وجل يقول: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[٤].

يقول العلامة الطبري: « ومعنى الدين في هذا الموضع: الطاعة والذلة، من قول الشاعر:

ويوم الحزن إذ حشدت معد ∴ وكان الناس إلا نحن دينا

يعني بذلك: مطيعين على وجه الذل، والدين هو الإسلام، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم، بمعنى: دخل في السلم، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل قوله: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ إن الطاعة التي هي الطاعة عنده

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية والقاديانية ص٨٤ .

(٢) الشيخ مصطفى الحديدي الطير – البابية والبهائية في الميزان ص٧٢ .

(٣) سورة الأحزاب – الآية ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران – من الآية ١٩ .

الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون إشراك غيره من خلقه معه في العبودية والألوهية. وقال قتادة قوله: ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ والإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء به من عند الله، وهو دين الله الذي شرع لنفسه، وبعث به رسله، ودل عليه أولياءه، لا يقبل غيره ولا يجزي إلا به »[1].

ﷻ ويقول جل شأنه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

قال العلامة الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: « قوله تعالى: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾. أي من سلك طريقاً سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه، ﴿ وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" »[3].

ويقول الأستاذ الخطيب: « لقد حكم على الباب بالإعدام، ونفذ في تبريز في يوم ٢٨ شعبان ١٢٢٦هـ، وبعد الإعدام أخرجوا جثته إلى خارج المدينة، ووضعوها على حافة

---

(١) العلامة ابن جرير الطبرى - تفسير الطبرى - ص٥٣١٦ (طبعة الحلبى ١٩٥٣م)، ج٣/٢١١ (طبعة الحلبى ١٩٦٤م).

(٢) سورة آل عمران - الآية ٨٥ . وروى العلامة الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ص.٦٢٥ - ١٢. باب ما جاء في الحساب - الحديث رقم:١٨٣٦٧- « عن الحسن قال: حدثنا أبو هريرة إذ ذاك ونحن بالمدينة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تجيء الأعمال يوم القيامة. فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول: إنك على خير. وتجيء الصدقة فتقول: يا رب أنا الصدقة! فيقول: إنك على خير. ثم يجيء الصيام فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول: إنك على خير. ثم تجيء الأعمال على ذلك. فيقول الله تبارك وتعالى: إنك على خير. ثم يجيء الإسلام فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام. فيقول الله عز وجل: إنك على خير. بك اليوم آخذ وبك أعطي. قال الله عز وجل في كتابه: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ». وعزاه إلى أحمد وأبي يعلى والطبراني في الأوسط.

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم (٢/٢٦٢) . والحديث رواه ابن ماجة في سننه - باب تعظيم حديث رَسُول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم والتغليظ على من عارضه - الحديث رقم: ١٤ - وأبو داود في سننه - باب في لزوم السُّنة - الحديث رقم: ٤٦٠٦ بلفظ « عَنْ القاسم بن مُحَمَّد، عَنْ عائشة، أن رَسُول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قَالَ: (من أحدَثَ في ما أمرنا لهذا ما ليس منه، فهو رد) » والمراد بـ: [(في أمرنا) أي في شأننا. فالأمر واحد الأمور. أو في ما أمرنا به. فالأمر واحد الأوامر. (فهو رد) أي مردود].

الخندق(١)، ثم تفقدوها في اليوم التالي فلم يجدوها، وقيل: إن الوحوش أكلتها، فاحتج مجتهدو الشيعة بذلك على فساد دعوى الباب، بأنه هو المهدي؛ لأن المقرر عندهم أن أجساد الأئمة الاثني عشر محفوظة ومصونة عن السباع والحشرات، ولا يعتريها البلى، وأنهم أحياء بعد موتهم فأجسادهم لا تبلى »(٢)، وإنما يعتقد الشيعة أنها تظل باقية، حتى تبعث على ما هي عليه.

فإذا كانت جثة الباب قد أكلتها الوحوش فهذا دليل على كذبه في دعواه المهدية، وقابلهم أتباع الباب بادعاء أنهم اختطفوا الجثة بالليل، وأنهم وضعوها داخل صندوق في مصنع رجل ميلاني ونقلوها من تبريز إلى أذربيجان ومنها إلى جهة مجهولة، ولما ادعى البهاء وراثة الباب وانتقل إلى عكا سنة ١٢٧٥هـ جاء بجثة زعم أنها جثة الباب ودفنها على جبل الكرمل في فلسطين بين حيفا وعكا(٣).

ولا شك أن عملية إعدام الباب قد تمت، وأن خرافته قد انقطعت، أما الطريقة التي تمت بها عملية الإعدام سواء أجرت فيها الرشوة أم جرت فيها عوامل السهو والاختراق؛ فإن النتيجة النهائية هي أنه مات مقتولاً حداً على أنه كافر كان مسلماً ثم ارتد، وأن قتله كان تنفيذاً لحد الله في الكافر بعد إسلامه وهو الردة.

يقول أحد الباحثين: « انقضت حياة الباب، وكان ذلك في ٢٧ من شعبان ١٢٦٥هـ، أو ٢٨ شعبان ١٢٦٦ الأول حسب سجلات الحكومة، والثاني حسب روايات البهائيين، وألقيت جثة الباب وجثة تابعة في خندق طعاماً للوحوش والضواري، وفي الصباح لم يعثر لهما على

---

(١) لست أدري الغاية من وضع جثة ميت على حافة خندق، وماذا لو تم دفنها. إن هذه الرواية تحمل شيئاً من القلق. وتثير الريبة، لأن أهل الإسلام لا يمثلون بجثث الموتى مهما كانوا.

(٢) توجد ظواهر نقلية بخصوص حياة البعض في البرزخ حياة خاصة متميزة. وكذلك عدم وصول البلى بعض الأجساد. لا لخاصية في ذات الأجساد، وإنما لإكرام الله تعالى لأصحابها. وهي ظواهر احتمالية في دلالتها مادامت لم تتعلق بأجساد الأنبياء. والله تعالى أعلى وأعلم.

(٣) السيد محب الدين الخطيب – البهائية ص٢٣/٢٤ .

أثر، وتدعي البهائية أنهم استطاعوا سرقة جثة الباب، وذهبوا بها إلى عكا، حيث دفنت هناك»[١]، فتتلاقى روايته مع الرواية السابقة في كثير من الجزئيات.

ولا يوجد تخالف كبير بينهما وما يقرره الدكتور حسن محرم، من أن الباب« نفذ فيه الحكم بالإعدام، وكان ذلك صبيحة اليوم السابع والعشرين من شعبان عام ١٢٦٥هـ الموافق للثامن من يولية ١٨٥٠م[٢]، وأمر بجثته فأخرجت للصحراء خارج مدينة تبريز، زيادة في التنكيل به، وليكون عبرة لمن يعتبر، ثم يذكر الروايات التي تحدثت عن اختفاء تلك الجثة، فيقول: ويذكر أنها اختفت في اليوم التالي من إلقائها في الصحراء، وترددت الشائعات حول اختفائها، ومصيرها، فمن قال:

[أ] إن السباع والوحوش قد انتهشتها.

[ب] إنه قد رفع إلى السماء وينسب مثل هذا القول إلى البابية.

[جـ] إنها حملت إلى مكان غير معلوم، بعد أن رفعها البابيون من الأرض وحملوها إليه.

[د] إن البهاء خليفة الباب في زعامة هذه النحلة قد حملها ودفنها في جبل الكرمل بين حيفا وعكا في فلسطين[٣].

ويبدو لي أن الباب قبل إعدامه قد كثرت الاتهامات والانحرافات التي وجهت إليه ونحلته حتى جعلت الناس جميعا يبغضونه، كرئيس لهذه الجماعة الشيطانية ومبتدع اخترق بأفكاره المنحرفة، سياجا آمانا كان يحيط بهذه البلاد التي رفرف عليها علم الصفويين، فارتضوا حكم الشاة على الناحية السياسية، والمذهب الشيعي على الناحية الدينية، وكانت أمورهم هادئة نوعا ما، كما كانت بلادهم تدافع عن كيانها، وتعمل على

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص٨٥ .

(٢) أطال فضيلته على مفتاح باب الأبواب ص١٣٢/١٣٣ للأستاذ محمد مهدي خان، والعقيدة والشريعة لجولد تسهير ص٢٧٣ .

(٣) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٦٧ .

صيانة أرجائها في مواجهة الرغبات الطامعة في النيل منها، فلما خرج هؤلاء على ذلك وأحدثوا بالبلاد تلك الثورات الرعناء في ذات الظروف، فقد ازدادت حدة الغضب عليهم، حتى لم يعد أحد يجد في صدره متسعا لواحد منهم حيا أو ميتا، وبالتالي فلما أعدم الباب وتابعه لم تنل جثتيهما حقهما في العودة للتراب كباقي الأجساد، ولكنها تركت تلقى مصيرها المحتوم كمظهر من مظاهر الضيق والغضب والرفض لها وأصحابها على كل ناحية في الحياة والممات معا.

أما أنا فإني ذاهب إلى أن عملية الإعدام قد تمت على مرأى ومسمع من الحاضرين، ولو كان الباب على حق في شيء مما زعمه أو ادعاه؛ لوجب أن تقع له النجاة، أما وقد وقع القتل عليه، فقد دل الأمر على أنه كاذب في كل ما ادعاه، وأنه ساق من اتبعه إلى الهلاك، أما ما بعدها فإن اختلاف الروايات أو اتفاق بعضها في جزء منها، إنما يدل على وقوع الخيال في ذلك البعض؛ لأن جثة الإنسان مهما كانت عقيدته لها حقها في المواراة، ولم تعرف شريعة الإسلام التمثيل بها أو الإهمال وإنما الذي يفعل ذلك، إنما يرضى هواه ولا ينفذ بما يفعل تعاليم مولانا رب العالمين جل علاه.

ويذهب شميتز إلى أن سبب إلقاء القبض على الباب وإعدامه، كان ناشئا عن اندلاع الصراع بين البابيين والحكومة التي ألقت القبض على الباب، وكان ذلك في أوائل عام ١٨٥٠م، وظل في السجن بضعة أشهر، ثم نفذ فيه الإعدام مع أحد تلاميذه المخلصين في ٨ يوليو من هذه السنة[1]، وبالتالي فكأن الباب وتحلته لم يمثلوا على الدولة الصفوية إلا خطرا سياسيا، بينما واقع الأمر يؤكد أن الخطر كان على الناحية الدينية والاجتماعية ثم السياسية كمرحلة ختامية.

كما ذكر روايات منقولة عن أتباع هذا الباب وأساطير تتعلق بعملية تنفيذ الإعدام فيه كلها خرافات، منها أنهم ربطوا الباب مع التلميذ بالحبال مع بعضهما، بحيث وضع رأس

(١) باول شمتز – الإسلام قوة الغد العالمية ص١٤٣.

التلميذ على صدر الأستاذ(١) -الباب - ثم تلقى حراس أرمينيون الأمر بإطلاق الرصاص عليهما فأطلقوا أول دفعة، وعندما انقشع دخان بارودها رأى الحاضرون أن الباب والتلميذ واقفان بدون قيد، وأن الرصاص أصاب القيد فقط، ولم يصب أيا منهما(٢)، وأن الدفعة الثانية من الطلقات هي التي قضت عليهما.

ثم قرر أن الذي قرأناه هو معجزة، وأنها أوقدت في أتباعه حماساً لا يوصف، دفع بهم إلى حب الاستشهاد في سبيل دعوتهم(٣)، فسيقت أعداد لا حصر لها إلى ساحة الإعدام، فقيدوا صفوفاً على حائط المقصلة، حيث أعدموا جميعاً رمياً بالرصاص بصورة جماعية، أما زعماؤهم فكانوا يربطون على فوهة ماسورة الإطلاق(٤).

ومن الواضح أن شمتز كان يتبنى أفكاراً قامت في رأسه، وأنه حاول التأكيد عليها، لكنه لم يكن موفقاً في كثير منها؛ لأنه صور البابيين على أنها طائفة من أحرار الفكر، بينما هم مجموعة من المنحرفين تماماً؛ لأن الفكر ما لم يقد صاحبه إلى الخير، فإنه يكون غير مقبول تماماً، ويمثل فكراً فاسداً بالنسبة لمن يتعامل معه.

---

(١) كأنهم يرسمون صورة يسوع وهو على صدر أمه، مستوحاة تلك الصورة من خيالاتهم؛ لأن عيسى ابن مريم رسول الله لم يقتل ولم يصلب، وأن الله أنجاه من أيديهم جميعا. قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا • وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا • بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ سورة النساء الآيات ١٥٦/١٥٨.

(٢) باول شمتز – الإسلام قوة الغد العالمية ص١٤٣، كأنه يريد احتسابها معجزة حتى يوهم القارئ بأن المعجزات تأتي من باب الخيالات، وهو بهذا يكشف عن أنه لا معرفة له بالمعجزة، لأنها حقيقة ثابتة للأنبياء، يجريها الله تعالى على أيديهم، ولا علاقة لها بتصديق الكاذب؛ لأن ذلك محال شرعا.

(٣) هذا لا يدخل في نطق الاستشهاد، بل هو طريق أصحاب الاتجاهات المنحرفة والعمليات الإجرامية الذين يقومون بالانتحار.

(٤) باول شمتز – الإسلام قوة الغد العالمية ص١٤٣.

كما انه يلمز إلى القيادة السياسية في إيران، وأنها لم تتعامل مع هؤلاء، وتحاول القضاء عليهم، إلا بعد أن شعرت بالخطر القادم عليها المتمثل في أفراد هذه الجماعة المثقفة إصلاحيا من وجهة نظره؛ لأن المثقف الإصلاحي لا يلجأ إلى عمليات الاغتصاب وممارسة الفواحش، واستعمال النهب والسلب والقتل، وبالتالي فإن استنتاجاته على هذه الناحية غير مقبولة .

أضف إلى ما سبق زعمه بأن أفراد العصابة المنحرفة سيقوا إلى ساحات الإعدام، وأنهم قيدوا صفوفاً على حائط المقصلة، وأن زعماءهم ربطوا على فوهة ماسورة الإطلاق، فذلك زعم لم يقم له دليل واحد؛ لأن عملية التوبة كانت بإمكان العاصين ومازالت بابا من أبواب الإسلام الواسعة، ففي الحديث الشريف: « التوبة تجب ما قبلها » .

ثم إن الربط على فوهة ماسورة الإطلاق تكون على المدافع، أما على البنادق فذلك أمر لا يصدقه واقع؛ لأن ماسورة البنادق لا يمكن أن يرتبط على فوتها شيء، لكن بانتهاء حياة الباب انتهى شخصه، أما فكره فما زال يتردد بين الدارسين، حتى يحذر الناس من الوقوع فيه؛ لأنه خطر داهم والله أرحم الراحمين .



الباب الثانى

آراؤه
وموقف الإسلام منها



الفصل الأول

موقفه من العقيدة الإسلامية
الإلهيات ـ النبوات ـ السمعيات

وقد أسرف في القول به الباطنية والإسماعيلية، بجانب القرامطة وغيرها من النحل التي نشأت في ديار الإسلام، والتحقت به وافترشت تعاليمه، وكان زعماؤها الأوائل من أهل الإسلام[1]، بل ربما كان بعض هؤلاء الزعماء من أكثر الناس تقوى وأورعهم في البعد عن محارم الله وأزهدهم في الدنيا وأعراضها، وأن غرضهم مما أقاموه كان هو الحرص على تعاليم الإسلام، وإظهاره لكل من يتعامل معهم، ثم جاء من بعدهم خلف وقعوا على الألفاظ التي تناقلوها، ثم حملوها من المعاني ما لم يدر لهم بخلد، ودعا الأتباع إلى القول بها على أنها تراث فكري قام به زعماء المذهب، وهم منه براء؛ لأنه يوقع في الذات الإلهية، ويجعل المخلوق مع الخالق في درجة واحدة - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - .

ونظراً لأن الباب الشيرازي قد عايش في مطلع شبابه مجموعة ممن يعتقدون بالحلول والاتحاد، ويعتبرون الإيمان بهما ضرورة دينية، فلم يجد في صدره نوعا من الممانعة لها، بل اعتقدها، وأصر عليها، وراح يدعو إليها على كل ناحية، وكيف لا وهو يرى نفسه قد أمكنه استعمال السحر والنجوم على ناحية مما تعلمه، ثم استعمل ذلك فحقق بالنسبة له بعض النتائج، وحينئذ دخل إلى قلبه أنه قد حل الله فيه واتحد به.

لأن هذه الأفعال من خصوصيات الله، فإذا أمكن لواحد من الناس القيام بها؛ فلا شك أن الله قد اتحد به وحل فيه[2]، وقد نمت معه تلك الأفكار منذ شبابه الباكر، ونظراً لكثرة قراءاته لها، واعتقاده السبق فيها - بجانب وقوعه ضحية أمراض الهلاوس والوسواس القهري، بجانب الماخوليا التي أثرت على مدركاته العقلية - فلم يجد بدا من القول بأن الله قد اتحد به، وحل فيه حتى صار جسد الباب هو المظهر الطبيعي للرب، بل وصل به الحال إلى القول بأنه خالق

---

(١) الشيخ توفيق عبدالحميد الجميل - من معالم الفكر الإسلامي ص١٨٧ .

(٢) العلامة السيد مرتضى العسكري - عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم ص٩٧ مكتبة القاهرة الحديثة - الطبعة الأولى ١٩٧٢م. وراجع لبرنارد لويس: الدعوة الإسماعيلية الجديدة ص١٧٥ - ترجمة دكتور سهيل زكار - دار الفكر بيروت ١٩٧٩م.

تمهيد

سلف القول بأن الباب الشيرازي قد أكتسب جزء من ثقافة تجري فيها الوثنية، وتتسلل لكل ناحية منها نوازع المجوسية، وقد اصطبغت كلها بالصبغة اليهودية(١)، التي تعتقد الحلول الإلهي في البشرية، واتحاد الذات الإلهية بالتجسدات الحيوانية والإنسانية(٢)، التي اعتبرت الوجود الإنساني هو المظهر الطبيعي الأرقى للوجود الإلهي(٣)، وأن هذه الثقافة قد اختلطت مصادرها المختلفة عند هذا الباب، ونظراً لضآلة ثقافته فلم يتمكن من فصل بعضها عن بعض بحيث يعرف الحق الذي شرعه الله فيتجه إليه، والباطل الذي غرسه الشيطان فينصرف عنه.

غير أن تلك الوثنيات التي حفل بها عقله قد جعلته يتحلل من القيم الإسلامية كلها، ويعاند الفطر الطبيعية السليمة التي خلقها الله، ليلتقي في النهاية التحلل والإباحية. وهي يمكنها أن تتلاقى مع التعاليم الإلهية(٤)، وحتى يبلغ ذلك الغرض في نفوس الناس مبلغ التنفيذ العملي، فقد نادى بضرورة ممارسة مجموعة من الانحلالات، اعتبرها عقائد يجب التمسك بها فأفرط في عرضها، كما أسرف في الدفاع عنها، وقد تركزت أفكاره وآراؤه هذه في مجموعة من المبادئ والقواعد، فمنها ما يتعلق بالعقيدة الإلهية، إلهيات ونبوات وسمعيات.

ومنها ما يتعلق بالتكاليف الشرعية ومطالبته المستمرة بالتخلي عنها، بدعوى أنها لم تعد صالحة للعصر الذي نعيشه، ومنها ما يتعلق بمزاعمه في الاستغناء بالتشريعات المدنية عن التشريعات الإلهية.

ومنها ما يتعلق بمزاعمه في ضرورة استبدال الحدود الشرعية بالعقوبات المالية، إلى غير ذلك مما ذكره قوله، وعاشت في حنايا عقله، وكشف عنه هوسه، وسأحاول -إن شاء الله تعالى- عرض كل واحدة منها في فصل مستقل على النحو الذي سيرد إن شاء الله تعالى.

---

(١) لأن اليهود قد عاشوا في إيران ومازالوا يعيشون. وهم يمارسون ما يسمى بالشعائر اليهودية في العلن وتحت حماية النظام السياسي القائم. (راجع إيران من الداخل ص١٧).

(٢) راجع في هذا الشأن : أسفار العهد القديم. وبخاصة سفر التكوين والخروج. ففيها تجسدت الإله في أشكال حيوانية وإنسانية وجمادية كثيرة. مما يعجز هذا الكتاب عن استيعابها. كما أنها ليست غرضنا.

(٣) الأستاذ صبري محمد عبدالعظيم – دراسات في العهد القديم ص١١٧ .

(٤) الأستاذ خيري عبدالباقي نصر الله – التراث اليهودي وعلاقته بالبابية ص١٩٣ – طبعة دار المنار ١٣١٧هـ

ساقط من

أصل المصدر

ساقط من

أصل المصدر

ساقط من

أصل المصور

وقف الشيرازي من قضايا العقيدة الإلهية موقفا لا يتناسب معه كمسلم تربى بين أبوين مسلمين؛ لأن كل أسرة مسلمة تربى بنيها على احترام العقيدة الإسلامية والتمسك بها، باعتبارها صمام الأمان للمسلم، فإذا لم تبلغ تلك العقيدة في نفسه وقلبه مبلغ التمكن والسيطرة، فإنه يتصرف بدون ضوابط، وربما أدى به ذلك التصرف إلى الانحراف بدرجاته المختلفة.

ولما كان الباب الشيرازي قد ألغى من عقله وقلبه، ومحا من وجدانه معالم العقيدة الإسلامية، وعبر عن ذلك في المؤلفات التي نسبت إليه، والأفكار التي نقلت عنه، فمن الضروري على كباحث مسلم عرض موقفه من العقيدة الإلهية ثم مناقشة ما ذهب إليه، وبيان فساده على الناحية الإسلامية، وسيكون ذلك على النحو التالي:

أولاً: في الإلهيات

الاعتقاد الفكري في الحلول والاتحاد

المعلوم أن أتباع العهد القديم من اليهود[1]، يزعمون حلول إلههم في أشكال يقع بها ... سيد، فهو يسير بقدمين في الجنة، ويسمع آدم وحواء هبوب قدميه، كما يتلفت يمنه ويسره

---

(١) هناك فرق بين اليهودية الدينية التي جاء بشريعتها موسى بن عمران كليم الله ﷺ. وهي في أصولها الاعتقادية لا تختلف عن ما جاء به باقي رسل الله أبدا، أما في أحكامها الشرعية فقد تختلف باختلاف طبيعة القوم الذين بعث فيهم موسى ﷺ، والله عز وجل قال: ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ [سورة المائدة – من الآية ٤٨]. أما اليهودية السياسية فهي التي صنعها بعد موسى الكليم من نسبوا أنفسهم إليه، وقد كتبوا كتبهم بأيديهم، ثم خدعوا الناس بها. قال تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة البقرة/٧٩) وهم يعتقدون في إلههم الحلول والاتحاد. ويصفونه بصفات البشر والحيوانات – تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا – (راجع عقيدة اليهود في تجسيد الإله وموقف الإسلام منها (رسالة ماجستير) بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية بجامعة الزقازيق (بإشرافنا) للباحث السيد عبدالبديع ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).

عله يجد هذين الفارين –آدم وحواء – من وجهه بعد ارتكابهما الخطيئة التى نهاهما عن ارتكابها، ثم لا يجدهما، وأخيراً يعطفان على ياهو المسكين حين ينادى آدم أين أنت فيقول آدم: إنى مختف من وجهك؛ لأنى خائف منك، وسألهما ياهو: هل أكلتما من الشجرة التى نهيتكما عن الأكل منها –وكأنه لا يعلم شيئا –فيقول آدم: إن المرأة التى جعلتها لى هى التى أكلت من الشجرة المحرمة وأعطتنى، فيغضب ياهو من هذا السلوك المشين، ويقسم فى نفسه أنه لن يعود إلى خلق الإنسان مرة أخرى، ويندم على أنه خلق ذلك الإنسان[1].

وقال الرب لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التى أوصيتك قائلا: لا تأكل منها ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك وشوكا وحسكا تنبت لك وتأكل عشب الحقل بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها؛ لأنك تراب وإلى تراب تعود[2].

والإله فى اليهودية السياسية يأكل خبزاً ولحما[3]، ويشرب مسكراً[4]، ويشم رائحة الطعام الجيد، فيفرح به[5]، ولا يشم رائحة الطعام غير مكتمل النضج، ثم هو فى

---

(١) ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٧ – ترجمة الدكتور حسان ميخائيل.

(٢) العهد القديم – سفر التكوين – الإصحاح الثالث ٢٠/١٧ .

(٣) يقول العهد القديم: « إن إبراهيم عندما ظهر له الرب عند بلوطات ممرا(اسم مكان لسكن ممرا. وهو أمير أمورى قطع عهداً مع إبراهيم وهذا المكان هو " رامة الخليل " التى تقع شمالى الخليل بمقدار ميل ونصف الميل – قاموس الكتاب المقدس بتصرف – ص٩٢٤)، على صورة إنسان من بين ثلاثة رجال فتقدم إليهم إبراهيم بماء فغسلوا أرجلهم واستراحوا تحت شجرة ثم قدم لهم بعض الطعام من الخبز واللحوم والزبد واللبن فأكلوا من ذلك الطعام المتقدم إليهم »(راجع سفر التكوين إصحاح ١٨ : ١ – ٨ .) .ويقول سفر العدد: « وهاهو الرب يخبر شعبه بأنه فى حاجة ماسة إلى الطعام فيقول « أوصى بنى إسرائيل وقل لهم قربانى طعامى »(عدد ٢٨ : ٢ .) .

(٤) يقول سفر العدد : « إن الرب قد شرب اللبن من يد إبراهيم ثم يقول فى الغد من أسكب سكيب مسكر للرب »(عدد ٢٨ : ٧ .).

(٥) الشيخ عطية إبراهيم عطية الشوادفى – دراسات فى التوراة ص٢٢١ ضمن أبحاث المؤتمر العاشر لمجمع البحوث الإسلامية .

رحمه مسرف، وفي غضبه مسرف[1]، لكنه إذا غضب من شعب إسرائيل تراجع متى رأى أن ذلك سيجعلهم يقعون في شماته الأمميين[2]، وكذلك يتراجع عن حمو غضبه متى رأى أن ذلك قد يسبب لهم أي نوع من الحرج؛ لأنهم شعبه المقدس للرب[3]، فالعلاقة بين القوم وبين الرب بها خصوصية وملامح مستمرة لا تنقطع.

كما أن الرب في اليهودية السياسية كان يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب يظلهم به من حرارة الشمس[4]، وفي الليل يسير معهم في عمود نور، فيكون أمامهم مرة يكشف لهم الطريق وخلفهم أخرى حتى يتحصل لهم الأمان من الأعداء، الذين قد يتربصون بهم[5]، وبالتالي؛ فهو قد حل أمامهم في أجساد مادية خالصة، تجيء فيها الصور البشرية الكاملة حيناً والمتجزئة أخرى[6]؛ ولأنهم شعبه المختار من وجهة نظرهم فقد اتحد بهم اتحاداً كاملاً، حتى إنه صار في كل واحد منهم جزء من ذلك الإله العجيب، الذي يقبل الانقسام الجسدي في اتباعه وحدهم، فصارت عقيدة الحلول والاتحاد عندهم ثابتة.

---

(١) الأستاذ مصر الدين محمد لطفي – نظرات في العهد القديم ص٨٥ .

(٢) يقصد بهم كل من كان خارج شعب بني إسرائيل. فالإسرائيليون هم وحدهم شعب الرب المقدس له. أما غيرهم فهم خدم لهم.

(٣) الأستاذ السيد عبدالبديع محمد وافي – عقيدة تجسيد الإله في اليهودية وموقف الإسلام منها ص٢١٣ وما بعدها – رسالة ماجستير(بإشرافنا) بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية بالزقازيق ٢٠٠٠م.

(٤) يقول سفر الخروج ١٣ : ٢١ « وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب يهديهم في الطريق ليلا في عمود نار فيضيء لهم؛ لكي يمشوا نهاراً أو ليلا » .

(٥) الأستاذ نصر الدين محمد لطفي – نظرات في العهد القديم ص٨٦ .

(٦)الأستاذ السيد عبدالبديع محمد وافي – عقيدة تجسيد الإله في اليهودية وموقف الإسلام منها. فقد عرضت لهذه الصور وناقشهم صاحبها في صور مختلفة.

ونظرا لكون اليهود يعتبرون أنفسهم مقدسين عن باقي أهل الأرض، فقد احتفظوا بتلك العقائد الفاسدة، وراحوا ينتقلون بها من مكان لآخر، كأنها الذكرى والسلوى، وكلما نزلوا ديار قوم تعاملوا معهم بنفس المنطق المتعالي عن الآخرين، مرددين في نفس الوقت تلك العقائد الوثنية، محافظين عليها كأنها شريعة إلهية، وما هي إلا ركام من الأوهام التي اندفعت من عقول امتلأت بالخبالات، وعاشت في أحضان الوثنيات[1].

ولأن اليهود عاشوا داخل فارس، وكانوا يمارسون فيها تلك العبادات الوثنية، وقد سجلوها في كتب يتناقلونها بينهم على أنها أصل الدين اليهودي، فقد وقعت تلك الكتب - قصدا أو بغير قصد - بين أيدي الأغمار من أبناء إيران، فنظر إليها البعض على أنها خرافات، وبالتالي لم يلتفت إليها، بينما نظر إليها آخرون على أنها نوع من الثقافة، فلم يجد لديه ممانعة من الاطلاع عليها، ونظرا لعدم تحصنه من أضرارها، فقد وقع في نفسه أنها مقدسة، ومن ثم فقد ظن أن كل ما فيها حق؛ لأنه يمثل ديانة نبي الله موسى الكليم[2]، وما هي في شيء من ذلك أبداً، ولا علاقة لها بنبي الله موسى؛ لأنهم يعلنون في وضوح أن العهد القديم لم يكتبه موسى الكليم، ولا تلاميذه، ولا واحد ممن عاصره، إنما كتب أسفاره وإصحاحاته جماعة من الكُتّاب اللاهوتيين الحاخامات بعد موسى بمئات السنين، وعلى مراحل مختلفة ليعبر ذلك الكتاب القديم عن آمال شعب إسرائيل وطموحاته[3]، كما يقص أخبار المعاناة التي وقع فيها أبان رحلته التاريخية في الماضي، وما يتطلع إليه من آمال في المستقبل.

غير أن هذا الفريق الذي اعتبرها من المقدسات قد تمسك بها، ولم يفكر لحظة واحدة في نقدها أو إعادة النظر في محتوياتها، إنما ابتعلها على ما هي عليه، واقتنع بكل ما فيها، بل لا أغالي

---

(١) الأستاذ التهامي محمود عبدالمعز - اليهود عبر التاريخ ص٢١٧ ط١/١٩٣٧م.

(٢) نبي الله موسى بن عمران الكليم كان صاحب رسالة إلهية تمثل شريعة خاصة لبني إسرائيل وحدهم. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ سورة الصف - الآية ٥ .

(٣) الشيخ نصر الدين محمود يسري - الكتاب المقدس واليهود ص١٣٢ - طبعة دار لقمان ١٣٣٥هـ.

إذا قلت: إنه قد صار لديه شيء من الاعتقاد بصحة ما فيها؛ ولأنها كتبت بأيدي قوم لا علاقة لهم بوحي السماء، فقد وضعوا فيها أفكارهم التي تحمل الحلول والتجسد لله، فلم يجد هذا الفريق في صدره ممانعة من القول بأن الله يتجسد في مخلوقاته نوعا من التناسخ الروحي أو الجسدي، مادام الكتاب المقدس قد جاء به[1] وتحدث عنه.

وقد انتشرت تلك الأفكار المنحرفة في البيئة الإسلامية انتشارا واسعاً، وتبناها بعض شباب أهل الإسلام الذين ظنوا بمصادر نوعا من التقديس، حتى باتت تلك الأفكار تظهر في سلوكيات البعض وأفكاره، حتى رأينا فيهم من يزعم اتحاد الله به، وهم أصحاب الاتحاد، كما قرأنا عن من يزعم حلول الله فيه أو في غيره، وهم أصحاب الحلول، ومنهم من يعلن أن الله اتحد بالكون، أو حل فيه وهم أصحاب الاتحاد والحلول.

غير أن ما يحزن هو وقوع بعض ممن ينتسبون لبعض الجماعات الإسلامية في القول به، على ناحية من النواحي، حيث قرأنا عن وجوده عند بعض مدعي التصوف الإسلامي[2]، الذين قالوا به حكاية عن غيرهم، أو اعتقادا له، كما قرأنا عنه لدى أصحاب الفكر الغنوصي، وفي نفس الوقت اعتنقه بعض الشيعة الغالية، لكن على مفهوم قد يوافق ما جرى به الفكر اليهودي والمسيحي[3]، وقد يخالفهما في شيء منه.

---

(١) مظاهر ذلك في العهد القديم والجديد أكثر من أن تحصى، ولطالب المزيد مراجعة رسالة الماجستير المقدمة من الأستاذ عبدالباسط حسن خليل (عقيدة الاصطفاء الإلهي عند اليهود وموقف الإسلام منها) بإشرافنا – معهد الدراسات والبحوث الأسيوية جامعة الزقازيق ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٢) هناك فرق بين الصوفية ومدعي التصوف. راجع لشيخ الإسلام ابن تيمية : التصوف من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك تلبيس إبليس لابن الجوزي.

(٣) الأستاذ نصر الدين محمد لطفي – نظرات في العهد القديم ص٨٧. وراجع للأستاذ التهامي محمود عبدالمعز – اليهودية عبر التاريخ ص٢١٥ .

ساقط من

أصل المصور

الحق، وأنه التجسيد الطبيعي للإله، إلى غير ذلك من الخرافات والأوهام التي صنعها خياله المريض، ثم أعلن عنها، ودعا أتباعه إلى القول بها ضمن معتقداته الفاسدة وتشريعاته الشاذة، التي لم تدفع إليها ضرورة، بل دعا إليها خياله المريض وغروره الشخصي(١).

وقد زعم الباب أن الله يحل في البشر، وأن حلوله في بشر ما يعتبر مظهراً إلهياً في هيكل بشري، وأن ظهور الله في هيكل متجسد قد تعدد بتعدد الأنبياء والمرسلين. وأن هذا الظهور مستمر، وأن الظهور الأخير أتم من الظهور الأول، ومن هذا التفسير فهو يعتبر نفسه أكمل مظهر بشري ظهرت فيه الحقيقة الإلهية، فهو بهذا التفسير الفاسد أكمل من الأنبياء قبله(٢)، وأصر على أن يكون هو الخاتم وليس من قبله.

إذن الباب الشيرازي زعم أنه تكاملت فيه مراتب الحقيقة الإلهية، حيث يمثل شخص الباب أرقاها وأرفعها، وهذه الحقيقة الإلهية -من وجهة نظره- قد حلت في شخصه حلولاً مادياً، واتحدت به اتحاداً كلياً، وقد اختلفت في شكلها الظاهري فحسب عن المظاهر السابقة لهذه المادية الروحانية المنبعثة من الله تعالى، ولكنها في حقيقتها وجوهرها تماثل معها تماماً، فموسى وعيسى اتخذا من شخصية الباب سبيلاً إلى العودة للدنيا، كما تجسد في شخصه غيرهما من الأنبياء الذين تجلى العقل الكلي الإلهي في صورهم الجسمانية، منذ أقدم العصور والأحقاب(٣)، وتكرر ذلك على الدوام.

بناء على ما سبق؛ فإن مسألة اتحاد الله بالباب الشيرازي وحلوله فيه تعتبر رأس الأمور الاعتقادية عندهم، فمن اعتقدها فهو بابي، ومن لم يعتقدها فليس ببابي. وبالتالي؛ صارت هي الفيصل بين الناس وغيره، بحيث يمكن القول بأن الباب ومن معه يقيمون ديانتهم على فكرتي الحلول والاتحاد الفاسدة، وما بني على الفاسد فهو فاسد لا محالة، باعتبار أن الله تعالى منزه عن

---

(١) الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير – البابية والبهائية ص٧٦ .

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص٩٤ .

(٣) المستشرق جولد تسهير – العقيدة والشريعة في الإسلام ص٢٧١ .

الحلول والاتحاد، بل الله تعالى منزه عن كل ما فيه شيء من المماثلة والمشابهة لأي من خلقه، وتؤكد ذات العقيدة البابية في الحلول والاتحاد، بأن الرجل إنما استقاها من الأفكار اليهودية والمسيحية والوثنية عموما، وأنها كانت قد نقلت إلى البيئة الإسلامية، وتمسك بطرف منها أصحاب التعاليم الباطنية، ودعاة الغنوصية معاً.

ولا شك أنها جميعاً تتنافى مع تعاليم الإسلام الدين الحنيف، الذي تقوم أصوله على التنزيه الكامل لله رب العالمين، كما تتنافى مع أصول الاعتقاد في البعث الآخروي[1]، على النحو الذي جاءت به نصوص النقل المنزل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة.

بل أستطيع القول بأن الباب قد انخلع من العقيدة الصحيحة التي تتمسك بها نحن أهل السنة والجماعة، وإذا ادعى أنه شيعي، فقد خالف أصول الشيعة في العقيدة أيضا؛ لأنهم يقولون: يجب على العاقل بحكم عقله تحصيل العلم والمعرفة بصانعه، والاعتقاد بوحدانيته في الألوهية، وعدم وجود شريك له في الربوبية، واليقين بأنه هو وحده المتفرد بالخلق والرزق والموت والحياة، والإيجاد والإعدام، بل لا مؤثر في الوجود إلا هو جل شأنه[2]، وبالتالي لا علاقة للباب بعقيدة الشيعة الإمامية على الأقل في أدلة وجود الله تعالى وتنزيهه، كما لا علاقة له بعقيدة أهل السنة والجماعة: لأنه لم يعلن عن انضمامه لأهل السنة والجماعة، بل رفض الإسلام كله.

إذن عقيدة البابية في الحلول والاتحاد يمكن إرجاعها إلى مصدر وثني، ويصح القول أيضا بأن لهم دينا هو مزيج من أخلاط الديانات البوذية والبرهمية الوثنية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والصوفية والباطنية[3]، وهي كلها عقائد فاسدة لا تقوم على أصول صحيحة، ولا

---

(١) الدكتور حسن محرم الحويني - البابية والبهائية والقاديانية ص٤٨.

(٢) الإمام الشيخ محمد آل حسين آل كاشف الغطاء - أصل الشيعة وأصولها ص١٣١ - طبعة دار القرآن الكريم قم إيران.

(٣) الدكتور محمد مهدى خان - مفتاح باب الأبواب ص١١٧.

تنهض قوائمها على قواعد مقبولة، فإذا ادعى أحاد الناس مثل تلك العقائد، فإنه يكون صاحب عقيدة فاسدة، ولا تقبل فيه الأعذار.

ومن منطلق القول بعقيدتي الاتحاد الحلول التي زعمها الباب لنفسه، لم يجد أتباعهم الآخرون صعوبة في القول بهما، وأن يرفعوا الباب إلى مستوى الألوهية، بل لم يجدوا غضاضة في أن يبالغوا في تأليهه، فيدعون أنه الخالق لكل شيء بكلمته، والمبدأ الذي ظهرت عنه جميع الأشياء تقليدا للباطنية الذين ألهوا بعض أئمتهم استنادا إلى اعتقادهم بحلول الإله في بعض الأشخاص، وكما ألهت القرامطة محمد بن إسماعيل بن جعفر، وألهت الغالية من الشيعة الإمام علي وأولاده من فاطمة[1].

كما أن الباب الشيرازي هو الآخر قد استغل تلك الأفكار الإلحادية أوسع استغلال، حيث وجد فيها الطريق الذي يمكن له في الانطلاق من عالم الإنسانية إلى الألوهية، وأن الحلول الإلهي فيه قد كمل، فحدث تطور لمراتب الظهور، طبقا لقوانين طبيعية – اعتقد صحتها – تقوم على مفهوم الدورات الزمانية المتجددة، ومن ثم زعم أنه ارتقى من الإنسانية إلى الألوهية، مادام قد صار هو المظهر الذي حل فيه الإله، حيث يقول عن نفسه في غرور وكبر فاحش: أنا قيوم الأسماء، مضى من ظهوري ما مضى، وصبرت حتى يحصى الكل، ولا يبقى إلا وجهي أنا، وأعلم بأنه لست أنا بل أنا مرآة، فإنه لا يرى في إلا الله[2]، فاعتبر نفسه هو خالق الحق بهذا الاعتبار، وهو كاذب في كل ما زعم – تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا – .

وما يقوله الباب هنا إنما هو امتداد لما قالت به الإسماعيلية بالذات من أن للعقل الكلي تجليات في مظاهر متعاقبة بدأت بآدم عليه السلام وختمت بالإمام السابع والمظهر المتأخر أفضل من المتقدم؛ لأنه يحقق من الأهداف ما لم تحققه المظاهر السابقة، وهذا القول يعني عدم انقطاع الوحي

---

(١) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٤٩ .

(٢) الأستاذ محسن عبدالحميد – حقيقة البابية والبهائية ص٥٠ .

والفرق الإسماعيلية قد صاغت ضلالها في أسلوب متماسك من ورائه عقول مفكرة، وإن كانت ضالة كافرة، وأما الباب فقد كرر ما قالوه أسلوب فج، وفكر سطحي ينم عن شخصيته المستهترة؛ لأنه كان يردد ما يوحي به إليه شياطين الإنس من جواسيس أنروسكلت

الذين لم يكن لهم من هم سوى القضاء على الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية، بجانب القضاء على الدولة الصفوية في إيران آنئذ.[1]

وما دام الباب قد صار هو الله – كذبا وزورا – فيجب أن يعتقد الناس فيه ذلك، ويجب كذلك أن تكون العبادة خالصة له وحده، زاعما أن ذلك هو الذي تقوم به الشيعة، وكانت تبشر به في الماضي، وهو افتراء على الشيعة وكل أهل الإسلام؛ لأن الشيعة الإمامية يذهبون إلى اعتقاد أنه تعالى واحد في ذاته، كما يعتقدون وجوب وجوده كذلك، وتوحيده في الصفات، وذلك بالاعتقاد بأن صفاته عين ذاته[2]، والاعتقاد بأنه لا شبيه له في صفة من صفاته الذاتية[3]، فهو في العلم والقدرة والإرادة وغيرها لا نظير له، وفي الخلق والرزق لا شريك له. وفي كل كمال لا ند له، ويجب توحيده في العبادة، فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه. ولا يجوز إشراكه في العبادة في أي نوع من أنواع العبادة، واجبة كانت أم غير واجبة

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص٩٤ .

(٢) وهم في هذه الناحية كأوائل المعتزلة الذين يذهبون إلى نفي زيادة الصفات على الذات محافظة على مبدأ التوحيد والتنزيه على ما ذهبوا إليه. (راجع الأصول الخمسة. والمغني في أبواب التوحيد. والعدل للقاضي عبدالجبار ففيهما تفاصيل كثيرة).

(٣) الصفات الذاتية هي التي لا يقع فيها الاشتراك الاسمي بين الله تعالى وبين أحد من خلقه. كالخالق والرازق والمحق. (راجع حاشية السيد الجرجاني على المطالع ص٩) .

[1]، كما أن أهل الإسلام جميعاً متفقون على توحيد الله جل علاه، وتنزيهه عن التشبيه والشريك ... في العقيدة والعبادة؛ إذ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فمن خالف في شيء من ذلك؛ فإنه لا يكون مسلماً أبداً.

۞ وفي تقديري: أن الباب ومن معه قد وقعوا في اعتقاد التجسيد الذي امتلأت به مصادر اليهودية المخرّفة، والمسيحية المحرّفة، وكذلك عاشت فيه الفرعونية القديمة والمجوسية على مستوياتها المختلفة، ومثله لا يكون فكراً بقدر ما هو خيال وضلال مبين؛ لأن القول بالحلول والاتحاد يخرج صاحبه عن اعتقاد التوحيد الإلهي، كما أنه قول عوام لا يمكن قبوله؛ لأنه يتنافى مع أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة في تنزيه الباري جل شأنه وتقديسه، ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2].

وعن معاذ بن جبل قال: "سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام، قال: قد استجيب لك فسل"[3]، فكان صريح اعتقاد الرجل في تنزيه الباري جل علاه بمثابة مفتاح القبول لكل ما يدعو به ويتمناه.

وعن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في الحلقة ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد تشهد ودعا، فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم إني أسألك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى"[4]، ومن ثم فقد دل دعاء الرجل على أنه

---

(١) العلامة محمد رضا المظفر – عقائد الإمامية ص١٤ .

(٢) سورة الرحمن – الآية ٧٨ .

(٣) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٥٤١ – الأسماء والصفات – الحديث رقم: ٣٥٢٧.

(٤) الإمام النسائي – سنن النسائي (المجتبى) ج: ٣ ص: ٥٢ – باب الدعاء بعد الذكر – الحديث رقم: ١٣٠٠.
وأخرجه أحمد – مسند أحمد ج: ٣ ص: ١٥٨ – الحديث رقم: ١٢٦٣٢.

صحيح الاعتقاد في الباري جل علاه، وأنه منزه عن كل أنواع المماثلة والمشابهة، فهو جل شأنه المتفرد بالجلال والجمال والكمال والإكرام.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثا ثم قال: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"(1).

وقال ابن كثير: «قوله ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾ أي هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يكرم فيعبد، ويشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى، وقال ابن عباس ﴿ ذي الجلال والإكرام ﴾: ذي العظمة والكبرياء. "أجلوا الله يغفر لكم(2)"

---

(1) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٤١٤ – باب إستحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته – حديث رقم: ٥٩١، الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ١ ص: ٢٩٨ – باب ما يقال بعد التسليم – حديث رقم: ٩٢٤، العلامة البيهقى – سنن البيهقي الكبرى ج: ٢ ص: ١٨٣ – باب من استحب له أن يذكر الله في مكثه ذلك الحديث رقم: ٢٨٢٩ .

(2) أخرجه الإمام أحمد. وفي الحديث الآخر: "أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام" (رواه الترمذي). وفي رواية: "أَلِظُّوا بذي الجلال والإكرام" (رواه النسائي وأحمد). وقال الجوهري: ألظ فلان بفلان إذا لزمه. وقول ابن مسعود: ألظوا بياذا الجلال والإكرام: أي الزموا، يقال: الإلظاظ هو الإلحاح .

وفي صحيح مسلم، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلم لا يقعد يعني بعد الصلاة إلا بقدر ما يقول: "اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[1] »[2].

كما أن الاعتقاد بصحة فكرة حلول الذات الإلهية في شيء ما أو اتحاده جل شأنه بشيء على سبيل التداخل أو المماسة أو غير ذلك مما يؤدي إلى التشبيه للإله بشيء من خلقه هو الكفر بعينه؛ لأن المستقر في عقيدة التوحيد التي ما بعثت الرسل ولا نزلت الشرائع إلا لتقريرها، هو وحدانية الله في ذاته وصفاته وأفعاله، وتنزيهه جل شأنه عن التجسيم والتشبيه، وما يفضي إلى التجسيم والتشبيه وتقرير ذلك على وجه تفصيلي[3]، فمن خالف في شيء من ذلك فقد استحق الحكم عليه بالكفر، ويستتاب منه وإلا قتل بحد الردة.

في نفس الوقت فإن فكرة الاتحاد والحلول، التي زعمها الباب ومن قبله أو لحقه منهارة من أصلها؛ لأنه لو اتحد الله بغيره أو حل فيه فإن بقيا موجودين فهما اثنان متمايزان إن لا

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٢ ص: ٩٥ – باب ما يقول إذا سلم من الصلاة – الحديث رقم: ٢٩٨

(٢) الشيخ محمد على الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير (اختصار الصابوني) ج٢/٣٠٥.

(٣) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٤٩

واحد، وهذا ينافي الاتحاد، وأن لم يبقيا موجودين لم يتحدا؛ لأنه حينئذ إما أن يعدما ويوجد ثالث فليسا بمتحدين؛ لأن المعدوم لا يتحد بالمعدوم، وإن عدم أحدهما وبقي الآخر لم يتحقق اتحاد أصلاً[1]، بل لا يكون هناك وجود إلا لخيالات العقول وضلالات النفوس.

وفكرة كهذه لا يمكن النظر إليها على أنها عقيدة؛ لأنها ساقطة من أصلها، وفيها خلط واضح بين فكرتي التناسخ والحلول، التي قال بها الوثنيون على الدوام، ودليل ذلك ما نقل عن الباب أنه كان يقول: كنت في يوم نوح نوحا، وفي زمن إبراهيم إبراهيم، وفي زمن موسى موسى، وفي يوم عيسى عيسى، وفي يوم محمد محمدا، وفي يوم علي قبل علي عليا، ولأكونن في يوم من يظهره الله من يظهره الله، وفي يوم من يظهره من بعد من يظهره الله إلى آخر الذي لا آخر له، قبل أول الذي لا أول له، كنت في كل ظهور حجة الله على العالمين[2]، ولا شك أن تلك الهلاوس التي زعم الباب فيها أنه الحقيقة الإلهية، ما هي إلا صدى الوثنيات التي عاش يمتص فضلاتها، ويرتضع ألبانها حتى أعلن عن أفكاره المنحرفة.

فإذا نظر دارس إلى فكرتي الاتحاد والحلول؛ فإنه يراهما مناقضة للعقل السليم، بجانب مناقضتها للنصوص الشرعية، وبهذا ترد في وجه القائلين بها؛ لأن أصول العقيدة الإسلامية تسير

---

(١) الدكتور حامد علي السيد الخولي – قضية الألوهية عند المتكلمين ص٤٢ – طبعة أولى ١٩٩١م.

(٢) الأستاذ عبدالرحمن الوكيل – البهائية ص١١٨. وراجع للأستاذ إحسان إلهي ظهير : البهائية ص١٩٣.

موافقة للعقل، لا تعارضه ولا تناقضه(1)، من ثم؛ فإن أفكار الاتحاد والحلول تصادم العقل السليم، وهي من كافة النواحي باطلة، لا يمكن الاعتماد عليها أو الاعتداد بها.

بل صار من المؤكد القول بأن الباب قد خرج بعقيدة الحلول عن قواعد التوحيد الإلهي، وهذه العقيدة الإلحادية تتنافى مع مقام التنزيه والتقديس، الذي يجب لذات الله سبحانه وتعالى، وأنها تهوي بصاحبها في مهاوي التشبيه وتوقعه في شباك التجسيم(2)، حتى يكون صيداً سهلاً للأفكار الشيطانية، التي غرسها اليهود والوثنيون في أرض إيران، بحيث تناله من كل ناحية.

لم يبق إلا القول بأن الاتحاد والحلول أفكار قديمة، عاشت في أذهان لم يتمكن أصحابها من ضبطها والتعرف عليها، بل لا أغالي إذا قلت إن اعتقاد هذه الأفكار الإلحادية لهو من أكثر الأمور وضوحا على وقوع القائلين بها في دائرة الكفر بالله رب العالمين على الناحية الاعتقادية، والسقوط في أتون الفكر المنحرف على الناحية الثقافية، وفي نفس الوقت؛ فإن المعتنقين لها ليسوا من أهل العقول المتنيرة، ولا من أصحاب الفطر النقية، والباب ومن تبعه كان من هذا النوع الذين كفروا بتوحيد الله رب العالمين.

ثانيا النبوات

إنكار عقيدة ختم النبوة

من المعروف لدى العامة والخاصة أن الله تعالى أرسل في كل قوم نبيا أو أنبياء يهدونهم إلى الله تعالى، ويعرفونهم به ويبينون، لهم ما شرع الله جل علاه. قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن

---

(1) الدكتور حسن محرم الحويني - البابية والبهائية والقاديانية ص٤٩.

(2) الدكتور عبدالحميد عبدالمنعم مذكور - دراسات في العقيدة الإسلامية ص٨٣ - دار الثقافة العربية ٢٠٠٠م.

رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١).

يقول الإمام القرطبي: « قوله تعالى: "وما أرسلنا من رسول" قبلك يا محمد "إلا بلسان قومه" أي بلغتهم، ليبينوا لهم أمر دينهم: ووحد اللسان وإن أضافه إلى القوم لأن المراد اللغة؛ فهي اسم جنس يقع على القليل والكثير؛ ولا حجة للعجم وغيرهم في هذه الآية؛ لأن كل من ترجم له ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ترجمة يفهمها لزمته الحجة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾(٢). وقال صلى الله عليه وسلم: [أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه](٣). وقال صلى الله عليه وسلم: [والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت، لم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار](٤). "فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء" رد على القدرية في نفوذ المشيئة الإلهية، لأن الإرسال إنما وقع للتبيين لا للإضلال. ويجوز النصب في "يضل" لأن الإرسال صار سببا للإضلال؛ فيكون كقوله: ﴿ ليكون لهم عدوا وحزنا ﴾(٥)، وإنما صار الإرسال سببا للإضلال؛ لأنهم كفروا به لما جاءهم؛ فصار كأنه سبب لكفرهم »(٦).

---

(١) سورة إبراهيم – الآية ٤ .

(٢) سورة سبأ – الآية ٢٨ .

(٣) الإمام مسلم صحيح مسلم ج: ١ ص: ٣٧٠ – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – الحديث رقم: ٥٢٠. الإمام أحمد – مسند أحمد ج: ١ ص: ٢٥٠ – الحديث: ٢٢٥٦.

(٤) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ١٣٤ – باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته– الحديث رقم: ١٥٣ .

(٥) سورة القصص – الآية ٨ .

(٦) العلامة القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج٣/ص٤٢٦ .

ﷺ وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾(١).

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: « ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ أي وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله تعالى إليهم النذر وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾، وكما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ الآية، والآيات في هذا الشأن كثيرة »(٢). وقال السيوطي: « وفي قوله ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ يقول كل أمة قد كان لها رسول جاءها من الله »(٣).

والمعلوم لدى أصحاب الشرائع؛ أن النبوات والرسالات الإلهية كلها تنتهي بالرسالة العامة الخالدة الخاتمة، وهي رسالة سيدنا محمد ﷺ قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٤). وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(٥).

يقول الإمام القرطبي: « روي أنها نزلت بسبب انهزام المسلمين يوم أحد حين صاح الشيطان: قد قتل محمد. قال عطية العوفي: فقال بعض الناس: قد أصيب محمد فأعطوهم بأيديكم فإنما هم إخوانكم. وقال بعضهم: إن كان محمد قد أصيب ألا تمضون على

---

(١) سورة فاطر – من الآية ٢٤.

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص ٥١٢.

(٣) العلامة جلال الدين السيوطي – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ص٤٢٣.

(٤) سورة الأحزاب – الآية ٤٠.

(٥) سورة آل عمران – الآية ١٤٤.

ما مضى عليه نبيكم حتى تلحقوا به؛ فأنزل الله تعالى في ذلك "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" إلى قوله: ﴿ فآتاهم الله ثواب الدنيا ﴾[1]. وقرأ ابن عباس "قد خلت من قبله رسل" بغير ألف ولام. فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست باقية في قومها أبداً، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل وإن فقد الرسول بموت أو قتل. وأكرم نبيه صلى الله عليه وسلم وصفيه باسمين مشتقين من اسمه: محمد وأحمد، تقول العرب: رجل محمود ومحمد إذا كثرت خصاله المحمودة، قال عباس بن مرداس:

يا خاتم النبآء إنك مرسل ⁂ بالخير كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة ⁂ في خلقه ومحمداً سماكا

فهذه الآية من تتمة العتاب مع المنهزمين، أي لم يكن لهم الانهزام وإن قتل محمد، والنبوة لا تدرأ الموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء. والله أعلم »[2].

﴿ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3].

يقول الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: « يقول الله تعالى لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ أي إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾، ﴿بشيراً ونذيراً﴾ أي تبشر من أطاعك بالجنة، وتنذر من عصاك بالنار، ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾، كقوله عزّ وجل: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾، ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾، قال محمد بن كعب: يعني إلى الناس عامة، وقال قتادة: أرسل الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله تبارك

---

(١) سورة آل عمران - الآية ١٤٨.

(٢) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ص٦١٢.

(٣) سورة سبأ - الآية ٢٨.

وتعالى أطوعهم لله عزّ وجلّ، وقال ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء. قالوا: يا ابن عباس فيم فضله على الأنبياء؟ قال رضي الله عنه إن الله تعالى قال: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس »(١).

وثبت في الصحيحين: [عن جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة](٢).

وفي الصحيح أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [بعثت إلى الأسود والأحمر](٣)، قال مجاهد: « يعني الجن والإنس، وقال غيره يعني العرب والعجم. والكل صحيح »(٤).

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ٣ ص٥٤٠ .

(٢) الإمام البخاري – صحيح الإمام البخاري – كتاب التيمم – الحديث رقم: ٣٢٨ – وأخرجه البخاري أيضا في الحديثين [٤٢٧، ٢٩٥٤]. وأخرجه الإمام مسلم في أول كتاب المساجد ومواضع الصلاة. رقم: ٥٢١. والمراد بـ[(نصرت بالرعب) هو الخوف. يقذف في قلوب أعدائي. (مسيرة شهر) أي بيني وبينه مسيرة شهر. (الغنائم) جمع مغنم. وهو الغنيمة. وهو كل ما يحصل عليه المسلمون من الكفار قهرا].

(٣) كنز العمال – العلامة المتقي الهندي – تتمة الإكمال من فضائل متفرقة تنبيء عن التحدث بالنعم – الحديث رقم: ٣٢٠٦٠ عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ قال: « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر. وجعلت الأرض لي مسجدا وطهورا. ونصرت بالرعب مسيرة شهر. وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت جوامع الكلم » .

(٤) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ٣ ص٥٤١ .

وهذه الآيات أمثالها تؤكد كلها على ختم النبوات بنبوة سيدنا محمد ﷺ، وصار ذلك من المعلوم من الدين بالضرورة ومنكر ذلك كافر بالإجماع، ففي الحديث الشريف: « عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ »[1].

وعن مصعب ابن سعد ﷺ، عن أبيه قال: « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك، واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي) »[2]. فإنه يبطل دعوى كل مدع للنبوة بعده على الإطلاق، وذلك أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم عند العلماء جميعاً، ولفظ نبي نكرة قد دخلها النفي، فهي تفيد أنه لا نبي بعده ﷺ في الأزمان كلها[3].

---

(١) الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي "٢٠٩- ٢٧٩ هـ - سنن الترمذي - كتاب الجامع الصحيح - بَابْ مَا جَاءَ فِي الغنيمةِ. في الحديث رقم: ١٥٩٤ " وقال هذا الحَدِيثُ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) الإمام البخارى - صحيح البخارى - ٧٤ - باب: غزوة تبوك. وهي غزوة العسرة - الحديث رقم: وأخرجه الإمام مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم: ٢٤٠٤. وأخرجه الإمام محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني - سنن ابن ماجه - (فَضْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) - الحديث رقم: ١٢١ - وذكرة الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذى في الحديث رقم: ٣٨١٤- عن جابر بن عبد [illegible] المراد بـ: [(استخلف..) تركه أميرا على من بقي في المدينة. كعادته صلى الله عليه وسلم إذا خرج. وأكثرهم من النساء والصبيان. (ألا ترضى أن تَكُون مني بمنزلة هَارُونَ من مُوْسَى) يعني حين استخلفه عِنْدَ توجهه إِلَى الطور. إِذَا قَالَ لَهُ: اخلفني فِي قومي وأصلح. أي مَا ترضى بأني أنزلتك مني فِي منزل. كَانَ ذَلِكَ المنزل لهَارُونَ من مُوْسَى؟ وَلَيْسَ فِي هَذَا الحديث تعرض لكونه خليفة لَهُ صلى اللَّه عَلَيْهِ وسلم بَعْده. وكيف، وهَارُونَ مَا كَانَ خليفة لمُوْسَى بَعْد مُوْسَى؟ بَلْ توفي فِي حياة مُوْسَى].

(٣) السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى - البهائية فى الميزان ص٢٠ .

من ثم؛ فإن عقيدة ختم النبوة بأشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ قد جاء بها العديد من النصوص الشرعية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، فإذا جادل فيها مجادل؛ فقد أسرع بالحكم على نفسه بالكفر، إذ كيف لا يكون كافرا وهو يعلن أن النبوة لم تنقطع، ويزعمها لنفسه كمرحلة من المراحل، ثم يقفز فوقها ليعلن عن كونه نبيا جديداً، أو كلت إليه مهمة تجديد النبوة السابقة، كافرا بالنصوص الدينية القطعية في ورودها ودلالتها، لا شك أن الذي يزعم ذلك أو يدعيه يكون كافرا بالله رب العالمين، وبنبوة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.

غير أن الباب ادعى عدم ختم النبوات بنبوة سيدنا محمد ﷺ، كما زعم لنفسه نبوة أعطيت له من قبل الله، حتى يصلح بها فساد -قاتله الله- ما في النبوة المحمدية، وقد توسع في ذلك بإقامة الشبه التي يزعم أنها تؤدي به إلى نجاح مخططه في الكيد للمسلمين، والطعن على دين الإسلام، حسب المخطط الذي رسمه له حتى يسير فيه اليهود ومن معهم من أعلام الإسلام.

وحتى لا يظهر أمام الرأي العام على أنه يصادم عقيدة ختم النبوة، فقد لجأ إلى التأويل المذموم، حيث زعم أن رسول الله سيدنا محمدا ﷺ قد أرسل إلى الناس كافة في التاريخ الذي بعث فيه حتى سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م. وبالتالي فالنبوة لم تنته بخاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ كما قال القرآن الكريم، بل هي مستمرة، ولكل نبي دورة زمنية، وأن العالم الحقيقي هو عالم الروح، أما الجسم فمظهر خارجي، وأن الله تعالى يفني العالم في نهاية كل دورة نبوية، وذلك الإفناء هو موت العالم، ثم يعيده بكلمة من النبي التالي، وتسمى عنده الكلمة الخلاقة، وذلك بعثه، هكذا قال، والجنون فنون [1].

وبناء عليه؛ فقد اعتقد عودة النبي محمد وعودة أئمة آل البيت في المستقبل، كما أخبر أتباعه بأن نبيا سيأتي من بعده حتى سماه تارة باسم الرجل الموعود، وأخرى باسم من يظهره الله، وثالثة باسمه المحجوج إليه، إلى غير ذلك من الخرافات والأوهام والضلالات التي تغني بها هذا!

---

(١) الشيخ مصطفى الحديدي الطير - البابية والبهائية في الميزان - ص٧٤.

المريض، الذي كان بحاجة إلى العلاج النفسي والاجتماعي، بجانب التقويم الديني، وكان من تعاليمه لأتباعه: فلتهبوا من مقاعدكم عندما تسمعون ذكر اسم من يظهره الله[١]، فدل الأمر على أن الباب الشيرازي قد فقد أبسط قواعد التعامل معه على الناحية الإيمانية.

يقول المظفر: « نعتقد أن صاحب الرسالة الإسلامية الخالدة هو محمد بن عبد الله ﷺ، وهو خاتم النبيين وسيد المرسلين، وأفضلهم على الإطلاق، كما أنه سيد البشر جميعاً، لا يوازيه فاضل في فضل، ولا يدانيه أحد في مكرمة، ولا يقاربه عاقل في عقل، ولا يشبهه شخص في خلق، وإنه لعلى خلق عظيم، ذلك من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة »[٢]، ولما كانت عقيدة ختم النبوة لسيدنا محمد ﷺ قائمة في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة - ونحن نؤمن بها - فقد عمد الباب إلى إنكار استمرارها نبوة، وإنكار استمرارها كتاباً.

أما عن إنكارها نبوة؛ فقد اعتبر نفسه البديل عن سيدنا محمد ﷺ، كما زعم أنه أوحى له بكتاب اسمه البيان، وزعم أنه البديل عن القرآن الكريم، وبالتالي: يكون إنكاره لختم النبوة انصب على النبي الذي بعثه الله خاتماً للأنبياء والمرسلين، وهو سيدنا محمد ﷺ، كما انصب على إنكار القرآن الكريم، الذي جعله الله مهيمناً على سائر الكتب إلى يوم الدين. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٣].

يقول العلامة ابن كثير: « قوله: ﴿ وإنه لكتاب عزيز ﴾ أي منيع الجناب لا يرام أن يأتي أحد بمثله، ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ أي ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه

---

(١) البيان ص١٦٦ نقلا عن البابية والبهائية ص٧٤.

(٢) العلامة محمد رضا المظفر - عقائد الإمامية ص٤١ تحت عنوان عقيدتنا في مشرع الإسلام.

(٣) سورة فصلت - الآيتان ٤٢/٤١.

منزل من رب العالمين، ولهذا قال: ﴿ تنزيل من حكيم حميد ﴾ أي حكيم في أقواله وأفعاله، حميد بمعنى محمود أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه »[١].

۞ **وفي تقديري** : أن الباب كان عميلاً لفكر وثني حرص أتباعه على تدمير البنية الأساسية لأبناء الإسلام، وذلك عن طريق دفعهم إلى الانسلاخ من الأصول التي يقوم عليها اعتقاد المسلم، وهي الإيمان بالله، والتصديق بخبر النبوة، والاعتقاد باليوم الآخر، والتي جاء بها النقل المنزل – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – من قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[٢].

يقول العلامة ابن كثير: « فقوله تعالى: ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ﴾ إخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. فعن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم "حق أن يؤمن"[٣].

وقوله تعالى: ﴿والمؤمنون﴾ عطف على الرسول، ثم أخبر عن الجميع، فقال: ﴿كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره ولا رب سواه، ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله حتى نسخ الجميع بشرع محمد صلى الله عليه

---

(١) الشيخ محمد على الصابوني – مختصر تفسير ابن كثير (اختصار الصابوني) – ج٢/٢٨٧ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٨٥ .

(٣) العلامة الحاكم – المستدرك على الصحيحين ج: ٢ ص: ٣١٥ – الحديث رقم: ٣١٣٤. وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين الذي تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين، وقوله: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾ أي سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه، ﴿غفرانك ربنا﴾ سؤال للمغفرة والرحمة واللطف »[١]،

وقوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٢].

نقل الإمام القرطبي: « قوله تعالى: "قولوا آمنا بالله" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل) الآية[٣]. وقال محمد بن سيرين: إذا قيل لك أنت مؤمن؟ فقل: "آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق" الآية. وكره أكثر السلف أن يقول الرجل: أنا مؤمن حقا، وسيأتي بيانه في "الأنفال" إن شاء الله تعالى. وسئل بعض المتقدمين عن رجل قيل له: أتؤمن بفلان النبي، فسماه باسم لم يعرفه، فلو قال نعم، فلعله لم يكن نبيا، فقد شهد بالنبوة لغير نبي، ولو قال لا، فلعله نبي، فقد جحد نبيا من الأنبياء، فكيف يصنع؟ فقال: ينبغي أن يقول: إن كان نبيا فقد آمنت به. والخطاب في هذه الآية لهذه الأمة، علمهم الإيمان. قال ابن عباس: جاء نفر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عمن يؤمن به من الأنبياء، فنزلت الآية. فلما جاء ذكر عيسى قالوا: لا نؤمن بعيسى ولا من آمن به.

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – جـ١ ص٣٤٣ .

(٢) سورة البقرة – الآية ١٣٦ .

(٣) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٦٣٠ – باب قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا– الحديث رقم: ٤٢١٥.

قوله تعالى: "وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم" جمع إبراهيم براهيم، وإسماعيل سماعيل، قاله الخليل وسيبويه، وقال الكوفيون، وحكوا براهمة وسماعلة، وحكوا براهم وسماعل. قال محمد بن يزيد: هذا غلط، لأن الهمزة ليس هذا موضع زيادتها، ولكن أقول: أباره وأسامع، ويجوز أباريه وأساميع. وأجاز أحمد بن يحيى براه، كما يقال في التصغير بريه. وجمع إسحاق أساحيق، وحكى الكوفيون أساحقة وأساحق، وكذا يعقوب ويعاقيب، ويعاقبة ويعاقب. قال النحاس: فأما إسرائيل فلا نعلم أحدا يجيز حذف الهمزة من أوله، وإنما يقال أساريل، وحكى الكوفيون أسارلة وأسارل. والباب في هذا كله أن يجمع مسلما فيقال: إبراهيمون وإسحاقون ويعقوبون، والمسلم لا عمل فيه.

والأسباط: ولد يعقوب عليه السلام، وهم اثنا عشر ولدا، ولد لكل واحد منهم أمة من الناس، واحدهم سبط. والسبط في بني إسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد إسماعيل. وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع، فهم جماعة متتابعون. وقيل: أصله من السبط (بالتحريك) وهو الشجر، أي هم في الكثرة بمنزلة الشجر، الواحدة سبطة. قال أبو إسحاق الزجاج: ويبين لك هذا ما حدثنا به محمد بن جعفر الأنباري قال حدثنا أبو نجيد الدقاق قال حدثنا الأسود بن عامر قال حدثنا إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوحا وشعيبا وهودا وصالحا ولوطا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمدا صلى الله عليه وسلم. ولم يكن أحد له اسمان إلا عيسى ويعقوب. والسبط: الجماعة والقبيلة الراجعون إلى أصل واحد. وشعر سبط وسبط: غير جعد. "لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون" قال الفراء: أي لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى »[1].

---

(١) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – جـ٢ ص١٤٠ .

وما جاء به الحديث فى قوله ﷺ : « أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر، خيره وشره »[1] .

ورغم أن دعوة الباب كانت مدتها سبع سنوات إلا انه بسبب ما يدعو إليه من خرافات وأوهام، وما يحاول به من مصادمة العقيدة الدينية الصحيحة، فقد قضى تلك السنوات السبع فيما يستحقه من تعذيب، يقول الجرفادقانى البهائى عن الباب: « سافر إلى شيراز، فوقع فى أيدى

---

١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم – باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان باثبات قدر الله سبحانه وتعالى. الحديث رقم: ١ – (٨) وأخرجه ابن ماجة فى سننه باب في الإيمان – الحديث رقم: ٦٣. والترمذى فى سننه – باب ما جاء في وصف حبرائيل للنبي صلى اللّه عليه وسلم الإيمان والإسلام – الحديث رقم: ٣٧٣٨ . وأبو داود – باب في القدر – الحديث رقم: ٤٦٩٥ . ونصه عَنْ عمر. قَالَ: « كنا جلوسا عند النبي صلى اللّه عليه وسلم. فجاء رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد شعر الرأس. لا يرى عليه أثر السفر. ولا يعرفه منا أحد قَالَ فجلس إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبته. ووضع يده على فخذيه. ثم قَالَ: يا مُحَمَّد! ما الإسلام؟ قَالَ (شهادة أن لا إله إلا اللّه. وأني رَسُول اللّه. وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت). قَالَ: صدقت. فعجبنا منه. يسأله ويصدقه. ثم قَالَ: يا مُحَمَّد! ما الإيمان. قَالَ: (أن تؤمن باللّه وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر. خيره وشره). قَالَ: صدقت. فعجبنا منه يسأله ويصدقه. ثم قَالَ: يا مُحَمَّد ما الإحسان! قَال: (أن تعبُدَ اللَّه كأنك تراه. فإن لم تكن تراه فإنه يراك) قَالَ: فمتى الساعة؟ قَالَ: (ما المسئول عنها بأعلم مِن السائل) قَالَ: فما امارتها؟ قَالَ: (أن تلد الأمة ربتها (قَال وكيع: يعني تلد العجم العرب) وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البناء). قَالَ ثم قَالَ: فلقيني النبي صلى اللّه عليه وسلم بعد ثلاث. فقَالَ "أتدري مِن الرجل؟" قلت: اللّه ورَسُوله أعلم. قَال: (ذاك جبريل. أتاكم يعلمكم معالم دينكم » والمراد بـ: [(أن تلد الأمة ربتها) أي أن تحكم البنت على الأم مِن كثرة العقوق. حكم السيدة على أمتها. ولما كان العقوق في النساء أكثر. خصت البنت والأم بالذكر. (العالة) جمع عائل بمعنى الفقير]. وأخرجه البخارى عن أبى هريرة– باب: سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة – الحديث رقم: ٥٠، باب: ﴿ إنه الله عنده علم الساعة ﴾– الحديث رقم: ٤٤٩٩.

أعدائه، وانقضت أيام دعوته التي تعد سبع سنوات تقريبا، كلها في الحجز والحبس والنفي، أما في بيته أو بيت الحكومة إلى أن نفي إلى أذربيجان»[1].

وعلق الأستاذ الخطيب على نفي الباب إلى أذربيجان بقوله: «إنما نفته الحكومة الإيرانية إلى أذربيجان؛ لأن أهلها حنفية المذهب الفقهي، وفيهم المناعة الدينية عن الانخداع بالباب؛ لأنهم لا يؤمنون بالمهدوية، فضلا عن البابية»[2]، وكان إسراف الباب في إنكار العقيدة الدينية الإلهية هو السبب في إلقائه في السجن بجانب وقوع التعذيب عليه، والحكم بإعدامه في نهاية الأمر على ما هو مبين في المصادر التي تعرضت له.

بيد أني أركز على أن إنكار عقيدة ختم النبوة قد قال به جمع من المتنبئين قديما كالأسود العنسي ومسيلمة الكذاب، وسجاح وغيرهم ممن زعم لنفسه النبوة في العصور المختلفة أثناء حديثنا عن سيدنا محمد ﷺ أو بعده، وكذلك قال به جمع من المحدثين والمعاصرين آخرهم محمد رشاد خليفة المصري الجنسية، الذي فقد عقله، وزعم أنه نُوحي إليه، ثم كانت نهايته الموت في مسكنه داخل أمريكا التي كان قد انتقل إليها، وأعلن عن خيالاته منها عن طريق وجوده في مسجد توسيان[3]، وهناك العديد من الرسائل الجامعية التي تحدثت عن هؤلاء المدعين للنبوة، وكشفت أن مزاعمهم كانت من أنواع الضلال التي يصعب السيطرة عليها من الجهات الدينية، وإنما يمكن الغلبة عليها بالجهات الأمنية.

---

(١) أبو الفضائل الجرفادقاني – الحجج البهية ص١٢٧ .

(٢) الأستاذ محب الدين الخطيب – البهائية ص٩. والمعروف أن الأحناف في الفروع فيهم ماتريدية الأصول. لكن الأحناف في الفروع يقلدون مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. وأما الماتريدية في الأصول فإنهم يقلدون الإمام أبا منصور الماتريدي صاحب الرأي الواسع في علم العقيدة. والماتريدية يمثلون واحداً من جناحي أهل السنة والجماعة.

(٣) راجع في هذا الشأن للدكتور طه الدسوقي حبيشي – مسيلمة في مسجد توسيان.

والمؤسف له أن الباب ومن معه لجأوا إلى الكذب في كل مراحلهم، كما استعملوا الخداع في كل خطواتهم، ونظرا لكون النبي تأتي معه المعجزة تصديقا له في دعواه، وتأكيداً على أنه مرسل من قبل الله، فقد عمد الباب إلى إنكار المعجزات[1]، التي جاء بها النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ، وذلك حين زعم أن معجزة القرآن قد انقضت، وأنها كانت معجزة لمعاصري النبي فقط، ولا تصلح أن تكون معجزة مستمرة، بحيث تغطي احتياجات الناس في العصور المختلفة.

﴿۞﴾ **وفي تقديري**: أن الباب هدف من وراء إنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ أن يفتح لنفس حتى يزعم أنه نبي، ويفتح الباب لغيره من المنحرفين حتى يزعمها كل واحد منهم لنفسه، وهذا كفر مبين وتكذيب بما أنزل الله رب العالمين.

ثالثا: إنكارهم اليوم الآخر وتأويل نصوصه

لا شك أن ذلك الهوس الذي قال به الباب وعصابته، كان نوعا من السير على درب التنظيم الحركي، الذي تشكله منظمات سياسية تستخدم هذا الفكر الباطني، وتحاول أن تخدع به الناس، حتى تبلغ أهدافها، ومنهم في الوقت الراهن الذين يزعمون اختراعاتهم بخصوص الأعداد والحروف تفسيرات رياضية، ويزعمون أن لها أسرارا حكمية، وقد نظم هؤلاء المتآمرون على الإسلام أنفسهم، كما تحدثوا عن قواعد الرقم ١٩ الذي جعلوا له ما يشبه القدسية، وفي ضوء مزاعمهم الكاذبة يفسرون قول الحق سبحانه وتعالى عن خزنة جهنم، "عليها تسعة عشر" بأن التسعة عشر ليس عدد الملائكة.

---

(١) المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة، تصديقا له في دعواه، مع عجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله. (راجع كتابنا الغزاليات في النبوات ففيه تعاريف كثيرة لها).

ولكنه عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا كانت النار محاطة باسم الرحمن الرحيم فمعنى هذا أنه لا عذاب في الآخرة، ولا حساب ولا عقاب[1]، وفي هذا تكذيب للشرع الذي جاء بذكر اليوم الآخر، وما فيه من بعث ونشر وحشر وثواب وعقاب وجنة ونار، ونعيم وعذاب إلى غير ذلك مما هو متعلق بشئون الآخرة، ويعرف عندنا نحن المسلمين بالغيب المستقبلي الأخروي أيضاً.

إذن البابيون ينكرون الآخرة وجوداً بعثاً وإحياء، نعيماً أو عذاباً، فلما واجهتهم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحدثت عن اليوم الآخر، لجأوا إلى التأويل المسرف والتفسيرات الوهمية التي انبعثت رائحتها الكريهة من أعماق الماضي البعيد، معلنة عن أنها اقتبست من الدهريين الذين كانوا يكفرون بالبعث ويقولون ما حكاه القرآن الكريم عنهم. ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2].

يقول الإمام القرطبي: «قوله تعالى: "وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا" هذا إنكار منهم للآخرة وتكذيب للبعث وإبطال الجزاء. ومعنى: "نموت ونحيا" أي نموت نحن ونحيا أولادنا؛ قال الكلبي. وقرئ "ونُحيا" بضم النون. وقيل: يموت بعضنا ويحيا بعضنا. وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي نحيا ونموت؛ وهي قراءة ابن مسعود. "وما يهلكنا إلا الدهر" قال مجاهد: يعني السنين والأيام. وقال قتادة: إلا العمر، والمعنى واحد. وقال ابن عيينة: كان أهل الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يحيينا ويميتنا؛ فنزلت هذه الآية. وقال قطرب: وما يهلكنا إلا الموت؛ وأنشد قول أبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع ∴ والدهر ليس بمعتب من يجزع

---

(١) الدكتور عبدالصبور مرزوق – مقدمته لكتاب البابية والبهائية ج٢ ص٤ العدد ٣٥ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

(٢) سورة الجاثية – الآية ٢٤.

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كان أهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا إلا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"[١].

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر). وقد استدل بهذا الحديث من قال: إن الدهر من أسماء الله. وقال: من لم يجعله من العلماء اسماً إنما خرج رداً على العرب في جاهليتها؛ فإنهم كانوا يعتقدون أن الدهر هو الفاعل كما أخبر الله عنهم في هذه الآية؛ فكانوا إذا أصابهم ضر أو ضيم أو مكروه نسبوا ذلك إلى الدهر فقيل لهم على ذلك: لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر؛ أي إن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر فيرجع السب إليه سبحانه؛ فنهوا عن ذلك. ودل على صحة هذا ما ذكره من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله تبارك وتعالى يؤذيني ابن آدم...)[٢].

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٧٦٢ – كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها – باب النهي عن سب الدهر– الحديث رقم: ٢٢٤٦. الإمام البخارى– صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٨٢٥ – باب وما يهلكنا إلا الدهر – الحديث رقم: ٤٥٤٩ .

(٢) الحديث ورد فى الصحيح بلفظ عن أبي هريرة ﷺ قال: « قال رسول الله ﷺ : (قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم. يسب الدهر وأنا الدهر[أي أن اللّه هو الفاعل لهذه الأمور التي تضيفونها إلى الدهر]. بيدي الأمر. أقلب الليل والنهار) » (صحيح البخاري – باب: ﴿ وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ – الحديث رقم: ٤٥٤٩. ٥٨٢٧ – ٥٨٢٩ – ٧٠٥٣] وأخرجه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها. باب: النهي عن سب الدهر. رقم: ٢٢٤٦) . وذكره أبو داود في سننه – باب في الرجل يسبّ الدهر – الحديث رقم: ٥٢٧٤. وروى مسلم – باب النهي عن سب الدهر – الحديث رقم: ٣– (٢٢٤٦) عن أبي هريرة. قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "قال الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر! فلا يقولن أحدكم: يا خيبة الدهر! فإني أنا الدهر أقلب ليله ونهاره. فإذا شئت قبضتهما" » وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تسبوا الدهر فإن الله عز وجل قال أنا الدهر الأيام والليالي لي أجددها وأبليها وآتي بملوك بعد ملوك.»(الإمام أحمد بن حنبل – المسند ج٩ ص٤٧٤ – حديث رقم ١٠٣٨٧ (طبعة دار الحديث ١٩٩٥م)

وقال أبو عبيد: ناظرت بعض الملاحدة فقال: ألا تراه يقول: "فإن الله هو الدهر"؟ فقلت: وهل كان أحد يسب الله في آباد الدهر، بل كانوا يقولون كما قال الأعشى:

إن محلاً وإن مرتحلا ∴ وإن في السفر إذ مضوا مهلا

استأثر الله بالوفاء وبالعد ∴ ل وولى الملامة الرجلا

قال أبو عبيد: ومن شأن العرب أن يذموا الدهر عند المصائب والنوائب؛ حتى ذكروه في أشعارهم، ونسبوا الأحداث إليه. قال عمرو بن قميئة:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ∴ فكيف بمن يرمى وليس برامِ

فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها ∴ ولكنني أرمى بغير سهامِ

على الراحتين مرة وعلى العصا ∴ أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي

ومثله كثير في الشعر. ينسبون ذلك إلى الدهر ويضيفونه إليه، والله سبحانه الفاعل لا رب سواه. "وما لهم بذلك من علم" أي علم. وأنهم قالوا ما قالوا شاكين. "إن هم إلا يظنون" أي ما هم إلا يتكلمون بالظن. وكان المشركون أصنافاً، منهم هؤلاء، ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث، ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بإنكاره. وحدث في الإسلام أقوام ليس يمكنهم إنكار البعث خوفاً من المسلمين؛ فيتأولون ويرون القيامة موت البدن، ويرون الثواب والعقاب ما هي إلا خيالات تقع للأرواح بزعمهم؛ فشر هؤلاء أضر من شر جميع الكفار؛ لأن هؤلاء يلبسون على الحق، ويغتر بتلبيسهم الظاهر. والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم. وقيل: نموت وتحيا آثارنا؛ فهذه حياة الذكر. وقيل: أشاروا إلى التناسخ؛ أي يموت الرجل فتجعل روحه في موات فتحيا به »[1].

وكانوا يستبعدون البعث على كل ناحية؛ لأنهم ينكرون الألوهية، وينكرون قدرة الله تعالى على الإحياء من جديد، قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا

---

(١) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج١٦/٥٢٧.

وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[1]، فرد الله عليهم وأمثالهم بقوله جل شأنه: ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير: « قوله تعالى: ﴿ أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون ﴾؟ يستبعدون ذلك ويكذبون به ﴿ قل نعم وأنتم داخرون ﴾، أي قل لهم يا محمد: نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون تراباً وعظاماً، ﴿ وأنتم داخرون ﴾ أي حقيرون تحت القدرة العظيمة، كما قال تعالى: ﴿ وكل أتوه داخرين ﴾ »[3].

ونظراً لأن أنكروا عقيدة ختم النبوة، فقد ساقهم ذلك إلى إنكار الآخرة بكل ما فيها، وبالتالي زعموا أن القيامة للأرواح وليست للأجساد، فصاروا من منكري البعث على هذه الناحية أيضاً؛ لأن الله تعالى ذكر البعث كحقيقة إيمانية على الناحية الجسدية والروحية، وفيه فيه شهادة الحواس أيضاً . قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾[4].

يقول الحافظ ابن كثير –رحمه الله–: « قوله تعالى: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾، عن ابن عباس قال: إن المشركين إذا رأوا أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الصلاة، قالوا: تعالوا حتى نجحد ما كنا فيه ونتكره فيجحدون فيختم على أفواههم، وتشهد أيديهم وأرجلهم، ولا يكتمون الله حديثاً .

وروى ابن أبي حاتم عن أنس بن مالك قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال: "أتدرون مم أضحك؟" قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: "من مجادلة

---

(١) سورة الصافات – الآيتان ١٦/١٧ .

(٢) سورة الصافات – الآية ١٨ .

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ص٤٧٦ .

(٤) سورة النور – الآيتان ٢٤/٢٥ .

العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول: بلى، فيقول: لا أجيز عليّ شاهداً إلا من نفسي، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام عليك شهوداً، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقي، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً، فعنكن كنت أناضل»[1].

وقال قتادة: ابن آدم، والله إن عليك لشهوداً غير متهمة من بدنك فراقبهم، واتق الله في سرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة إلا بالله. وقوله تعالى: ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾، قال ابن عباس ﴿ دينهم ﴾: أي حسابهم، وكذا قال غير واحد، وقوله: ﴿ ويعلمون أن الله هو الحق المبين ﴾ أي وعده ووعيده وحسابه هو العدل الذي لا جور فيه.»[2].

وكذلك مظاهر الحياة الكاملة في الآخرة، قد جاء ذكرها صراحة في القرآن الكريم، وبألفاظ قطعية في ورودها، ظاهرة في دلالتها، من مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ * وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[3].

قال الإمام القرطبي – رحمه الله – : « قوله تعالى: "إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون"[4]، قيل. أصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٢٨٠ – الحديث: ٢٩٦٩ .

(٢) الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ص٦٢٣ .

(٣) سورة يس – الآيات ٥٥/٥٩ .

(٤) قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد: شغلهم افتضاض العذارى. وذكر الترمذي الحكيم في كتاب مشكل القرآن له: حدثنا محمد بن حميد الرازي، حدثنا يعقوب القمي، عن حفص بن حميد، عن شمر بن عطية. عن شقيق بن سلمة. عن عبدالله بن مسعود في قوله: "إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون" قال: شغلهم افتضاض العذارى. حدثنا محمد بن حميد. حدثنا هارون بن المغيرة. عن نهشل. عن الضحاك. عن ابن عباس بمثله. وقال أبو قلابة: بينما الرجل من أهل الجنة مع أهله إذ قيل له تحول إلى أهلك فيقول أنا مع أهلي مشغول، فيقال تحول أيضا إلى أهلك .

المعاصي ومصيرهم إلى النار، وما هم فيه من أليم العذاب، وإن كان فيهم أقرباؤهم وأهلوهم. وقيل: في ضيافة الله تعالى. وروي أنه إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب؟ فيقومون كأنما وجوههم البدر والكوكب الدري، ركبانا على نجب من نور أزمتها(١) من الياقوت، تطير بهم على رؤوس الخلائق، حتى يقوموا بين يدي العرش، فيقول الله جل وعز لهم: (السلام على عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب، أنا اصطفيتكم وأنا أجتبيتكم وأنا اخترتكم، اذهبوا فادخلوا الجنة بغير حساب فـ "لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون" [الزخرف: ٦٨]) فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح لهم أبوابها. ثم إن الخلق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض: يا قوم أين فلان وفلان!؟ وذلك حين يسأل بعضهم بعضا فينادي مناد "إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون"(٢).

"هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون" مبتدأ وخبره. ويجوز أن يكون "هم" توكيدا "وأزواجهم" عطف على المضمر، و"متكئون" نعت لقوله "فاكهون". وقراءة العامة: "في ظلال" بكسر الظاء والألف. وقرأ ابن مسعود وعبيد بن عمير والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف: "في ظلل" بضم الظاء من غير ألف؛ فالظلال جمع ظل،

---

(١) أزمّتها جمع زمام. وهو الخيط الذى يشد فى البرة أو فى الخشاش ثم يشدا إلى طرف المقود وجمعه أزمة. (المعجم الوجيز – باب الزاى ص٢٩٢).

(٢) و"شُغُل" و"شُغْل" لغتان قرئ بهما؛ مثل الرعب والرعب، والسحت والسحت؛ وقد تقدم. "فاكهون" قال الحسن: مسرورون. وقال ابن عباس: فرحون. مجاهد والضحاك: معجبون. السدي: ناعمون. والمعنى متقارب. والفكاهة المزاح والكلام الطيب. وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج: "فكهون" بغير ألف وهما لغتان كالفاره والفره. والحاذر والحذر؛ قاله الفراء. وقال الكسائي وأبو عبيدة: الفاكه ذو الفاكهة؛ مثل شاحم ولاحم وتامر ولابن. والفكه: المتفكه والمتنعم. و"فكهون" بغير ألف في قول قتادة: معجبون. وقال أبو زيد: يقال رجل فكه إذا كان طيب النفس ضحوكا. وقرأ طلحة بن مصرف: "فاكهين" نصبه على الحال

وظلل جمع ظلة. "على الأرائك" يعني السرر في الحجال واحدها أريكة؛ مثل سفينة وسفائن؛ قال الشاعر:

كأن احمرار الورد فوق غصونه ∴ بوقت الضحى في روضه المتضاحِكِ
خدود عذارى قد خجلن من الحيا ∴ تهادين بالريحان فوق الأرائِكِ

وفي الخبر عن أبي سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن أهل الجنة كلما جامعوا نساءهم عدن أبكارا). وقال ابن عباس: إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحوراء سبعين سنة، لا يملها ولا تمله، كلما أتاها وجدها بكرا، وكلما رجع إليها عادت إليه شهوته؛ فيجامعها بقوة سبعين رجلا، لا يكون بينهما مني؛ يأتي من غير مني منه ولا منها. "لهم فيها فاكهة" ابتداء وخبر. "ولهم ما يدعون. "يتمنون من الدعاء. وقيل: المعنى أن من ادعى منهم شيئا فهوله؛ لأن الله تعالى قد طبعهم على ألا يدعي منهم أحد إلا ما يجمل ويحسن أن يدعيه. وروي من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فذلك قوله: "سلام قولا من رب رحيم". فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم في ديارهم) [1] »[2].

بل من يقرأ سورة الواقعة من قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ إلى قوله تعالى:

---

(١) الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ١ ص: ٦٥ – الحديث رقم: ١٨٤.

(٢) الإمام أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج٣/٤٥٦.

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[1]، يرى أنها تتحدث عن البعث الجسمانى بكل مظاهره الجسدية، المتعلقة بأصحاب النعيم المقيم، وأصحاب العذاب المقيم أيضا مما يؤكد على أن البابية ومن يجرى مجراهم قد كفروا بما أنزل الله فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، وخرجوا كذلك على إجماع المسلمين، ومن ثم فلم تعد لهم حرمة فى النيل منهم، بل لا أغالى إذا قلت: إنهم لو ظهروا فى العصر الذى نعيش فيه لكان من الواجب الحكم عليهم بأنهم مهدروا الدم؛ لأنهم مرتدون وملاحدة بالله كافرون.

كما أن القيامة الروحية عندهم فيها شيء كثير من الغرابة أيضا؛ لأنها تقوم فى معظم تعبراتهم على أنه قيام الروح الإلهى فى مظهر بشرى جديد، وهذا يعنى أنه فى يوم القيامة

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلا قِيلا سَلامًا سَلامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) ﴾ سورة الواقعة - الآيات ٥٦/٧ .

تتعدد هذه المظاهر، ولقاء الله في يوم القيامة هو لقاء الباب؛ لأنه هو الله، والجنة هي الفرح الروحي الذي يشعر به المؤمن بالمظهر الإلهي، والنار هي الحرمان من معرفة الله في تجلياته التي تجيء في مظاهره البشرية، والبرزخ هو الباب أيضا؛ لأنه بين موسى وعيسى[1]، فهل بعد ذلك كله يمكن اعتبارهم نحلة منحرفة عن الطريق السوي فقط، ويمكن أن تعود إليه؟ أم من الواجب الإعلان عن كفرهم وخروجهم على شرع الله.

أما أنا فما زلت أقرر أن عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ، والتصديق بمعجزاته التي أجراها الله تعالى على يديه، والاعتقاد بوقوع الآخرة حسب ما جاء به النقل المنزل، من غير أن سماح لأحد بالخوض في صحة النصوص الشرعية، أو محاولة تأويلها على وجه غير مقبول؛ لأن ذلك من أعمال السفهاء، ومثلهم لا يلتفت عاقل إلى ما يصدر عنهم، على سبيل الاعتداد به أو الإقرار بصحة شيء منه، وإلا كان متابعا لهم في اعتقاداتهم الفاسدة.

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية ص٩٨/٩٩.



الفصل الثاني

موقفه من التكاليف الشرعية الإسلامية

الصلاة - الزكاة - صوم رمضان - حج البيت

لما أعلن الباب الشيرازى عن عقيدته الإلحادية، فى أن الله تعالى حل فيه، واتحد به، وأنه قد صار مظهر الإله على الناحية البشرية، فقد ظن أن تلك المزاعم هى مسوغاته فى زعمه النبوة لنفسه، وبالتالى سمح لأتباعه كما سمح لنفسه القول بأن النبوة الخالدة لسيدنا محمد ﷺ لم يختم به، وإنما فتح الباب على مصراعيه لكل من يدعيها، فظهر المتنبئون فى كل مكان وعلى أكثر من ناحية، وكلهم مرضى هلاوس، وأصحاب خيالات عقلية .

بيد أن الشيرازى نظر لليوم الآخر نظرة فيها الكثير من التناقضات والأكثر من الأعاجيب، فمرة يقر باليوم الآخر، وأخرى يلجأ للتأويل المسرف، وثالثة ينكره على كل ناحية، مما يجعل الحكم عليه بالكفر من البدهيات؛ لأنه أنكر كل معلوم من الدين بالضرورة، وحتى لا تكون هناك قيود نقلية على ما يتحدث به، فقد عمد إلى الشريعة الإسلامية، حتى قال بنسخها - مع أنها الشريعة الخاتمة التى لا نسخ لها - ثم لجأ للتكاليف الشرعية، فتأدى بإبطالها، واستعمال الألفاظ التى جاءت بها على ناحية بعيدة تماماً من الغايات التى ارتبطت بها، من ثم فإنى سأحاول عرض ما زعمه ثم مناقشة ذلك على النحو التالى:-

أولاً : القول بنسخ الشريعة الإسلامية المحمدية

زعم البابيون أن الأحكام التى وردت فى الديانة المحمدية سلفاً قد نسخت؛ لأنها لم تعد منسجمة مع احتياجات الإنسان فى جميع أنحاء العالم(١)، ثم اختلفوا فى الناسخ لها، هل هو ذات الباب أم كتابه البيان، فمنهم ذاهب إلى أن الناسخ لها هو ذات الباب؛ لأنه متى ظهر فقد وجب نسخ نبوة سيدنا محمد ﷺ، إذ لا يجوز ظهور نبيين كل منهما رسالته عامة خالدة، وفى نفس الوقت تكون متواصلة، ويستدلون على ذلك بقوله الكذوب: « أنا أفضل من محمود،

---

(١) الأستاذ محسن عبدالحميد - حقيقة البابية والبهائية ص١٣٥. وهى نفس المزاعم التى رددها الإخوان الجمهوريون فى السودان. ولذلك فإنى أود أن تتم دراسة العلاقة بين البابيين والجمهوريون فى رسالة علمية. ففى ذلك خير كثير.

كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد »(١)، وهي ألفاظ فاجرة، نطق بها قلب أسود، تمثل في الباب ومن يتبعونه.

ومنهم ذاهب إلى أن الناسخ للشريعة المحمدية هو الكتاب الذي جاء به الباب، وهو البيان، حيث قال فيه الباب: « إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن(٢)، فهاكم كتاب البيان فاتلوه واقرؤوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن »(٣)، مع أن بيانه هو الإعجام لا الفصاحة، والإغراب لا الإعراب، والهوس النفسي بجانب المرض القلبي، وما فيه إلا السم الذي اجترعه من الوثنيات التي أحاطت به من كل جانب.

---

(١) الأستاذ محمد مهدى خان – مفتاح باب الأبواب ص٣٠، وراجع للدكتور مصطفى عبدالجواد عمران – تهافت البابية والبهائية في ضوء العقل والنقل ص٦٤ .

(٢) تناسى الجهول الكذوب أن الله جعل لنا مع النبي الخاتم سيدنا محمد بن عبدالله ﷺ القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة ففي الحديث الشريف: « عن المقداد بن معد يكرب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا إنّي أوتيت الكتاب ومثله معه، لايوشك رجلٌ شبعان على أريكته (السرير) يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهليُّ، ولا كلُّ ذي نابٍ من السبع، ولا لقطة معاهدٍ إلاَّ أن يستغني عنها صاحبها. ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه » (الإمام أبو داود – سنن أبي داود – باب في لزوم السنة – الحديث رقم: ٤٦٠٤). وقوله تعالى: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ (سورة الحشر/٧) . وعن أبي هريرة قال: « قال رسول الله ﷺ : تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » – العلامة جلال الدين السيوطي – الجامع الصغير– باب: حرف التاء – الحديث رقم: ٣٢٨٢ وذكره الحاكم في المستدرك. وراجع أيضا: الشيخ محمد حسين عبدالوارث – من أنوار السنة ص٥٧ ط أولى ١٩٥٤م – الدار القومية). إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن السنة النبوية المطهرة الصحيحة، وأنها مع القرآن الكريم جاءا من عند الله جل علاه.

(٣) الأستاذ عبدالرحمن الوكيل – البهائية تاريخها وعقيدتها ص١٣٧ .

أيقن البابيون أن بقاء الشريعة الإسلامية والإمساك بتعاليم الله، لن يعطهم الفرصة للإعلان عن نحلتهم وجذب السذج من الأتباع إليهم؛ لأن في تعاليم الشريعة الإسلامية تكذيبا لكل من يدعي النبوة أو يزعمها، بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ وهي النبوة الخاتمة، ومن ثم؛ فقد عمد الباب ومن معه إلى الزعم بأن الشريعة المحمدية لم تعد وافية بحاجات المجتمع الإنساني في الوقت الحاضر؛ لأنها أدت مهمتها في الزمن الذي جاءت فيه، لكنها مع مطالع القرن التاسع عشر قد انتهى دورها؛ لأنه عصر التقدم الذي لم تعرف عنه الشريعة السابقة شيئا[1].

وهؤلا يستعمل لفظ النسخ للشريعة المحمدية، بمعنى تبديل بعض الأحكام، وإنما على معنى المحو التام مع الإزالة لها، فليس في ذهنه الإبقاء على نبوة سيدنا محمد ﷺ، كما أنه لا يفكر في الإبقاء على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة[2]؛ لأن المحافظة على نبوة سيدنا محمد ﷺ ينافي مزاعم الباب الكاذبة، إذ كيف تكون نبوة سيدنا محمد قائمة، ثم يدعي الشيرازي أنه نبي أيضا، لا شك أن إبقاءه عليها -من وجهة نظره الفاسدة- سيؤدي إلى تكذيب زعمه أنه نبي من قبل الله، فلجأ إلى إنكار بقاء الشريعة المحمدية، تفاديا لذلك.

بيد أن الملفت للنظر أيضا هو أن الشيرازي شيعي المنشأ الاعتقادي، واسم الشيعة يجري على الزيدية والإسماعيلية والواقفية والفطحية وغيرهم، هذا إذا اقتصرنا على الداخلين في

---

(١) الشيخ: رسلان محمد عبدالكامل - الباب ونحلته ص١٢٣ طبعة دار البغدادي - مراكش ١٣٤٧هـ.

(٢) ولو أبقى على الكثير منها وحذف القليل منه ذلك أبدا؛ لأن الإسلام كل متكامل، فمن أراد النيل بشيء منه مهما قل فهو كفر به على الكل، والله تعالى نعى على الكافرين ذلك فقال تعالى: ﴿إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ [سورة البقرة - من الآية ٨٥].

حظيرة الإسلام منهم[1]، ولم يقل بهذه الأفكار واحدة من تلك الفرق . فمن أين جاءت هذه الهلاوس للباب الشيرازي ؟ لا شك أنها قد صنعت له بأيدي أعداء الإسلام، وكان عليه دور تلاوتها أو الظهور بمظهر الداعي لها، المحافظ عليها، المؤسس لمبانيها وقواعدها .

والمعلوم أن شريعة الله التي جاء بها نبي الإسلام الخاتم سيدنا محمد ﷺ خالدة باقية إلى يوم القيامة، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ضافية في هذا المجال، كما أن الدلائل العقلية القطعية قد قامت عليه[2]، وهي ذات وضوح وجلاء دالة على أن شريعة سيدنا محمد ﷺ هي الباقية إلى يوم الدين، وأنها الخاتمة للشرائع كلها، فالنبي الذي يدعيها بعده، لا تخلو حاله من أحد أمرين اثنين على سبيل الحصر الحقيقي[3] .

أما أن تكون شريعته -المدعي للنبوة بعد النبوة الخاتمة- ناسخة لشريعة نبينا سيدنا محمد ﷺ أو لا تكون ناسخة لها، فإن كانت ناسخة لها كذبته النصوص الشرعية الدالة على بقائها وعدم نسخها، بل وأبطلت مدعاه، وإن لم تكن ناسخة لها، فما الفائدة التي ترتجى في الذي يجيء بعده، إذا كان لا ينفي حراما، ولا يرفع واجبا، ولا يثبت حلالا أبدا ؟

بل كيف يزعم زاعم البابية أو البهائية أنه نبي والنصوص الشرعية تفسد مزاعمه كلها، وتأتي على دعاواه فتنقضها من أساسها، وتحكم ببطلان قوله وضلاله ضلالا بعيدا، كما أن كل نص مستجد يأتي مخالفا للنصوص الشرعية الواردة في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة، فإنه يعتبر كذبا وانتحالا وباطلا، لا أصل له بالإجماع[4] .

---

(١) الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء - أصل الشيعة وأصولها ص١٢٨ .

(٢) الشيخ عبدالمتجلي محمد عبدالعاطي - النبوة الخاتمة ص٣٧ .

(٣) لأن الحصر أنواع منها: ١- الحصر الحقيقي . ٢- الحصر الحكمي. ٣- الحصر الإضافي. ٤- الحصر البلاغي. ٥- الحصر الإحصائي العام، وكل نوع منها يتمايز عن غيره وله تسميات خاصة.

(٤) السيد أمير محمد الكاظمي القزويني - البهائية في الميزان ص٢٠/٢١ بتصرف في العبارة اقتضته الضرورة.

فى نفس الوقت؛ فإن دعواه نسخ الشريعة المحمدية بالتعاليم البابية يحتاج دليلا على كونه قد بعثه الله ولم يبعثه الشيطان، وذلك الدليل هو المعجزة، ومادامت المعجزة لم تتم له؛ فقد بان فساد مزاعمه، ومن منطلق مناداة الباب بنسخ شريعة الإسلام وأحكامه، كان عبث الباب بتلك الأحكام حتى يتسنى له الإتيان بصورة مغايرة، ونظام مختلف[1] عنها؛ بغية أن يكون التجديد الذى يزعمه قد وقع، والتبديل الذى هدف إليه قد استقام، وما أوقعه فى تلك السلوكيات الشاذة والتصورات الهزيلة سوى اقتناعه بالثقافة الوثنية التى عاش بين أحضانها وارتضع ألبانها، وعبر عنها فى كل ما صدر عنه أو نسب إليه.

۞ **ويغلب على تقديرى:** أن أعداء الإسلام دائما يزرعون فى أرض الإسلام نباتات شيطانية، لا غاية من ورائها سوى المحاولة المستميتة للنيل من الدين الإسلامى فى عقيدته وشريعته، والقيم العليا التى جاء بها، فإن لم يتمكنوا من ذلك ولم تأت محاولاتهم بنتائج فى هذا المجال، فإنهم يتجهون إلى أبناء الإسلام أنفسهم، حتى يدخلوهم إلى مواطن الشك فيما يعتقدون وما عليه يعتمدون، ويوقعوهم فى براثن الانحلال، بحيث يكون الواحد منهم مسلما باسمه وهويته الرسمية، لكنه غير مسلم فى اعتقاداته وسلوكياته العلمية، وبالتالى؛ يتحلل من أصول دينه - مع أنه ربما يكون ممن يحفظها - فتسهل السيطرة عليهم وتوجيههم إلى الناحية التى تخدم أعداء الإسلام ولا تخدم المسلمين.

وإذا كان الباب قد اعتبر من أصول دعوته المتهافتة ضرورة نسخ الشريعة المحمدية - كما زعم - فإن صدى تلك المزاعم وجد فى السودان البلد الإسلامى الشقيق مع نحلة

(١) الدكتور حسن محرم الحوينى - البابية والبهائية والقاديانية ص٥٠ .

الإخوان الجمهوريين[١]، الذين طالبوا بنسخ الشريعة الإسلامية، باعتبار أنها تمثل قيودا على حرية الإنسان الطبيعية[٢]، وإذا كان البابيون قد زرعهم العدو فى القرن التاسع عشر داخل بلاد فارس، فإن الجمهوريين قد زرعهم العدو اللدود فى القرن العشرين داخل جمهورية السودان

---

(١) هم جماعة ظهروا فى السودان، قائدهم محمود محمد طه، وهو لم يحصل على مؤهلات علمية بعد الشهادة الابتدائية، وقد استغله الاستعمار والوثنية حين سافر إلى أمريكا للعمل هناك. حيث تلقفته الأيادى الإجرامية، وأمدته بالمال وبعض أنواع الحماية، فلما رجع إلى السودان نشر أفكاره فى كتيبات. وعقد لها الكثير من الندوات، وكون جماعة أطلقت على نفسها اسم الإخوان الجمهوريين، طالبوا بالتعدد فى الآلهة والنسخ للشريعة المحمدية، واستبدال التكاليف العملية الشرعية من صلاة وزكاة وصيام وحج بأخرى نظرية، بحيث لا تكون حاجة إلى ممارسة عملية من أى نوع، كما طالبوا بالسفور ورفض الحجاب، وأعلنوا أن التشريعات المدنية تغنى عن الشريعة الإلهية، وقد حاورهم علماء الإسلام وجادلوهم. وحكموا عليهم بالكفر، وقد أحسن صنعا الرئيس السودانى حينئذ جعفر محمد النميرى حين أمر بتنفيذ حكم الإعدام فى رئيسهم وبعض من أتباعه بعد أن أعلن علماء السودان عن كفر هؤلاء ونحلتهم. (راجع ما كتبه الأخ الفاضل والزميل العزيز الدكتور/ محمد حسان كسبة عن هذه النحلة فى كتابيه المتازين: (الباطنية وفكر الإخوان الجمهوريين – طبعة الدار الإسلامية ١٩٨٦م. موقف الإسلام من فكر الإخوان الجمهوريين – طبعة الدار الإسلامية بالمنصورة ١٩٨٦م)، وكذلك كتابنا: أوراق متناثرة فى التيارات المعاصرة.

(٢) كان توماس هوبز الإنجليزى يدعو إلى نبذ تعاليم الكنيسة كلها؛ لأنها تمثل حجرا على حريته فى مباشرة ما يراه بطريقة طبيعية كالحيوانات فى الشوارع والميادين العامة وكذلك حيوانات الغابة، وكان يدعو إلى الإباحية والتحلل من كل القيم الأخلاقية، وقد تأثر به بعض من شباب إنجلترا، وأذاعوا ذلك فى مواجهة الكنيسة التى رأوا أن القائمين عليها لا يلتزمون فى سلوكياتهم بما يقولونه لأتباعهم. وقد تأثر الباب ومحمود طه وأمثالهم بهذه الأفكار الانحلالية. (راجع كتابنا: خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة أثناء الحديث عن توماس هوبز).

العربية المسلمة، وأعلنوا عن إيمانهم برسالة ثانية للإسلام[١]، تجيء مع من يكون مؤهلا لها، وبالتالي فإن هدف العدو صار واضحا ومحددا، ألا وهو النيل من الإسلام والمسلمين معا.

ولما كانت نصوص الإسلام – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة – فقد حفظها الله من العبث، وأوكل إلى الخلائق ممارسة نوع من المحافظة عليها، فقد ارتدت محاولات أعداء الإسلام في النيل منها إلى صدورهم، إلا أن أبناء المسلمين أنفسهم صاروا هم الهدف السهل، وبالتالي؛ فاللعب على عواطفهم، والسيطرة على جوانحهم يغدو أمرا ممكنا بالنسبة لهؤلاء الأعداء المتربصين، فهل يفطن أبناء الإسلام لمهمتهم من حفظ الدين، وينتبهوا إلى أعداء الإسلام، حتى لا يقعوا في خبائلهم الشيطانية؟ أم أن الأمر بحاجة إلى المزيد من التنبيه؟ اللهم هل بلغت اللهم فاشهد.

ثانيا: القول بإبطال التكاليف الشرعية

ظن الباب أنه بعد أن نادى بنسخ الشريعة الإسلامية التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ، وقد تحقق له مأربه، فأسرع بإعلان ضرورة التخلي عن ممارسة التكاليف الشرعية العملية، مع تركيزه على أن في ممارستها مضارا، وأن استبدالها بغيرها أضحى ضرورة حياتية، وبالتالي فالعبادة ليست في الممارسة لها، وإنما في مجرد التفكير فيها، بحيث تتحول من العمل إلى النظر، ومن التطبيق العملي إلى مجرد فكرة في الذهن تقبل التعديل بالزيادة عليها تارة أو النقصان منها أخرى.

يقرر البابيون أن الأمة المحمدية لم تحكم بشريعة القرآن، إلا في بعض الأحوال الشخصية، واستعاضت عنها بالقوانين الوضعية، وما ذلك إلا لأنهم لم يجدوا أنها تصلح لزمانهم[٢]، ومن ثم؛ فإن كل ما جاء بتلك الشريعة المحمدية من تكاليف؛ يجب أن

---

(١) الأستاذ جمال البنا – الدعوات الإسلامية المعاصرة ما لها وما عليها ص٢٠٤/٢١٧.

(٢) السيد أمير محمد الكاظمي القزويني – البهائية في الميزان ص٣٢.

تكون خاضعة للقوانين الوضعية والعادات الاجتماعية، بحيث تكون هي الفيصل في قبول تلك الأعمال البدنية أو رفضها[1]؛ لأن العرف يغني عن الشريعة المحمدية، باعتبار أن العرف توازره القوانين الوضعية، التي تراعي مصالح الفرد والجماعة، بجانب العادات الاجتماعية المستقرة؛ لأنها تواكب حركة الحياة، أما الشريعة التي ظهرت في جزيرة العرب، فقد انتهى أمرها، وحدث نوع من التآكل للأنظمة التي قامت عليها[2]، وهم في كل ما زعموا كاذبون. أما لماذا؟

فلأن شريعة الإسلام هي شريعة الدين الخالد الباقي بإبقاء الله تعالى له، وهي الشريعة العامة، وبالتالي فليدلنا هؤلاء المنحرفون على رجل واحد عاقل؛ أو امرأة واحدة عاقلة من الأمة المحمدية، لم يجد أن شريعة القرآن صالحة لزمانهم، ليكون ذلك شاهدا له على ما عزاه إليهم من الكذب والافتراء، وحاشا الأمة المحمدية التي هي خير أمة بشهادة القرآن الكريم لها من أن تخالف كتاب ربها وسنة نبيها قيد أنمه، وعمل بعض المنتسبين إلى شريعة الإسلام، على خلاف ذلك مردود على حكم الله، وهو طغيان على شريعة الله، ولا يكون ذلك دليلا على عدم صلاح الشريعة المحمدية لزمانهم[3]، بل هو دليل على أن أولئك من الخارجين على شرع الله تعالى ومثلهم لا التفات لهم.

بل من الثابت لدى العقلاء ومستقر في أفهام النبلاء، وهو من معالم النبوغ لدى الأذكياء «أن الشريعة الإسلامية جاءت من عند الله تعالى، وافية شافية كافية شاملة لكل مقتضيات الحياة في كافة مراحلها، وفي كل مكان توجد فيه للحياة مظاهر»[4]، بل قد جاءت الشريعة الإسلامية الغراء معرفة بأمور الآخرة أيضا على وجه تفصيلي فيما يستوعبه

---

(١) الأستاذ ناظم الدين محمود البيضان – الباب فتى شيراز ص٩٧ .

(٢) الشيخ محمد عبدالكريم البتانوني – البابية في منظور الإسلام ص١٥٢ .

(٣) السيد أمير محمد الكاظمي – البهائية في الميزان ص٣٢ – طبعة مطابع دار القبس بالكويت.

(٤) الشيخ محمود محمد حمدان – مظاهر الكمال في الشريعة الإسلامية ج٢ ص١٥ – طبعة دار كمال بسوريا ١٣٣٥هـ.

العقل فى أعلى قدراته، وعلى وجه إجمالى فيما لا يستطيع العقل استيعابه، وبالتالى هى شريعة الوفاء والكمال .

كيف لا والقرآن الكريم كتابها الخالد قد جاء وافيا بكل المتطلبات الدنيوية والأخروية، كما هو شامل لكل الاحتياجات البدنية والنفسية بجانب العقلية والروحية والوجدانية الإنسانية، كلها فى أرقى صورها وأعلى مظاهرها .

يقول العلامة السيوطى فى إعجاز القرآن وجه: « ذهب الناس عنه وهو صنيعه فى القلوب وتأثيره فى النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة، والحلاوة فى حال ذوى الروعة والمهابة فى حال آخر، ما يخلص منه إليه، قال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾[1] »[2].

إذن مزاعم الباب وأمثاله ممن سبق أو لحق إنما هى مجرد خرافات وأوهام تجرى فيها الأباطيل، التى ترتد فى وجوه أصحابها، ولا تنال من الإسلام فى عقيدة أو شريعة أو أخلاق، إلى غير ذلك مما جاء به الدين الإسلامى الحنيف، وبلغ به خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ .

*** بيد أنى سأعرض ما ذكره الباب والبابيون معه - بالنسبة لمواقفهم من التكاليف الشرعية العملية، وسأحاول مناقشة كل ذلك فى حدود ضيقة، طبقا لما يوفقنى إليه الله تعالى:-**

١- موقفهم من الصلاة

الصلاة عندنا - نحن المسلمين - ركن الإسلام الركين، ففى الحديث الشريف: عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « بني الإسلام على خمس شهادة

---

(١) سورة الحشر - الآية ٢١ .

(٢) الإمام جلال الدين السيوطى - الإتقان فى علوم القرآن ج٢ ص٢٠٧/٢٠٨ - طبعة الجهاز المركزى للكتب الجامعية.

أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصيام رمضان »[1]، كما أن الصلاة المفروضة في الإسلام لها أوقات خمس محددة لقوله تعالى: ﴿ فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾[2].

يقول الإمام القرطبي: « قوله تعالى: "فإذا اطمأننتم" أي أمنتم. والطمأنينة سكون النفس من الخوف. "فأقيموا الصلاة" أي فأتوها بأركانها وبكمال هيئتها في السفر، وبكمال عددها في الحضر. "إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" أي مؤقتة مفروضة. وقال زيد بن أسلم: "موقوتا" "منجما"، أي تؤدونها في أنجمها؛ والمعنى عند أهل اللغة: مفروض لوقت بعينه؛ يقال: وقته فهو موقوت. ووقته فهو مؤقت. وهذا قول زيد بن أسلم بعينه. وقال: "كتابا" والمصدر مذكر؛ فلهذا قال: "موقوتا" »[3].

ثم إن الصلاة لما كانت تمثل علاقة خاصة بين المخلوق وخالقه العظيم جل علاه، فقد ورد الحديث القدسي بمنزلة قبولها، فعن ابن عباس قال: « قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) الإمام البخاري – صحيح البخاري – جـ١ – باب الإيمان. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس). الحديث رقم: ٨. وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: أركان الإسلام ودعائمه العظام. رقم: ١٦.وذكره العلامة العجلوني – كشف الخفاء – حرف الباء الموحدة – الحديث رقم:٩٢٨ وذكره العلامة السندي – حاشية السندي على النسائي – : ٢٢٢٩ ـ باب على كم بني الإسلام– الحديث رقم: ٤٩٩٩ وقال السندي « [بني الإسلام] يريد أنه لا بد من اجتماع هذه الأمور الخمسة ليكون الإسلام سالما عن خطر الزوال وكلما زال واحد من هذه الأمور يخاف زوال الإسلام بتمامه وللتنبيه على هذا المعنى أتى بلفظ البناء وفيه تشبيه الإسلام ببيت مخمسة زواياه وتلك الزوايا أجزاؤه فبوجودها أجمع يكون البيت سالما وعند زوال واحد يخاف على تمام البيت وإن كان قد يبقى معيوبا أياما والله تعالى أعلم [شهادة] بالجر على البدلية من خمس أو الرفع على أنه خبر محذوف أي هي شهادة الخ والمراد الشهادة بالتوحيد على وجه يعتد به وهو أن تكون مقرونة بالشهادة والله تعالى أعلم »

(٢) سورة النساء – الآية ١٠٣.

(٣) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج٢ص٣٤٥.

وسلم: "قال الله تبارك وتعالى: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلأه بعزتي وأستحفظه ملائكتي أجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة »(١).

والصلاة بالنسبة للمؤمن نور يهتدي به، فلا يقع في الفحشاء ولا يسقط على المنك، كما أن من يحمل المصباح المنير بيديه لا يقع في الحفر، ولا يسقط في الكبوات، لقوله تعالى: ﴿وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾(٢).

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله -: « ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفشحاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ يعني أن الصلاة تشتمل على شيئين على ترك الفواحش والمنكرات، بمعنى أن مواظبتها تحمل على ترك ذلك، وقد جاء في الحديث عن ابن عباس مرفوعا: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده من الله إلا بعدا"(٣).

وفي ذلك نذكر بعض الآثار الواردة:

روى ابن أبي حاتم عن عمران بن حصين قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفشحاء والمنكر ﴾؟ قال: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له"، وعن ابن عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا"(٤).

---

(١) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمي - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - باب علامة قبول الصلاة - الحديث رقم: ٢٨٨٩- ص.٣٤٥ وقال: رواه البزار ووثقه أحمد.

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٤٥.

(٣) الإمام الطبراني - المعجم الكبير ج: ١١ ص: ٥٤ - الحديث رقم: ١١٠٢٥.

(٤) الإمام الطبراني - المعجم الكبير ج: ١١ ص: ٥٤ - الحديث رقم: ١١٠٢٥.

وروى أحمد قال، قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن فلانا يصلي بالليل فإذا أصبح سرق، قال: "إنه سينهاه ما تقول"[١].

وتشتمل الصلاة أيضا على ذكر الله تعالى وهو المطلوب الأكبر، ولهذا قال تعالى: ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ أي أعظم من الأول ﴿ والله يعلم ما تصنعون ﴾ أي يعلم جميع أعمالكم وأقوالكم.

وقال أبو العالية: إن الصلاة فيها ثلاث خصال، فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة: الإخلاص، والخشية، وذكر الله، فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكر، وذكر الله (القرآن) يأمره وينهاه، ونعم ما قال فالصلاة نور يهتدى به المصلي لله جل علاه، حتى يكون مستعدا لفيوضات الأنوار الإلهية عليه[٢].

وقال ابن عون الأنصاري: إذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر، وعن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ يقول: ولذكر الله لعباده أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه (وهو قول مجاهد وبه قال غير واحد من السلف). وعنه أيضا قال: لها وجهان: ذكر الله عند ما حرمه، قال: وذكر الله إياكم أعظم من ذكرهم إياه.

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٢ ص: ٤٤٧ – الحديث رقم: ٩٧٧٧، وذكر ابن حبان « عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله إن فلانا يصلي الليل كله فإذا أصبح سرق قال سينهاه ما تقول قال أبو حاتم قوله سينهاه ما تقول مما نقول في كتبنا إن العرب تضيف الفعل نفسه كما تضيف إلى الفاعل أراد صلى الله عليه وسلم أن الصلاة إذا كانت على الحقيقة في الابتداء والانتباه يكون المصلي مجانبا للمحظورات معها كقوله عز وجل إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (صحيح ابن حبان ج: ٦ ص: ٣٠٠ – ذكر استحباب الإكثار للمرء من قيام الليل رجاء ترك المحظورات– الحديث رقم: ٢٥٦٠)

(٢) ويذهب شيوخ الصوفية إلى أن القلب إذا انشغل بمولاه، فإذا كان في صلاة قائما يكون في معيشة الله. ومن كان حاله فلا شك أن الأنوار الإلهية ستفيض عليه. حتى كان متعة الاستقبال. (الشيخ محمد جمال الدين الأبانوسي – مع الله ص٣٧ – طبعة دار مراد ١٣٣٤هـ)

وعن عبد الله بن ربيعة قال، قال لي ابن عباس: هل تدري ما قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾؟ قال، قلت: نعم، قال: فما هو؟ قلت: التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة وقراءة القرآن ونحو ذلك، قال: لقد قلت قولا عجيبا وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه أكبر من ذكركم إياه، وقد روي هذا من غير وجه عن ابن عباس، واختاره ابن جرير.

وقد جاء في الحديث الشريف أيضا؛ أن الصلاة نور في وجه صاحبها في الدنيا والآخرة، فعن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الوضوء شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو، فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها »[1].

غير أن الباب الشيرازي ألقى ذلك كله بعيدا عن طريقه، وصمم على أن الصلاة واجبة « على الإنسان عند ولادته، كما تجب عليه بعد وفاته، وهي خمس تكبيرات بينها أذكار خاصة »[2]، فهي ليست خمس صلوات فيها ابتداء بأقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير،

---

(١) الإمام ابن ماجة – سنن ابن ماجه– باب الوضوء شطر الإيمان الحديث رقم: ٢٨٠. وذكره الإمام الترمذي – سنن الترمذي (وشرح العلل). الحديث رقم: ٣٥٨٣ وذكره الإمام العلامة العجلوني – كشف الخفاء – حرف الطاء المهملة – الحديث رقم: ١٦٦٤ والمراد بـ: [(شطر الإيمان) قال في النهاية: لأن الإيمان يطهر نجاسة الباطن، والطهور يطهر نجاسة الظاهر. (برهان) أي دليل على صدق صاحبه في دعوى الإيمان. إذ الإقدام على بذله خالصا لله لا يكون إلا من صادق في إيمانه. (والصبر ضياء) أي نور قوى. فقد قال تعالى: هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا (١٠/سورة يونس/ الآية ٥). ولعل المراد بالصبر الصوم. وهو لكونه قهرا على النفس، قامعا لشهواتها، له تأثير عادة في تنوير القلب بأتم وجه. (كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) قال النووي: معناه كل إنسان يسعى بنفسه. فمنهم من يبيعها لله تعالى بطاعته فيعتقها من العذاب. ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما فيوبقها، أي يهلكها].

(٢) السيد أمير الكاظمي القزويني – البهائية في الميزان ص٩٦ .

مختتمة بالتسليم بشرائط مخصوصة، كما هي مشروعة من عند رب العالمين، وإنما هي مجرد أذكار يمارسها القادر عليها، فإذا لم يقدر عليها فيكفيه أن تجري على خاطره، وفي ذات الوقت فقد سمح الباب الشيرازي لمن رفض ذكر الصلاة أن يقوم بدفع المفروضات البديلة[1]، وكذلك من لم يرغب في القيام بشيء من التكاليف التي جعلها الباب مفروضة عليهم.

ومن ثم؛ فإن الباب الشيرازي قد ألغى الصلاة التي جاءت به الرسالة الخاتمة حسب الطريقة التي أخبر بها الرسول ﷺ من قوله ﷺ: « صلوا كما رأيتموني أصلي »[2]، وهي

---

(١) هي مما اقتبسه الباب الشيراوي من اليهود والمسيحية. وهي تقوم على أن الإنسان يستطيع أن لا يؤدي الفرائض المقررة عليه عندهم. وفي مقابل ذلك يدفع مبالغ مالية تتناسب مع دخله الذي يكون هو الفيصل في مقدار المفروضات البديلة.

(٢) ففي الحديث الشريف: عن مالك بن الحويرث قال: « أتى رجلان النبي صلى الله عليه وسلم يريدان السفر. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا أنتما خرجتما. فأذنا. ثم أقيما. ثم ليؤمكما أكبركما) » (رواه الإمام البخاري – صحيح البخاري – ١٨ – باب: الأذان للمسافر. إذا كانوا جماعة. والإقامة. وكذلك بعرفة وجمع. وقول المؤذن: الصلاة في الرحال. في الليلة الباردة أو المطيرة – الحديث رقم: ٦٠٤. وروى في الحديث رقم: (٦٠٥) من نفس الباب عن مالك قال: « أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ونحن شببة متقاربون. فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيما رفيقا. فلما ظن أن قد اشتهينا أهلنا. أو قد اشتقنا. سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه. قال: (ارجعوا إلى أهليكم. فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم). وذكر أشياء أحفظها. أو لا أحفظها: (وصلوا كما رأيتموني أصلي. فإذا حضرت الصلاة. فليؤذن لكم أحدكم. وليؤمكم أكبركم) » (ورواه البخاري في ٢٧ – باب: رحمة الناس والبهائم – الحديث رقم: ٥٦٦٢. والمراد بـ: [(شببة متقاربون) في السن. وشببة جمع شاب]. وروى البخاري أيضا – في: ١٧ – باب: الدعاء بعد الصلاة – الحديث رقم: ٥٩٧٠ – عن سمي. عن أبي صالح. عن أبي هريرة: قالوا: « يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم. قال: (كيف ذاك). قالوا: صلوا كما صلينا. وجاهدوا كما جاهدنا. وأنفقوا من فضول أموالهم. وليست لنا أموال. قال: (أفلا أخبركم بأمر تدركون به من كان قبلكم. وتسبقون من جاء بعدكم. ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله؟ تسبحون في دبر كل صلاة عشرا. وتحمدون عشرا. وتكبرون عشرا) »

خمس فروض ثابتة في اليوم والليلة، الصبح ركعتان، والظهر أربع ركعات، ثم العصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، ما العشاء فهي أربع ركعات، وهي الصلاة المفروضة بخلاف السنن الرواتب وغير الرواتب، وكلها جاءت على الصورة التي مارسها الرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ ومارسها معه أصحابه .

وإمعانا من الباب الشيرازي في إلغاء الصلاة بهيئاتها وأركانها وركوعها وسجودها على النحو الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون ونمارسه نحن المسلمين، فقد طالب بهدم المساجد كلها أولا بزعم أن بنيت محاريبها وقبلتها قد بنيت متجهة إلى الكعبة، وهو لا يريد أن تكون القبلة إلا لبيته الذي ولد فيه بشيراز، أو الذي أقام به في بوشهر، أو إلى عكا حسب ما ذهب إليه البابيون من بعده، حيث نقلوا رفاته - كما زعموا - إلى عكا ودفن في جبل الكرمل، وهي محاولة خبيثة غرضه منها محو جميع معالم الدين الإسلامي .

وكيف لا يسعى لذلك وهو الذي زعم لنفسه أنه « سيد المرسلين، وأن لقيامة قد قامت بظهوره، والتكاليف الشرعية قد سقطت أيضا بقيامه »[1]، ومن تلك التكاليف التي سقطت بظهوره كما يزعم الصلاة فرضا ونفلا، وأكد على ضرورة نسخها وتبديلها بممارساته الشاذة في ذلك الجانب .

يقول أحد الباحثين: « إن الباب ألغى الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، والجماعة، وابقى فقط صلاة الجنازة »[2]، على الكيفية التي اخترعها، لا على الكيفية التي أنزلها رب العالمين على قلب النبي الأمين سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وهو في كل ما صنع إنما كان قائده الشيطان . قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا

---

(١) السيد أمير محمد الكاظمي - البهائية في الميزان ص٩٦ .

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - البابية والبهائية - القسم الأول ص٩٩، وراجع تاريخ البهائية للدكتور ميرزا مهدي محمد خان.

أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(١).

الصلاة البابية

في مقابل إلغاء الصلاة الإلهية التي فرضها رب البرية، أقام الباب صلاة من عنده خدعه بها شيطانه: حيث يتوجه بها إلى غير الله، وتقوم هذه الصلاة على غير ما شرع الله، وتهدف هذه الصلاة المخترعة لمعاونة الشيطان ومخالفة أوامر الرحمن، وسأعرض جهودها فيها على النحو التالي:-

أ- ماهية الصلاة البابية:-

يعرفها الباب بأنها التسبيح والتحميد والتعظيم القولي والفعلي(٢)، ويقول الكاشاني - من أتباع البابية -: وهو ذات الباب الذي زعم من قبل أنه النقطة التي تمثل علوا على درجة النبوة وعلوا أخر فوق درجة الملائكة، إن المقصود من الصلاة هو التكبير والتحميد والتعظيم قولا وفعلا لحضرة النقطة »(٣).

ب- لمن تكون الصلاة:-

يقرر الباب أن الصلاة يتوجه بها البابي إلى ذات الباب الذي اعتبر نفسه خالق الحق - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - فقال: « الصلاة لا تكون صحيحة إلا إذا كانت إلي، فإذا

---

(١) سورة البقرة - الآية ٢٥٧ .

(٢) وكل ذلك التعظيم والتكبير لا يكون إلا لذات الباب الذي اعتبر نفسه إلها. وأن لقاءه في الآخرة لقاء حتمي. وأنه الذي يثيب أو يعاقب. وتناسى هذا المخبول أنه قد ألغى قبل ذلك الدار الآخرة من ذهنه قبل. وهذا دليل على أنه مجرد كاذب لا يعرف أين يأخذه شيطانه وإلى أين يلقيه.

(٣) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - البابية والبهائية - القسم الأول ص٩٩. وراجع للأستاذ محمد التهامي: البابية استمرار الانحراف ص٥٧ .

توجه بها إلى غيري فهي باطلة »[١]، وبطلانها لا لأن المصلي لم يتوجه بها إلى الباب مباشرة فقط، وإنما لأن المصلي لم يضع في حسبانه أن الباب الشيرازي هو الذي يثيب بها، أو يعاقب عليها.

جـ مواعيدها وعددها:

يذهب الباب إلى أن مواعيد الصلاة البابية تكون من زوال إلى زوال، فيقول: « رفع عنكم الصلاة كلهن، إلا من زوال إلى زوال تسع عشر ركعة واحدا واحدا بقيام وقعود وقنوت لعلكم يوم القيامة بين يدي تقومون، ثم تسجدون ثم تقنتون وتقعدون »[٢].

فالركعات التسعة عشر من الأداء لا تكون جملة، وإنما تكون مفردات بعدد أفراد النحلة الفاسدة؛ لأنهم كانوا جميعا أفرادا، فتكون الصلاة كذلك فردية، واعتبرها الباب تسعة عشر حتى تكون بعدد نحلته ورؤسهم الذين هم تسعة عشر، وتناسى الباب أنها مادامت فردية في الأداء، فلا تكون مجموعة في تسعة عشر.

ومادامت الصلاة البابية مجرد تكبير وتحميد وتعظيم وهي أمور نظرية، فهي لا تحتاج إلى ابتداء أو انتهاء، أو دخول إليها وخروج منها، ولذلك؛ فهي لا تصلح أن تكون في جماعة؛ لأن الجماعة تقيد الإمام والمأموم كليهما بالآخر، وهي بهذا لا تخرج عن الصلاة في المسيحية التي تقوم على مجرد أدعية وتلاوة بعض الفقرات من إصحاحات بعينها، فدل الأمر على أن الباب الشيرازي وقع فريسة لأفكار فاسدة اعتقد صحتها، أو أجبر على ذلك الاعتقاد أو تحمل أعبائه، ثم قام يدعو إليه.

د هيئة الصلاة البابية:

بعد أن أعلن الباب عن صلاته الخرافية الهولامية، وأنها مجرد ذكر وتحميد وتكبير، جعل فيها الركوع والسجود أيضا، ولست أدري كيف يأتي فيها الركوع والسجود، وهما

---

(١) الأستاذ محمد التهامي خليفة - البابية استمرار الانحراف ص٥٨ طبعة ١٣٧٥هـ.

(٢) كتاب البيان السابع - الباب التاسع نقلا عن البابية عرض ونقد للأستاذ إحسان إلهي ظهير، وراجع كذلك خفايا البهائية ص٦٣.

عمليان مع أنها في ذاتها نظرية، لا شك أن ذلك يدل على مدى تخبط الباب وعصابته فيما يدعو إليه، غير أن هيئة تلك الصلاة البابية التي جاء فيها الركوع والسجود والقنوت والقيام والقعود، أتت على الهيئة التي لا تعرف على الحقيقة الشرعية.

فهو تارة يجعل الركوع في الصلاة البابية إيماءة بالرأس، أو حركة بها، أو انحناء بالرأس كاملا للإمام مرة وللخلف أخرى[1] تسع عشر مرة، كما يفعل أصحاب الزار والهلاوس، وتارة يكون الركوع بإشارة أحد أصابع اليد اليسرى مع بسطها جميعا، بحيث لا يحصل قبض لبعضها، كما يفعل المرضى النفسيون، بجانب أصحاب الحيل الخداعية، أما السجود؛ فإنه يكون على البللور، ويقول الواحد منهم في سجوده البللوري: سبحانك اللهم أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من المسبحين تسع عشرة مرة، ولماذا لا يكون إلا على البللور ؟

والجواب: أن في البللور من ذرات طين الأول، والآخر ذكر من الله في الكتاب لعلكم إلى شيء غير محبوب لا تشهدون[2]. ويعلق الدكتور الجيوشي على ذات الفكرة المنحرفة قائلا: « فإذا حاولت أن تجد مبرر للسجود على البللور، عجزت عن ذلك؛ لأن الباب دائما يأتي بغير المعقول والتعليل الذي ذكره بأن البللور فيه من ذرات الأول والآخر أمر غير معقول أيضا »[3]، بل كل ما جاءت به نحلة الباب، لا وجه لقبول شيء منه.

---

(١) الأستاذ محمد التهامي خليفة - البابية واستمرار الانحراف ص٦١ .

(٢) الشيرازي - البيان - الباب الثامن من الواحد للعاشر نقلا عن البابية والبهائية للدكتور محمد إبراهيم الجيوشي ص١٠٠ .

(٣) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي - البابية والبهائية - القسم الأول ص١٠٠ .

هـ- كيفيتها من حيث الاستعداد والأداء:

يذكر الباب أنه يمكن لأي بابي أن يصلي الصلاة البابية، وله أن يستعمل المطهرات الخمسة: ١-الهواء. ٢-النار. ٣-الماء. ٤-التراب. ٥-كتاب البيان. فكل نجس إذا قرئ عليه كلمة الله وطهر صار ذلك النجس طاهرا، وجاز استعماله وتصح به الصلاة[1].

هذا عن ناحية الاستعداد لها، ولعلك قد لاحظت أنها أفكار مشوهة مستنسخة من وثنيات قامت في عقول الداعين لها، المتمسكين بها، بجانب أن فيها شذرات فلسفية مما تمسك به اليونانيون القدماء حين ذهبوا إلى أن العناصر الأربعة: (الماء، الهواء، التراب، النار) هي التي جاء منها الكون عن طريق التحولات المستمرة فيه، دون حاجة إلى خالق قادر حكيم - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا -.

كما يقرر الباب أن هذه الصلاة لا تكون في جماعة أبدا، حيث يقول: « أنتم بالجماعة لا تصلون، ولكن على الكراسي بما يحبه الله تذكرون وتوعظون، ولتصلين[2]، كلكم مرة، ولكنكم فرادى تقعدون »[3].

وهذه الكيفية فيها من الغرابة بقدر ما في عقل منتحلها من الهلاوس والمرض العقلي، وتدل على مدى التخبط والضلال الذي عاشه الشيرازي، وكأني به وأمثاله ممن اتخذوا أهواءهم آلهة لأنفسهم فذكرهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ أرأيت من اتخذ

---

(١) السيد أمير محمد الكاظمي القزويني - البهائية في الميزان ص٩٦ .

(٢) لاشك أن الأخطاء النحوية في كل عبارات الباب كثيرة، ولست أدري كيف يزعم لنفسه أنه مجرد مفكر، ولسانه عيي وعباراته ناقصة، والخطأ يحيط بها من كل ناحية؟!

(٣) الشيخ بدر الدين عبدالحميد البرهاني - البابية والبهائية - دراسة وثائقية ص١٧٢، وراجع البابية عرض ونقد للأستاذ إحسان إلهي ظهير، والبابية والبهائية للأستاذ محسن عبدالحميد، فقد تناقلوا تلك النصوص عن البيان للباب الشيرازي .

إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا »[١].

لكن هذه الكيفية للصلاة البابية لا تكون إلا في صلاة الحضر، أما صلاة البدو أو السفر؛ فإن التخفيف فيها يكون مطلوبا، وكذلك في صلاة الخوف التي فيها الاختفاء من الأعداء، فإنها تكون في سجدة واحدة يسبح فيها ثماني عشرة مرة، ثم يقعد بعدها في الجهة التي ناحية عكا، ثم يسبح ثماني عشرة مرة أخرى، ثم يقول: سبحانك أنت الإله، لا إله إلا أنت، فإنها تكفيه ولا إعادة عليه[٢]، بل يزعمون أنه لا إعادة ولا قضاء لأي صلاة فائته؛ لأنه بظهور الإله في الباب قد تم التخفيف ووقع النسخ لشريعة التكاليف[٣].

وقد عبر الدكتور الجيوشي عن هذا الاضطراب حيث قال: « إننا لم نستطع أن نتعرف بوضوح حكم عدد الصلوات البابية، وكم عدد ركعاتها، وكيفية أدائها، والمواقيت الخاصة بكل صلاة عند البابيين[٤]، ثم يستعجب قائلا: فأين هذا التضارب والغموض مما نعرفه عن الصلاة في الإسلام، متعلقا بعددها، وكيفيتها، وعدد ركعات كل منها ومواقيتها، وما يقال فيها سواء أكان عند البداية أم عند الانتهاء أم ما بينهما.

ثم يقول: إننا لا نريد أن نوازن هنا؛ لأنه لا مجال للموازنة بين الأرض والسماء، ولا بين الثرى والثريا[٥]، ولا بين الحق والباطل، ولا بين الصدق والكذب، وإنما أردنا أن نلفت نظر

---

(١) سورة الفرقان – الآيتان ٤٣/٤٤.

(٢) الشيخ منصور محمد عليان – البابية وتأويلاتهم المنحرفة ص١٠٧.

(٣) الأستاذ محمد التهامي خليفة – البابية واستمرار الانحراف ص٧٣.

(٤) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٠٢.

(٥) الثرى هو التراب، أما الثريا فهو نجم يظهر في السماء. فيحقق للمتابعين له بعض الفوائد. وهذا المثال يضرب دائما لبيان الفرق بين شيئين، أحدهما في غاية الرفعة. بينما الثاني في الغاية الأخرى.

القارئ إلى ما يكتنف دعوة البابيين من زيف وضلال، وكذب وافتراء[1]، تعلق بكل ما تدعو إليه تلك النحلة، سواء أكان ذلك خاصا بالماضي أم بدعاتها في الوقت الحاضر؛ لأن أفكارهم واحدة، واعتقاداتهم هي نفس الاعتقادات لم يختلف الماضي عندهم عن الحاضر، وطبيعة الأفكار المنحرفة التي يعتنقونها لا تختلف.

وربما يؤكد ذلك ما ذهب إليه الباب في بيانه حيث يقول: «إن كل من كان على دينه فهو من الناجين إلى ليلة القيامة، وهي ليلة ظهور دعوته، وهي ذاتها الليلة الخامسة من شهر جمادى الأولى ١٢٦٠هـ، ومن لم يؤمن به بعد ذلك التاريخ فهو كافر مهدور الدم، حلال العرض والمال؛ لأن الأشياء كلها خلقت بإرادته وكلمته»[2]، ولما كانت الصلاة إليه هي التي تكشف عن المؤمن وتميزه عن الكافر به، فقد أوجبها الباب عليهم منذ الولادة حتى الممات، ولم يقيم بها فعليه بالمفروضات البديلة.

ولست أدري كيف يسوغ لعاقل قبول القول بأن هذا الباب المأفون يوجب الصلاة كنوع من التكاليف على الإنسان منذ ولادته، ثم يطالب برفع التكاليف الشرعية التي جعلها الله تعالى لصالح من أوجبها عليهم في قوله تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾[3].

أليس من الأولى للباب أن لا يكلف الأطفال حديثي الولادة بالصلاة، مادام يريد التخفيف ويلغي شريعة التكاليف بما يطاق، وهو الذي جاءت الشريعة الإسلامية الغراء، وبين ما تدعوا إليه البابية من تكليف بما لا يطاق، وأظنه من الجهل بمكان لا يسمح له بمعرفة الفرق بينهما.

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٠٢.

(٢) الباب الشيرازي – البيان نقلا عن البهائية في الميزان ص٩٧ للسيد أمير محمد الكاظمي.

(٣) سورة العنكبوت – الآية ٤٥.

الأذان وعلاقته بالصلاة البابية

المعروف أن الآذان - لنا نحن المسلمين - إعلام عن دخول وقت الصلاة؛ لأن الآذان إعلام، وقد جاء الآذان على قلب النبى سيدنا محمد ﷺ، فكان الآذان توقيفاً من الله تعالى لا زيادة عليه ولا نقصان منه، كما لا يقبل التبديل أو التغيير، ومع أن الآذان للصلاة المفروضة عند الشافعية سنة، ومثله الإقامة، إلا أن الألفاظ التى وردت فيه ثابتة، كما اخبر بها النبى ﷺ يحفظها الصغير والكبير، والكل يسارع إليها متى حان وقت الصلاة لقوله ﷺ: « المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة »(1). وهو خمس مرات فى اليوم والليلة مع الصلوات المفروضة، وهو يسبقها ثم تأتى هى بعده.

بيد أن الباب الشيرازى قد جعل الآذان مخالفا للصلاة البابية فى المواعيد، فالصلاة فى البابية مرة واحدة، لكن الآذان خمس مرات يتناول فى كل مرة مجموعة من الألفاظ غير التى جاءت فى المرة الأولى، وهو يطلب من أتباعه أن يرددوا تلك الألفاظ بعينها، ومن ثم؛ أطلق على كل منها اسما بعينه، يأتى فى ترتيب عددى، وهاك الآذان الذى طلب الأتباع أن يمارسوه.

☆ أذان المرة الأولى يقول فيه: لا اله إلا الله ثم يقول الله أغنى تسع عشرة مرة.

☆ أذان المرة الثانية يقول فيه: لا اله إلا الله ثم يقول الله أعلم تسع عشرة مرة

---

(1) الإمام صحيح مسلم - ج1/290 - باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه الحديث رقم: 14 - (387). وأخرجه ابن ماجة - سنن ابن ماجه - (5) باب فضل الأذان وثواب المؤذنين - الحديث رقم: 725 برواية معاوية. وفى صحيح ابن حبان ج4/ص556 - (ذكر تأمل المؤذنين طول الثواب فى القيامة بأذانهم فى الدنيا) حديث رقم: 1669 وذكره العجلونى - كشف الخفاء - حرف الهمزة مع الطاء المهملة - الحديث رقم: 404 وقال: رواه أحمد عن أنس. والمراد بـ: [(أطول الناس أعناقا) جمع عنق. واختلف السلف والخلف في معناه. فقيل: معناه أكثر الناس تشوفا إلى رحمة الله تعالى. لأن المتشوف يطيل عنقه إلى ما يتطلع إليه. فمعناه كثرة ما يرونه من الثواب. وقال النضر بن شميل: إذا ألجم الناس العرق يوم القيامة طالت أعناقهم لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق].

☆ أذان المرة الثالثة: يقول فيه: لا إله إلا الله تسع عشرة مرة. ثم يقول: الله أحكم مرة واحدة.

☆ أذان المرة الرابعة: يقول فيه: لا إله إلا الله تسع عشرة مرة. ثم يقول: الله أملك مرة واحدة.

☆ أذان المرة الخامسة: يقول فيه لا إله إلا الله تسع عشرة مرة ثم يقول الله اسلط مرة واحدة[1].

لكن متى يتم هذا الآذان، وأين يتأتى، وهل يسبقه طهور أم لا، وهل يكون بصوت عال أم بصوت خفيض، ثم ما الغاية منه مادامت لا تعقد عندهم به صلاة في جماعة، ذلك وغيره من الأسئلة لا يجد الباحث إجابة عليها لدى البابية، غير أن الذي لا خلاف عليه هو تأكيدهم على رقم تسعة عشر، بشكل دائم، حتى يظل أمره قائما في نفوس الأتباع، معبرا عن رموز البابية: ثمانية عشر رجلا وامرأة، مضافا إليهم رأس النحلة الباب الشيرازي نفسه، حتى يكتمل العدد به تسعة عشر.

ويذهب أحد الدارسين إلى أن « هذا الرقم الذي ينقص عن جملة العشرين واحدا قد ألهب حماس البابية، لكون القرآن الكريم قد ذكره أثناء الحديث عن خزنة النار في قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر﴾[2]، فاعتبر الباب هذا الرقم ممثلا للرعب في النفوس، مدخلا للروع والفزع، فمن عرف أن خزنة النار بهذا العدد الكبير مع كون الواحد منهم يستطيع بأقدار الله له أن يجعل عالي الأرض سافلها، فإنه حتما سيقف من نفس الرقم موقف الاحترام، لا حبا نه، وإنما خوفا منه، وكان ذلك بمثابة شعار للبابية، حتى يخيفوا الناس منهم، ويرهبوهم بعددهم، فكان الواحد منهم بمثابة الملك الذي يمكنه أن يقلب الأرض متى شاء »[3].

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٠٥.

سورة المدثر – الآيات ٢٧/٣٠.

يخ منصور محمد عليان – البابية وتأويلاتهم المنحرفة ص١٣٣ – طبعة دار منصور ١٣٣٥هـ

وما دام الباب قد اعتبر نفسه مظهرا للخالق جل شأنه، فلا يستبعد أن يتصور اتباعه أن في كل واحد منهم ملكا، وهو مظهر طبيعي له، لما هو معروف من أن الخوف فنون، ولو كان على قدر من النباهة، وسلامة العقل، لنظر واحد منهم إلى إمكانيات نفسه ثم الأفعال التي تصدر عنه، ثم ينزهها في حدود ما شرع الرحمن، لا في حدود ما زين لهم الشيطان، بينما يرى آخر أن هذا الرقم الذي أنشأه دعاة الماسونية العالمية، حتى أخذه الباب الشيرازي منهم، وعاش في رحابه متمسكا به.

قبلة الباب

عرفنا نحن المسلمين أن السماء قبلة الدعاء، وأن البيت الحرام قبلة الصلاة، فإذا لم يتجه المسلم أثناء الصلاة إلى بيت الله الحرام حقيقة أو حكما[1]، فإن الصلاة لا تكون مقبول ولا صحيحة، يستوي في ذلك أمرها في الحل والترحال في السفر أو الإقامة في البدو أو الحضر في البحر أو في البر أو في الفضاء لقوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾[2].

---

(١) المراد بالاتجاه الحقيقي أن يكون المصلي على يقين من أنه اتجه نحو المسجد الحرام. أما الحكمي فهو يكون بالنسبة للمسافر جوا أو بحرا أو برا. أو نزول ديار قوم غير مألوفة بالنسبة له، وليس له معرفة بموقعها الجغرافي. ولا اتجاهاتها بالنسبة للقبلة، فإنه يجتهد في التعرف على القبلة بقدر طاقته، ويسأل أهل تلك البلاد عنها، والحمد لله أنه ما من مكان في العالم إلا وفيه من أهل الإسلام عدد قليل أو كثير. بجانب أن البوصلة صارت تحدد الاتجاه ناحية المسجد الحرام. بجانب أن التقدم العلمي قد حل تلك المسألة. حتى إن البعض قام بإنتاج مصليات على مقدمتها بوصلة تحدد القبلة أينما كان، وذلك من أنعم الله جل علاه علينا نحن المسلمين.

(٢) سورة البقرة – الآية ١٤٤

أما الباب فإنهم لم يجدوا في صلاتهم بعينها، لا في حياة بابهم، ولا بعد هلاكه، فتارة يجعلها الباب ناحية البيت الذي ولد فيه بشيراز(١)، ويقول لأتباعه: « قد شرعت لكم الصلاة إلى فلا تجعلوها إلا إلى البيت الذي ولدت فيه، فأنا الخالق للحق، أقول لكم من كانت صلاته لغير بيتي فإنها لا تنفع، وعليه تقديم الأعواض؛ لأني لا أقبلها ممن توجه بها إلى غير بيتي الذي أنا فيه»(٢).

وكأني بالباب، قد أصابه العته مبكرا، وربما يكون قد سمع أو قرأ الحديث القدسي ما رواه الرسول ﷺ عن رب العزة جل شأنه، حيث يقول: «إن بيوت الله في الأرض المساجد وإن حقا على الله أن يكرم الزائر»(٣)، ثم أراد المأفون معارضة الحديث القدسي، فجاء بأفكار من عنده فيها النكارة، وتحمل بين طياتها معالم الخزي والخسران، ولست أدري كيف يكون الباب مولودا بين رجل وامرأة، ومع هذا يزعم أنه إله.

---

(١) هو بيت أبيه، حيث يذكر كتاب ناسخ التواريخ: أن الباب ميرزا علي محمد الشيرازي قد ولد في (١) محرم ١٢٣٥هـ الموافق (١٢) أكتوبر ١٨١٩م في مدينة بشيراز الإيرانية عن أبوين شيرازيين، واسم أبيه محمد رضا البزاز، واسم أمه خديجة، واسم خاله ميرزا علي التاجر، وهو الذي كفله بعد موت أبيه، إذ مات أبوه قبيل فطامه، فكانت دار أبيه في شيراز على حالها، وقد ظلت لم تمتد إليها يد الإصلاح. ومن ثم فقد جعلها قبلة أتباعه في الصلاة. (ناسخ التواريخ أحوال الباب نقلا عن البهائية في الميزان ص٦٤)

(٢) الشيخ منصور عليان – البابية وتأويلاتهم المنحرفة ص١١٧ .

(٣) الحافظ نور الدين الهيثمي – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – ج٢/ص٢٢ – باب لزوم المساجد الحديث رقم: ٢٠٢٨–رواه عبد الله ابن مسعود. وقال: رواه الطبراني في الكبير . وذكره السيوطي في الجامع الصغير. [تتمة باب حرف الألف]. الحديث رقم: ٢٢٥٨.

وتارة جعل الباب القبلة فى الصلاة ناحية مكان سجنه فى كل مرة أودع فيها السجن، حيث كان يطلب من أتباعه أن يغيروا قبلتهم إلى ناحية المكان الذى يوجد فيه، فيقول لهم: « تحركوا معى أينما أسير، فإن قبلتكم حيث أكون[١]، أنا الله الجمال الأجمل، الكمال الأكمل، الجمال الجمل ذى الجمالين ذى الجملاء فوق الجماميل »[٢].

وهى مفردات لغوية كتبت بحروف فارسية، ثم ترجمت إلى اللغة العربية، لكن فيها من تهافت المبانى، وتكاثر المعانى، وغموض المفاهيم، بجانب ركاكة يرثى الاستعجاء فيها على كل ناحية، وفيها من العيوب ما يجاوز حد الرطانة، ويعلو فوق الركانة، ومثله يعبر عن ثقافة ضحلة، وفكر هزيل.

يقول الشيخ الطير: « سن الباب لأتباعه أن لا يصلوا إلى الكعبة حال حياته، وأن يتجهوا فى صلاتهم بعد وفاته حيث يدفن، وقد دفن بعكا، حيث نقله البهاء سرا من حفرته التى ألقى فيها بعد قتله إلى قبر بناه البهاء له بعكا، وجعل عليه مشهدا كبيرا، وأصبح كعبة لهذه الطائفة يحجون إليه بدل البيت العتيق »[٣].

ومن المؤكد أن الباب قد سجن عدة مرات، وأن سجنه فى كل مرة كان فى مدينة أو مكان غير الآخر، وبناء عليه؛ فقد صار الباب لأتباعه قبلة متحركة فى كل اتجاه يمضى إليه، كأنه يريد أن يقول لأتباعه أنا الله، وأنا القبلة معا، وذكر ذلك فى كتابه البيان حيث يقول: « قل إنما القبلة من يظهره الله متى ينقلب تنقلب إلى أن يستقر، ثم من قبل مثل من بعد تعلمون، قل أينما تولوا فثم وجه الله أنتم إلى الله تنظرون »[٤].

---

(١) الأستاذ محمد التهامى خليفة – البابية واستمرار الانحراف ص٩.

(٢) الشيرازى – البيان – الواحد الثانى – نقلا عن البهائية فى الميزان ص٨٩.

(٣) الشيخ مصطفى محمد الطير – البابية والبهائية فى الميزان ص٧٤.

(٤) الشيرازى – البيان – اللوح الثانى – الباب السابع.

وتارة يجعل قبلة البابيين ناحية البيوت التى عاش فيها هو وأنصاره[1]، حيث سكنوا فى بوشهر، كما سكنوا فى قلعة الطبرسى، وكذلك حين كان بالنجف الأشرف وكربلاء وغيرها فكأن الباب لاعب سيرك تجرى معه قبلتهم أينما جرى، دون اعتبار لشيء آخر، وفى هذا تجاوز منه ما بعده تجاوز، واستحلال لما حرم الله تعالى على كافة الأنحاء، وهو نوع من الضلال لكن على درجة كبيرة.

أما بعد موت الباب، فقد سار أتباعه مسيرته فى الانتقال بقبلتهم من مكان إلى آخر، مع الأخذ فى الاعتبار أن تكون القبلة التى ناحية عكا جبل الكرمل فيها شيء من الثبات النسبى، أما باقى القبلات؛ فإنها تخضع للمعايير والظروف التى يعيشها البابيون داخل البلاد التى يقيمون فيها، وطبقًا للظروف التى تحيط بهم[2]، وهو اتجاه يؤكد أنهم قوم صنعوا خيالاتهم بأنفسهم، إذ كيف يتسنى لأحد من أتباعهم أن يسايرهم فى قبلتهم التى تحملها اتجاهات متعاكسة، مع مطلع كل شمس وغروبها.

ويبدو لى أن هؤلاء كانوا صنائع لأعداء الإسلام، الذين حاولوا النيل منه على أية ناحية، وإظهار المسلمين بمظهر التخالف، حتى فى القبلة التى يتجهون إليها، والجماعات التى تمثلهم، وبخاصة إذا تعلق الأمر بغير المسلم الذى يلجأ لدراسة الإسلام، ويقف ما يزعمه أصحاب على هذه النحل التى يزعم أصحابها انتسابهم للإسلام، فمن وقع على ما يزعمه هؤلاء فربما ظن أن دين الإسلام هو نفس تلك التخالفات الغريبة، والتناقضات العجيبة، وبالتالى؛ فإنه ينفض عقله ويديه من كل هذه التخالفات على وجه التأكيد.

---

(١) الأستاذ عبدالرحمن الوكيل - البهائية تاريخها وعقائدها ص١١٨.

(٢) الأستاذ محمد التهامى خليفة - البابية واستمرار الانحراف ص٦٠.

موقف النساء من الصلاة

سبق القول بأن قرة العين(١) كانت تمثل العقل، كما تمثل الغرائز لتلك النحلة، وأنها برزت في الخروج على تعاليم الدين الإسلامي، ودعت إلى السفور والانحلال، وأنها كانت مع القدوس – البارفروشي – يمثلان ثنائياً انزلق إلى الشهوات والغرائز مع الممارسة لها والتعبير عنها، والدعوة لاستخدام الوسائل المتعددة لممارستها.

وذكرت كذلك أنها ألقت خطبة دعت فيها إلى الانحلال والإباحية. ومما قالت فيها: « أيها الأحباب والأغيار على طلب الحقيقة، اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا بعد، وأن اشتغالكم

---

(١) يذكر المؤرخون: أن قرة العين كانت امرأة بارعة في الجمال. بارعة في الشعر والأدب، وكانت تحسن الشعر العربي والفارسي معاً إلقاء وتأليفاً. ولها مقطوعة مشهورة مطلعها:

لمعات وجهك أشرقت ∴ وجمال طلعتك اعتلا

زجه رؤا لست بربكم ∴ نه زنى بزن يلى بلى

وكان أبوها الملا صالح، وعمها الملا محمد تقي من الطراز الأول في العلم والورع والوثوق. وكان قد تزوجها ابن عمها. وهي من الذين أجابوا دعوة الباب. وكانت المرأة الوحيدة في الأتباع الثمانية عشر، وكانت عشيقة الباب وعشيقها. فصارت من أبرز دعاته. فالتف حولها حزب كبير في قزوين. فتنتهم بجمالها ودلالها. وابتذالها. فمنعها عمها وأبوها وبعلها من ذلك. فما كان جزاؤهم منها إلا أنها حكمت على حزبها حزب الهوى والشيطان بوجوب قتلهم جميعاً.

فهجموا على عمها عند صلاة الفجر، وهو في محراب المسجد الجامع فقطعوه بسيوفهم إرباً إرباً. وكذلك فعلت مع أبيها وبعلها. ثم خرجت مع حزبها إلى خراسان لملاقاة البشروئي. ثم إلى مازندران. وكانت أينما تحل تثير حرباً شعواء. وقتلت من المسلمين الرجال والأطفال والنساء. ولم تزل ممتطية غارب ضلالها وخيلائها حتى ألقت الحكومة الإيرانية القبض عليها فخنقتها وطرحت شلوها على النار حتى صار رماداً. وقيل ربطوها بذنب فرس. وعدت بها حتى قطعت أعضاءها. وأراح الله العباد والبلاد من سوء فعلها. ووبال أمرها. وهذه المرأة هي التي تعالت على الأعواد سافرة عن وجهها. وخطبت في جمع كبير من المسلمين والبابيين. (السيد أمير محمد الكاظمي – البهائية في الميزان ص٧٣/٧٤).

الآن بالصوم والصلاة والزكاة، وسائر ما أتى به محمد بن عبد الله صار عمل لغو، وفعل باطل، إلى أن قالت: فالحق أقول لكم: لا أمر اليوم ولا تكليف، بل ولا نهي ولا تعنيف، وإنما نحن في زمان فترة »[1]، فمزقوا الحجاب الحاجز بينكم وبين النساء [2]، وقد ذكرت أن هذه الخطبة تمثل صورة من الانحلال والإباحية التي كانت تدعو إليها البابية.

إذن لهذه المرأة دور في بناء نحلة الباب والدفاع عنها، ومن ثم؛ فقد قرر الباب تقديم مكافأة للجنس الناعم، تتمثل في اعفائهن من الصلاة، وسمح لهن باللجوء للوضوء فقط كبديل عن الصلاة أثناء الحيض، ثم يسبحن خمسا وتسعين مرة من زوال إلى زوال، يقلن في التسبيح: سبحانك الله ذي الطلعة والجمال [3]، وكذلك يفعلن بعد الحيض، لكن يكون تسبيحهن تسع عشرة مرة، في كل يوم يفعلن ذلك إما صباحا أو مساء؛ لأن الصلاة واجبة عليهم عند الطهر، لكن حسب الظروف التي تناسبهن، لا حسب شرع ثابت وعبارة مستقرة.

في نفس الوقت فقد أوجب عليهن ضرورة التشارك بينهن والرجال في كافة الأعمال، وقد عبرت عن ذلك وما رسته قرة العين، حين قالت: لا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، إذ لا ردع الآن ولا حد، ولا منع ولا صد [4]؛ لأن هذه المشاركات بدائل عن أداء الصلاة، وبالتالي؛ بأن أن دين هؤلاء المنحرفين هو الاشتراكية المشاعة، والإباحية المطلقة، حيث يحلون لأنفسهم ارتكاب كل قبيح وشنيع، مهما كبر وعظم.

---

(١) زمان الفترة: هو الذي يكون بين نبي بعد نبي حق، فمن وجد بينهما فهو من أهل الفترة، أمره إلى الله موكول، أما بعد النبوة الخاتمة نبوة سيدنا محمد ﷺ فلا وجود لأهل الفترة؛ لأن رسالته ﷺ شاملة خاتمة دائمة، ومن ثم؛ فإن استخدام تعبير قرة العين لفظ زمن فترة في غير موضعه، بل هو دليل على انحرافها والإفكار التي تدعو إليها. وسبق أن ذكرت خطبتها كاملة فليرجع إليها من شاء.

(٢) السيد أمير محمد الكاظمي – البهائية في الميزان ص٧٤.

(٣) الأستاذ محمد التهامي خليفة – البابية واستمرار الانحراف ص٩٢.

(٤) ذلك جزء من خطبه قرة العين التي ألقتها أثناء انعقاد مؤتمر بدشت.

والذي أميل إليه: أن الباب الشيرازي قد أقام نحلته على أسس هي الفساد والخلاعة والمتناقضات والترهات، وأنه ليس فيما أقام سوى المكر والحيلة، والكذب والخداع، دين قد جمع كل رذيلة وصد عن كل فضيلة، دين من أبرز مظاهر الحكم عليه أنه نهيق الحمير، وكلام المجانين، حوى من الخرافات والأساطير ما يفرق بين المرء وزوجه، وبين الأب وابنه، والأخ وأخته، إنه نحلة فاسدة، فيها الخراب من كل ناحية. قال تعالى: ﴿كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾[1].

يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله -: « قوله تعالى ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾، أي إذا اجتمعا لا ثبات للباطل ولا دوام له، كما أن الزبد لا يثبت مع الماء، ولا مع الذهب والفضة مما سبك في النار، بل يذهب ويضمحل، ولهذا قال: ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاء ﴾ أي لا ينتفع به بل يتفرق ويتمزق ويذهب في جانبي الوادي، ويعلق بالشجر وتنسفه الرياح، وكذلك خبث الذهب والفضة والحديد والنحاس يذهب ولا يرجع منه شيء ولا يبقى إلا الماء، والذهب ونحوه مما ينتفع به، ولهذا قال: ﴿ وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾، كقوله تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾.

وقال بعض السلف: كنت إذا قرأت مثلا من القرآن فلم أفهمه بكيت على نفسي لأن الله تعالى يقول: ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾، قال ابن عباس: هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها، فأما الشك[2] فلا ينفع معه العمل، وأما اليقين فينفع الله به أهله،

---

(١) سورة الرعد - الآية ١٧ .

(٢) الشك هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما عن الآخر عند الشاك، ولذا قيل: إن الشك هو ما استوى طرفاه عند الشاك، فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر، فهو ظن فإذا طرحه فهو غالب الظن (العلامة الجلاجاني - التعريفات ص١١٣ - طبعة الحلبي).

وهو قوله: ﴿ فأما الزبد ﴾ وهو الشك ﴿فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾ وهو اليقين[١]، وكما يجعل الحلي في النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه في النار، فكذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك.

وقال العوفي عن ابن عباس قوله: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾ يقول: احتمل السيل ما في الوادي من عود ودمنة، ﴿ومما يوقدون عليه في النار﴾ فهو الذهب والفضة والحلي والمتاع والنحاس والحديد، فللنحاس والحديد خبث، فجعل الله مثل خبثه كزبد الماء، فأما ما ينفع الناس فالذهب والفضة، وأما ما ينفع الأرض فما شربت من الماء فأنبتت فجعل ذاك مثل العمل الصالح يبقى لأهله، والعمل السيء يضمحل عن أهله، كما يذهب هذا الزبد، وكذلك الهدى والحق، جاءا من عند الله فمن عمل بالحق كان له وبقي كما بقي ما ينفع الناس في الأرض، وكذلك الحديد لا يستطاع أن يعمل منه سكين ولا سيف حتى يدخل في النار فتأكل خبثه ويخرج جيده فينتفع به، فكذلك يضمحل الباطل، فإذا كان يوم القيامة وأقيم الناس وعرضت الأعمال فيزيغ الباطل ويهلك، وينتفع أهل الحق بالحق[٢].

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكان منها طائفة قبلت الماء فأنبت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب[٣] أمسكت الماء

---

(١) اليقين: هو العلم الذى لا شك معه وعند أهل الحقيقة هو رؤية العيان بقوة الإيمان. لا بالحجة والبرهان، وقيل هو مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار. (السيد الشريف الجرجاني – التعريفات ص٢٣١).

(٢) الإمام ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٥٠٩ .

(٣) الأجادب جمع جدبة وهى التى انحبس الماء عنها فيبست. والأجدب من الأمكنة هو الذى انحبس عنه الماء فصار يابسا، وبالتالى: تذكر الكلمة وتؤنث. (قطر المحيط – مادة جدب) .

فنفع الله بها الناس فشربوا ورعوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني ونفع به فعلم وعلم؛ ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به[1] »[2].

والذى تطمئن إليه النفس: أن الباب الشيرازى قد هدف إلى إبطال الصلاة فى الشريعة الإسلامية، حتى يريح نفسه والشياطين، الذين يشاركونه هذا الاتجاه، فلما ظن أنه ألغاها، ونجح فى هذا الزعم الكاذب حاول تقديم بديل يغنى عنها، فكان بديله سخافات وسذاجات بجانب الإباحية والإلحاد، وكلها لا تنطلى على عاقل، ولا تغيب عن فاهم، إنما يقتنع بها السذج، وأصحاب أنصاف العقول.

ولعل ذلك يظهر بوضوح من إعلانه الحرب على المساجد الإسلامية كلها، والمشاهد التى تمسك بها آل البيت، ولا أغالى إذا قلت: إن الباب قد نادى بهدم المساجد القائمة كلها بما فيها المسجد الحرام، والمسجد النبوى والمسجد الأقصى، حتى يتمكن من إبراز أفكاره السوداء.

يقول الكاظمى: « إن الباب أمر بهدم جميع المشاهد حتى الكعبة، فضلا عن قبور الأنبياء والأئمة على وجه لا يبقى منها ولا حجر واحد، وأوجب على أتباعه أن يبنوا مواضع خاصة جعلها موضع الحج لهم، ومن تلك المواضع بيته الذى ولد فيه بشيراز، ولكن سرعان ما ظهر خليفته البهاء فنسخ حكم ربه أو نبيه فى كتابه الأقدس »[3]، فكل واحد منهم إنما راح يهدم ما بناه الآخر؛ لأنها طبيعة الفكر المنحرف. ﴿قال ادخلوا في أمم قد خلت

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ١ ص: ٤٢ – باب فضل من علم وعلم، حديث: ٧٩ . العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١ ص: ١٧٦ – باب الاعتصام بالسنة وما يتعلق بها نقلا وأمرا وزجرا – حديث: ٣، الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٤ ص: ٣٩٩ – الحديث رقم: ١٩٥٨٨

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٠٩ –

(٣) السيد محمد أمير الكاظمى القزوينى – البهائية فى الميزان ص٩٧ .

من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾[١]،

يقول الدكتور حسن محرم: «من هنا رأيناه يخالف نظام الصلاة في الإسلام، فيلغي الصلوات الخمس، ويمنع صلاة الجمعة والجماعة، إلا في الجنازة، ويجعل الصلاة ركعتين فقط صبيحة كل يوم[٢]، ويجعل قبلة المصلي نحو بيته الذي ولد فيه في شيراز، ويأمر بهدم جميع المزارات والمشاهد الخاصة بالأنبياء والرسل والأولياء.

ولم يتورع عن الأمر بهدم قبر النبي سيدنا محمد ﷺ كما أمر بهدم الكعبة بيت الله الحرام في الأرض، وبيت المقدس، وسائر المساجد والكنائس والبيع[٣]، في محاولة خبيثة منه لمحو جميع معالم الإسلام، فإذا كان ولا بد من الإبقاء على شيء، فليكن الإبقاء على معالم

---

(١) سورة الأعراف - الآية ٣٨ . ص

(٢) مشكلة كثير من الباحثين للصلاة عند البابين تأتي في عدد الركعتين معتمدين في هذا على أن الأستاذ الأفغاني رحمه الله قد ظن أنهم يجعلون الصلاة ركعتين. لكن هذا على خلاف الثابت عندهم. من أنها ركعات فرادى، وأنها تضطرب في القول بها، سواء أكان على ناحية التسبيح والتكبير، أم على ناحية الذكر فيها والركوع.

(٣) كأنه قد وضع في حسبانه هدم مواطن العبادة في أية ديانة سماوية كانت أو أرضية. فالمساجد دور العبادة للمسلمين. والكنائس دور العبادة عند المسيحيين، أما البيع فهي دور العبادة للنساك من اليهود. قال تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ سورة الحج - الآية ٤٠ .

دينه فقط، ولذلك؛ أمر أتباعه من البابية ببناء تسعة عشر مسجدا باسمه، على كيفية خاصة بناء على توجيهاته ليأتموها دون سواها، ولا يذكرون فيها إلا اسمه »[١].

كذلك أمر بتشييد بناء بيته هو في شيراز وتزيينه، والتنازل عن ملكية الأرض التي تحيط به، وأمر أن يجعل لبيته خمسة وتسعين بابا[٢]، على أن يكون لما سواه من البيوت باب واحد، وأن تزين المساجد التسعة عشر الخاصة به، وبأن يبالغ في إضاءتها[٣]، حتى تكون بارزة فوق كافة المباني، وأعلى من الجميع؛ لأنه مظهر الله على ما زعم - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - .

ولست أدري كيف يطالب بهدم بيوت الله، ثم يبني هو بيوتا لنفسه، ويطالب الناس بالصلاة فيها، فحق فيه وأمثاله قول الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[٤].

يقول العلامة الحافظ ابن كثير - رحمه الله - : « اختلف المفسرون في المراد من الذين منعوا مساجد الله وسعوا في خرابها على قولين: أحدهما: هم النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس ويمنعون الناس أن يصلوا فيه. قال قتادة: أولئك أعداء الله النصارى حملهم بغض اليهود على أن أعانوا بختنصر البابلي المجوسي على تخريب بيت المقدس. وقال

(١) فهو يطالب بهدم المساجد، وتحريم الصلاة، فحق فيه ومثاله قول الله تعالى: ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ سورة الحج - الآية ١١ .

(٢) هي مضاعفات العدد ١٩ خمس مرات ٥ × ١٩ = ٩٥ وهذا سر تمسكهم بالعدد ١٩ ومضعفاته.

(٣) الدكتور حسن محرم الحويني - البابية والبهائية والقاديانية ص٥٠ .

(٤) سورة البقرة - الآية ١١٤ .

السدي: كانوا ظاهروا بختنصر على خراب بيت المقدس حتى خربه وأمر أن يطرح فيه الجيف[1]، وإنما أعانه الروم على خرابه من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا.

(القول الثاني) : ما رواه ابن جرير عن ابن زيد قال: هؤلاء المشركون الذين حالوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وبين أن يدخلوا مكة حتى نحر هديه بذي طوى، وهادنهم وقال لهم: "ما كان أحد يصد عن هذا البيت، وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه وأخيه فلا يصده" فقالوا: لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق[2]: ﴿وسعى في خرابها﴾ قال ابن عباس أن قريشا منعوا النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام فأنزل الله: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه﴾ ثم اختار ابن جرير القول الأول واحتج بأن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، وأما الروم فسعوا في تخريب بيت المقدس[3]. وذهب ابن كثير إلى ترجيح القول الثاني مستدلا بما قاله ابن زيد من أنه تعالى لما وجه الذم في حق اليهود والنصارى، شرع في ذم المشركين الذي أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من مكة ومنعوهم من الصلاة في المسجد الحرام، وأما اعتماده على أن قريشا لم تسع في خراب الكعبة، فأي خراب أعظم مما فعلوا؟ أخرجوا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحوذوا عليها بأصنامهم وأندادهم[4]، وشركهم كما قال تعالى: ﴿وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد

---

(١) الجيف : جمع جيفة وهي جثة الميت إذا نتنت، سواء أكانت الجثة المنتنة لإنسان أم حيوان. (مقاييس اللغة – باب الميم).

(٢) وقد خذلهم الله تعالى وحنا للمسلمين فتح مكة وحق قوله تعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا ﴾ [سورة الفتح – الآية ٢٧].

(٣) هذا ما ذكره الإمام ابن كثير بخصوص موقف الطبرى واستدلاله بالآية الكريمة .

(٤) الأنداد جمع ند وهو النظير والشبيه الذى اعتبروه مثيلا لله – تعالى عن قولهم علوا كبيرا –. (أساس البلاغة – باب النون).

الحرام﴾ . وقال تعالى: ﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا، أن يبلغ محله﴾ وليس المراد من عمارتها زخرفتها وإقامة صورتها فقط، إنما عمارتها بذكر الله فيها وفي إقامة شرعه فيها، ورفعها عن الدنس والشرك.

وقوله تعالى: ﴿أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ هذا خبر معناه الطلب أي لا تمكنوا هؤلاء إذا قدرتم عليهم من دخولها إلا تحت الهدنة والجزية، ولهذا لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أمر من العام القابل في سنة تسع أن ينادي برحاب منى: "ألا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان له أجل فأجله إلى مدته".

وقال بعضهم: ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائض من المؤمنين أن يبطشوا بهم، فضلا أن يستولوا عليها ويمنعوا المؤمنين منها. والمعنى: ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وغيرهم، وقيل: إن هذا بشارة من الله للمسلمين أنه سيظهرهم على المسجد الحرام وعلى سائر المساجد، وأنه يذل المشركين لهم حتى لا يدخل المسجد الحرام أحد منهم إلا خائفا يخاف أن يؤخذ فيعاقب أو يقتل إن لم يسلم، وقد أنجز الله هذا الوعد كما تقدم من منع المشركين من دخول المسجد الحرام.

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبقى بجزيرة العرب دينان، وأن يجلى اليهود والنصارى منها ولله الحمد والمنة، وما ذاك إلا تشريف أكناف[1] المسجد الحرام. وتطهير البقعة التي بعث الله فيها رسوله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو الخزي لهم في الدنيا لأن الجزاء من جنس العمل فكما صدوا المؤمنين عن المسجد الحرام صدوا عنه، وكما أجلوهم من مكة أجلوا عنها ﴿ولهم في الآخرة عذاب

---

(١) الأكناف جمع كنف وهو جانب الشيء، وكنف الطائر جناحه. أما كنف الله فهو رحمته وستره، بجانب حفظه. (محيط المحيط - مادة كنف)

عظيم﴾ على ما انتهكوا من حرمة البيت، وامتهنوه من نصب الأصنام حوله، ودعاء غير الله عنده، والطواف به عرايا وغير ذلك من أفاعيلهم التي يكرهها الله ورسوله.

وأما من فسر بيت المقدس فقال (كعب الأحبار) إن النصارى لما ظهروا على بيت المقدس خربوه، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين﴾ فليس في الأرض نصراني يدخل بيت المقدس إلا خائفا، وقال قتادة: لا يدخلون المساجد إلا مسارقة »(١).

ﷻ وقوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾(٢).

يقول العلامة ابن كثير: « شهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد. كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ["إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾](٣). وعن أنس قال، [قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما عمار المساجد هم أهل الله] (٤)،

وقوله: ﴿وأقام الصلاة﴾ أي التي هي أكبر عبادات البدن ﴿وآتى الزكاة﴾ أي التي هي أفضل الأعمال المتعدية إلى بر الخلائق، وقوله: ﴿ولم يخش إلا الله﴾ أي ولم يخف إلا من الله تعالى ولم يخش سواه ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾، قال ابن عباس: من وحد الله وآمن باليوم

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ ص ١٥٧.

(٢) سورة التوبة – الآية ١٨.

(٣) الإمام الترمذي – سنن الترمذي – ج٥ ص٢٢٧ – الحديث رقم: ٣٠٩٣. الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٣ ص: ٦٨ الحديث رقم: ١١٦٦٩.

(٤) رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده.

الآخر ﴿وأقام الصلاة﴾ يعني الصلوات الخمس ﴿ولم يخش إلا الله﴾ فلم يعبد سواه ﴿فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾، يقول تعالى إن أولئك هم المفلحون كقوله

لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾، وهي الشفاعة، وكل "عسى" في القرآن فهي واجبة، وقال محمد بن إسحاق: وعسى من الله حق »[1].

ومن البين أن الباب ومن معه قد غلبتهم نزعاتهم الشخصية، وأنهم وقعوا ضحية أفكار ما كان لها شيء من الحسبان بالنسبة للفكر المستقيم، ومن ثم فإن الصلاة التي أقاموها ودعا إليها واعتبرها بديلا عن الصلاة التي شرعها الله تعالى، لا تمثل سوى صورة مهترئة لنوع من الفكر الوثني، الذي دخل عليه بعض التبديل، مع إضافة بعض الأسماء الإسلامية إليه.

ثانيا: موقفهم من الزكاة

الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، التي جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد حدد الإسلام الزكاة من حيث هي، كما حددها من حيث الغاية المتعلقة بها، فقال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾[2].

يقول العلامة القرطبي: « "خذ من أموالهم صدقة" اختلف في هذه الصدقة المأمور بها؛ فقيل: هي صدقة الفرض؛ وقيل: هو مخصوص بمن نزلت فيهم؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ منهم ثلث أموالهم، وليس هذا من الزكاة المفروضة في شيء؛ ولهذا قال مالك: إذا تصدق الرجل بجميع ماله أجزأه إخراج الثلث؛ متمسكا بحديث أبي لبابة.

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص ٣٤١.

(٢) سورة التوبة – الآية ١٠٣.

وعلى القول الأول فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقتضي بظاهره اقتصاره عليه فلا يأخذ الصدقة سواه، ويلزم على هذا سقوطها بسقوطه وزوالها بموته. وبهذا تعلق مانعو الزكاة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه[١]، وقالوا: إنه كان يعطينا عوضاً منها التطهير والتزكية والصلاة علينا[٢] وقد عدمناها من غيره. ونظم في ذلك شاعرهم فقال:

أطعنا رسول الله ما كان بيننا ∴ فيا عجباً ما بال ملك أبي بَكْرِ
وإن الذي سألوكم فمنعتم ∴ لكالتمر أو أحلى لديهم من التمّرِ
سنمنعهم ما دام فينا بقية ∴ كرام على الضراء في العسر واليسْرِ

وهذا صنف من القائمين على أبي بكر أمثلهم طريقة، وفي حقهم قال أبو بكر: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة).

أما قولهم إن هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يلتحق به غيره فهو كلام جاهل بالقرآن غافل عن مأخذ الشريعة متلاعب بالدين؛ فإن الخطاب في القرآن لم يرد باباً واحداً ولكن اختلفت موارده على وجوه.

[أ] فمنها خطاب توجه إلى جميع الأمة كقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة"[٣]، وقوله: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام[٤]"، ونحوه.

---

(١) عرف هؤلاء بالمرتدين، وقاتلهم الصديق رضى الله عنه وقال قوله المشهور: والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه. (الدكتور عبدالفتاح شحاته -تاريخ الخلفاء الراشدين ج١ ص٥٧).

(٢) وذلك من قوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم﴾ [سورة التوبة – الآية ١٠٣] ففيها الأمور الثلاثة.

(٣) سورة المائدة – الآية ٦ .

(٤) سورة البقرة – الآية ١٨٣ .

[ب] خطاب خص به ولم يشركه فيه غيره لفظا ولا معنى كقوله: "ومن الليل فتهجد به نافلة لك" [الإسراء: ٧٩] وقوله: "خالصة لك(١)".

[ج] خطاب خص به لفظا وشركه جميع الأمة معنى وفعلا؛ كقوله "أقم الصلاة لدلوك الشمس(٢)". وقوله: "فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله"(٣)، وقوله: "وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة"(٤)، فكل من دلكت عليه الشمس مخاطب بالصلاة. وكذلك كل من قرأ القرآن مخاطب بالاستعاذة. وكذلك كل من خاف يقيم الصلاة بتلك الصفة. ومن هذا القبيل قوله تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها". »(٥)،

وبين سبحانه وتعالى أن في أداء الزكاة جبرا للضعفاء، وسدا لاحتياجات ذوى الحاجات من الفقراء والمساكين، ومن ثم؛ فقد حدد الله مصارفها. في قوله تعالى: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾(٦).

قال العلامة ابن جرير الطبري: « قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قيل: الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة، والمساكين: الذين يسألون الناس، وقيل: الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة. والمسكين: هو الصحيح الجسم(٧).... وقال عكرمة في قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قال: لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين، إنما

---

(١) سورة الأحزاب - الآية ٥٠.

(٢) سورة الإسراء - الآية ٧٨.

(٣) سورة النحل - الآية ٩٨.

(٤) سورة النساء - الآية ١٠٢.

(٥) الإمام القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج٨ ص ٢٤٤.

(٦) سورة التوبة - الآية ٦٠.

(٧) الإمام أبو جعفر بن جرير الطبري -جامع البيان عن تأويل آي القرآن ص١٣٠٨٠ طبعة الحلبي ١٩٥٤م.

المساكين مساكين أهل الكتاب. قال أبو جعفر: وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب، قول من قال: الفقير: هو ذو الفقر أو الحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع، والمسكين: هو المحتاج المتذلل للناس بمسألتهم. وإنما قلنا إن ذلك كذلك وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة، لإجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين إنما يعطي من الصدقة المفروضة بالفقر، وأن معنى المسكنة عند العرب: الذلة، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾ يعني بذلك الهون، والذلة لا الفقر. فإذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر فجعلهم صنفين، كان معلوما أن كل صنف منهم غير الآخر[1].

ومادام الأمر كذلك فمما لا شك أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة[2]، والفقير المعطي ذلك باسم الفقير المطلق هو الذي لا مسكنة فيه، والمعطي باسم المسكنة والفقر هو الجامع إلى فقره المسكنة، وهي الذل بالطلب والمسألة، فتأويل الكلام على هذا معناه: إنما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذي لا يسأل، والمتذلل منهم الذي يسأل»[3].

كما أن للزكاة وظائف اجتماعية واقتصادية ونفسية؛ لأنه متى أعطى الغنى للفقير مما أعطاه الله من غير من عليه ولا أذى له، فإن التراحم والتعاطف سيكون لهما الأولوية فى التعامل بين الطرفين، وسيحل الوفاق محل العناد، والترابط بدل الشقاق؛ لأن الفقير حين يعطى من مال الله الذى جعله بين يدى الغنى؛ فإنه سيحمل فى صدره الحب له والاحترام مع التقدير، بدل الحقد عليه والحسد له.

---

(١) الإمام الطبرى- جامع البيان عن تأويل آى القرآن ص١٣٠٨٧ طبعة الحلبى ١٩٥٤م.

(٢) المسكنة هى الفقر مع الضعف. والمسكين من ليس عنده ما يكفيه أو يكفى عياله عند اجتماعهم معه.

(القاموس المحيط - باب النون - فصل السين).

(٣) الإمام أبو جعفر بن جرير الطبرى- جامع البيان عن تأويل آى القرآن ص١٣٠٨٧ طبعة الحلبى ١٩٥٤م.

كما أن الطبقية البغيضة التى ترسخ فى بعض المفاهيم لن يكون لها وجود دائم وطويل، وإنما ستزول تلك الطبقية، ليحل بدل منها التوافق الاجتماعى؛ لأن المال الذى سيدفع للفقير سوف ينهض بسد بعض احتياجاته الضرورية على الأقل، ومن ثم؛ فإن مشكلة الفقر سوف تجد لها حلولا وهى متعددة، تقوم كلها على أداء فريضة الزكاة.

ثم إن الزكاة فى جانبها النفسى إنما تعالج مشكلة من أكثر المشاكل خطورة؛ لأن الفقير كلما نظر إلى ما بين يدى الغنى من ثروة حبس فى صدره شيئا ما على الغنى، ويظل هذا المسلك يزداد عمقا فى صدره إحساسا منه بأن الغنى استهانى مصاص دماء، بينما يظل الغنى للفقير على أنه مخلوق ما كان له أن يأتى، وسيظل يعامله بهذا المفهوم، ومن ثم؛ يقف الطرفان متناقضين، كل منهما يتربص بالآخر، ويتمنى القضاء عليه[1].

أما حينما يعطى الغنى الزكاة التى هى حق الفقير الذى شرعه الله فى المال الموضوع عنده أمانة الله تعالى، عن طيب خاطر، فإن الفقير سوف ينظر إلى المعطاء على أنه كريم، استطاع كبح جماح أهوائه الشخصية أم الإمساك بزمام نفسه مع رغباتها، حتى لا تؤثر فيه، ومن هنا يتلاقى الطرفان، ويبادل كل منهما الآخر، حبا بحب، وعطف بعطف، ورحمة برحمة.

يقول أحد الباحثين: « إن الزكاة فى الإسلام جعلها الله حقا للفقراء فى مال الأغنياء، وهى مظهر من مظاهر التعاون بين أفراد المجتمع، حتى يجمع الحب والتعاون والمودة بين أفراده، ويشعر الغنى بالتزاماته نحو الفقير، ويحس الفقير بحدب الغنى عليه ومقاسمته فيما رزقه الله، فيعيش الجميع كأسرة واحدة، يواسى غنيهم فقيرهم، ويعطف كبيرهم على صغيرهم[2].

---

(١) الشيخ محمد السيد الأشقر – الزكاة فى الإسلام ج٢ ص١١٧ – ط أولى – الدار القومية للتراث باكستان ١٣٣١هـ.

(٢) الدكتور حسن محرم الحوينى – البابية والبهائية والقاديانية ص٥١ .

فوظيفة الزكاة بالنسبة للآخذين من الفقراء والمساكين، وغيرهم إنما هي وظيفة اجتماعية تعينهم على مواجهة الحياة، وتحميهم من أذى العوز، ومهانة الاحتياج، وهي بالنسبة للمعطي تزكيه وتصفيه وتطهر، ثم هي ذات وظيفة نفسية روحية، وقد حددت السنة النبوية المطهرة الصحيحة مقاديرها حسب كل نوع من الأنواع التي تجب فيها من تجارة أو مال، أو أنعام أو زروع أو ركاز[1] إلى آخر ما جاءت به التفاصيل الدقيقة في السنة النبوية المطهرة عن المصادر والمصارف، وقام عليها إجماع الأمة.

بيد أن فريضة الزكاة لم تسلم هي الأخرى من عبث الباب فأفرغها من مضمونها الإسلامي، وابتعد بها من مقاصدها الإسلامية داخل المجتمع نفسه من ترسيخ التراحم والتكافل، والقضاء على مشكلة الفقر، وغير ذلك من المقاصد التي تؤسس البنية الاجتماعية في المجتمع الإسلامي المثالي، فأنكر مصادرها كما أنكر مصارفها، وتجاهل أصنافها الثمانية، إذ لم يوجب أداءها إلا لشخصه أولاً، باعتباره مظهر الله ثم لأمنائه من بعده[2]، كأنها ميراث ثابت أو تركة لا يقع فيها التقسيم.

ولما كان للمال بريقه الخلاب وجاذبيته التي تستعصي على الملايين وبخاصة مع واحد كالباب الشيرازي، فقد أحس البابيون بحاجتهم إليه، ومن ثم؛ فقد طالبوا أن تكون الزكاة منصرفة إليهم وحدهم، كما تكون مصادرها قائمة في كل شيء وعلى الأخص في:

أ- أخماس العقارات

ذهب الباب إلى ضرورة دفع الزكاة، وهي في العقارات الخمس تؤخذ من رأس المال، ويسلم ذلك الخمس إلى القائم على شئون الجماعة يتصرف منها كيفما يشاء[3]، لكن لماذا الخمس، ولم يكن أقل أو أكثر منه؟

---

١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية ص١٠٨/١٠٩ .

٢) الدكتور حسن محرم السيد الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٥١ .

٣) الأستاذ محمد التهامي خليفة – البابية واستمرار الانحراف ص٧٧ .



والجواب ما قرره البابيون أن الخمس يمثل زكاة تموية تعلو عن المقدار الثابت في الشريعة المحمدية إلى الضعف المركب من الثمن، فالزكاة في الإسلام إذا تعلقت بالنقود، فإنها تكون ٢,٥٪ اثنين ونصف في المائة، أما عند الباب فهي الخمس بما يساوي ٢٠٪، وهذه الزيادة المفروضة في الزكاة فوق النسبة المحمدية إنما قلنا بها بغية مواجهة أعباء الحياة المستجدة التي لم تكن للشريعة المحمدية معرفة بها[1].

وهو بهذا يلح على ضرورة القول بعدم وفاء الشريعة الإسلامية باحتياجات الناس في المعاملات المالية، وهي أقوال يرددها أعداء الإسلام منذ فترة طويلة لم ينقطعوا عنها، فإذا لم ينالوا من الإسلام أي شيء، فقد نالوا من أبناء الإسلام بعضا من الشواذ والأغرار أوقعوهم في حبائلهم، ونصبوا حولهم شباكهم، فباتوا يرقبونهم بليل متى أمكن لهم النيل منهم، والمشكلة أنهم يحسبون على الإسلام وأهله، وما هم من الإسلام في شيء، ولكن النفس الأمارة بالسوء طامعة على الدوام في المال، ففي الأثر: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب »[2].

---

(١) الشيخ منصور محمد عليان – البابية وتأويلاتهم المنحرفة ص١٢١. ومن المؤكد أن هذه الأفكار قد زرعها في أفئدتهم ماكرون حتى يجعلوهم يقفزون فوق الشرع وتعاليمه.

(٢) الإمام البخاري – صحيح البخاري – باب: ما يتقى من فتنة المال – (ج٥ ص٢٣٦٤) الحديث رقم: ٦٠٧٢، وأخرجه مسلم في الزكاة، باب: لو أن لابن آدم واديين لابتغى ثالثاً، (ج٢ ص٧٢٥) – حديث رقم: ١٠٤٩. والمراد بـ : [(واديان) أي ما يملؤهما، وهو للمبالغة في الكثرة. (لابتغى) لطلب. (يملأ الجوف) كناية عن الموت. فهو يستلزم الامتلاء، فكأنه قال: لا يشبع من الدنيا حتى يموت. وعليه تحمل العبارات في الأحاديث الآتية. فالغرض منها واحد، واختلافها تفنن في الكلام وبلاغة وفصاحة. والجوف: البطن، وخص بالذكر. لأن المال أكثر ما يطلب لتحصيل المستلذات. وأكثرها تكراراً الأكل والشرب. (يتوب الله) يعفو ويصفح ويوفق للطاعة. (من تاب) من المعصية ورجع عنها].

وروى الإمام البخارى أيضا أن رسول الله ﷺ قال: « لو أن لابن آدم مثل واد مالا لأحب أن له إليه مثله، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب »[١].

ب- أخماس الذهب

يقرر الباب الشيرازى أن زكاة الذهب هى الخمس فى كل الذهب بغض النظر عن نوعه والغرض منه؛ لأنه من كل مائة مثقال من ذهب عشرون مثقالا، ومن كل شيء بهاء عشرون مثقالا لله إذا قضى عليه حول، ولم ينقص عن أصله تبلغته إلى من يظهره، وهذا يعنى أن النصاب فى المائة مثقال من ذهب هو عشرون مثقالا فقط[٢].

ويقرر قريبا من نفس الفكرة الدكتور الجيوشى حيث يقول: « ذكر الباب فى البيان من كل بهاء مائة مثقال من ذهب، ومن كل شيء بهاء عشرين مثقالا لله، إذا قضى عليه حول، ولم ينقص عن أصله تبلغته إلى متى تطهره، وهذا يعنى أن النصاب مائة مثقال من ذهب[٣]، ولفظ البهاء الوارد فى التعبيرين يمكن حمله على أنه الذهب الخالص التام، وهو الذى تخرج عنه الزكاة، وهو احتمال قريب من القبول عندهم، حيث ذكر أن النوع الذى تخرج عنه الزكاة من الذهب هو الذى تتحقق به الزكاة، شريطة أن تكون منقولة من أصل ذهبى خالص، ثم تعطى لمن يظهره الله، أو النائب عنه القائم مقامه، وهى أفكار لا دليل عليها، ولا يمكن أن يصدق عاقل بها، لكن الباب وأتباعه لما كانوا يعشقون الذهب فقد أسرعوا إليه، حتى يفترضوا فيه ما يظنونه مؤديا بهم إلى أغراضهم.

جـ- مقابلة ثمار الأرض بالذهب

لا يخفى الباب الشيرازى حبه للذهب، وتعلقه به إلى حد الهيام، فالأرض المزرعة زكاتها من جنس ما يخرج منها وهو الثمار طبقا للأنصبة والمقادير التى حددتها الشريعة

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخارى باب ما يتقى من فتنة المال (ج٥ ص٢٣٦٥) الحديث رقم (٦٠٧٣). وأخرجه السيوطى فى الجامع الصغير. باب: حرف اللام. الحديث رقم: ٧٤٧٦– وذكره الإمام ابن ماجة – سنن ابن ماجه – باب الأمل والأجل الحديث رقم: ٤٢٣٥.

(٢) الأستاذ وفيق محمد الطيب – دراسات فى الملل والنحل ج٢ ص١٣٧ طبعة الدار البيضاء ١٣٣٧هـ

(٣) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٩٠.

الإسلامية الغراء، إلا أن الباب غير ذلك كله، وجعل واجبا على مالكي الأرض إخراج مائة وأربعين مثقالا من ذهب. يقول: على كل مالك أرض في كل حول مائة وأربعين مثقالا من ذهب[١]، لكن هذه المبادلة من أين له بها؟

والجواب: أن الباب يزعم ملكيته الخالصة في نسخ الشريعة الإسلامية وتبديلها، ومادام ذلك شأنه فليس لأحد الحق في التعقيب عليه، أو مناقشته في الأمر الذي يصدره، ألا يكفي أن يكون هو المظهر البشري الذي يأتي فيه الله، أو يكون هو المظهر الإلهي في شكله الجسدي، وبالتالي يكون من حقه إدخال التعديلات التي يراها وهو في كل ما ذهب إليه غير صادق، ولا يجد سندا أو أحدا يدعم موقفه.

يقول أحد الباحثين: « لقد عاش الباب قصة خيالية، تصور أنه المهدي مرة، ثم تصور نفسه النبي مرة أخرى، فلما لم يرض هذا غروره؛ تعلق بالزعم الأعلى، وأنه النقطة، وأنه باب الله ومظهره الطبيعي، ثم واصل اندفاعه أنه خالق الحق، وهو في كل ما ذهب إليه كان واقعا تحت تأثير ضغوط نفسية لم يمكنه تفريغها أو توجيهها توجيها سليما، بل إنه راح ضحيتها حيث تعلق بشباكها الممزقة، فوقع في الهلاك، وكانت نهايته الإعدام صلبا[٢]، وقد انزوى جسده في مزبلة لم يقدر لأحد أن ينقذه منها، بل الغالب أن الوحوش قد التهمت جسده عقابا على ما اقترفت يداه.

د- زكاة الأنفس أو الرؤوس

نظراً لتعلق الباب الشيرازي بالذهب، وحبه الشديد للمال، بجانب وقوعه ضحية لبعض الأفكار الشاذة المسيحية واليهودية، التي تجري فيها جلسات الاعتراف، وخلاص النفوس[٣]،

---

(١) الباب الشيرازي – البيان – اللوح العاشر – الباب السادس عشر.

(٢) الأستاذ وفيق محمد الطيب – دراسات في الملل والنحل ج٢ ص١٤٥.

(٣) حرصا من أصحاب هذا الاتجاه على دعمه وتأكيده في النفوس. فقد استخدموا نظاما كهنوتيا تحت اسم مدارس خلاص النفوس. كما أوجدوا مدارس الأحد، إلى غير ذلك مما يعني دعم ذلك الاتجاه في النفوس وتعميقه إلى أبعد مدى. والمهم أنه يحقق أكبر عائد مادي ينتظرونه.

بمقابل مادى فى الحياة الدنيا، أما عند الإقبال على الآخرة، فإن صكوك الغفران[١] تحل عندهم محل جلسات الأحد، ومقامات الاعتراف، فقد اندفع هو الآخر إلى تلك الأفكار. لعلها تحقق ما ينشده من ثراء، ومال يشبع نهمه الشديد إليه.

وقد شعر الباب بأن هذه الزكاة ستدر دخلا كبيرا عليه؛ لأن النفوس متعددة، وأخطاءها هى الأخرى كذلك، ومن ثم؛ فإن العائد الذى سيجيء منها لا بد أن يكون كبيرا، بحيث يغطى احتياجات كثيرة، كالحال مع الضرائب التى تتنوع باستمرار، حتى صارت من الكثرة بمكان[٢]، وهى لدى الباب تقوم من البداية على الوزير الأعظم، حيث يجب عليه دفع زكاة حولية، مقدارها تسعين ومائتين مثقالا من الذهب، وأما العالم الأعظم فعليه أن يدفع مائتى مثقال من الذهب.

أما الحاكم الأعظم فلكونه أقل رتبة من الوزير الأعظم؛ فإن زكاته هى أربعون ومائة مثقال من الذهب، هكذا نراه يجعل هذه الزكاة المتعلقة بالأنفس تنازلية، حيث يبدأ بالأعلى فى الرتبة، وهو الأعلى فى قيمة الزكاة المفروضة[٣]، ثم ينتهى إلى

---

(١) عبارة عن ورقة كانت تكتب أحيانا بزيت النيرون، وأحيانا أخرى بماء التعميد أو المعمورية. وتشتمل على عبارات فيها الصفح والتسامح عن المشترى لها، وخلاصة من كل الأزوار والآثام. التى ارتكبها. وكانت تعطى بمقابل نقدى يتساوى مع إمكانيات من يطلبها. وكانت أولا تعطى للميت، ثم توسعوا فيها. فصارت تعطى للمريض الذى لا يرجى برؤه، ثم توسعوا أكثر. فصارت تمنح لطالبها بغض النظر عن ..نه. ويمكن أن يحصل عليها مرات عديدة كلما طلبها.

(٢) فى بلادنا الإسلامية الحبيبة - مصر - ضرائب شتى منها: ١- ضريبة الدخل العام. ٢- ضريبة الدمغة. ٣- ضريبة المهن الحرة. ٤- ضريبة المبيعات. ٥- ضريبة الأطيان الزراعية. ٦- ضريبة العقارات. ٧- ضريبة تسجيل عقود النكاح والطلاق. ٨- ضريبة المعاملات التجارية. إلى غير ذلك من الأنواع التى تحتاج المزيد من المراجعة على الناحية الشرعية. حتى لا تدخل خزانة الدولة أموال حرام.

(٣) لعلك لاحظت وجود العديد من الأخطاء التركيبية والأخرى النحوية والإنشائية، مما يدل على أن الباب كان جاهلا إلى حد كبير.

الحاكم الأعظم، أما أصحاب الأنفس الأخرى فلم يعرهم أدنى التفاتة، كأنهم لا وجود لهم في ذهنه، أو كأنه يريد امتصاص مال الأغنياء نظراً لكرهه الشديد لهم، وحقده الكبير عليهم، وكذلك فعلت الثورة البلشفية في روسيا القيصرية بعد قيامها ١٨١٧م.

وكان حرص الباب على المال قوياً ومركزاً في أن تدفع هذه الأموال مباشرة إلى من يظهره الله النائب عن الباب، وذلك على الدوام، أو تدفع مباشرة لمن يظهره الله في زمانه، يستوى في ذلك أن تكون هذه الزكاة آيلة من عقارات أو ممتلكات زراعية، أو زكاة أنفس، إلى غير ذلك من الأنواع التي ترتد إلى الزكاة المفروضة من قبل الباب ذاته، وهي لا تخرج في مفهومها العام أو الخاص عن زكاة النفوس، وجلسات الأحد في المسيحية، والغرض منها معروف وهو جمع أكبر قدر من المال في أيدي رؤساء النحلة، وعلى الأخص زعيمها الوحد الباب الشيرازي.

هـ- زكاة المبادلة

وهي تقوم على أن أي بابي يمكنه أن يدفع الزكوات التي مر ذكرها متى اجتمعت فيه شروطها، لكن إذا شرب خمراً مثلاً مخالفاً تعاليم الباب العامة في شرب الخمر، مع تحذير الباب له من الشرب في ذلك الحين، فإنه تجب عليه زكاة مقدارها خمسة وتسعين مثقالاً من الذهب[1]، وهذا العدد مضاعفات العدد الصلي وهو رقم ١٩ الذي عليه يؤكدون، وإنما في اتجاهه يسيرون.

وهذه الزكاة التي أعلنها الباب هي نفس الفكرة التي تجيء في صكوك الغفران في المسيحية، وزكاة البكور التي يتذرع بها اليهود في امتلاك أموال من يعتقدون اعتقاداتهم؛ لأنها تقوم على مبادلة الخطايا بالمال، وهي غير الكفارة عندنا نحن المسلمين؛ لأن

---

(١) راجع في هذا الشأن : الحقائق الدينية في الرد على العقيدة البهائية ص٨٧ حيث تعرضت كلها لهذه التشكيلة البابية التي لا تقوم على سند صحيح، كما أن أفكارها لا تجد دليلاً واحداً يدعمها.

الكفارة في الإسلام لها شروطها وأنواعها ومقاديرها، حسب ورودها في الشرع الشريف، وفي نفس الوقت؛ فإن الكفارة في الإسلام تحقق مصالح فردية وجماعية معاً، وهي حق شرعه الله يوزع على من أحوجه الله، ونبه إلى أنها حقوقهم، ولابد من إنفاقها عليهم.

لكن ماذا يفعل من وقع في شرب الخمر مثلا، وليس لديه مال يدفعه؟ هل يظل أمر خطيئته متعلقا معه، أم يسقط عنه لعجزه عن تقديم ذلك المال؟ لاشك أن البابية لا تقدم إجابة محددة على تلك الأسئلة، وبالتالي؛ يستبين للباحث أن الفكر البابي لم ينطلق من وقائع ثابتة، أو نصوص شرعية، وإنما هي اتجاهات نفسية، وأهواء شخصية فيها العوز والعجز بجانب السخافات الكثيرة، والخرافات المتعددة والأساطير التي لا ترضي إلا مشاعر السفهاء وعواطف المجانين، وبخاصة أنها اقتبست من أصحاب الوثنيات تجار الأديان الوضعية.

و مصارف الزكاة عندهم

لا يحدد الباب الشيرازي مصرفا معينا للزكاة التي تجمعها، وإنما يلزم من تجب عليه تلك الزكاة أن يسلمها لمن يظهره الله أو الباب أو نائبه الذي يعينه، ثم لا يسأل عن المصارف التي تنفق فيها أبداً؛ لأنه ليس من حق أحد أن يسأل مظهر الله عن أمر يخصه، وإلا كان خارجا على القواعد المعمول بها[1].

بل إن الباب الشيرازي يعلن عن تجاوزه لمصارف الزكاة في الشريعة المحمدية في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]، ولابد من شمول الزكاة لهذه الأصناف الثمانية.

ويقول الباب الشيرازي: إن هذه ألغيت عندنا كلها؛ لأنه لا يوجد في الآية المحمدية لفظ الزكاة، إنما فيها لفظ الصدقة، والصدقة ليس فيها نصاب، كما أن الشريعة المحمدية

---

(١) الأستاذ محمد التهامي خليفة – البابية واستمرار الانحراف ص٥٧.

(٢) سورة التوبة – الآية ٦٠.

خالية من الزكاة تماماً، وفيها الصدقة وحدها، ولا تحل الصدقة محل الزكاة، وقد نسخت الحكم ما فيهما معاً[١].

ولا شك أن الباب كاذب جاهل، فضحت عبارته ما في عقله؛ لأن لفظ الصدقة الواردة في القرآن الكريم هي الزكاة الواردة في الحديث الشريف بمقاديرها الثابتة؛ لأن السنة توضح وتبين ما أجمل القرآن الكريم، وتقيد ما أطلق، وتطلق ما قيد، إلى غير ذلك من الوجوه التي تؤكد أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة مأخذهما واحد[٢]، وأن ما في أي منهما هو ذات ما في الثاني مع توضيح أو تفصيل طبقاً لطبيعة المصدر نفسه.

فإذا سألت الباب عن مصدر هذه الزكوات التي فرضها؛ تراه معتقداً أن الله تعالى ليس الخالق للأشياء، وإنما الخالق لها هو المشيئة التي تظهر في مظاهر الله في أجسام بشرية، وباعتباره أن الباب هو مظهر الحقيقة الإلهية، فله من الصلاحيات ما يمكنه أن يبعث الأنبياء والرسل، ويفرض من الزكوات ما يراه، وليس لأحد شأن فوق شأنه[٣]، ولا يعقب أحد على ما يفرضه، فكل ما يقوله الباب هو الحق بعينه، ولست أدري سبباً معقولاً لتلك الخصوصية التي منحها الباب لنفسه، أو نعته بها أتباعه، ومن انساقوا خلفهم من ضعاف العقول.

---

(١) الشيخ رسلان محمد عبدالكامل- الباب ونحلته ص١٣٣.

(٢) راجع كتابنا: لماذا انتشر الإسلام ج٢ ص١٧٨، وكذلك كتابنا دفاع عن السنة المطهرة في وجه الخصوم ج١ ص٩٩.

(٣) الأستاذ عبدالحكيم الوكيل - البهائية تاريخها وعقائدها ص١٢١.

ثانيا: موقفهم من صوم رمضان

الصوم عبادة إلهية قديمة، تعبد الله بها الخلائق وجاءت مع الأنبياء والمرسلين من آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد ﷺ، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1].

قال الإمام القرطبي «لما ذكر الله ما كتب على المكلفين من القصاص والوصية ذكر أنه كتب عليهم الصيام وألزمهم إياه وأوجبه عليهم، ولا خلاف فيه، قال صلى الله عليه وسلم: [بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج) [2]، والصوم في اللغة: الإمساك، وترك التنقل من حال إلى حال. ويقال للصمت صوم، لأنه إمساك عن الكلام، قال الله تعالى مخبرا عن مريم: "إني نذرت للرحمن صوما"[3]، أي سكوتا عن الكلام[4].

---

(١) سورة البقرة – الآية ١٨٣ .

(٢) الإمام البخاري – صحيح البخاري كتاب الإيمان – باب الإيمان ج: ١ ص: ١٢ – الحديث رقم:٨. وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٤٥ – باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام –الحديث رقم:١٦ .

(٣) سورة مريم – من الآية ٢٦ .

(٤) الصوم: ركود الريح، وهو إمساكها عن الهبوب. وصامت الدابة على آريها: قامت وثبتت فلم تعتلف. وصام النهار: اعتدل. ومصام الشمس حيث تستوي في منتصف النهار، ومنه قول النابغة:

خيل صيام وخيل غير صائمة ∴ تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

أي خيل ثابتة ممسكة عن الجري والحركة، كما قال: كأن الثريا علقت في مصامها . أي هي ثابتة في مواضعها فلا تنتقل، وقوله: والبكرات شرهن الصائما يعني التي لا تدور. وقال امرؤ القيس:

فدعها وسل الهم عنك بجسرة ∴ ذمول إذا صام النهار وهجرا

أي أبطأت الشمس عن الانتقال والسير فصارت بالإبطاء كالممسكة. وقال آخر:

حتى إذا صام النهار واعتدل ∴ وسال للشمس لعاب فنزل

وقال آخر: نعاما بوجرة صفر الخدو ∴ د ما تطعم النوم إلا صياما

أي قائمة. والشعر في هذا المعنى كثير.

والصوم في الشرع: الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع في المحرمات[1]، لقوله عليه السلام: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)[2].

كما أن الصوم فى معناه العام أنواع :-

الأول : الصوم عن الكلام :-

لقوله تعالى فى شأن مريم ابنة عمران – أم سيدنا عيسى ابن مريم رسول الله – ﴿فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا * يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا * فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا * قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا * وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا * وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا * ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾[3].

يقول الحافظ ابن كثير: « وقوله تعالى: ﴿فإما ترين من البشر أحدا﴾ أي مهما رأيت من أحد من البشر، ﴿فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾، المراد بهذا القول الإشارة إليه بذلك، لا أن المراد به القول اللفظي، لئلا ينافي ﴿فلن أكلم اليوم إنسيا﴾، قال أنس بن مالك في قوله: ﴿إني نذرت للرحمن صوما﴾ قال: صمتا وصوما،، والمراد أنهم إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام. روى ابن إسحاق، عن حارثة قال: كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال: ما شأنك؟ قال

(١) تفسير القرطبى جـ٢ ص٢٧٣ .

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٦٧٣ – باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم- حديث رقم: ١٨٠٤

(٣) سورة مريم – الآيات ٣٤/٢٦ .

أصحابه: حلف أن لا يكلم الناس اليوم . فقال عبد الله بن مسعود: كلم الناس وسلم عليهم، فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها، أنها حملت من غير زوج، يعني بذلك مريم عليها السلام، ليكون عذرا لها إذا سئلت[١] . وقال عبد الرحمن بن زيد: لما قال عيسى لمريم ﴿لا تحزني﴾ قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي لا ذات زوج ولا مملوكة، أي شيء عذري عند الناس؟ ﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾ .

ويقول تعالى مخبرا عن مريم حين أمرت أن تصوم يومها ذلك، ولا تكلم أحدا من البشر، فإنها ستكفى أمرها ويقام بحجتها، فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه، فأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله، فلما رأوها كذلك أعظموا أمرها واستنكروه جدا، وقالوا ﴿يا مريم لقد جئت شيئا فريا[٢]﴾ أي أمرا عظيما، ﴿يا أخت هارون﴾ أي يا شبيهة هارون في العبادة، ﴿ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ أي أنت من بيت طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة[٣]، فكيف صدر هذا منك؟

قال السدي: قيل لها ﴿يا أخت هارون﴾ أي أخي موسى وكانت من نسله، كما يقال للتميمي: يا أخا تميم، وللمضري: يا أخا مضر، وقيل: نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون (قال السهيلي: هارون رجل من عباد بني إسرائيل المجتهدين كانت مريم تشبه به في اجتهادها، ليس بهارون أخي موسى بن عمران، فإن بينهما من الدهر الطويل والقرون الماضية والأمم الخالية ما قد عرفه الناس)، فكانت تقاس به في الزهادة والعبادة. وقد كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم وصالحيهم. كما قال الإمام أحمد، عن المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرأون ﴿يا أخت هارون﴾

---

(١) رواه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) الفرى من الأمور هو المختلف العجيب الذى لم يسبق صاحبه إليه، وهو غير ألفاظ . (المعجم الوسيط - باب الفاء).

(٣) لأن عمران والدها كان واحدا من أحبار بنى إسرائيل، وكبير المتقدمين.

وموسى قبل عيسى بكذا وكذا ؟ قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم"[1]

وقال ابن جرير: كانت مريم من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد، ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به، وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به، وكان هارون مصلحا محببا في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر[2]، قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل. وقوله: ﴿فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها، وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالفرية، وقد كانت يومها هذا صائمة صامتة، فأحالت الكلام عليه، وأشارت لهم إلى خطابه وكلامه، فقالوا متهكمين بها ظانين أنها تزدري بهم وتلعب بهم ﴿كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ ؟

قال السدي: لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حتى تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها ﴿قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره، كيف يتكلم ؟ ﴿قال: إني عبد الله﴾ أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه، وقوله: ﴿آتاني الكتاب وجعلني نبيا﴾ تبرئة لأمه مما نسبت إليه من الفاحشة، قال نوف البكالي: لما قالوا لأمه

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٦٨٥ – الحديث رقم: ٢١٣٥، الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٣١٥ – باب ومن سورة مريم– الحديث رقم: ٣١٥٥

(٢) ذهب الأحبار أن هارون الذى جاء مع مريم أخوها لأبيها، وكان أكبر منها سنا، وكان كذلك مشهورا بالصلاح والتقوى، حتى كأنه يضرب به المثل فى الصلاح، فأرادوا تذكيرها بصلاح أخيها. الشيخ محمد أحمد النكلاوى – قصص الأنبياء ص٢٣٥ .

ما قالوا كان يرتضع ثديه، فنزع الثدي من فمه، واتكأ على جنبه الأيسر وقال: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا - إلى قوله - ما دمت حيا﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿وجعلني مباركا أين ما كنت﴾، قال مجاهد: وجعلني معلما للخير، وفي رواية عنه: نفاعا، وقوله: ﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾ كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾. وقوله: ﴿وبرا بوالدتي﴾ أي وأمرني ببر والدتي، ذكره بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيرا ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين، كما قال تعالى: ﴿أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾، وقوله: ﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ أي ولم يجعلني جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدتي فأشقى بذلك.

قال سفيان الثوري: الجبار الشقي الذي يقتل على الغضب، وقال بعض السلف: لا تجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجدته جبارا شقيا، ثم قرأ: ﴿وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا﴾. وقوله: ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ إثبات منه لعبوديته لله عز وجل، وأنه مخلوق من خلق الله يحيا ويموت ويبعث كسائر الخلائق، ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد، صلوات الله وسلامه عليه.»(٢).

وكذلك جاء مع نبي الله زكريا الذي كان عقيما لا تأتي فيه الذرية(٣)، وقد تقدم به السن، وكذلك كانت زوجه عاقرا. قال تعالى: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا * قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم

---

(١) هذه التفاصيل من كونه كان ينزع الثدي من فمه وكونه كان يتكئ على جانبيه الأيسر مما لم يقم عليه دليل. والأولى تفويض الأمر لله رب العالمين.

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم ج٣ ص ١٢٢/١١٩.

(٣) سيدنا زكريا كان زوجا لليصابات خالة مريم. وهي أخت حنة بنت فاقوذا بن قنبل. وكانت حنة هي أم مريم أم عيسى رضي الله تعالى عنها.

تك شيئا * قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا * فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾(١) .

يقول العلامة الحافظ ابن كثير: « قوله تعالى: ﴿ يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ﴾ : هذا الكلام يتضمن محذوفاً، وهو أنه أجيب إلى ما سأل في دعائه فقيل له: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾، كما قال تعالى: ﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين﴾، وقوله: ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ . قال قتادة: أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم (واختار هذا القول ابن جرير رحمه الله)، وقال مجاهد: ﴿لم نجعل له من قبل سميا﴾ أي شبيهاً، أخذه من معنى قوله: ﴿هل تعلم له سميا﴾ ؟ أي شبيهاً، وقال ابن عباس: أي لم تلد العواقر قبله مثله، وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له، وكذلك كانت امرأته اليصابات، وقد تسمى إيشاع عاقراً من أول عمرها، بخلاف إبراهيم وسارة عليهما السلام، فإنهما إنما تعجبا من البشارة بإسحاق لكبرهما، ولهذا قال: ﴿أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون﴾(٢)، مع أنه كان قد ولد له قبله إسماعيل بثلاث عشرة سنة .

وقوله : ﴿ قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا * قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ﴾(٣) . فيه تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل، وبشر بالولد ففرح فرحاً شديداً وسأل عن كيفية ما يولد له، والوجه الذي يأتيه منه الولد، مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد من أول عمرها – مع كبرها (ذكر السهيلي: أن امرأته اسمها (إيشاع بنت فاقوذ)، وهي أخت حنة بنت فاقوذ،

(١) سورة مريم – الآيات ٧/١١ .

(٢) سورة الحجر – الآية ٥٤ .

(٣) سورة مريم – الآيتان ٨/٩ .

قاله الطبري، وحنة هي أم مريم. وقال العتبي: امرأة زكريا هي (إيشاع بنت عمران)، فعلى هذا القول يكون يحيى ابن خالة عيسى على الحقيقة، وعلى القول الأول يكون ابن خالة أمه، وفي حديث الإسراء قال عليه السلام: "فلقيت ابني الخالة يحيى وعيسى"، وهذا شاهد للقول الأول)، ﴿قال﴾ الملك مجيباً لزكريا عما استعجب منه ﴿كذلك قال ربك هو عليّ هين﴾ أي إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها، ﴿هين﴾ أي يسير سهل على الله، ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال: ﴿وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾، كما قال تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾[1].

ويقول الله تعالى مخبراً عن زكريا عليه السلام أنه ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي علامة ودليلاً على وجود ما وعدتني، لتستقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني، كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى * قال أولم تؤمن قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[2]، ﴿قال آيتك﴾ أي علامتك ﴿ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا﴾ أي أن يُحبس لسانك عن الكلام ثلاث ليال، وأنت صحيح سوي، من غير مرض ولا علة.

قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة. قال زيد بن أسلم: كان يقرأ ويسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة، وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ثلاث ليال سويا﴾ أي متتابعات (القول الأول عن ابن عباس وعن الجمهور أصح كما في آل عمران ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا، واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار﴾). وقال مالك عن زيد بن أسلم: ﴿ثلاث ليال سويا﴾ من غير خرس، وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها ﴿إلا رمزا﴾ أي إشارة.

---

(١) سورة الإنسان – الآية ١ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٦٠ .

ولهذا قال في هذه الآية الكريمة ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ أي الذي بشر فيه بالولد ﴿فأوحى إليهم﴾ أشار، إشارة خفية سريعة ﴿أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ أي موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله، شكرا لله على ما أولاه. قال مجاهد ﴿فأوحى إليهم﴾ أي أشار (وهذا القول أرجح، وبه قال وهب وقتادة). وقال مجاهد: أي كتب لهم في الأرض »[1].

◄◄ الثاني: الامتناع عن الطعام والشراب، وهو من البطن والفرج:

وهذا النوع مما عرف باسم صوم العموم؛ لأن أهل الإسلام يشتركون فيه فرضا ونفلا، بشرائطه المعروفة في كتب الفقه المذهبية عندنا نحن المسلمين[2]، ويشترك فيه الرجال والنساء القادرون على ممارسته، باعتبار أن الصوم أحد أركان الإسلام الخمسة بالنسبة لنا نحن المسلمين[3].

◄◄ الثالث: صوم الخصوص:

وهو صوم القلب والجوارح عن كل ما يغضب الله تعالى من قول أو فعل أو نية، وهو لا يتمكن منه إلا القليلون الذين لهم سلطانا على نفوسهم، وعون من ربهم وهم في نفس الوقت أصحاب النفس اللوامة. قال تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة * ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾[4].

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٣ ص١٠٦/١٠٨.

(٢) سبق القول بأن المذاهب الفقهية الأصلية ثمانية. أربعة عند أهل السنة. وهي: ١- الأحناف ٢- المالكية. ٣- الشافعية. ٤- الحنابلة. وأربعة عند الشيعة. وهي: ١- الزيدية. ٢- الجعفرية. ٣- الإمامية. ٤- الإباضية. وتسمى المذاهب الفقهية وفي كل مذهب منها علماء متقدمون ثم شراح وأخيرا محققون ومحشون وهم جميعا أهل الفضل والعلم والعرفان.

(٣) وذلك لما جاء في الحديث الشريف: عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصيام رمضان »(الإمام البخاري – صحيح البخاري – جـ١ – باب الإيمان، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس). الحديث رقم: ٨. وأخرجه مسلم في الإيمان، باب: أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: ١٦.وذكره العلامة العجلوني – كشف الخفاء – حرف الباء الموحدة – الحديث رقم:٩٢٨ وذكره العلامة السندي – حاشية السندي على النسائي – : باب على كم بني الإسلام- الحديث رقم: ٤٩٩٩).

(٤) سورة القيامة – الآيتان ١/٢.

الرابع : صوم خصوص الخصوص

وهو صوم العقل والقلب والوجدان عن كل ما سوى الله تعالى، بحيث يكون الشاغل هو الله تعالى وحده، ولا يكون في القلب شيء آخر سواه جل علاه، وربما كان هذا النوع من الصيام هو الذي يتميز به الأنبياء والمرسلون، ففي الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين إنك تواصل يا رسول الله قال وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقين فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا»[1]، وقد يلحقهم في هذا النوع أهل الصلاح والولاية لله رب العالمين[2]، وربما كانت السيدة رابعة العدوية[3] قد عبرت عن شيء من ذلك بقولها:

أحبك حبين حب الهدى ∴ وحبا لأنك أهل لذاكا

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخارى ج٢ ص٦٩٤ – باب التنكيل لمن أكثر الوصال الحديث رقم: ١٨٦٤. وفى الحديث رقم: ١٨٦٥ من نفس الباب عن أبى هريرة رضي الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « قال إياكم والوصال مرتين قيل إنك تواصل قال إني أبيت يطعمني ربي ويسقين فاكلفوا من العمل ما تطيقون» وروى البخارى أيضا : فى باب الوصال إلى السحر الحديث رقم: ١٨٦٦ (ج٢/٦٩٤) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تواصلوا فأيكم أراد أن يواصل فليواصل حتى السحر قالوا فإنك تواصل يا رسول الله قال لست كهيئتكم إني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقين »

(٢) لأن الولى هو من والى الله بالطاعات فوالاه الله تعالى بالكرامات. (راجع فى هذا الشأن كتابنا أوراق مطوية فى التصوف والصوفية. وكتابنا أنسام حيية فى الأفكار الصوفية. حيث تعرضت لبيان ذلك هناك. وكذلك كتابنا الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامى ثناء الحديث عن الكرامة .

(٣) رابعة العدوية البصرية هى الزاهدة العابده الخاشعه أم عمرو رابعة بنت إسماعيل ولاؤها للعتكيين ولها سيرة في جزء لابن الجوزي قال خالد بن خداش سمعت رابعة صالحا المري يذكر الدنيا في قصصه فنادته يا صالح من أحب شيئا أكثر من ذكره وقال محمد بن البرجلاني حدثنا بشر بن صالح العتكي قال استأذن ناس على رابعة ومعهم سفيان الثوري فتذكروا ساعة وذكروا شيئا من الدنيا فلما قاموا قالت لخادمتها إذا جاء هذا الشيخ وأصحابه فلا تأذني لهم فأني رأيتهم يحبون الدنيا. وكانت رابعة تصلي الليل كله فإذا طلع الفجر فقالت هجعت حتى يسفر الفجر. وكانت تقول يا نفس كم تنامين والى كم تقومين يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا ليوم النشور. وحدث رياح القيسي قال كنت اختلفت إلى شميط أنا ورابعة فقالت مرة تعال يا غلام وأخذت بيدي ودعت الله فإذا جرة خضراء مملوءة عسلا أبيض فقالت كل فهذا والله لم تحوه بطون النحل ففرغت من ذلك وقمنا وتركناه. قيل عاشت ثمانين سنة توفيت سنة ثمانين ومئة . (راجع سير أعلام النبلاء ج: ٨ ص: ٢٤١/٢٤٣)

فأما الذى هو حب الهوى ⁖ فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له ⁖ فكشفك لى الحجب حتى أراكا
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ⁖ ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا[1]

ومما أثر عنها أيضا قولها:

كلهم يعبدونك خوف نارك ⁖ ويرون النجاة حظا جليلا
أو لأن يسكنوا قصورا عاليات ⁖ ويشربوا منها عذبا سلسبيلا
أنا ليس لى فى الجنان حظ ⁖ أنا لا أبتغى بحبى بديلا[2]

وقد سجل الإمام الغزالى[3] ذلك وأكثر من ذكره فى كتابه: إحياء علوم الدين، فليرجع إليه من شاء؛ لأن صوم القلب والعقل والوجدان عن كل ما سوى الله يجعل العبد خالصا لوجه مولاه، لا يتحرك ولا يسكن ولا يفكر إلا فيما يرضيه جل علاه، وذلك مقام

---

(١) الشيخ محمد على العبكى – رابعة العدوية ص٧٣ – ط الأولى – المطبعة التجارية ١٩٢١م.

(٢) الأستاذ نور الدين محمد توفيق – من معالم الشعر الصوفى ص٢٥ طبعة دار الهدى ١٣٦٨هـ.

(٣) هو الإمام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسي النيسابورى الفقيه الصوفى الأشعرى ولد عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م وقد امتد عمره حتى عام ٥٠٥هـ وله من الألقاب الكثير منها [حجة الإسلام. زين الدين. الغزالى. الفقيه الشافعى. وحيد عصره. شيخ الإسلام. شيخ العارفين. عالم العلماء. وارث الأنبياء. حسنة الدهور والأعوام. تاج المجتهدين. سراج المتهجدين. سيد المحققين. مقتدى الأئمة. مبين الحل والحرمة. زين الملة والدين] وكنيته الإمام أبو حامد الغزالى. وهناك العديد من الكنى التى لم تشتهر اشتهار الأولى وهى : [ابو عكاز. أبو مغزل] وفى مسقط رأسه روايات منها : [الأولى : أنه ولد فى مدينة طوس إحدى أعمال خراسان. بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ ولهذا نسبه – والثانية : أنه ولد فى قرية غزالة التابعة لمدينة طوس ولهذا نسبه وكنيته] راجع كتابنا حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد جـ١ ص١٥/٢٣ ط١ عام ١٤١٩هـ/١٩٩٨م – طبعة آل بسيوني . (كشف الظنون لحاجى خليفة جـ١ ص٢٣، ٢٦. معجم البلدان جـ٦/٧١) .

من المقامات العالية، ففي الحديث القدسي؛ يقول رب العزة : «عبدني أطعني تكن عبدا ربانيا تقول للشيء كن فيكون»، ومقام العبودية لله، كن أعلى المقامات وسناها .

على كل فإن الباب الشيرازي قد حاول هدم فريضة الصيام في الإسلام، واستبدالها بصيام من عنده يقوم على ما يلي:-

أ- ماهية الصيام عنده

يقرر الباب أن الصيام هو إمساك مجرد من الزوال إلى الزوال، من مشرق الشمس إلى مغربها تسعة عشر يوما، تصنعون كل شيء فيه إلا الطعام والشراب[1]، وهذا الإمساك المجرد لا يعطي سوى مفهوم عام، لكنه لا يقدم صورة متميزة للصيام على ناحية مقبولة؛ لأن الإمساك نوع من الحبس فقط، سوء أكان حبسا للفم عن الطعام والشراب، أم كان حبسا للسان عن الغيبة والنميمة، أم كان حبسا للفرج عن ممارسة شهواته، ولكن الباب ذكر مجرد الإمساك حتى يفسح الفرصة لأتباعه في ممارسة ما يشاءون، طالما استخدم أي منهم صورة من صور الإمساك

غير أن الناظر لتعريف الصيام عند الباب الشيرازي يدرك من أول وهلة غايته من هذا الصيام، إنه يحاول تفريغ الأركان الإسلامية الثابتة من مفاهيمها، بتقديم ما يظنه بدائل لها، وقد أمعن في الإسراف حين التعريف بها، وهو في نفس الوقت يمكن لأتباعه في ممارسة الغيبة والنميمة، ولا مانع من ممارسة العلاقات الجسدية؛ لأنه قيدهم بعدم تناول الطعام والشراب فقط، ومن مطلع الشمس لا من قبيل مطلع الفجر، وبالتالي أستطيع التأكيد على أن الباب كان عميلا لقوى أجنبية كافرة، غايتها النيل من الإسلام والمسلمين معا، وأنه كان يعمل على تفريغ الأركان الإسلامية العملية من طبيعتها إلى جانب نظري .

ب- شهر الصيام ومدته

أخبرنا القرآن الكريم أن الله تعالى فرض علينا نحن المسلمين الصيام شهرا كاملا، مبتدأ من مطلعه ومنتهيا بنهايته . قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم

---

(١) الشيخ رسلان محمد عبدالكامل- الباب ونحلته ص١٣٧ .

مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾[1].

وفيه تحديدا لعدد أيامه؛ لأنه شهر قمري، لا يخضع للأيام الثابتة كالشهور الميلادية، وإنما هو مرتبط بمطالع القمر. ففي الحديث الشريف ما يدل على أن رؤية الهلال هي الفيصل في المسألة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال النبي صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين »[2].

ونفس الحال مع نهاية الشهر الكريم، فإذا ظهر الهلال بأول شوال، فقد وجب الفطر، سواء أكانت المدة التي صامها المسلم ثمانية وعشرين أم تسعة وعشرين يوما، أما إذا لم يظهر الهلال: فإن الشأن هو الإتمام لعدة الشهر ثلاثين يوما قياسا على ما جاء به الحديث الشريف من تحديد لنهاية شهر رمضان.

---

(١) سورة البقرة – الآيات ١٨٣/١٨٥ .

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٦٧٤ – بـاب قـول النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا الحديث رقم: ١٨١٠ وأخرجه الإمـام مسلم صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٧٦٢ – باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ...الحديث رقم: ١٠٨١ وروى البخارى أيضا في الحديث رقم: ١٨٠٧ من نفس الباب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فاقدروا له. وذكر في الحديث رقم: ١٨٠٨ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين.

غير أن الباب شرع لأتباعه صيام شهر العلاء أخر الشهور الفارسية في المجوسية، وهو في شهر الربيع، حيث يقول لهم: لكم في كل حول صيام شهر العلاء، ولتصومون من الطلوع إلى الغروب، وعظموا هذا الشهر، كما عظمه الآباء والأجداد من قبل(١).

وهو بهذا يزيف لهم عبادة ما أنزل الله بها أبدا، ويزيح عنهم عبادة شرعها رب العالمين لكل المسلمين، وما فعل ذلك الباب أو فترى تلك الفرية إلا لإشباع فراغ داخلي ارتد به إلى مجوسية كافرة، وعصبية فارسية بغيضة. أما مدة هذا الشهر البابي فهي تسعة عشر يوما.

يقول الدكتور حسن محرم: «الباب وإن جعل زمن الصوم شهرا، إلا أن هذا الشهر في تقويمة الجديد تسعة عشر يوما، والسنة عنده تسعة عشر شهرا، يبدأ شهر الصوم حسب ذلك التقويم الفارسي المجوسي قبل أن تنتقل الشمس من برج الحوت إلى برج الحمل بتسعة عشر يوما، حتى يكون يوم عيد الفطر عندهم هو نفسه يوم عيد النيروز الفارسي، وهو أول برج الحمل(٢).

ولا شك أن رقم تسعة عشر قد نال منهم عناية كبيرة، فهم نحلة في الأصل كان عددها تسعة عشر، ثمانية عشر هم الأتباع الرؤساء، ثم الزعيم الباب وهو التاسع عشر، وبالتالي صار هذا الرقم ١٩ كأنه ختم لهم لا يعتمدون شيئا ولا يعتقدونه إلا إذا كان فيه هذا الرقم على سبيل الشمول أو التبع، فصلاتهم تقوم عليه، وصيامهم أيضا يقوم عليه، مع أنه مجوسي الأصل وثني المنشأ، فدل الأمر على أن هذه النحلة قد حاولت الهروب إلى الماضي الوثني بغية إحيائه من جديد، وتقديمه على أنه الحاضر الذي لا بديل يغني عنه، وهم في كل ما فعلوا كافرون بالله رب العالمين، وبما أنزل على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ الصادق الوعد الأمين.

---

(١) الشيخ رسلان محمد عبدالكامل – الباب ونحلته ص١٤٥.

(٢) الدكتور حسن محرم السيد الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٥١.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ فيما يرويه عن رب العزة أنه جل شأنه قال: « إذا أحب عبدي لقائي أحببت لقاءه، وإذا كره لقائي كرهت لقاءه »[1] . وعن عبادة بن الصامت أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاء »[2]، ولما كان الباب وأتباعه ممن يكرهون لقاء الله، فإن الله تعالى يكره لقاءهم، ومن كره الله لقاءه فالنار مثواه.

جـ على من يكون الصيام عندهم

ذهب الباب إلى أن هذا الصيام الذي ذكره واجب على الذكور والإناث متى بلغ الواحد منهم أحد عشر عاما، حيث يقول لهم: « لتصومون عندنا يبلغ الواحد منكم إحدى عشرة سنة، المرء والمرأة من حين ما ينعقد نطفته أن يريدون، فإذا لم يريدون فهم ليسوا مكلفين[3].

ت **ومعنى هذا**: أنه لا يجعل الصوم عليهم في هذه السن وجوبيا، وإنما يتركه لاختيارهم، فإن أرادوا الصوم فعلوا، وإن لم يريدوا فهم في حل من ذلك، ولست أدري ماذا يفعل إذا لم يريدوا الصيام على الدوام هل تقضي بالنسبة لهم تلك الفريضة الموهومة، أم يقدمون عنها كفارة ضمن المفروضات البديلة على ما يزعم، أم لا هذه ولا تلك كما هي عادة أهل الانحراف في سلوكياتهم الشاذة وفكرهم الخربة ، وإنما هم متروكون لاجتهاداتهم الشخصية، واتجاهاتهم العادية ؟ !

والجواب: أن الباب جعل الصوم اختياريا، فمن صام فلا شيء عليه، ومن لم يصم فإن عليه أن يقدم عن المدة الإجمالية – التسعة عشر يوما – تسعة عشر مثقالا من الذهب، تعطى للباب مباشرة، أو لمن يظهره الله، أو النائب الذي يعنيه الباب للقيام بتحصيل هذه المفروضات

---

(١) العلامة عبدالرؤف المناوي – الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية ص١٥ – طبعة دار المعرفة بيروت.

(٢) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٠٦٥ – باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه: ٢٦٨٣ .

(٣) الشيرزاى – البيان – اللوح الثامن – الباب الثامن عشر نقلا عن الباب ونحلته ص١٤٦ .

البديلة[1] . أما إذا صام بعضها ولم يصم البعض الآخر، فإن الباب لا يجد طريقة يحصل بها المفروضات البديلة في هذه الحالة، هذا بالنسبة للذكورة .

أما الإناث فإنه يتعاطف معهن إلى حد كبير، حيث تذهب إلى أن المرأة إذا لم تصم المدة الإجمالية؛ فإن عليها نصف المفروضات البديلة فقط بالنسبة للرجال؛ لأن لها أعذارا، وهي في نفس الوقت موطن الراحة والهدوء النفسي، فكان النصف المحذوف منها في المفروضات البديلة في مقابل الاستمتاع غير المؤقت بما بين فخذيها[2]، واستعمالها في كل ما يراد منها[3]، وهذا مما يعبر عن طوية هؤلاء التي امتلأت بالفسق والفجور من كل ناحية، حتى كادت الجنبات من أفعالهم الشيطانية أن تتمزق.

ب- المعفون من الصيام عندهم

يكلف الباب كل من زاد سنه عن الأربعين بعامين أن لا يمارس الصيام أبدا وهو تكليف إجباري، بل يعفى منه طيلة ما بقي له من عمر، يستوي في ذلك الرجال والنساء، حتى لو لم يكن الواحد منهم قد صام فيما بين سن أحد عشر واثنين وأربعين . يقول الباب : « وبعد ما يبلغ الواحد والواحدة منكم إلى اثنين وأربعين سنة يعفى من الصيام؛ لأنه قد انقضى في حقه ولم يعد مكلفا به[4]، بل إنه إذا صام؛ فإنما يعاقب نفسه بنفسه، وأنا الله مظهره أقول: لا صوم لمن

(١) الأستاذ محمد التهامي حليفة – البابية واستمرار الانحراف – ص٧١. ويلاحظ أن المفروضات البديلة هذه تشيع في البابية بشكل واسع. فكل عمل عندهم بديل مفروض يقابله على ناحية مادية، والغريب أن هذه البدائل لا تعرف مصارف بعينها، إنما توضع في يد القائم صاحب الزمان، أو من يظهره الله.

(٢) لعلك لاحظت مدى الانحلال الذي يسرف الباب ونحلته في الإعلان عنه والدعوة إليه، مما يجعلني أقرر أن هؤلاء الأفراد غلبت عليهم شهوتهم البدنية، فصاروا حيوانات مفترسة، لكنها تمشي على قدمين بدل الأربعة. ويتناولون طعامهم بأيديهم بدل الأظافر.

(٣) الشيخ رسلان محمد عبدالكامل – الباب ونحلته ص١٥١ .

(٤) ولست أدري لماذا وقف عند هذه السن بعينها ولم يجعلها ترجع للوراء قليلا هل كانت هي سن عشيقته قرة العين. وهو يريدها على الدوام وتطارحه الغرام فنسي الشاعر. وبالتالي فتح الباب لها حتى تكون في حل. أم أن هذه السن ارتبطت عنده بأمر آخر. لم يفصح عنه ذلك المجنون الذي انقاد إليه أشباه الآدميين وهم من فصائل الشياطين؟

فاق سنه الثانية والأربعين »[1]، وبالتالي؛ أسقط الباب الصيام والمفروضات البدنية عن كل من تجاوز الثانية والأربعين، لكن ما هو مستنده في ذلك الخيال والضلال؟!

❁ وفي تقديري: أن كل ما أتى به الباب غير معقول، وأصحاب العبث كثيرون. يقول الدكتور الجيوشي: « قد أباح الباب لأتباعه خمسة أيام قبل الصوم يقضونها في لهو ومجون، وانطلاق من كل قيد من الشهوات حتى التخمة، وأيم الحق أنه لأمر غريب عجيب، فإن المقبل على الصيام يحتاج إلى تهدئة النفس وإعدادها وتدريبها، حتى تنتفع بما في الصوم من سمو روحي، وصفاء نفسي، وتكتسب شفافية تفتح له طريق القرب من الله سبحانه وتعالى، والتعرض لرحمته، ولكن هؤلاء قوم قد طبع الله على قلوبهم، فصاروا كالذي يتخبطه الشيطان من المس، قال تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[2]، وما وقع عليهم ذلك إلا لأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله. قال تعالى: ﴿وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾[3] »[4].

وكيف لا يكون هؤلاء قد طبع الله على قلوبهم وزعيمهم مجنون، قد أدى به جنونه إلى الحكم بتحريم التدريس والتعلم، والتعليم بجميع العلوم والمعارف، وقراءة سائر الكتب إلا كتبه هو ومزخرفاته[5]، التي لا تعبر إلا عن انحلال أخلاقي، وتحلل ديني،

---

(١) الأستاذ نوار محمود الشريف – أثر الفكر الفارسي على البابية ص١٥٣ طبعة أولى – دار مراد بالديار العثمانية ١٣٠٨هـ.

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٧٥.

(٣) سورة الأعراف – من الآية ٣٠.

(٤) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٠٨.

(٥) السيد أمير محمد الكاظمي القزويني – البهائية في الميزان ٩٧.

وبالتالى؛ فإن ما أتى به فى الصيام كبديل عن الصوم الذى شرعه الله تعالى، لا تقره الفطر السليمة، ولا العقول المستقيمة، ولا الفطر النقية، وكل ما أتى به الباب ونحلته يعتبر غير مقبول على أية ناحية .

هـ- عيد الفطر

نحن المسلمين قد جعل الله لنا عيدين فى كل حول على سبيل الأصل، هما عيد الفطر. وعيد الأضحى، ففى الحديث الشريف: « قد استبدلكم الله بهما عيدين هما عيد الفطر وعيد الأضحى »، وكل منهما قد جاء عقب أداء ركن من أركان الإسلام، حيث إن عيد الفطر يأتى عقب أداء ركن هو صوم رمضان، وعيد الأضحى يعقب أداء ركن حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا، وهى أعياد فيها الخير والبركة، والأجر والثواب من رب العالمين، ومدة كل منهما هى يوم واحد، وإن كان فى الأضحى يزداد عن الواحد .

بيد أن الباب قد جعل لأتباعه عيد النيروز الفارسى يعقب صيامهم، وهو أول برج الحمل، وعدد أيام عيدهم تسعة عشر يوما[1]، ويطلق عليه الكاظمى يوم النورد، وجعله من أكبر أعياده، وسماه عيد الرضوان[2]، فكما جعل لهم صيامهم تسعة عشر يوما، فقد جعل أيام عيدهم نفس المدة على سبيل التساوى، ودفعهم فيه إلى ممارسة كافة الأفعال التى تسمح بها رغباتهم، دون تقيد بشيء، إذ كان يقول لهم: يوم عيدكم كأيام صيامكن تسعة عشر يوما تصومون، وتسعة عشر يوما تعيدون، افعلوا ما طاب لأنفسكم، فقد كافأتكم على صيامكم[3]، وفى العبارات من الأخطاء النحوية والإعرابية الكثير، مما يؤكد أن الكتاب الذى زعموه قد أنزل على الباب ما هو إلا محض افتراء .

---

(١) الدكتور حسن محرم الحوينى - البابية والبهائية والقاديانية ص٥٩ .

(٢) السيد أمير محمد الكاظمى القزوينى - البهائية فى الميزان ص٩٦ .

(٣) الأستاذ نوار محمود الشريف - أثر الفكر الفارسى على البابية ص١٥٧ .

ولاشك عندي في أن أي مفكر مهما كان مستواه العقلي فإنه متى نظر إلى ما يقرره الباب، ومن تبعه بالنسبة للصيام بالشكل الذي تحدث عنه، فإنه يدرك أن هؤلاء قد وقعوا في الأخطاء، واندفعوا فيها اندفاع السيل العرم على الأرض السبخ، وأنهم في كل ما تحدثوا إنما كانوا يعبرون عن ثقافة هشة ارتضعت ألبان الوثنية المجوسية، ثم غذاها فيما بعد الاستعمار الروسي والإنجليزي بأساطير وهمية، وخرافات طويلة عاشت في الفكر اليوناني والهندي والصيني قديما، حتى صارت هي المصدر الرئيسي الذي قامت عليه البابية، ومثل هذه الترهات لا يعتبر فكرا، وإن سميت به فما نصيبه من الحكم عليه إلا أنه منحرف إلى الضلال المبين.

رابعا: موقفهم من الحج

الحج لبيت الله الحرام عندنا نحن المسلمين ركن الإسلام الخامس، جاء به القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة، وبالتالي فمنكره والمتأول فيه على وجه يبطله كافر إجماعا. قال تعالى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾[1].

يقول الإمام الطبري – رحمه الله –: «يعني بذلك جل ثناؤه: أنه فرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام والحج إليه. واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل: ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾، وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج؟ فقال بعضهم: هي الزاد والراحلة»

وقد بشر الله الحجاج بأن لهم من الله تعالى مغفرة، ففي الحديث الشريف: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم «يقول من حج لله فلم يرفث ولم

(١) سورة آل عمران – من الآية ٩٧.

يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[1]، فصار كأنه لم يقع في ذنب أبدا، فكـ... المولود حين يولد لا يكون حاملا لأي خطأ؛ لأنه لم يذنب، فصار أمر الحاج الذي لم يرفث و... يفسق كحال هذا المولود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا قال جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال حج مبرور »[2]، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة على ورد به الحديث الشريف، وقد تمـ... أهل الإسلام وأفاضوا فيه شرحا وتعليقا.

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة »[3]، فإذا مات بعد أداء الفريضة ... قبلها الله تعالى منه؛ فإنه يبعث كأنه لم يقع في خطأ أبدا، كما يولد الصغير من رحم أمه طاهرا بريئا لم يقع في إثم أبدا، وهي بشرى ما بعدها إلا كل الخير من الله تعالى رب العالمين.

---

(١) صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم: ١٤٤٩. وأخرجه البخاري صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٦٤٥ – باب قول الله تعالى فلا رفث الحديث رقم: ١٧٢٣، ١٧٢٤ وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٨٣ – باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان الحديث رقم: ١٣٥٠ وأخرج الإمام الترمذى عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه » (سنن الترمذي ج: ٣ ص: ١٧٦/١٧٥ – باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة الحديث رقم: ٨١١)

(٢) صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم: ١٤٤٧ وروى أيضا عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت « يا رسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور » (صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٥٣ – باب فضل الحج المبرور الحديث رقم: ١٤٤٨)

(٣) صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٨٣ – باب لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان الحديث رقم: ١٣٥٠

أما الباب فقد طالب بإلغاء فريضة الحج في الشريعة الإسلامية، زاعماً أنه قد انتهى عصرها بمطالع القرن التاسع عشر، بدعوى أن الحج إلى بيت الله الحرام قد نسخ، وأن الحج يجب أن يكون لبيته هو في شيراز لا إلى بيت الله تعالى في مكة، ومن ثم؛ فإني ألمح إلى الخطوات التي سلكتها مع هذا الباب في بيان موقفه من الحج، وسيكون ذلك على النحو التالي:-

أ- ماهية الحج عنده

ذهب الباب ومن تابعه إلى أن الحج هو: زيارة بيتي من أظهره الله في خضوع تام وسجود فيه القبول الأكيد، وتسبيح باسمي إلى الأبد في كل وقت صعوداً ونزولاً[١]، وذلك على سبيل الوجوب فريضة قائمة لا تنقطع[٢]، لكن هل لهذا الحج البابي الأسطوري مواعيد محددة، أو كيفية بعينها، ذلك ما لا يجده الدارس لأفكار نحلتهم، إلا في صعوبة بالغة، وفوق ذلك فهي مجرد إشارات تحمل في أحشائها الغموض من كل ناحية.

ب- مكان الحج ومواقيته:-

يصرح الباب الشيرازي بأن مكان الحج هو بيته في شيراز، حيث مسقط رأس الباب، ويعتبر البيت الذي ولد فيه هو الكعبة التي يجب أن تكون في مستقر أفئدة البابيين عموماً، يقول الدكتور حسن محرم: « لقد استبدل الباب بفريضة الحج إلى بيت الله الحرام حجاً آخر إلى بيته هو، وفي مسقط رأسه شيراز، وجعله كعبة البابية الجديدة، كما أعطى نفس الاعتبار لمسجده بشيراز، ويكون حينئذ قد استبدل بمكة المكرمة تلك المدينة التي كانت منبتاً للشر وموطناً للشيطان »[٣] بيت الباب في شيراز الذي ولد به، وعاش فيه بعد وفاة أبيه، ثم عاد إليه مرغماً بعد أن أجبره الوالي على الإقامة به، وتهدمت جدرانه وتساقطت أجزاؤه، وهبطت أسقفه، وبنته أيدي القوم الذين انبعثت من بعضهم روائح المجوسية

---

(١) الشيخ رسلان محمد عبدالكامل - الباب ونحلته ص١٥٧ .

(٢) الأستاذ محمد التهامي خليفة - البابية واستمرار الانحراف ص٦١ .

(٣) الدكتور حسن محرم الحويني - البابية والبهائية والقاديانية ص٥٠ .

العفنة، واليهودية المحرفة، والمسيحية الطافحة بكل مظاهر الوضع والتحريف، ثم يقارن ذلك ببيت الله الحرام الذى بنته الملائكة وجدد أسسه وأعلى قواعده أنبياء الله ورسله، من سيدنا آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد النبى الخاتم ﷺ.

بل ويزعم أن بيته هو البديل لبيت الله الحرام، أليس ذلك من دلائل التخريف التى عاشها الباب ومن تبعه، وكأنه يحاول صرف الناس عن بيت الله الحرام بمكة المكرمة. قال تعالى: ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون﴾[1].

ذهب أهل العلم بالتاريخ إلى أن الذين بنوا بيت الله الحرام هم أحد عشر على الترتيب: الملائكة، ثم آدم عليه السلام، فابنه شيث، ثم إبراهيم الخليل حين كان يساعده ولده إسماعيل عليهما السلام، ثم العمالقة، فقبيلة جرهم، ثم قصى بن كلاب، فقريش، ثم عبد الله بن الزبير، وبعده الحجاج بن يوسف الثقفى، وأخيرا السلطان مراد[2]، وذلك كله غير الزيادات التى قامت بها المملكة العربية السعودية، اعتبارا من الملك عبد العزيز بن سعود حتى زمننا هذا، مرورا بالملك سعود، ثم الملك فيصل، ثم الملك خالد، وأخيرا الملك فهد وولى عهده الأمير عبد الله.

وليس معنى هذا أنهم جميعا قاموا ببناء البيت الحرام بالتعاون؛ لأنهم لم يكونوا جميعا فى زمن واحد، كما أنه ليس معناه أنهم كلهم قام ببنائه، وإنما هناك من أنشأها أولا، هم الملائكة بأمر الله تعالى. قال تعالى ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا

---

(١) سورة إبراهيم – الآية ٣٧.

(٢) الدكتور محمد بن علوى بن عباس المالكى الحسنى – فى رحاب البيت الحرام ص١٣ – ط الثالثة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م – دار القبلة للثقافة الإسلامية. وراجع تاريخ الأزرقى والفاسى، والقطبى وابن ظهيره. فكلهم تحدثوا عن هذه النقطة وأفاضوا فيها.

وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾[1] .

وهناك من أعلى البناء، وحافظ على القواعد، وضبط الأركان، كالحال مع خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾[2] .

قال العلامة ابن كثير: « ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾ الآية: القواعد أساسه، واحدها قاعدة، والقواعد من النساء واحدتها قاعدة، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ألم تري أن قومك حين بنوا البيت اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؟" فقلت: يا رسول الله ألا تردها على قواعد إبراهيم ؟ قال: "لولا حدثان قومك بالكفر"، فقال عبد الله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتم على قواعد إبراهيم عليه السلام.

وروى مسلم أيضا من حديث نافع عن عائشة [عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية - أو قال بكفر - لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها الحجر[3]][4]، وقد نقل معهم الحجارة وله من العمر خمس وثلاثون سنة صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين.

---

(١) سورة آل عمران - الآيتان ٩٦/٩٧ .

(٢) سورة البقرة - الآيتان ١٢٧/١٢٨ .

(٣) ذكر بناء قريش الكعبة بعد إبراهيم الخليل عليه السلام وقبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين . (تفسير القرآن العظيم - ج١ ص١٦٩).

(٤) الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٦٩ - الحديث رقم: ١٣٣٣ .

قال محمد بن إسحاق: ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة، اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهابون هدمها، وإنما كانت رضما[١] فوق القامة، فأرادوا رفعها وتسقيفها، وذلك بعد أن سرق نفر كنز الكعبة. وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها، وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة فتشرف على جدار الكعبة وكانت مما يهابون، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت[٢]، وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها، فبينا هي يوما تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله إليها طائرا فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا، عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية، فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنيانها قام ابن وهب[٣] بن عمرو بن عائذ فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا؛ لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس[٤].

---

(١) رضم : فيه أنه لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) أتى رضمة جبل فعلا أعلاها حجرا. الرضمة واحدة الرضم والرضام. وهي دون الهضاب. وقيل صخور بعضها على بعض. ومنه حديث أنس في المرتد نصرانيا (فألقوه بين حجرين ورضموا عليه الحجارة) . ومنه حديث أبي الطفيل (لما أرادت قريش بناء البيت بالخشب وكان البناء الأول رضما) . ومنه الحديث (حتى ركز الراية في رضم من حجارة) . [راجع غريب الحديث والأثر لابن الأثير – المجلد الثاني – حرف الراء – باب الراء مع الضاد]

(٢) إحزألت: ارتفعت واستعدت للوثوب عليه تريد إيذاءه كأنها حارس من عند الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [سورة المدثر – من الآية ٣١].

(٣) خال والد النبي، وكان شريفا في قومه ممدوحا بسيرته فيهم.

(٤) لأن الله طيب فلا يقبل إلا الطيب، ففي الحديث الشريف: عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك » (الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٧٠٣ – الحديث رقم: ١٠١٥] والمال الذى فيه خبث لا يقبله الله.

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة من حيث الهدم فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم، وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم، وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ولبني عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم، ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبدؤكم في هدمها، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول: اللهم لم ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين.

ثم راح إلى بيته فنام حتى الصباح، فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا، فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله. فهدم، وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم بهم إلا الأساس - أساس إبراهيم عليه السلام - حيث أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنة آخذ بعضها بعضا قال: فحدثني بعض من يروي الحديث: أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أيضا أحدهما فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس[1]، لأنه الذى وضعته الملائكة بأمر الله، فلم يصيب بشيء ولن ، وذلك من أفضاله جل شأنه

ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها، كل قبيلة تجمع على حدة، ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن يعني (الحجر الأسود) فاختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنوا عدي ابن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا "لعقة الدم[2]" فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا، ثم إنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصفوا .

---

(١) ذلك ما كان من أمر العرب الأقدمين فى هدم الكعبة حتى يصلحوا البناء من جديد.

(٢) راجع أخلاق العرب قبل الإسلام. وراجع كتابنا حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث حيث ألمحت إلى ذلك هناك.

وزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة – وكان عامئذ أسن قريش كلهم[1] – قال: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد، يقضي بينكم فيه ففعلوا، فكان أول داخل عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا: هذا الأمين رضينا . . . هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم: "هلم[2] إلي بثوب، فأتي به، فأخذ الركن – يعني الحجر الأسود – فوضعه فيه بيده ثم قال: "لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه، وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم، ثم بنى عليه، وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي (الأمين) .

وكانت الكعبة فى بنائها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشر ذراعا. وكان تكسى القباطي، ثم كسيت بعد البرود، وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف، ولم تزل على بناء قريش حتى احترقت في أول إمارة عبد الله بن الزبير بعد سنة ستين وفي آخر ولاية يزيد بن معاوية لما حاصروا ابن الزبير، فحينئذ نقضها (ابن الزبير) إلى الأرض وبناها على قواعد إبراهيم عليه السلام، وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابا شرقيا وبابا غربيا ملصقين بالأرض كما سمع ذلك من خالته عائشة أم المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تزل كذلك مدة إمارته حتى قتله الحجاج، فردها إلى ما كانت عليه بأمر عبد الملك بن مروان له بذلك»[3] .

وهناك من أعاد بناء بعض أجزاء البيت الحرام، كالحال مع عبد الله بن الزبير والحجاج بن يوسف الثقفى، وهناك من وسع فى المسجد الحرام، كالحال مع الملك عبد العزيز آل سعود، والتوسعة الأخيرة حتى يومنا التى تمت فى عهد خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز، جعلهم

(١) يعنى كان أكبرهم سنا. وأكثرهم أمرا ومثله يكون له رأى مطاع.

(٢) هلم اسم فعل أمر بمعنى هاتوا إلى أو اجمعوا لى أو احضروا لى. والمعنى فيها جميعا واحد.

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ ص١٦٩/١٧٩ .

الله من أهل الخير، ويسره لهم، وأجراه على أيديهم، فهم إلى الآن يتسابقون في توفير الخدمة لبيت الله الحرام وزواره حجاجا ومعتمرين[1]، جزى الله الجميع خيرا .

ثم إن الحج لبيت الله الحرام بمكة المكرمة يمثل رحلة روحانية مقدسة، فيها تتويج لأعمال المسلم الدينية، وترويح عنه هموم نفسه الداخليه، وترويح عن جوانحه المكبوته، ولذا فإنه ما من حاج أو معتمر ذهب إليه ابتغاء مرضاة الله، إلا عاد هادئ النفس، مطمئن القلب، وضيء الوجه ميسر الأعمال مأجورها .

لكن الباب ومن معه خرجوا عن ذلك كله إلى مثل ما صنع في الماضي إبرهة الحبشي، حينما فكر أن يصرف الناس قبل الإسلام عن الحج لبيت الله الحرام إلى كنيسة القليس التي كان قد بناها في اليمن لذلك الغرض، ورغم أن المسألة كانت متعلقة باعتبارات العرب قبل الإسلام، إلا أن الله تعالى حافظ على بيته في الأرض، وجعل إبرهة ومن معه عبرة لمن يعتبر، وجاء ذكر ما وقع لهم في آيات قرآنية تتلى إلى يوم الدين .

قال تعالى: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل * ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول﴾[2] .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : « ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ أي جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب، فرمت به من أسفل . حيث شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزائه .

---

(١) راجع في رحاب البيت الحرام من ص٣٤/٧، ١١٥/٨٧ .

(٢) سورة الفيل بتمامها . وقد وقعت حادثة الفيل في العام الذي ولد فيه سيدنا محمد ﷺ وهو عام ٥٧١م. بل إن البعض عد ما وقع لأصحاب الفيل من الإرهاصات التي تؤسس لنبوة سيدنا محمد ﷺ. (راجع للشيخ محمد محمود البليدي : السيرة النبوية ص١٩٧ - المطبعة التجارية)

ومما يدل على أنه ورق الزرع قول علقمة:

تسقي مذانب قد مالت عصيفتها ∴ حدورها[1] من أتي الماء مطموم

وقال رؤبة بن العجاج:

ومسهم ما مس أصحاب الفيل ∴ ترميهم حجارة من سجيل
ولعبت طير بهم أبابيل ∴ فصيروا مثل كعصف[2] مأكول

وقال ابن عباس: "فجعلهم كعصف مأكول" أن المراد به قشر البر؛ يعني الغلاف الذي تكون فيه حبة القمح. ويروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما في جوفه، فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه الحبة. وقال ابن مسعود: لما رمت الطير بالحجارة، بعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة، فكانت لا تقع على أحد إلا هلك، ولم يسلم منهم على سبيل النجاة إلا رجل من كندة؛ فقال:

فإنك لو رأيت ولم تريه ∴ لدى جنب المغمس ما لقينا
خشيت الله إذ قد بث طيرا ∴ وظل سحابة مرت علينا
وباتت كلها تدعو بحق ∴ كأن لها على الحبشان دينا[3]

ويروى أنها لم تصبهم كلهم، لكنها أصابت من شاء الله منهم. وأن أميرهم رجع وشرذمة لطيفة معه، فلما أخبروا بما رأوا هلكوا، فلما رد الله أبرهة الحبشي ورجاله

(١) الحدور الماء المنصب في انحداره. والأحدور المكان الذي ينحدر منه الشيء، كما أن الحدر هو النشر الغليظ من الأرض. (المنجد في اللغة والأعلام - باب الحاء).

(٢) العصف: جمع، واحدته عصفة وعصافة، وعصيفة. وأدخل الكاف في "كعصف" للتشبيه مع مثل. نحو قوله تعالى: "ليس كمثله شيء" [الشورى: ١١]. ومعنى "مأكول" حبه. كما يقال: فلان حسن؛ أي حسن وجهه.

(٣) فهو بهذا يعترف بأنهم عجزوا وهم جيش جرار عن ملاقاة طير صغير جعله الله تعالى من جنده. فانهزم الجيش الجرار من الطير الدرار. وذلك من أفضال الله تعالى القائل: قال تعالى: ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴾ [سورة المدثر - من الآية ٣١].

مهزومين عن مكة، عظمت العرب قريشاً وقالوا: أهل الله، قاتل عنهم، وكفاهم مؤونة عدوهم، فكان ذلك نعمة من الله عليهم »[1].

يقول الباب: أنتم يا عبادي إلى بيتي تصعدون، ذلك بيت من يظهره الله، ذلك بيتي فاشتروا ما في حوله على قدر ما أنتم تستطيعون أن تدفعوا ما في حول البيت والمسجد لله فلا تبيعوا[2] فهو يطلب إليهم الحج إلى بيته في شيراز، ولا يرى مكاناً أخر يصلح بديلاً له، وهو بهذا يكشف عن عصبيته الفارسية، ونزعته الشعوبية، كما يعبر عن نوازع الحقد التي امتلأ بها قلبه، والأنانية التي شاعت في صدره، ولا يصح مثل ذلك العمل أو الاعتقاد أبداً.

جـ - على من يجب الحج عنده؟

أوجب الباب على أتباعه الحج إلى بيته في شيراز، وجعله واجباً على الجميع ذكوراً وإناثاً، رجالاً ونساء، ثم أكد على وجوبه دائماً على النساء في شيراز، أما غيرهن من ساكنات المدن والبلاد الأخرى؛ فإن لهن الاستثناء، بمعنى أنه فريضة ساقطة على النساء من غير شيراز. يقول الباب: « قد وجب عليكم الحج إلى بيتي رجالاً ونساء تحجون إلى بيتي هو المسجد الحرام بشيراز، الذي يولد به من يظهره الله عليه ذلك ما ولدت عليه »[2].

وهذا الوجوب الذي فرضه الباب أمره غريب؛ لأنه لم يحدد للحج ميقاتاً، كما لم ينجح في تقديم صورة واضحة لما سوف يفعله ذلك الذي يوقعه حظه العاثر في اعتناق الفكر البابي على أية ناحية. بل لا أغالي إذا قلت: إن الباب قد أسرف بشكل واضح في تفاصيل ما يعرضه من أفكار كلها غير مقبولة، ولكنه كلما أسرف في العرض ازداد وقوعاً في الخطأ، وهو من طبيعة النفوس المهزومة من داخلها، التي يجافيها الحق من كل جانب، فما أن يحاول أصحابه النجاة مما وقعوا فيه إلا سقطوا في حفرة أكثر عمقاً مما سبق.

---

(١) العلامة القرطبي - الجامع لأحكام القرآن - ج٢٠ ص١٩٩.

(٢) الباب الشيرازي - البيان - الباب السادس عشر نقلا عن البابية واستمرار الانحراف ص٧٣.

(٣) الأستاذ طاهر محمد الطاهر - شرائع الشيطان ص١٣١ - طبعة أولى ١٩٣٧م.

ظن الباب أنه نجح فى تقديم صورة يمكنه من خلالها أن يداعب خيالات الحالمين والغافلين معا، فراح يصور الأعمال التى يجب عليهم القيام بها، طالما كانوا قد تلبسوا بفريضة الحج البابى، ومن هذه الأعمال: الصلاة، والقعود، والتسبيح، ثم العروج إلى بيته المرة تلو الأخرى.

يقول الباب: «"أنتم هنالك لتصلوا وتسبحوا، لا تعرجوا إلى بيتى ولا المقاعد إلاَّ وأنتم تملكون ما فى السبيل، ولا تحزنوا، ومن يقدر أن يدخل علىّ أو على البيت فلا يعفى عنه »[1]، مع تقديمه النذور التى تفرض من داخل نفسه ومثاقيل من الذهب لحراس البيت وخدامه، ثم السجود والخضوع لمن يظهره الله، مع دفع أربعة مثاقيل ذهب كرسم، دخول لهذا البيت حتى يصرف منها على القائمين بعنايته، والمعنيين بحراسته.

ثم يقول: ملابسكم لا تغيرون، ونساءكم لا تتركون، وحلائلكم عليكم لا يمتنعون[2]، بل ولا عليكم حلائل غيركم يحتبنون؛ لأن هذه المشاركة لكم هبة منى حيث تكونون، مادمتم إلى بيتى الحرام تذهبون[3]، وهذه السخافات والانحلالات النكراء -التى بذل الباب جهده فى تركيبها- إنما تعبر بصدق عن ضآلة المستوى الفكرى الذى عاش فيه، بجانب ضحالة التوجه العقلى، وهبوط المنتج النفسى إلى أدنى مستوى، وفوق ذلك فهى تخالف شرع الله تعالى على كل ناحية.

---

(١) راجع الباب ونحلته ص١٦١ . وشرائع الشيطان ص١٣٢ . أثر الفكر الفارسى على البابية ص١٦٢ .

(٢) الصواب لا يمنعن لأن النساء جمع غير مذكر هو بهذا يعترف بأن أعمال الحج عنده كالرحلات الترفيهية التى لا قداسة لها، ولا احترام فيها. وإنما هى فترة لينطلق المرء على رغباته وشهواته. فى عقل ذلك الذى سمح لنفسه قبول هذه التصرفات الساذجة والسلوكيات المنحرفة؟ لاشك أنه عقل الباب المريض. ومن يتعامل معه مقتنعا بما ذهب إليه فهو مثله.

(٣) الشيخ رسلان محمد عبدالكامل - الباب ونحلته ص٩٦٢.

الباب يسقط الحج عن نساء الأرض كلهن عدا نساء شيراز، كما يسقطه عن من لم يرغب فيه، لكن من يسقط عنه الحج فإنه في هذه الحال عليه أن يقدم المفروضات البديلة، حيث يدفع إلى حراس البيت الذي ولد فيه الباب أربعة مثاقيل من الذهب كفارة له أو بديلا عن عدم حجه، يقول الباب: « إن وقفتم على ما أنتم تحجون من حج بيتي فلتؤتين مظاهر الواحد سرائرهم أربعة مثاقيل من الذهب أن هم على منتهى الحب بكم يسلكون »[1] .

فالباب ومن تابعه يسقطون فريضة الحج عن قطاع كبير من النساء، ويجعلونه اختياريا للرجال، ثم يقيمون حوله المفروضات الذهبية البديلة، حيث يسقط الباب فريضة الحج عنده عن كل من يدفع لخدمة الباب جزء من ماله الخاص[2]، وهم يفترضون البدائل الذهبية، حتى يكونوا على وفاق مع تعلقهم بالمال والحياة الدنيا، بجانب المظاهر التي يرون أنها كفيلة بالمحافظة على أفكارهم، كأن المال وحده عصب الحياة عندهم، ومن ثم؛ فلا أجد مانعا من القول بأن دعاة البابية تجار عواطف، قد تعلقوا بالحياة الدنيا، وحرصوا عليها بكل ما وسعهم، فهم من يهود الدنيا، ويصدق فيهم وأمثالهم قوله الله تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون﴾[3] .

يقول العلامة الحافظ ابن كثير - رحمه الله : «ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ أي على طول العمر لما يعلمون من مآلهم السيء وعاقبتهم عند الله الخاسرة، لأن الدنيا سجن

---

(١) الأستاذ طاهر محمد الطاهر - شرائع الشيطان ص١٣٣ .

(٢) الدكتور حسن محرم الحويني - البابية والبهائية والقاديانية ص٥٠/٥١ .

(٣) سورة البقرة - الآية ٩٦ .

المؤمن وجنة الكافر[1]، فهم يودون لو تأخروا عن مقام الآخرة بكل ما أمكنهم ولكن يحاذرون منه واقع بهم لا محالة.

واليهود أحرص من المشركين الذين لا كتاب لهم على الحياة الدنيا وطول العمر، وقال الحسن البصري: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ فالمنافق أحرص الناس، وأحرص من المشرك على حياة ﴿يود أحدهم﴾ أي يود أحد اليهود لو يعمر ألف سنة ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾ أي ولو أطال به العمر، وعاش ألف سنة ويزيد عليها، فلما ذلك بمنجيه من العذاب، ووجه التعليق فيهما هو أن المشرك لا يرجو بعثاً بعد الموت، فهو يحب طول الحياة، وأن اليهودي قد عرف ما له في الآخرة من الخزي بما ضيع ما عنده من العلم فما ذاك بمغيثه من العذاب ولا منجيه منه ﴿والله بصير بما يعملون﴾ أي خبير بصير بما يعمل عباده من خير وشر وسيجازي كل عامل بعمله»[2].

وهكذا ينتهي الحديث عن موقف الباب من إبطال التكاليف الشرعية على النحو الذي سلف، ولكني أؤكد أن هذه الأفكار الشيطانية، التي حبلت بها البابية لم يلد إلا مسلاخاً لا قيمة له، ولا وزن، وفوق ذلك فإنها لم تقدم خدمة لأفرادها المعتنقين لها، بل قدمت لهم الإضرار من كل ناحية، وتحولت بهم من أفراد طبيعيين يعيشون حياة بين الآخرين فيها

---

(١) روى الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٢٧٢ – كتاب الزهد والرقائق– الحديث رقم: ٢٩٥٦ «عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وأخرجه الترمذى – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٥٦٢ – باب ما جاء أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر – الحديث: ٢٣٢٤. وأخرجه ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٣٧٨– الحديث رقم: ٤١١٣، وذكره العجلونى فى كشف الخفاء عن أبى هريرة عن رسول الله قال: «إن الدنيا الكافر وسجن المؤمن وإنما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان في سجن فأخرج منه فجعل يتقلب في الأرض ويتفسح فيها وأخرجه ابن أبي شيبة موقوفا ولفظه الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فإذا مات المؤمن تخلى سربه يسرح حيث شاء والسرب بفتح أوله الطريق» (كشف الخفاء ج: ١ ص: ٤٩٥ – الحديث رقم: ١٣١٨)

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ ص١٢٦.

نوع من الهدوء وإمكانية التعامل إلى أفراد غير أسوياء، تطاردهم اللعنات أينما حلوا، ويضيق بهم العقلاء متى التقوا .

ويعلق الدكتور حسن محرم على ذلك بقوله : « تبدوا فى هذا المسلك نزعة الباب الشعوبية وعصبيته الفارسية، والترجمة عما يعتمل فى صدره وصدور أسلافه الباطنية من حقد وكراهية للعرب والنبى ﷺ الذى بعث منهم، مع أن الإسلام قد قاوم شتى النزعات الشعوبية، وقضى على مختلف العصبيات لأى جنس أو عرق، وسوى بين جميع الشعوب على اختلاف أجناسهم وقومياتهم، وألوانهم فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١) .

يقول العلامة القرطبى : « قوله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى" يعني آدم وحواء . وقيل نزلت الآية في أبي هند حين أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا لرسول الله ﷺ: نزوج بناتنا موالينا ؟ فأنزل الله عز وجل: "إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا(٢)" الآية .

وقيل: إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس . وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له: ابن فلانة، فقال النبي ﷺ: [من الذاكر فلانة] ؟ قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: [أنظر في وجوه القوم] فنظر، فقال: [ما رأيت ؟ قال رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: [فإنك لا تفضلهم إلا بالتقوى] فنزلت في ثابت هذه الآية . ونزلت في الرجل الذي لم يتفسح له: ﴿"يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس"﴾(٣) .

---

(١) سورة الحجرات – الآية ١٣ .

(٢) العلامة البيهقى – سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ١٣٦ – باب لا يرد نكاح غير الكفؤ إذا رضيت به الزوجة ومن له الأمر معها وكان مسلم– الحديث رقم: ١٣٥٥٨ .

(٣) سورة المجادلة – الآية ١١ .

وعن ابن عباس رضي الله عنه: لما كان يوم فتح مكة أمر النبي ﷺ بلالا حتى علا على ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم. قال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا. وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئا يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. حيث زجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، فإن المدار على التقوى. أي الجميع من آدم وحواء، إنما الفضل بالتقوى(١).

وفي الترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ خطب بمكة فقال: (يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها. فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله، وفاجر شقي هين على الله. والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله تعالى: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير")(٢).

وقد خرج الطبري في كتاب (آداب النفوس) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إليه أتقاكم](٣). ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى وهو مشهور من شعره:

الناس من جهة التمثيل أكفاء	∴	أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة	∴	وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فإن يكن لهم من أصلهم حسب	∴	يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	∴	على الهدى لمن استهدى إدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه	∴	وللرجال على الأفعال سيماء
وضد كل امرئ ما كان يجهله	∴	والجاهلون لأهل العلم أعداء(٤)

(١) العلامة القرطبي – تفسير القرطبي – ج١٦ ص٣٤١.
(٢) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٣٨٩– الحديث رقم: ٣٢٧٠،
(٣) العلامة الطبرى – المعجم الكبير ج: ٣ ص: ٢٩٧ – الحديث رقم: ٣٤٥٦.
(٤) العلامة القرطبي – تفسير القرطبي – ج١٦ ص٣٤١.

وفي الحديث الشريف : عن أبي نضرة قال: « حدثني من سمع خطبة النبي ﷺ في وسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس إن ربكم واحد وأباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أسود على أحمر ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى اللهم هل بلغت قالوا بلغ رسول الله ﷺ ثم قال أي يوم هذا قالوا يوم حرام، ثم قال أي بلد هذا ؟ قالوا بلد حرام قال فإن الله عز وجل قد حرم بينكم دماءكم وأموالكم قال ولا أدري قال وأعراضكم أم لا[1] كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اللهم هل بلغت قالوا بلغ رسول الله ﷺ قال ليبلغ الشاهد منكم الغائب »[2] .

وعن أبي ذر أن النبي ﷺ قال له: « انظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى »[3] . لكن الباب الشيرازي وريث المجوس وسليل الباطنية قد جند نفسه كما جنده آخرون للثأر من الإسلام والمسلمين، ولطالما تشوق إلى هذا الثأر قومه من بني الفرس والمجوس، وها هو يمارس ذلك نيابة عنهم[4].

---

(١) هذا ليس شكا من الراوي في تبليغ رسول الله ﷺ قومه، ولكنه شك في سمع الراوي، حتى يتنزه مقام الرسول ﷺ وقوله عن وقوع الشك فيه، والفرق كبير.

(٢) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمي – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج: ٣ ص: ٢٦٦ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح

(٣) العلامة الهيثمي – مجمع الزوائد ج: ٨ ص: ٨٤ وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات . وروى أيضا الحافظ الهيثي بنفس عن أبي سعيد قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم واحد وأباكم واحد فلا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى ».(مجمع الزوائد ج: ٨ ص: ٨٤ وقال: رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه). وعن حبيب بن خراش العصفري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « المسلمون إخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى ». (مجمع الزوائد ج: ٨ ص: ٨٤ وقال: رواه الطبراني). وعن عائشة قالت : « ما أعجب النبي صلى الله عليه وسلم بشيء ولا أعجبه شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها ذو تقى » (مجمع الزوائد ج: ٨ ص: ٨٤ وقال: رواه أحمد). وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم فاللهم إلا أن تقولوا فلان بن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون. (رواه الطبراني في الصغير والأوسط)

(٤) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٥١ .



الفصل الثالث

زعمه
غناء التشريعات البابية
عن الشريعة الإسلامية

حرص الباب ومن معه على التركيز التام لفكرة نسخ وإلغاء الشريعة الإسلامية من النفوس، وطمس معالمها - إن تمكنوا - من القلوب والعقول والسلوكيات العملية، حتى إذا أرادوا النيل من أهل الإسلام كانت الأمور سهلة والقضايا المعروضة قابلة للأخذ والرد كما هي عادة أصحاب كل فكر منحرف، ولكن الله تعالى أملهم حتى إذا ازدادوا طغيانا أخذهم . قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾[1] .

قال القرطبي : « " فمهل الكافرين أي أخرهم ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم وارض بما يدبره في أمورهم ثم نسخت بآية السيف فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم[2]، والتقدير أمهلهم إمهالا قليلا والرويد في كلام العرب تصغير رود[3]، أي أمهلهم غير مستعجل لهم العذاب»[4] .

---

(١) سورة الطارق - الآية ١٧ .

(٢) تقول العرب: أمهليم تأكيد ومهل وأمهل بمعنى مثل نزل وأنزل وأمهله أنظره ومهله تمهيلا والأسم المهلة والإستمهال الإستنظار وتمهل في أمره أي أتأد وأتمهل إتمهلالا أي أعتدل وأنتصب والإتميلال أيضا سكون وفتور ويقال مهلا يافلان أي رفقا وسكونا رويدا أي قريبا .

(٣) قاله أبو عبيد وأنشد كأنها ثمل يمشي على رود أي على مهل وتفسير رويدا مهلا وتفسير رويدك أمهل لأن الكاف إنما تدخله إذا كان بمعنى أفعل دون غيره وإنما حركت الدال لألتقاء الساكنين فنصب نصب المصادر وهو مصغر مأمور به لأنه تصغير الترخيم من إرواد وهو مصدر أرود يرود وله أربعة أوجه أسم للفعل وصفة وحال ومصدر فالأسم نحو قولك رويد عمرا أي أرود عمرا بمعنى أمهله والصفة نحو قولك ساروا سيرا رويدا والحال نحو قولك سار القوم رويدا لما أتصل بالمعرفة صار حالا لها والمصدر نحو قولك رويد عمرو بالإضافة كقوله تعالى فضرب الرقاب قال جميعه الجوهري والذي في الآية من هذه الوجوه أن يكون نعتا للمصدر أي إمهالا رويدا ويجوز أن يكون للحال . (راجع تفسير القرطبي ١١٢/١).

(٤) العلامة القرطبي - تفسير القرطبي - ج١ ص١١٢.

وقد أكثر البابيون من محاولات التعرض للشريعة الإسلامية، سواء أكان ذلك التعرض فيما يتعلق بأحكام الأسرة من عقود ونكاح وطلاق وميراث، أم ما يتعلق بالقيم الفاضلة، التي تدعوا إليها الشريعة الإسلامية الغراء من المحافظة على الأعراض والأنساب والأموال، إلى غير ذلك مما يجيء على هذه الناحية، أم كان تعرضهم لبعض مظاهر الجمال التي أبانت عنها الشريعة الإسلامية، كلبس الحرير والتختم بالذهب، وغير ذلك مما أسرفوا في الحديث عنه، وحاولوا إيجاد البدائل له، ثم بان لهم أن كل ما أتوا به من بدائل لم يقدم جديدا، بل كانت النتائج السلبية هي المحصلة لكل ما زعموه.

وسوف أعرض لبعضها على النحو التالي:-

أولا : عقود النكاح والطلاق

علمنا الشرع الشريف كيف نوجه مشاعرنا ونضبط غرائزنا، حتى نقودها إلى ما فيه الصلاح لنا في الدنيا والآخرة، بدل أن تقودنا هي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة، ومن ثم جعل العلاقة التي تنمي هذا الجانب قائمة في عقدة النكاح، ورغب فيه. قال تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾[1].

قال ابن كثير: «إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف أن لا يعطيها مهر مثلها فليعدل إلى ما سواها، فإنهن كثير ولم يضيق الله عليه، واستشهد بما روى عن أم المؤمنين عائشة: أن رجلا كانت له يتيمة فنكحها وكان لها عذق[2]، وكان يمسكها عليه،

---

(١) سورة النساء – من الآية ٣.

(٢) العذق هو كل غصن له شقب وجمعه أعْذُق وعذوق. (المعجم الوجيز – باب العين ص٤١١).

ولم يكن لها من نفسه شيء فنزلت فيه ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا﴾ أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله(١)،

وذكر البخاري أيضا: عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى﴾ قالت: يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يُقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا إليهن، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن، قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: ﴿ويستفتونك في النساء﴾ قالت عائشة: وقول الله في الآية الأخرى: و﴿ترغبون أن تنكحوهن﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته إذا كانت قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا من رغبوا في مالها وجمالها من النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال(٢).

وقوله ﴿مثنى وثلاث ورباع﴾(٣) أي أنكحوا ما شئتم من النساء سواهن إن شاء أحدكم ثنتين، وإن شاء ثلاثا، وإن شاء أربعا، كما قال الله تعالى: ﴿جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾(٤)، أي منهم من له جناحان، ومنه من له ثلاثة، ومنهم

---

(١) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٦٦٨– باب وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى – الحديث رقم: ٤٢٩٧ . والمراد بـ[(عذق) هو النخلة. (يمسكها عليه) من أجله. (ولم يكن لها من نفسه شيء) أي لم يعاملها معاملة الأزواج، ولا يمتعها بنفسه كزوج. (أحسبه قال) أظن عروة قال، والظان هشام]. وفي الحديث رقم:(٤٢٩٨) .

(٢) صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٦٦٨– باب وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى – الحديث رقم: ٤٢٩٨.

(٣) سورة النساء – من الآية ٣ .

(٤) سورة فاطر — من الآية ١ .

من له أربعة، ولا ينفي ما عدا ذلك في الملائكة لدلالة الدليل عليه، بخلاف قصر الرجال على أربع فإن من هذه الآية

قال ابن عباس وجمهور العلماء، إن المقام هنا مقام امتنان وإباحة، فلو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لذكره الله عز وجل في ذات الآية، قال الشافعي: وقد دلت سنة رسول الله ﷺ المبينة عن الله أنه لا يجوز لأحد غير رسول الله ﷺ أن يجمع بين أكثر من أربع نسوة حرائر في وقت واحد، وهذا الذي قاله الشافعي مجمع عليه بين العلماء، إلا ما حكي عن طائفة من الشيعة أنه يجوز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع، وقال بعضهم: بلا حصر[1] وقد يتمسك بعضهم بفعل رسول الله ﷺ في جمعه بين أكثر من أربع إلى تسع كما ثبت في الصحيح، وهذا عند العلماء من خصائصه دون غيره من سائر الأمة لما سنذكره من الأحاديث الدالة على الحصر في أربع، ولنذكر جملة من الأحاديث في ذلك.

(١) قال الإمام أحمد عن سالم عن أبيه: أن (غيلان بن سلمة الثقفي) أسلم وتحته عشر نسوة، فقال له النبي ﷺ: "اختر منهن أربعا"، فلما كان في عهد عمر طلق نساءه، وقسم ماله بين بنيه، فبلغ ذلك عمر فقال: إني لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك فقذفه في نفسك، ولعلك لا تلبث إلا قليلا، وأيم الله لتراجعن نساءك ولترجعن مالك أو لأورثهن منك ولآمرن بقبرك فيرجم كما رجم قبر أبي رغال[2].

---

(١) وقوله الشيعة محجوج بالأدلة الكثيرة الصحيحة. فلا يرجح: لأن رأي الشيعة في المسألة قد اعتمد على شبه مظنونة. وهي لا تعارض الصحيح.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل - مسند أحمد ج: ٢ ص: ١٤- الحديث رقم: ٤٦٣١. والامام الترمذي - سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٣٥ - باب ما جاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة- الحديث: ١١٢٨ . وسنن الدارقطني ج: ٣ ص: ٢٦٩ الحديث : ٩٣. ورواية الترمذي والدار قطني إلى قوله: ؟اختر منهن أربعا ؟ والباقي من رواية أحمد .

فوجه الدلالة أنه لو كان يجوز الجمع بين أكثر من أربع لسوغ له رسول الله ﷺ سائرهن في بقاء العشرة وقد اسلمن، فلما أمره بإمساك أربع وفراق سائرهن، دل على أنه لا يجوز الجمع بين أكثر من أربع بحال، فإذا كان هذا في الدوام، ففي الاستئناف بطريق الأولى والأحرى، والله سبحانه أعلم بالصواب[1].

(٢) قال البيهقي عن نوفل بن معاوية الديلي قال: أسلمت وعندي خمس نسوة، فقال لي رسول الله ﷺ "اختر أربعا أيتهن شئت وفارق الأخرى"، فعمدت إلى أقدمهن صحبة، عجوز عاقر معي منذ ستين سنة فطلقتها[2].

وقوله: ﴿فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ أي إن خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن كما قال تعالى: ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾[3]، فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجواري السراري، فإنه لا يجب قسم بينهن، ولكن يستحب، فمن فعل فحسن ومن لا فلا حرج. وقوله: ﴿ذلك أدنى أن لا تعدلوا﴾ قال بعضهم: ذلك أدنى أن لا تكثر عيالكم قاله زيد بن اسلم والشافعي وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وإن خفتم عيلة﴾ أي فقراً ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ وقال الشاعر:

فما يدري الفقير متى غناه ∴ وما يدري الغني متى يعيل؟

وتقول العرب: عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر، ولكن في هذا التفسير ههنا نظر، فإنه كما يخشى كثرة العائلة من تعداد الحرائر كذلك يخشى من تعداد السراري أيضا،

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير ابن كثير – جـ١ ص ٤٥٠ .

(٢) الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ١٨٤ – الحديث رقم: ١٣٨٣٥

(٣) سورة النساء – من الآية ١٢٩ .

والصحيح قول الجمهور: ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أي لا تجوروا يقال: عال في الحكم إذا قسط وظلم وجار، وقال أبو طالب في قصيدته المشهورة:

بميزان قسط لا يخيس شعيرة ∴ له شاهد من نفسه غير عائل

عن عائشة عن النبي ﷺ ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ قال: "لا تجوروا"، روي مرفوعا والصحيح عن عائشة أنه موقوف، وروي عن ابن عباس وعائشة ومجاهد أنهم قالوا: لا تميلوا »[1].

ونظمت الشريعة الإسلامية الغراء تلك العلاقة تنظيما ثابتا، حتى اعتبرت العقد القائم بين الزوجين في النكاح هو الميثاق الغليظ في قوله تعالى: ﴿وأخذنا منهم ميثاقا غليظا﴾[2]، وبين جل شأنه أن الزواج يشترط فيه الصلاح من الطرفين دون اعتبار لشيء آخر، فقال جل شأنه. قال تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم * وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾[3].

يقول الحافظ ابن كثير: « اشتملت هذه الآيات الكريمات، على جمل من الأحكام المحكمة، فقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾ أمر بالتزويج، وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه على كل من قدر عليه، واحتجوا بظاهر قوله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير ابن كثير – جـ١ ص ٤٥٠ .

(٢) سورة النساء – الآية ١٥٤ .

(٣) سورة النور – الآيتان ٣٢/٣٣ .

يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"(1)، (أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود)، وقد جاء في السنن أيضاً: "تزوجوا الولود، تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"(2)، والأيامى جمع أيم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها، وللرجل الذي لا زوجة له، يقال: رجل أيم وامرأة أيم.

وقوله تعالى: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾ الآية، قال ابن عباس: رغبهم الله في التزويج وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى، فقال: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾، وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: ﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾، وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله تعالى: ﴿إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله﴾ »(3).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله"(4). وقد زوج النبي ﷺ ذلك الرجل الذي لا يجد عليه إلا إزاره ولم يقدر على خاتم من حديد، ومع هذا

---

(1) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ١٩٥٠ – ٣ باب من لم يستطع الباءة فليصم– الحديث: ٤٧٧٩ . . وذكره في ج: ٢ ص: ٦٧٣ – باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة– الحديث: ١٨٠٦ . وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ١٠١٨ – كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم– الحديث رقم: ١٤٠٠ .

(2) الإمام النسائي – سنن النسائي (المجتبى) ج: ٦ ص: ٦٥ – باب كراهية تزويج العقيم – الحديث: ٣٢٢٧. وذكره الطبراني – المعجم الكبير ج: ٢٠ ص: ٢١٩– الحديث رقم: ٥٠٨

(3) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٢٨٧/٢٩٠ .

(4) الإمام النسائي – سنن النسائي (المجتبى) ج: ٦ ص: ٦١ – باب معونة الله الناكح الذي يريد العفاف – الحديث: ٣٢١٨.

فزوجه بتلك المرأة، وجعل صداقها عليه أن يعلمها ما معه من القرآن، والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه ما فيه كفاية لها وله.

وقوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله﴾ هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا بالتعفف عن الحرام، كما قال ﷺ: "ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" وهذه الآية مطلقة والتي في سورة النساء أخص منها وهي قوله: ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات﴾، إلى قوله: ﴿وأن تصبروا خير لكم﴾ أي صبركم عن تزوج الإماء خير لكم لأن الولد يجيء رقيقا ﴿والله غفور رحيم﴾، قال عكرمة في قوله: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا﴾ قال: هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض حاجته منها، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السماوات والأرض حتى يغنيه الله[1].

وحتى يجعل الشرع الشريف الزوجين على قدم المساواة، فقد أرشد إلى مكاتبة الزوج إن كان يرغب في ذلك حتى يتحصل له نوع من التكافؤ الذي يشعر به الأفراد؛ بغية أن يتحقق له ما يرجوه قال تعالى: ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانهم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾[2]، عن عبد الله بن صبيح عن أبيه قال: كنت مملوكا لحويطب بن عبد العزى فسألته الكتابة، فنزلت ﴿والذين يبتغون . . .﴾.

---

(١) وفي الأثر أيضا إذا أقبلت المرأة أقبلت ومعها شيطان. وإذا أدبرت. أدبرت ومعها شيطان فإذا نظر أحدكم إلى امرأة فليذهب إلى بيته يأت أهله يذهب ما في نفسه. (الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٦٤ – باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه – حديث رقم: ١١٥٨ . وراجع كشف الخفاء ج: ٢ ص: ٣٢٧ رقم: ٢٤٨١)

(٢) سورة النور – الآية ٣٣ .

قال ابن كثير: هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب عبيدهم منهم الكتابة أن يكاتبوهم، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب، بحيث يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه[1].

وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب، لا أمر تحتم وإيجاب، قال الشعبي: إن شاء كاتبه وإن شاء لم يكاتبه (وكذا قال عطاء ومقاتل والحسن البصري)، فإن كاتبه كان له الأجر، وإن لم يكاتبه مع احترامه له ومحافظته عليه فلا وزر[2].

وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد إذا طلب منه عبده ذلك أن يجيبه إلى ما طلب أخذا بظاهر هذا الأمر، وقال البخاري عن ابن جريج قلت لعطاء: أواجب علي إذا علمت له مالا أن أكاتبه؟ قال: ما أراه إلا واجبا، وقال عمرو بن دينار، قلت لعطاء: أتأثره عن أحد؟ قال: لا، ثم أخبرني أن سيرين سأل أنسا المكاتبة، وكان كثير المال، فأبى، فانطلق إلى عمر رضي الله عنه، فقال: كاتبه، فأبى، فضربه بالدرة ويتلو عمر رضي الله عنه: ﴿فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا﴾ فكاتبه[3].

وذهب الشافعي في الجديد من مذهبيه[4]، إلى أنه لا يجب لقوله ﷺ: "لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس"، وقال مالك: الأمر عندنا أنه ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٢٨٨ .

(٢) لأن الشريعة الإسلامية الغراء لا تأخذ حقوق أحد. بحيث تعطيها لغيره. وإنما هي العدل كل العدل، لأنها شريعة رب العالمين. بلغ بها خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد e .

(٣) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٩٠٢ – باب إثم من قذف مملوكه وباب المكاتب ونجومه في كل سنة نجم وقوله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم.

(٤) وهو الذى أنشأه حين أقامته بمصر. حين كان الشافعي مقيما بالعراق. فأنشأ مذهبه. فلما جاء مصر أنشأ إضافات على الأول وتعديلات رآها متناسقة مع الأدلة التى وقف عليها بعض وسمي الجديد.

سأله ذلك، ولم أسمع أحدا من الأئمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده، وكذا قال الثوري وأبو حنيفة[١].

قوله تعالى: ﴿إن علمتم فيهم خيرا﴾؛ أمانة أو صدقا، أو مالا، أو حيلة وكسبا؛ لأن هذه كلها من أوجه الخير المشوء، وبالتالى فالمكاتبة فى هذه الحال تحقق الخير للسيد والعبد معا طبقا لما شرعه الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ اختلف المفسرون فيه، فقال بعضهم: معناه اطرحوا لهم من الكتابة بعضها، وقال آخرون: بل المراد هو النصيب الذي فرض الله لهم من أموال الزكاة[٢]. وعن ابن عباس في الآية ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ قال: ضعوا عنهم من مكاتبتهم، وقال محمد بن سيرين في الآية: كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته.

وقوله تعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية، كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك، وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة في شأن (عبد الله بن أبي بن سلول) فإنه كان له إماء وكان يكرههن على البغاء طلبا لخراجهن، ورغبة في أولادهن، ورياسة منه فيما يزعم[٣]، وكان ابن سلول هو زعيم المنافقين، ورأس من الرءوس التى ادعت الإسلام وأظهرته، ثم أبطنت غيره، وأمره فى الإسلام مشهور، وأفعاله السيئة لا تحصى.

---

(١) وبالتالى فإن المسلم متى رأى الخير له ولعبده المكاتبة فعل، ومتى رأى من الخير له ولعبده عدم المكاتبة لم يفعل. من ثم؛ فإن المسألة تتعلق بالرغبة فى الصلاح، وتحصيل الأجر من الله تعالى، وهى متروكة للعباد أنفسهم فى أموالهم، طبقا لما شرعه الله تعالى فيها.

(٢) هذا قول الحسن و[illegible] وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم واختاره ابن جرير.

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٢٨٧/٢٩٠.

ذكر الآثار أنه كانت لعبد الله بن أبي بن سلول جارية يقال لها (معاذة) يكرهها على الزنا، ويأكل من عمل زناها ويتفاخر به، ثم يبيع أولادها من الزنا متى كبروا كأنها وهم حيوانات عجماء، فلما جاء الإسلام نزلت: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية، وقال الأعمش: نزلت في أمة لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها (مسيكة) كان يكرهها على الفجور وكانت لا بأس بها فتأبى، فأنزل الله هذه الآية: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ الآية.

روى النسائي عن جابر نحوه. وعن الزهري أن رجلا من قريش أسر يوم بدر، وكان عند (عبد الله بن أبي) أسيرا وكانت لعبد الله بن أبي جارية يقال لها (معاذة) وكان القرشي الأسير كافرا يراودها على نفسها، وكانت الجارية مسلمة، وكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل من القرشي فيطلب فداء ولده، فقال تبارك وتعالى: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا﴾، لما فيه من العفة والمنعة، بجانب المحافظة على الصحة والدين.

وقال السدي: أنزلت هذه الآية الكريمة في (عبد الله بن أبي بن سلول) رأس المنافقين، وكانت له جارية تدعى (معاذة) وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة له، فأقبلت الجارية إلى أبي بكر رضي الله عنه فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي ﷺ، فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكتنا؛ فأنزل الله فيهم هذا، وقوله تعالى: ﴿إن أردن تحصنا﴾ هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، وقوله تعالى: ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ أي من خراجهن ومهورهن وأولادهن، وقد نهى رسول الله ﷺ عن كسب الحجام، ومهر البغي، وحلوان الكاهن، وفي رواية: "مهر البغي خبيث وكسب الحجام خبيث، وثمن الكلب خبيث"، وقوله تعالى: ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ أي لهن، لا للمكره العالم بالحرمة؛ لأنها أمته ويجبرها على الزنا، فهي في إتيانها له مكرهة عليه، أما صاحبها فإنه يقع في العقوبة إلا أن يتوب على ذلك توبة نصوحا، فإن الله تعالى يقبل منه التوبة؛ لأن باب التوبة النصوح لا يغلق إلا عند

الغرغرة، ففي الحديث الشريف: «عن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: إن الإسلام يجب ما كان قبله؛ والهجرة تجب ما كان قبلها»[١].

وقال ابن عباس: فإن فعلتم فإن الله لهن غفور رحيم، وإثمهن على من أكرههن؛ وقال أبو عبيد عن الحسن في هذه الآية ﴿فإن الله من بعد إكرههن غفور رحيم﴾ قال: لهن والله، لهن والله، وفي الحديث المرفوع عن رسول الله ﷺ أنه قال: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"»[٢]،

في نفس الوقت؛ فقد بين الإسلام أن هذا الزواج ستر العورة في كل من المرأة والرجل معا، فيقول جل شأنه: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾[٣].

يقول العلامة الطبري: «قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم لباس لهن يعني تعالى ذكره بذلك نساؤكم لباس لكم وأنتم لباس لهن فإن قال قائل وكيف يكون نساؤنا لباسا لنا ونحن لهن لباسا واللباس إنما هو ما لبس قيل لذلك وجهان من المعاني أحدهما أن يكون كل واحد منهما جعل لصاحبه لباسا لتخرجهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وانضمام جسد كل واحد منهما لصاحبه بمنزلة ما يلبسه على جسده من ثيابه فقيل لكل واحد منهما هو لباس لصاحبه، كما قال نابغة بني جعدة:

إذا ما الضجيع ثنى عطفها ∴ تداعت فكانت عليه لباسا

فكنى عن اجتماعهما متجردين في فراش واحد باللباس كما يكنى بالثياب عن جسد الإنسان، وعن الربيع هن لحاف لكم وأنتم لحاف لهن[٤].

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ج: ٩ ص: ١٢٣ – الحديث رقم: ١٨٠٦٩، مسند أحمد ج: ٤ ص: ٢٠٤ – الحديث رقم: ١٧٨٤٦.

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٢٨٧/٢٩٠.

(٣) سورة البقرة – من الآية ١٨٧.

(٤) واستعمال الكناية في لغة العرب باب واسع، سواء أكانت كناية عن صفة أم عن موصوف، أم عن نسبة، وباب الكناية واسع. (راجع للعلامة محمد المهدي الكفاية في أنواع الكناية ص١٨ وما بعدها – طبعة الدار النعمانية ١٣٠٨هـ.

والوجه الآخر أن يكون جعل كل واحد منهما لصاحبه لباساً لأنه سكن له كما قال جل ثناؤه جعل لكم الليل لباساً يعني بذلك سكناً تسكنون فيه، وكذلك زوجة الرجل سكنه يسكن إليها كما قال تعالى ذكره وجعل منها زوجها ليسكن إليها[1]، فيكون كل واحد منهما لباس لصاحبه بمعنى سكونه إليه وبذلك كان مجاهد وغيره يقولون في ذلك، وقد يقال لما ستر الشيء وواراه عن أبصار الناظرين إليه هو لباسه وغشاؤه فجائز أن يكون قيل هن لباس لكم وأنتم لباس لهن بمعنى أن كل واحد منكم ستر لصاحبه فيما يكون بينكم من الجماع عن أبصار سائر الناس[2]،

وكان مجاهد وغيره يقولون هن لباس لكم وأنتم لباس لهن يقول سكن لهن حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هن لباس لكم وأنتم لباس لهن قال قتادة هن سكن لكم وأنتم سكن لهن . وهو المروى عن السدي أيضاً حيث قال: هن سكن لكم وأنتم سكن لهن، وذهب غيره إلى أن السكن هو المواقعة فقال: هن لباس لكم وأنتم لباس لهن هو المواقعة »[3]،

وفي الحديث الشريف عن بن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ هما ستران للمرء الزوج والقبر »[4]. ومن ثم نبه أهل العروس إلى قبول الرجل متى اجتمعت فيه شرائط الصلاح والتقوى، ففي الحديث الشريف عن أبي حاتم المزني قال: « قال رسول الله ﷺ إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير وفي

---

(١) سورة الأعراف – من الآية ١٨٩ .

(٢) وهذا الوجه فيه من لطائف الجمال ما لا يخفى، لأن كلا منهما يسترا الآخر في بدنه ونفسه وعقله ومشاعره.

(٣) العلامة الطبرى – تفسير الطبرى ج: ٢ ص: ١٦٣

(٤) المعجم الكبير للطبراني ج: ١٢ ص: ١٢٣ (حديث رقم: ١٢٦٥٧) ، ومجمع الزوائد ج٤ ص٢١٣ . وكشف الخفاء ج١ ص٤٩٠

رواية وفساد عريض قالوا يا رسول الله وإن كان فيه قال إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ثلاث مرات »[1] .

كما حذر الإسلام الرجل من اختيار المرأة لمجرد جمالها أو ثراها أو حسبها ونسبها، إنما المهم هو دينها، ففى الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك »[2] .

وعن أنس بن مالك قال: « سمعت النبي ﷺ يقول من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يتزوجها إلا ليغض بصره أو ليحصن فرجه أو يصل رحمة، بارك الله له فيها وبارك لها فيه »[3] .

وحتى لا يقع الرجل فى جمال المرأة وحده، دون نظر إلى ما يحيط بهذا الجمال من نية سوداء و حاشية فاسدة، فقد حذر الإسلام الرجل من الزواج بهذا النوع، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٨٢ – باب الترغيب في التزويج من ذي الدين والخلق المرضي حديث رقم: ١٣٢٥٩ . وأخرجه الترمذى – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٣٩٥ – باب إذا جاء كم من ترضون دينة فزوجوه – حديث رقم: ١٠٨٥ . وذكره الترمذى – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٣٩٤ – باب ما جاء إذاجاء كم من ترضون دينة فزوجوه حديث رقم: ١٠٨٤ . عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض ».

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ١٩٥٨– باب الأكفاء في الدين وقوله وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا– الحديث رقم: ٤٨٠٢ وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ١٠٨٦ – باب استحباب نكاح ذات الدين حديث رقم: ١٤٦٦

(٣) العلامة الطبرانى – المعجم الأوسط ج: ٣ ص: ٢٢/٢١ – الحديث رقم: ٢٣٤٢ ، وذكره الهيثمى – مجمع الزوائد ج: ٤ ص: ٢٥٤ – باب نية الزواج .

« إياكم وخضراء الدمن . قالوا وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأة الجميلة فى المنبت السوء »[1]، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى نبهت إلى تنظيم العلاقات الاجتماعية، وتهذيب النوازع النفسية، وتوجيه الغرائز الجسدية إلى ما فيه الصالح العام للإنسانية فى أفرادها ومجموعها طبقا لما جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء .

فى نفس الوقت رغب الإسلام فى الزواج، وامتن الله به على العباد، بما جعل بين الأزواج من مودة ورحمة . قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[2] .

وأحل التزوج ببعض النساء دون بعض، مراعاة لمصالح ترجع فى الكثير منها إلى فتح الباب لإنشاء علاقات لم تكن موجودة، و توثيق علاقات ضعيفة، أو الإبقاء على روابط وثيقة توجها العلاقة الزوجية، وما فيها من تبادل الحقوق والواجبات إلى الضعف والقطيعة[3] .

ومن ثم؛ فقد نظمت الشريعة الإسلامية إقامة تلك العلاقات على أسس سليمة وقوية، تبتدئ بالخطبة لتى هى وعد سابق بنكاح لاحق[4]، ثم عقد النكاح الذى يقوم على الإيجاب والقبول طبقا لقاعدة العقود الشرعية، ولما كان عقد النكاح فى الإسلام تترتب

---

(١) العلامة علاء الدين المتقى الهندى - كنز العمال - الإكمال من الباب الثالث في آداب النكاح - الحديث رقم: ٤٤٥٨٧- وعزاه إلى (الرامهرمزي في الأمثال. في الأفراد. والديلمي، والعسكري في الأمثال- عن أبي سعيد). وذكره أيضا فى أدب النكاح. في الحديث رقم: ٤٥٦١٥- والمرد بـ(الدمن: جمع دمنة وهي ما تدمنه الابل والغنم بأبوالها وأبعارها. أي تلبده في مرابضها. فربما نبت فيها النبات الحسن النضير. [النهاية ١٣٤/٢]). وذكره أيضا فى الخطبة - الحديث رقم: ٤٥٦٢٠. وجاء فى الجامع لمعمر بن راشد ج: ١١ ص: ٣٠٢ رقم: ٢٠٦٠٠ عن قتادة قال كان يقال مثل المرأة السيئة الخلق كالسقاء الواهي في المعطشة ومثل المرأة الجميلة الفاجرة مثل خنزير في عنقه طوق من ذهب .

(٢) سورة الروم - الآية ٢١ .

(٣) الدكتور على حسب الله - أصول التشريع الإسلامى ص٤٢٦ - لطبعة لخامسة - دار المعارف - بمصر ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

(٤) الدكتور محمد عبدالواحد عبدالهادى - مقاصد الشريعة الإسلامية ص١٢٩ سنة ١٩٥٧م.

عليه حقوق لكل من الطرفين، وتقوم عليه واجبات كل منهما نحو الآخر، فقد اعتبره الإسلام هو النكاح، وجعل له ضوابط يقوم عليها هي:

١- الزوج . ٢- الزوجة . ٣- الولي . ٤- شاهدي عدل . وفي الحديث الشريف « عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل »[1] .

أما المهر فتسميته شرط كمال؛ لأنه إذا لم يسم في عقد النكاح، فقد وجب للزوجة مهر المثل شرعا ، حيث يأتي من الزواج الذرية، والأولاد ثم الحفدة، قال تعالى: ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون﴾[2]، وكلما ... ت العلاقات الأسرية قائمة على روابط سليمة، فإن هذه الحياة تقوى وتستمر، ولا تصاب بالعطب ... ، كما لا تتعرض للانهيار السريع .

غير أن الباب الشيرازي اعتبر عقد النكاح من العقود المدنية التي يكتفى فيها بالإيجاب أو القبول، دون حاجة إلى شهود عدول، أو ولي يقوم للمرأة بدور القاضي والولي معا . يقول الباب: « أنكحوا ما طاب لكم من النساء ، هن حلائل متى اتفق الرجل والمرأة،

---

(١) الطبراني – المعجم الأوسط ج: ٩ ص: ١١٧ الحديث رقم: ٩٢٩١ . والبيثمي- مجمع الزوائد ج: ٤ ص: ٢٨٧/٢٨٦ وأخرج الترمذى – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٠٧- باب ما جاء لا نكاح إلا بولي حديث رقم: ١١٠١ عن أبي موسى قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي » وذكره الدارمي – سنن الدارمي ج: ٢ ص: ١٨٤ – ١١ باب النهي عن النكاح بغير ولي حديث رقم: ٢١٨٢ وفي سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٥٦ – باب ما أبيح له من النكاح بغير ولي وبغير شاهدين استدلالا بجواز الموهوبة حديث رقم: ١٣١٣٧ « عن أبي سعيد قال : لا نكاح إلا بولي وشهود ومهر إلا ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم ».

(٢) سورة النحل – الآية ٧٢ .

شريط أن يكون سن كل منهما الحادية عشرة فما فوق »[١] . وكلما كان الزواج مبكرا؛ كان مرضيا عندنا، فتكثرون في مواجهة الأمم، وتنتشرون فوق أعالي القمم[٢] .

ويعتبر الباب أن عقد النكاح ليس بحاجة إلى توثيق أمام قاض شرعي أو من ينوب عنه، وإنما يقرر قاعدته القائمة عنده، على أن كل من بلغ الحادية عشرة من الرجال والنساء؛ فإنه يكون قد اكتمل عقله وبالتالي صح له أن يفعل ما يشاء وكذلك ومباشرة النكاح، وعقدة من غير أن يكون لأحد عليه ولاية[٣]، وهو بهذا يفتح الباب على مصراعيه للزواج العرفي والزواج المؤقت، كما يعلن عن ضرورة ممارسة زواج المتعة، وهي كلها من الخطايا التي ينصرف البعض إليها تحت ستار أنها شرعية، وما فيها شرع من الشرعية بل العكس أنها كلها صورا انحرافية يعبر عن الانحلال من كل ناحية .

يقول الدكتور حسن محرم : « إن عقد الزوج عند الباب يتم بمجرد رضاء الزوجين من غير اشتراط ولي وشاهدين، الأمر الذي يفقد معه هذا العقد قيمته وحصانته الاجتماعية، التي يستمدها من ركيزة الإعلان والاشتهار، وهو ما رعاه الإسلام، ولم يعرفه الباب، ولا من تبعوه »[٤]، بل أهملتا هذا الجانب إرضاء للمرأة التي جنت على نفسها وقريناتها، ودعت إلى السفور وخلع الحجاب، وسارعت إلى ممارسة ذلك كنوع من التطبيق العملي للأفكار الشاذة، التي كانت تدعو إليها وتحرص عليها .

---

(١) الشيخ السيد عبدالله حسن – نظرات في الفكر المنحرف – البابية ص٨٧ .

(٢) الأستاذ محمد التهامي خليفة – البابية واستمرار الفكر المنحرف ص١٧٥ .

(٣) الشيخ السيد عبدالله حسن – نظرات في الفكر المنحرف – البابية ص٩١ .

(٤) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٥٢ .

ب- الزواج بين الإجبار والاختيار-

يقرر الباب أن الزواج لا يكون اختياريا من الطرفين، وإنما هو إجباري[1]، مراعاة لظروف النحلة، حتى تقوى عدتها ويكثر عددها. يقول الدكتور الجيوشي: « إن الزواج عندهم إجباري عند بلوغ الحادية عشر، وليس له شرط سوى تراضي الطرفين »[2]، فتقع المسألة موقع الاختيار الجبري، أو الجبر الاختياري، وذلك موقع في التناقض؛ لأنه إما جبر أو اختيار.

ويقرر الباب أن الزواج ممن بلغوا السن التي حددها، يصير ضرورة اجتماعية بيئية، يجب التمسك بها، من غير التفات لنوعية الزوجين، فيمكن أن يكون الزواج طاعنا في السن بينما الزوجة في مطالع الحادية عشرة من عمرها، وبالتالي يكون للمسن حق له الدخول بها مع الاستمتاع، وليس لها الحق في الرفض أو الممانعة، وكذلك يمكن أن تكون الزوجة طاعنة في السن، لكنها اشتهت يافعا في الحادية عشرة من عمره، فإذا ارتضى كل منهما الآخر؛ فيجب أن يتم الزواج، ويجب على الفتى اليافع إشباع رغبات زوجته الطاعنة مهما كانت سنها[3]، وإلا كان مقصرا في حقها، بحيث يكون لها الحق في الانفصال عنه متى ارادت.

بل إن الباب أباح زواج الأخوة والأخوات، بعضهم بعض، فالأخت عنده تباح لأخيه حتى يتزوجها[4]، فإذا طلبها فليس من حقها الامتناع عنه أو رفض ذلك الزواج؛ لأن هذا ليس مما

---

(١) هو بهذا يهدم قاعدته في الإيجاب والقبول، إذ كيف يزعم الباب أن الزواج يتم بالإيجاب والقبول فقط من غير حاجة لولي وشاهدي عدل ومهر. ثم يأتي بعد ذلك فيزعم أنه اجباري.

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص١١٥ .

(٣) الشيخ السيد عبدالله حسن – نظرات في الفكر المنحرف – البابية ص٩١ .

(٤) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٥٢ . والبابية والبهائية للدكتور الجيوشي. ونظرات في الفكر المنحرف البابية ص٨٨ .

لها فيه اختيار، وكأن زنا المحارم صار عنده حقا مشروعا يتبناه الباب الشيرازي، ويدافع عنه ويسانده عصابته، وهم في الحرام واقعون .

ولست أدري إذا كان الزواج عندهم يتم بهذا الشكل، فأين تكون المودة والرحمة إذن ؟ بل أين يكون السكون والاستقرار، فضلا عن أن يكون كل منهما لباسا للآخر يستره ويصونه، بجانب المحافظة عليه، بل كيف يتعايشان كزوجين، وهما أشبه بالمصارعين الذين يعمل كل منهما على إسقاط الآخر.

لاشك أن الزواج الإجباري الذي دعا إليه الباب إنما يعبر عن حالة خاصة به عاشت في وجدان عشيقته، التي انطلقت على رغباتها المجنونة، حتى لو كان تحقيق تلك الرغبات محفوفا بدم الأب والعم والزوج، وذلك مما يدفع إلى الانحلال، ويدفع الأسر الحادثة إلى العنف والعصبية، فيحصل النفور بين أفراد المجتمع وتنتشر العداوة، ويكون الناس بين أحد أمرين :

☆ **الأول: التزام بالدين والقيم والأخلاق** ، يتبعه بغضاء وشحناء؛ لأن المتمسك بدينه يرفض الوقوع في المخالفات الشرعية، التي تدعو إليها البابية، وحينئذ سيقابله عشاقها بالبغضاء والفاحشة .

☆ **الثاني: التحلل من كل القيم والأعراف والأحكام الشرعية**، فيقع الانحلال، وينتشر الفساد، وتعم الفوضى، وهو أيضا يغلب على نوازع بعض الناس، ولكنه لا يرضي الله ورسوله، والذي أراه أن زعم الباب وشيعته ضرورة وقوع الزواج عن طريق الإجبار فيه إهدار لحقوق المرأة وإضاعة لكرامتها، كما أن فيه عدوانا على حرية الإنسان في اختيار شريك حياته، وذلك مما لا يقره شرع الله أبدا .

جـ زواج المطلقين والأرامل

الإسلام شرع النكاح لمصالح الناس جميعا، دون نظر إلى كون أحدهما قد سبق له الزواج أو الطلاق، أو سبق الزواج ثم لحق أحد الطرفين الموت، وبالتالي؛ إذا حصل الانفصال بين الزوجين فلكل واحد منهما استئناف حياته الجديدة مع شريك أخر متى شاء ، بحيث يحدث

بينهما نوع من الانسجام والاتفاق داخل إطار العلاقات الاجتماعية السليمة، طبقا لما تقره أحكام الشريعة الإسلامية الغراء، من غير أن ينقص الأمر السابق قدر أي منهما، أو يلحق به شيئا من المذلة، مع إتاحة الفرصة لكل منهما حتى يعيش في أمان ومودة[1]، وذلك على سبيل الإباحة، لا على سبيل الوجوب، وبالتالي؛ يكون لكل منهما الحق في ممارسة ما يراه مناسبا لظروفه الشخصية والاجتماعية في حدود ما تقره الشريعة الإسلامية.

بل إن الشريعة الإسلامية أباحت لكل من الزوجين المنفصلين بالطلاق، الرجعي بعد انقضاء العدة أن يتراجعا بعقد جديد ومهر جديد أيضا، أما إذا كان الطلاق رجعيا، ولم تنقض العدة؛ فإن الزوج يملك على زوجته حق الرجعية، واستمرار الحياة بينهما؛ حفاظا على ما كان من علاقات اجتماعية، وروابط أسرية[2]، ومتابعات اقتصادية أو غيرها.

وفوق ذلك فإن الإسلام قد أباح للمطلقين على البينونة أن يتراجعا متى تزوجت المرأة من رجل آخر، ثم طلقها الآخر، حتى تعود لزوجها وأولادها، واستئناف حياتهما من جديد، وفي هذا تسامح ومراعاة لظروف الأسر، وطبيعة الإنسان التي قد يعتريها نوع من القلق والاضطراب، فيصدر عنه في تلك الحال سلوك ينتهي به إلى الطلاق، ثم يندم كل منهما ويود استئناف الحياة من جديد، مع التمسك بحبال النجاة[3]، وذلك كله من سماحة الإسلام؛ لأنه دين الله رب العالمين.

أما الأرامل فإن الإسلام قد عني بهن عناية كبيرة؛ لأنهم ما اختاروا وما اخترت انتهاء حياة شركائهم بأنفسهم، وإنما هو قضاء الله القائم، وحكمه النافذ؛

---

(١) الشيخ محمود محمد رضوان – مقاصد الشريعة الإسلامية ص٣١٢ – طبعة أولى ١٣٣٥هـ.

(٢) راجع في هذا الشأن للدكتور أحمد فرج السنهوري – أحكام الأسرة في التشريع الإسلامي ص١٤٧ وما بعدها.

(٣) الشيخ محمود محمد رضوان – مقاصد الشريعة الإسلامية ص٣١٣.

ﷻ قال تعالى: ﴿لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾(١)، وقال جل شأنه: ﴿لكل أجل كتاب﴾(٢)، وقال عز ثناؤه: ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٣).

ولا شك أن سلوك سيدنا رسول الله ﷺ في زواجه من أمهات المؤمنين هو السلوك الشرعي الذي جاءنا به من رب العالمين، وكان فيهن أكثر من واحدة تزوجها رسول الله ﷺ أرملة، ليربي أيلادها، ويحفظ لها أمرها، ويكون لها عوضا عن زوجها، وهو الرسول الكريم ﷺ، وكان بإمكانه أن يتزوج من شاء من الأبكار، بل إنه ﷺ تزوج بأمر الله السيدة زينب بنت جحش - مطلقة زيد بن حارثة - وما فعله ﷺ إلا بتشريع من الله تعالى، وفيه جبر للمطلقات والأرامل، وما ينطبق على زواج الرجل من أرملة أو مطلقة ينطبق مثله على زواج المرأة من مطلق أو أرمل، فالحديث الشريف: عن عائشة قالت: « سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم يجد بللا قال لا غسل عليه قالت أم سلمة يا رسول الله هل على المرأة ترى ذلك غسل قال نعم إن النساء شقائق الرجال »(٤).

---

(١) سورة يونس - من الآية ٤٩.

(٢) سورة الرعد - من الآية ٣٨.

(٣) سورة الزمر - الآية ٤٢.

(٤) سنن الترمذي ج: ١ ص: ١٨٩/١٩٠ - باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما حديث رقم:١١٣، سنن البيهقي الكبرى ج: ١ ص: ١٦٨ حديث رقم: ٧٦٧، وأخرج العلامة الدارمي - سنن الدارمي ج: ١ ص: ٢١٥- حديث رقم: ٧٦٤ عن أنس قال « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سليم وعنده أم سلمة فقالت المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل فقالت أم سلمة تربت يداك يا أم سليم فضحكت النساء فقال النبي صلى الله عليه وسلم منتصرا لأم سليم بل أنت تربت يداك ان خيركن التي تسأل عما يعنيها إذا رأت الماء فلتغتسل قالت أم سلمة وللنساء ماء يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فأين يشبههن الولد إنما هن شقائق الرجال ».

أما الباب فإنه يعتبر المطلق والمطلقة والأرمل والأرملة قد ارتكب كل منهم جريمة، تستوجب العقوبة، فيقرر أنه لا يجوز الزواج بأرملة إلا بعد دفع دية[1] تكون بمثابة رسم دخول أو إتاحة الفرصة لاستئناف الحياة من شريك آخر من جديد، فإذا لم يمكن لكل منهما دفع تلك الدية أو الجزية؛ فلا يصح الزواج أبدا، « بل إنها قد اعتبرت داخلة فى زكاة الأنفس الإجبارية، بحيث تكون واجبة تسبق العلاقات الجسدية بين الزوجين، وتسبق الاستعداد لها، وكلما حدث طلاق أو ترمل وجب دفع الدية »[2].

◈ **وهنا أتساءل:** ما مقدار هذه الدية، ولمن تدفع؟ ومتى تدفع؟ وما هى العقوبة التى وقع فيها الأرمل أو الأرملة، إذا افترضنا أن الطلاق يكون أحد طرفيه قد وقع فى الخطأ، أو أنهما معا قد وقعا فيه اشتراكا، أما حال الأرمل والأرملة فلا حيلة له فيه، هل يملك أحدهما منع الموت عن شريك حياته، ما أظن البابية إلا انحرفوا، وازدادوا فى الانحراف إلى أبعد مدى، ويبدوا أن قرة العين قد أمرته بتقييد حركة الرجل المطلق نكاية فيه، وتكديرا له، لكن ما ذنب الأرملة أو الأرامل؟

✻ **الجواب:** أن الباب كانت تتملكه نزعات نفسية، ونزوات عدوانية، وبالتالى انطلق من تلك المشاعر الدفينة فى كل ما تحدث عنه مخالفا بذلك النقل والعقل والفطرة، ومثله لا يلتفت إلى قوله أو فعله، وإلا كان الأمر مع المتابع كالحال مع من يلقى أمره إلى المجنون والمعتوه، فإن أصابه الشر فهو المسئول عنه؛ لأنه لا عاقل يتبع المجنون أبدا، وإلا كان مثله.

ثم إن الواجبات فى الأسرة المسلمة قسمها الشرع الشريف بما يلائم الفطرة، فالرجل بفطرته أقوى بدنا، وأكثر تحملا للمتاعب، وأبعد عن التأثر بالعاطفة، فكان عليه ما يشق من الأعمال، عليه السعى لطلب الرزق، وعليه الدفاع الخاص عن الأسرة، والعام عن الدولة، والمرأة أضعف بدنا وأقوى عاطفة، فعليها تدبير شئون البيت وواجبات الأمومة الرحيمة، من رضاعة وحضانة، وواجبها هو أبعد الواجبين أثرا فى تربية الجيل، وتكوين الأمة[3]، فإذا أهدر الباب حقوق أى منهما تحت أية مزاعم، فإن أمره يكون مردودا عليه، ولا يقبل منه.

---

(١) الدكتور إبراهيم الجيوشى - البابية والبهائية - القسم الأول ص١١٥ .

(٢) الأستاذ عوض محمود داود - البابية حركة هدامة ص٩١ .

(٣) الدكتور على حسب الله - أصول التشريع الإسلامى ص٤٢٧ .

د الطلاق

لما كان الطلاق في الشريعة الإسلامية الغراء علاجاً للمشاكل إذا استفحلت، وربما وصلت إلى حد اللاعودة، بحيث إذا استمر الزوجان في تلك العلاقة، انقلبت المودة والرحمة إلى العداوة والعنف، ومن ثم؛ يكون الطلاق هو العلاج والحل، لذا اعتبر أبغض الحلال، وفي الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ قال أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[1].

وفي القرآن الكريم سورة الطلاق تنظم شيئاً من ذلك باعتبار العدة المترتبة على الطلاق، وفي سورة أخرى آيات نظمت عدد الطلقات[2]، ثم جاءت السنة النبوية المطهرة الصحيحة بتفاصيل ذلك.

ثم إن الطلاق لا يكون إلا عندما تستفحل الخلافات بين الزوجين؛ لأن الحياة في مطالبها الضرورية صراع ونضال، فالرجال فيها أشبه بالجنود في ساحة القتال، والنساء أشبه

---

(١) العلامة البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٣٢٢ – ١٠ باب ما جاء في كراهية الطلاق حديث رقم: ١٤٦٧١ ، وذكر أيضا في الحديث رقم: ١٤٦٧٢ من نفس الباب: عن محارب قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحل الله شيئا أبغض إليه من الطلاق » وروى أيضا بنفس الباب – الحديث رقم: ١٤٦٧٣ عن معرف بن واصل عن محارب بن دثار قال: « تزوج رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فطلقها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أتزوجت قال نعم قال ثم ماذا قال ثم طلقت قال أمن ريبة قال لا قال قد يفعل ذلك الرجل قال ثم تزوج امرأة أخرى فطلقها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال معرف فما أدري أعند هذا أو عند الثالثة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليس شيء من الحلال أبغض إلى الله من الطلاق » .

(٢) جاء ذكر آيات الطلاق في سورة البقرة. قال تعالى : ﴿ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولـئك هم الظالمون ﴾ سورة البقرة الآية ٢٢٩ .

بالمتخصصين فى صنع السلاح والذخيرة وتدريب الجنود، فإذا تمرد المتخصصون على وظيفتهم الأولى، وأبوا إلا ترك المصانع، والوقوف فى صفوف المقاتلين، لمجالدة الأعداء، فعلى الجيش كله وعلى الأمة معه العفاء[1].

فى القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[2].

قال القرطبي: « ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد، وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة، وكان هذا في أول الإسلام برهة، يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق، فإذا كادت تحل من طلاقه راجعها ما شاء، فقال رجل لامرأته على عهد النبي ﷺ: لا آويك ولا أدعك تحلين، قالت: وكيف؟ قال: أطلقك فإذا دنا مضي عدتك راجعتك. فشكت المرأة ذلك إلى عائشة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فأنزل الله تعالى هذه الآية بيانا لعدد الطلاق الذي للمرء فيه أن يرتجع دون تجديد مهر وولي، ونسخ ما كانوا عليه »[3].

قال معناه عروة بن الزبير وقتادة وابن زيد وغيرهم. وقال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وغيرهم: (المراد بالآية التعريف بسنة الطلاق، أي من طلق اثنتين فليتق الله في الثالثة، فإما تركها غير مظلومة شيئا من حقها، وإما أمسكها محسنا عشرتها، والآية تتضمن هذين المعنيين)[4].

---

(١) الدكتور على حسب الله – أصول التشريع الإسلامى ص٤٢٧ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٢٩ .

(٣) الإمام القرطبي – الجامع لحكام القرآن – جـ٣ ص ١٣٧ .

(٤) وهذا على الاختيار طالما كانت فى عدته. أما إذا انقضت عدته. فإن هذا الاختيار يكون حقا لهما معا. وفى ذلك عدل مع المودة والرحمة.

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله، قال الله تعالى: "الطلاق مرتان" فلم صار ثلاثا؟ قال: (إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان[1]).

وأجمع العلماء على أن قوله تعالى: "أو تسريح بإحسان" هي الطلقة الثالثة بعد الطلقتين، وإياها عنى بقوله تعالى: "فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره"[2]. وأجمعوا أيضا على أن من طلق امرأته طلقة أو طلقتين فله مراجعتها، فإن طلقها الثالثة لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره، وكان هذا من محكم القرآن الذي لم يختلف في تأويله.

وقد روي من أخبار العدول، فعن أبي رزين قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت قول الله تعالى: "الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" فأين الثالثة؟ فقال رسول الله ﷺ: (إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) هي الثالثة[3].

وكما نظم علمية الطلاق في العدد المملوك للرجل على المرأة، فقد نظم أيضا ما يتعلق بالمدفوع لها من المهر، فقال تعالى: "ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا" فالآية

(١) سنن الدارقطني ج: ٤ ص: ٣ - كتاب الطلاق والخلع والايلاء وغيره - الحديث رقم: (١).

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٣٠.

(٣) الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٣٤٠ – باب ما جاء في موضع الطلقة الثالثة من كتاب الله عز وجل – الحديث رقم: ١٤٧٦٨ . سنن الدار قطني ج: ٤ ص: ٣ – كتاب الطلاق والخلع والايلاء وغيره – الحديث رقم: (٢) . وذكر الكيا الطبرسي هذا الخبر وقال: إنه غير ثابت من جهة النقل. ورجح قول الضحاك والسدي. وأن الطلقة الثالثة إنما هي مذكورة في سياق الخطاب في قوله تعالى: "فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره" [البقرة: ٢٣٠]. فالثالثة مذكورة في صلب هذا الخطاب. مفيدة للبينونة الموجبة للتحريم إلا بعد زوج. فوجب حمل قوله: "أو تسريح بإحسان" على فائدة مجددة. وهو وقوع البينونة بالاثنتين عند انقضاء العدة. وعلى أن المقصود من الآية بيان عدد الطلاق الموجب للتحريم. ونسخ ما كان جائزا من إيقاع الطلاق بلا عدد محصور. فلو كان قوله: "أو تسريح بإحسان" هو الثالثة لما أبان عن المقصد في إيقاع التحريم بالثلاث. إذ لو اقتصر عليه لما دل على وقوع البينونة المحرمة لها إلا بعد زوج. وإنما علم التحريم بقوله تعالى: "فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره". فوجب ألا يكون معنى قوله: "أو تسريح بإحسان" الثالثة. ولو كان قوله: "أو تسريح بإحسان" بمعنى الثالثة كان قوله عقيب ذلك: "فإن طلقها" الرابعة. لأن الفاء للتعقيب. وقد اقتضى طلاقا مستقبلا بعد ما تقدم ذكره. فثبت بذلك أن قوله تعالى: "أو تسريح بإحسان" هو تركها حتى تنقضي عدتها.

خطاب للأزواج، حيث نهوا عن أن يأخذوا من أزواجهم شيئاً على وجه المضارة. وهذا هو الخلع الذي لا يصح إلا بألا ينفرد الرجل بالضرر، وخص بالذكر ما آتى الأزواج نساءهم، لأن العرف بين الناس أن يطلب الرجل عند الشقاق والفساد ما خرج من يده لها صداقا وجهازا، فلذلك خص بالذكر[1]. والجمهور على أن أخذ الفدية على الطلاق جائز وأجمعوا على تحظير أخذ ما لها إلا أن يكون النشوز وفساد العشرة من قبلها وحكى ابن المنذر عن النعمان أنه قال إذا جاء الظلم والنشوز من قبله وخالعته فهو جائز ماض وهو آثم لا يحل له ما صنع ولا يجبر على رد ما أخذه، وتعقب ابن المنذر هذا الرأي فقال: وهذا من قوله خلاف ظاهر كتاب الله وخلاف الخبر الثابت عن النبي ﷺ وخلاف ما أجمع عليه عامة أهل العلم من ذلك ولا أحسب أنه لو قيل لأحد أجهد نفسك في طلب الخطإ ما وجد أمرا أعظم من أن ينطق الكتاب بتحريم شيء لم يقابله مقابل بالخلاف نصبا، فيقول بل يجوز ذلك ولا يجبر على رد ما أخذ[2]، قال أبو الحسن بن بطال وروى ابن القاسم عن مالك مثله وهذا القول خلاف ظاهر كتاب الله تعالى وخلاف حديث امرأة ثابت.

وفي قوله تعالى إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله، بمعنى أن يظن كل واحد منهما بنفسه ألا يقيما حق النكاح لصاحبه حسب ما يجب عليه فيه لكراهة يعتقدها، فلا حرج على المرأة أن تفتدي، ولا حرج على الزوج أن يأخذ، والخطاب للزوجين والضمير في أن يخافا لهما و ألا يقيما

ثم قيل هذا الخوف هو بمعنى العلم أي أن يعلما ألا يقيما حدود الله وهو من الخوف الحقيقي وهو الإشفاق من وقوع المكروه وهو قريب من معنى الظن ثم قيل إلا أن يخافا استثناء

---

(١) تفسير القرطبي ج: ٣ ص: ١٣٨ .

(٢) وهذا الرأى قد أخذ به فريق من العلماء، ولهم عليهم أدلة، بينما رفض الأخذ به فريق آخر. ولهم فى رفضه أدلة. فليراجع ذلك طالبه فى فطانه من كتب الفقه، وحبذا لو رجع إلى الفقه على المذاهب الأربعة ففيها كفاية.

منقطع أي لكن إن كان منهن نشوز فلا جناح عليكم في أخذ الفدية وقرأ حمزة إلا أن يخافا بضم الياء على ما لم يسم فاعله والفاعل محذوف وهو الولاة والحكام واختاره أبو عبيد قال لقوله عز وجل فإن خفتم، قال فجعل الخوف لغير الزوجين ولو أراد الزوجين لقال فإن خافا وفي هذا حجة لمن جعل الخلع إلى السلطان.

ولا شك أن الرجل إذا خالع امرأته فإنما هو على ما يتراضيان به ولا يجبره السلطان على ذلك. وقد صح عن عمر وعثمان وابن عمر جوازه دون السلطان وكما جاز الطلاق والنكاح دون السلطان فكذلك الخلع وهو قول الجمهور من العلماء[1].

فإن خفتم ألا يقيما على أن لا يقيما حدود الله فيما يجب عليهما من حسن الصحبة وجميل العشرة والمخاطبة للحكام والمتوسطين لمثل هذا الأمر وإن لم يكن حاكما وترك إقامة حدود الله هو استخفاف المرأة بحق زوجها وسوء طاعتها إياه قاله ابن عباس ومالك بن أنس وجمهور الفقهاء وقال الحسين بن أبي الحسن وقوم معه إذا قالت المرأة لا أطيع لك أمرا ولا أغتسل لك من جنابة ولا أبر لك قسما حل الخلع.

وقال الشعبي ألا يقيما حدود الله ألا يطيعا الله وذلك أن المغاضبة تدعو إلى ترك الطاعة وقال عطاء بن أبي رباح يحل الخلع والأخذ أن تقول المرأة لزوجها إني أكرهك ولا أحبك ونحو هذا فلا جناح عليهما فيما افتدت به، فعن ابن عباس أيضا أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكن لا أطيقه فقال رسول الله ﷺ أتردين عليه حديقته قالت نعم[2].

---

(١) لكن إذا نكص الزوج عنه مع إصرار المرأة عليه وحاجتها إليه. وقد عرضت الأفتداء؛ فإن للوالى الحق في خلعها من زوجها بحكم ولايته الشرعية عليها. وبه أخذت المحاكم المصرية.

(٢) الإمام البخارى - صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٠٢١ - باب الخلع وكيف الطلاق فيه - الحديث رقم: ٤٩٧٢ ورواه أيضا فى الحديث رقم: ٤٩٧١ من نفس الباب وزاد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل الحديقة وطلقها تطليقة.

وعن ابن عباس أيضا أن جميلة بنت سلول أتت النبي ﷺ فقالت والله ما أعيب على ثابت في دين ولا خلق ولكنني أكره الكفر في الإسلام لا أطيقه بغضا فقال لها النبي ﷺ أتردين عليه حديقته قالت نعم فأمره رسول الله ﷺ أن يأخذ منها حديقته ولا يزداد[1]، فيقال إنها كانت تبغضه أشد البغض وكان يحبها أشد الحب ففرق رسول الله ﷺ بينهما بطريق الخلع فكان أول خلع في الإسلام .

روى عكرمة ابن عباس قال أول من خالع في الإسلام أخت عبد الله بن أبي أتت النبي ﷺ فقالت يا رسول الله لا يجتمع رأسي ورأسه أبدا إني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة إذ هو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فقال أتردين عليه حديقته قالت نعم وإن شاء زدته ففرق بينهما[2] . وهذا الحديث أصل في الخلع وعليه جمهور الفقهاء .

قال مالك لم أزل اسمع ذلك من أهل العلم وهو الأمر المجتمع عليه عندنا وهو أن الرجل إذا لم يضر بالمرأة ولم يسئ إليها ولم تؤت من قبله وأحبت فراقه فإنه يحل له أن يأخذ منها كل ما افتدت به كما فعل النبي ﷺ في امرأة ثابت بن قيس، أما إن كان النشوز من قبله هو بأن كان يضيق عليها ويضرها رد عليها ما أخذ منها .

وقال عقبة بن أبي الصهباء سألت بكر بن عبد الله المزني عن الرجل تريد امرأته أن تخالعه فقال لا يحل له أن يأخذ منها شيئا قلت فأين قول الله عز وجل في كتابه فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قال نسخت قلت فأين جعلت قال في سورة النساء وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن "»[3] .

(١) الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ١ ص: ٦٦٣ – باب المختلعة تأخذ ما أعطاها – الحديث رقم: ٢٠٥٦

(٢) الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ١ ص: ٦٦٣ – باب المختلعة تأخذ ما أعطاها – الحديث رقم: ٢٠٥٧

(٣) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – جزء ٣ ص: ١٣٧/١٣٩

. غير أن الباب توسع فى الطلاق، واعتبره من حق الزوج على زوجته تارة، وأن يطلقها تسع عشر طلقة[١]، وبالتالى؛ فقد حدد عدد مرات الطلاق بالرقم الذى يجعله النقطة المركزية بالحسابات فى كل آرائه وأفكاره، وهو رقم تسعة عشر، الذى تبين بعده الزوجة بينونة كبرى من زوجها، وتبلغ عدة الرجعة سنة كاملة[٢]، عند الباب حتى لو كانت تلك الطلقات التسعة عشر قد وقعت عليها جميعها فى خلال سنة أو دفعة واحدة، إذ لا فرق عنده بين أن تكون كلها فى مجلس واحد، أو أن تكون فى مجالس متعددة.

وتارة يجعل الطلاق من حق المرأة، متى كانت أعلى من الرجل علما وثقافة. يقول الباب: «قلت لكم يملك الرجل على زوجته الطلاق تسعة عشرة[٣] مرة، وتملك عليه مثلها، إذا كانت أعلى منه قدرا ومنزلة؛ لأن الطلاق للأعلى على الأقل، لا تمترون فى ذلك[٤]».

وبهذا ينقلب الأمر مع الباب، فليس يدرى أحد هل الطلاق حق لمن، وبالنسبة لمن وعلى من؟ وماذا يفعل لو كان الطلاق بالتراضى بين الطرفين، فمن منهم الذى يكون له حق الطلاق، وبخاصة إذا تساويا فى المنزلة والدرجة، وعدة المطلقة عنده تسعة عشر يوما، أما عدة الأرملة فهى خمسة وتسعون يوما[٥]، كأنه أراد للأرملة إطالة المدة عن المطلقة كنوع من العقاب لها، وسيأتى بعد ذلك ويغير قوله فى المدة مرة أخرى.

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى – البابية والبهائية – القسم الأول ص١١٥ .

(٢) الدكتور حسن محرم الحوينى – البابية والبهائية والقاديانية ص٥٢ .

(٣) الصواب تسع عشرة مرة؛ لأن العدد يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر. فإذا كان مركبا من ثلاثة عشر وما بعدها إلى تسعة عشر. فإن العدد يأتى على خلاف المعدود فى الجزء الأول. ويتفق الجزء الثانى مع المعدود. ومن ثم فالصواب فى العبارة السالفة هو الطلاق تسع عشرة مرة.

(٤) العلامة محمد عبدالعاطى الدينوري – البابية الأصول والغايات ص٩٥ .

(٥) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى – البابية والبهائية – القسم الأول ص١١٥ .

أحسب أن هذه الأفكار التى جعلت الطلاق متداولا بين الطرفين هى من روافد الفكر الوثنى . يقول أحد الباحثين: « إن البابية قد خرقت كل الأعراف، وأسقطت كل العهود الشرعية، والمواثيق من لدن آدم حتى يومنا هذا، لما هو معروف من أن الطلاق حق الرجل على زوجته، فإذا نقل الباب المسألة للمرأة واعتبره حقا من حقوقها، فقد دل الأمر على أن الباب كان يعبر عن وجهة نظر منحرفة لا تقوم على قواعد مقبولة[1] .

وهذا الطلاق الذى أعطاه للمرأة ليس هو الخلع الذى جعله الشرع الحنيف أحد الاعتبارات الخاصة بها؛ لأن الخلع يكون على عوض معلوم القدر والقيمة، ويكون بمثابة طلاق رجعى، ودون أن يقع تجاوز من أحد الطرفين على حقوق الطرف الآخر[2]، فإن تجاوزه فلا يسمى تعاملا بين أهل الإسلام، وإنما يمكن تسميته بأسماء أخرى.

وأتساءل المعروف أن للرجل على المرأة المطلقة منه عدة، فهل للمرأة على الرجل المطلق هو الآخر عدة؟ وما هى مدة تلك العدة بالنسبة للرجل؟ ولماذا؟ بل وما هو المستند الذى يعتمد فيه على ما انتهى إليه فى قوله به؟ وهل بين الرجل بعد طلاق زوجته له بينونة كبرى، أم بينونة صغرى؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التى تجيء على هذه النواحى، ولا يوجد لدى البابيين جميعا إجابات عليها.

❁ **وفى تقديرى**؛ أن هذه الأفكار المنحرفة التى نادى بها الباب وأتباعه، إنما هى نتاج أفكار منحرفة أيضا، بداية ونهاية، وفيها نوع من التحايل على رغبات النساء، والتحلل من قيود الشرع؛ لأن العقل ما حسن شيئا اليوم إلا قبحه فى الغد، والعكس قد يجيء، فما العقل الطافح بالخيالات، القابع فى أحضان الرذائل، بصحيح النتائج مهما كانت نوازعه، ومهما أعلن عن نبل غاياته، وصدق مقاصده.

---

(١) الأستاذ عبدالعزيز محمود الجميل - البابية وخطرها على الإسلام ص٨٧ .

(٢) والخلع يكون بطلب من الزوجة التى تبغض زوجها، وترفض استمرار الحياة معه، لقوله تعالى: ﴿ فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [سورة البقرة - من الآية ٢٢٩].

٤- زواج المتعة

يعتبر زواج المتعة هو الزواج المؤقت لدى الشيعة في إيران، كان يعمل به في مناطق شيعية أخرى، حيثما استطاعت إليه سبيلا، ويذهبون إلى أن المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم ﷺ، وفي عهد الخليفة أبي بكر ﷺ، وفي شطر من عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، حتى إنه حرمها، وأمر المسلمين بالكف عنها، وهم يستدلون على ذلك بروايات عديدة رويت في كتب الشيعة[١]، مع اختلاف بينهم في قبولها على الإطلاق، أو رفضها على الإطلاق، أو التوسط في الأمرين بين القبول والرفض.

وهي في الأغلب الأعم غير صحيحة، وأسانيدها غير مقبولة، ولم يصح أن أبيح في عهد الرسول الكريم ﷺ شيء من ذلك، ولا في عهد الخليفة الأول الصديق، ولا في عهد الخليفة الثاني الفاروق، بل ولا أبيحت أبدا في أي عصر من العصور الإسلامية، بل الثابت أن نكاح المتعة غير جائز، ويعرف بأنه زواج الرجل من امرأة وقتا معلوما[٢]، فلا يخرج نكاح المتعة من أي نكاح حرام.

ويقرر أحد الباحثين: « أن زواج المتعة في الشيعة ليس أكثر من استباحة ممارسة الجنس مع امرأة ليست في عصمة رجل[٣]، وحينئذ يجوز نكاحها، بعد أداء صيغة الزواج التي يستطيع الرجل أن يؤديها في كلمتين لا تحتاج إلى شهود[٤]، أو اتفاق عليها، وللمدة التي

---

(١) الدكتور موسى الموسوي – الشيعة والتصحيح – الصراع بين الشيعة والتشيع ص١٠٨ .

(٢) العلامة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي – مختصر الطحاوي ص١٨١ – تحقيق الأستاذ أبو الوفا الأفغاني – لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر أباد الدكن بالهند.

(٣) لأنها لو كانت في عصمة رجل . فإن زواجها على أية ناحية لا يكون صحيحا ولا ممكنا .

(٤) وهي نفس صورة الزواج العرفي الذي يقوم على ممارسة العلاقات الجسدية الكاملة بين رجل وامرأة تحت اسم وهمي هو الزواج العرفي. الذي لا يثبت نسبا. ولا يحتفظ للزوجة بأدنى حقوق مالية أو أدبية. فضلا عن كونها دينية.

يشاؤها الرجل مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه، وهي الجمع بين ألف زوجة بالمتعة تحت سقف واحد، وهو في ذلك كله على تمام الحرية[١].

ولا شك إن المرأة في زواج المتعة يكون موقفها هو الذل والهوان، إنها تصير كالسلعة التي يمكن للرجل أن يكدسها بعضها فوق بعض، وأن تكون تلك المرأة هي البئر الذي يلفظ فيه الرجال فضلاتهم، حيث تقضي أوقات عمرها بين أحضان الرجال واحدا بعد الآخر، باسم الشريعة، وهي من ذلك كله براء؛ لأن زواج المتعة يناقض قانون الله الذي شرعه لعباده.

ويدافع الشيخ محمد آل حسن كاشف الغطاء الشيعي الإمامي: عن زواج المتعة في الشيعة، فيقول: عقد الزواج الذي يقصد منه النسل ونظام العائلة، وبقاء النوع، وهو عندنا قسمان:-

☆ **الأول: عقد الدوام:** -وهو الزواج المطلق والعقد المرسل، وهو الذي عليه إجماع أهل الإسلام. قال تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع﴾[٢].

☆ **الثاني: عقد الانقطاع** :-وهو الزواج المقيد، والنكاح المؤقت، ويعرف بنكاح المتعة، ثم يدعي أنه مصرح به في الكتاب الكريم من قوله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما﴾[٣].

---

(١) العلامة الدكتور موسى الموسوي - الشيعة والتصحيح ص١٠٩ .

(٢) سورة النور - الآية ٣٢ .

(٣) سورة النساء - الآية ٢٤ .

قال ابن كثير: « كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك، كما قال تعالى: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾[1]، وكقوله تعالى: ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾[2]، وكقوله: ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا﴾[3]، وقد استدل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة ولا شك أنه كان مشروعا في ابتداء الإسلام ثم نسخ بعد ذلك، وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح، ثم نسخ ثم أبيح ثم نسخ مرتين. وقال آخرون: إنما أبيح مرة ثم نسخ ولم يبح بعد ذلك، وقد قيل بإباحتها لضرورة وهي رواية عن الإمام أحمد، وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك.

والعمدة في ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) قال: نهى رسول الله ﷺ عن نكاح المتعة، وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، ولهذا الحديث ألفاظ مقررة هي في كتاب الأحكام، وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سبرة بن معبد الجهني عن أبيه أنه غزا مع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة فقال: "يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا"، وفي رواية لمسلم في حجة الوداع وله ألفاظ موضعها كتاب الأحكام.

وقوله تعالى: ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ أي إذا فرضت لها صداقا فأبرأتك منه أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك، وقال ابن جرير: إن رجالا كانوا يفرضون المهر، ثم عسى أن يدرك أحدهم العسرة فقال: ولا جناح عليكم أيها الناس فيما تراضيتم به من بعد الفريضة، يعني إن وضعت لك منه شيئا فهو

(١) سورة النساء – من الآية ٢١ .

(٢) سورة النساء – من الآية ٤ .

(٣) سورة البقرة – من الآية ٢٢٩ .

لك سائغ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: والتراضي أن يوفيها صداقها، ثم يخيرها يعني في المقام أو الفراق، وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عليما حكيما﴾ مناسب ذكر هذين الوصفين بعد ما شرع هذه المحرمات »[1]،

ثم يقول كاشف الغطاء: « هو الذى انفردت به الإمامية من بين سائر فرق المسلمين فى القول بجوازه وبقاء مشروعيته إلى الأبد »[2].

ولاشك أن زواج المتعة الذى يتمسك به الإمامية الاثنا عشرية لا يوافقهم عليه أحد من أصحاب المذاهب الفقهية؛ لأن الزواج المؤقت المتفق عليه عند الشيعة الامامية فقط يقوم على:-

[١] يتم الزواج المؤقت – المتعة – بتلفظ صيغة العقد بدون شاهد[3].

[٢] الرجل فى الزواج المؤقت – نكاح المتعة – فى حل من نفقة المتعة[4]، وفى هذا مخالفة للآية الكريمة ﴿لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾[5].

[٣] يجوز للرجل فى نكاح المتعة الجمع بين أعداد لا تحصى من الزوجات وبلا شروط[6]، طالما كان زواجا مؤقتا، فيتحول الرجل إلى نوع من ذكور الحيوانات التى لا حياة لها إلا بممارسة شهوة الفرج.

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ ص٤٧٦ .

(٢) الإمام الشيخ محمد آل حسين آل كاشف الغطاء – أصل الشيعة وأصولها ص١٦٧ وقد عرض فكرته ودافع عنها اعتبارا من ١٦٦/١٨٦ .

(٣) وبالتالى يكون هذا العقد ناقصا الولى وشاهدى العدل. وفى الحديث الشريف: « لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل » (سبق تخريخه) .

(٤) المعروف أن الإنفاق يكون على الزوج فإن أعسر جاز لامرأته الإنفاق من مالها. وأن يكون هذا الإنفاق من الديون التى يكون عليه الوفاء بها مع ضرورة تسديدها وسدادها.

(٥) سورة الطلاق – الآية ٧ .

(٦) وفى هذا مخالفة لقوله تعالى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ [سورة النساء – من الآية ٣] وبالتالى فالزيادة على أربع زوجات تكون نوعا من الزنا.

[٤] الزوجة فى نكاح المتعة لا ترث الزوج أبدا مهما كانت مدة النكاح؛ لأن طبيعته أنه نكاح مؤقت، وفى هذا مخالفة لقوله تعالى: ﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾(١).

[٥] موافقة الأب أو الولى ليست شرطا فى نكاح المتعة بأى حال من الأحوال.

[٦] مدة الزواج المؤقت - زواج المتعة - قد تكون لربع ساعة، وقد تكون لمدة يوم واحد، وقد تكون لتسعين عاما حسب ما يقترحه الرجل وتقبله المرأة، وهى كلها فاسدة، والمرتكب لها إنما يمارس أعمالا محرمة على النواحى المتعددة.

ويفسخ نكاح المتعة بشروط، ويسمى عندهم فسخ عقد، ولا يسمى طلاقا، وجملة الشروط هى :-

[١] أن يقع فسخ العقد بدون حضور شاهدين، وبكلمة فسخت أو وهبت المدة.

[٢] أن عدة فسخ المدة بالنسبة للمرأة هى عدة الجارية بعد عتقها أى نصف عدة الحرة.

[٣] أن الفسخ يقع فى كل الأحوال، ويسمى فسخا، ولا يسمى طلاقا.

[٤] أن الرجل فى حل من نفقة الزوجة فى عدة الفسخ(٢).

وبالتالى؛ فإن المفاسد التى تجيء فى زواج المتعة، لا يمكن تجاوزها، بجانب أنها مخالفة لتعاليم الله تعالى على كافة النواحى الدينية والنفسية، بل والاقتصادية أيضا.

---

(١) سورة النساء - من الآية ١٢.

(٢) العلامة الدكتور موسى الموسوى - الشيعة والتصحيح ص١١٠/١١١.

غير أن الباب تمسك بزواج المتعة، لا على ناحية المتعة عند الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، الذي هو محل خلاف بين الشيعة، ورفضه أهل السنة جميعا، حيث توسع فيه، فلم يجعله مقيدا في مكتوبات، ولم يعط الفرصة لأي من الطرفين في التلفظ بصيغة الإيجاب والقبول، وإنما اعتبر أي الطرفين مالكا له بل على ناحية أخرى، حيث قرر أن الزواج المؤقت هو الوحيد الذي يجب أن يستمر، وقد تمسك به، مع أن نكاح المتعة كان موجودا قبل الإسلام، ثم نسخ لما يترتب عليه من المفاسد الخلقية والاجتماعية[1].

ومن المعلوم لدينا – نحن أهل السنة والجماعة – أن هذا الزواج المؤقت يتعلق بالمتعة فقط، فإذا قضى الرجل وطرا منها؛ تركها دون إنفاق عليها أو اعتراف بما وقع منه معها، ثم هو فوق ذلك زواج شهواني، لا يمثل الاستقرار، ولا يحافظ على أمن المجتمع، بل ولا يصون الأعراض، ويحافظ على الحرمات، وفوق ذلك فإنه مخالف لما شرع الله تعالى في هذا الباب، وبناء عليه؛ فإن تمسك الباب به إنما هو من باب المخالفة الدائمة لكل ما جاء به دين الإسلام الحنيف.

ثانيا: تحريمه تعدد الزوجات

أخبر الله تعالى في كتابه الكريم؛ أن الأصل في النكاح بالنسبة للرجل التعدد في الزوجات، بحيث لا يزيد عن أربع حرائر، أما ملك اليمين فليس هناك حصر في عدد بعينه، وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله جل شأنه، وهو اللطيف الخبير. قال تعالى: ﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا﴾[2].

وقد أنبأت الأيام حاضرها والغابر أن تعدد الزوجات في الإسلام كان علاجا لمشكلات كثيرة، بعضها نفسي، وبعضها اجتماعي واقتصادي، وبعضها داخل ضمن

---

(١) الدكتور حسن محرم الحويني – البابية والبهائية والقاديانية ص٥٢ .

(٢) سورة النساء – من الآية ٣ .

الضرورات الشرعية، وقد أفاض الدارسون في بيان بعض هذه الجوانب حسب توفيق الله تعالى، إذ قد تكون الزوجة الأولى عقيماً[١]، وزوجة يحتاج الذرية، فيأتي بالثانية، وقد يرزقه الله ما تاقت له نفسه من ولد يحمل نسبه في دار الدنيا، ويدعو له متى انتقل إلى الآخرة[٢].

وربما تكون الثانية قريبة من الأولى في بعض الظروف، فلا يتحقق الهدف من الزواج، وحينئذ يحتاج الأمر إلى الثالثة، وربما الرابعة، وكلهن يفضلن المشاركة في زوج واحد بدل أن تكون إحداهن مطلقة تعصف بها رياح القلق، وتقسو عليها الضغوط النفسية، فتنكفئ على داخلها، وتحرم من مباشرة ما أحله الله تعالى لها من حقوق[٣].

وربما إذا طلقت من زوجها راحت أنظار قريناتها إليها تطاردها خشية وقوع زوج واحدة منهن عليها، فيتم زواجه بها، ومن ثم؛ فهي مطاردة من النساء رغم أنفها، فكيف تعيش حياتها في شكل طبيعي وهي على يقين من أن من يتعاملن معها يحتطن في ذلك التعامل معها.

وقد قامت إحدى الباحثات بدراسة ميدانية أجرتها على مجموعة من الزوجات التي عدد أزواجهن عليهن، وكذلك فعلت مع مجموعة من المطلقات متفاوتات السن، وسألت أفراد المجموعتين عن أي الحلول أفضل، تعدد الزوجات أم الطلاق؟ فأجابت نسبة ٦٥٪ من المتزوجات

---

(١) قد يكون العقم بسبب الأنابيب الملتصقة التي لا تنفصل، وقد يكون لصغر رحمها كالرحم الطفولي. فلا تطيق ممارسة العلاقات الجسدية بشكل كامل، كما لا يمكنها الحمل أيضاً. وقد يكون لمرض في القلب. ونصح الأطباء بأن الحمل يؤدي بها إلى الموت. (راجع الحمل ومشكلاته لأدموند هارسيل – ترجمة دكتور فوزي محمد).

(٢) ففي الحديث الشريف: « عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له » الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٦٦٠ – باب في الوقف – حديث رقم: ١٣٧٦ .

(٣) راجع للشيخ منصور عبدالباقي العرابي – تعدد الزوجات في الإسلام ص٧٧ وما بعدها .

بالتعدد وأنهن، تفضلنه على الطلاق، وقد من مبرراتهن فى قبول التعدد، وذكرن أن الجنس عند الرجل ليس هو المسئول عن ذلك التعدد، بل هناك ظروف اجتماعية واقتصادية ونفسية هى التى تدفع إلى ضرورة ذلك وقبوله أيضا .

أما مجموعة المطلقات، فقد أجابت نسبة ٨٣٪ منهن بأن تعدد الزوجات أفضل من الطلاق، وقد من مبرراتهن لا على أساس رغبتهن فى ممارسة العلاقات الجسدية مع أزواج، وإنما ذكرن أن الزواج يمثل أمنا للمرأة على الناحية الاجتماعية، وتأمينا لها على الناحية الاقتصادية، إذ هى فى كنف رجل مسئول عنها، ثم هى صاحبة معاشه عند زفافه، وهى أيضا موطئ فراشة حين يفضى إليها، ثم هى وتمارس مهامها فى تدبير بيته وماله، مع مشاركات لها فيه، وفوق ذلك فهى بحاجة إلى الأمن النفسى، حتى قالت إحداهن: إن جزءا من ظل رجل، خير ألف مرة من ظل حيط كامل[1] .

بيد أن تعدد الزوجات فى الإسلام غالبا ما تكون له ضرورة شرعية واعتبارات إنسانية، وأخرى اجتماعية، وحينئذ يكون ضرورة مقدرة بقدرها . طبقا للقاعدة الأصولية الضرورة تقدر بقدرها[2]، وكان عمل الرسول ﷺ والصحابة من بعده. وكذا عمل التابعين، وإجماع الأمة، على أن الأصل فى النكاح هو تعدد الزوجات مع الرجل الواحد . أم

---

(١) الباحثة الهندية بارا باراتش. حيث أجرت تلك الدراسة فى الجماعة المسلمة فى الهند بنيودلهى. كما اجرت جزءا أخر على مجموعة من السيدات المسلمات فى فرنسا. وحصلت على الدرجة العلمية المقدرة لها من جامعة ليون بفرنسا. (راجع للأستاذ محمود أحمد الزير - شريعة تعدد الزوجات فى الإسلام ص٨٧ وما بعدها ط ١٩٤٣م - دار الوعى بلاهور) .

(٢) الإمام جلال الدين السيوطى - النظائر والأشباه فى فروع فقه الشافعية ص٣٣٧ . وراجع للدكتور على حسب الله أصول التشريع الإسلامى. ولأبى المعالى الجوينى: الورقات فى أصول الفقه. وبالحاشية شرح العلامة السيوطى مع تقرير الشيخ الأخيلى.

عند الاستثناء، فتكون الزوجة الواحدة، وذلك مقيد بقوله تعالى: ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾[1] .

إلا أن الباب يعكس الأمور، فيطالب الرجال بأن يتبادلوا النساء التبادل الانحلالي، باعتبار أن عشيقته قرة العين كانت قد شرعت ذلك في خطبتها، حيث قالت: « لا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، إذ لا ردع الآن ولا حد، ولا منع ولا صد »[2]، ونظرا لتمكنها من قلب هذا المتيم بأحضانها، فقد أصدرت رأيها وأصرت عليه، وقد استجاب هو إلى ما ذهبت إليه، بل لم يجد أدنى غضاضة في أن تكون قرة العين هذه عشيقة مشتركة بين الباب والبشروئي -القدوس -على ما سلف القول به، وهما مرتدان فيقتلان حدا .

يقول صاحب حاشية على زاد المستقنع :« من جحد تحريم الزنا أو شيئا من المحرمات الظاهرة المجمع عليها بجهل عرف ذلك، وإن كان مثله لا يجهله كفر »[3]، ويقول المحشي: « إذا كان الجاحد لتحريم الزنا ناشئا بين المسلمين وعلمائهم، فإنه يكفر بمجرد جحدها؛ لأنه مكذب لله، ومن كذب الله أو كذب رسوله فقد كفر »[4]، .

يقول الباب الشيرازي: « سمعتم أن الشريعة السابقة المحمدية كانت تسمح بتعدد الزوجات -حتى يكن تقطيع الأغنام بينهن كبش واحد، أما أنا فأقول: إن الإنسان ليس حيوانا، والمرأة كالرجل، فالكل واحد واحدة، وإياكم والزيادة، فإنها لا تجلب السعادة »[5]، ولا شك أن ذلك التشبيه الحيواني ينعكس على الباب ونحلته، ويعكس صورة

---

(١) سورة النساء – من الآية ٣ .

(٢) السيد أمير محمد الكاظمي القزويني – البهائية في الميزان ص٧٥ .

(٣) الشيخ صالح إبراهيم البليهي – السلسبيل في معرفة الدليل حاشية على زاد المستقنع ج٣ ص١٤٣ ط/١٣٩٦/٨هـ الشركة المصرية للطباعة والنشر.

(٤) الشيخ صالح إبراهيم البليهي – حاشية على زاد المستقنع ص١٤٣ .

(٥) الشيخ نعمت الله محمد القشقندي – الباب والبهاء أعداء الشريعة الإسلامية ص١٩٥ ط/١٣٣٥/١هـ

التحلل الأخلاقي الذي يعيش في وجدان ذلك الأحمق، كما يؤكد أن اليد التي كتبت تلك الأفكار إنما هي وثنية، لا تعرف للشرع الإسلامي حرمة .

يقول الباب أيضا : « إن تعدد الزوجات كان من الضروريات في العصور البدائية، أما الآن فإن التطور لم يجعل له من وجود في الوقت الحاضر، وما سيأتي بعد؛ لأني أنا الله مظهر الحق منذ الأزل، وليست المرأة حيوانا يستعجم، بل هي صورة بشرية لمظهر إلهي أيضا »[1]، ولعلك لاحظت أنه يحاول استرضاء قرة العين بقدر إمكانه، ولا مانع لديه من الإسراف في الطعن على شرع الله؛ لأن المنحرفين عن الهدى الإلهي لا يجدون وازعا يدفعهم إلى الخوف من الله، كما أن ضمائرهم تكون خربة إلى أبعد مدى، وبالتالي فلا حسبان لما يقولونه ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[2] .

يقول أحد العلماء : « إن الباب يحاول أن يضيف إلى رصيد المرأة كل ما يمكنه إضافته إليها لا بغضا ، لجنس الرجال، وإنما حتى يدفع المرأة إلى الالتحام بالرجل، فلا تنازعه باعتبار أنها مالكة أمره، القابضة على ناصية فكره، كأن الباب بهذا يقدم لعشيقته هدية استرضاء، وكيف لا وهو الذي أعلن ألف مرة عن المفروضات البديلة »[3]، ولا شك أن تلك الهدية قد وعد بها من لا يملك من لا يستحق، حتى إن الظنون لتأخذ بالأسباب من جراء ذلك التحلل الذي ما بعده انحلال .

بيد أن سيرة الباب الشخصية لا تجعل الدارس يستغرب صدور هذا السلوك الشاذ عن واحد كهذا ، وبخاصة ما ذكر من أن قرة العين والقدوس كانا يركبان معا في هودج واحد، ويدخلان معا حماما واحدا، ولما ثار أهل القرية التي نزلا بحمامها معا، ورفضوا السماح

---

(١) الأستاذ نور الدين أحمد البرهاني – البابية كما قرأتها ص٤٣ ط١٩٣٧/١م.

(٢) سورة الفرقان – من الآية ٤٤ .

(٣) الشيخ حسان محمد الأدهم – دور المرأة في التشريعات البابية ص٥٧ – طبعة الدار القومية بكرانشي ١٣٤٣هـ.

لهما بممارسة تلك الفواحش، وقاموا بمطاردتهما حتى فرا هاربين، تقدم أهل تلك القرية للباب بشكوى من سلوك قرة العين، وتهتكها السافر، فما كان منه إلا أن قال فى صلف وغرور: ماذا عسى أن أقول فيمن سماها لسان العظمة والقدرة بالطاهرة[1].

بل إن الباب لا يجعل قصر الزواج من الرجل على واحدة من النساء نوعا من التشريع المستجد بالنسبة له، وإنما يطالب بتحريم التعدد، حتى لو كان فى زوجتين، أو ما فوق الأولى بواحدة، فيقول: « أقول لكم إن تعدد الزواج ولو بواحدة بعد التى معك، إنما هو الزنى، ومن تزوج واحدة مع الواحدة فقد زنا بهما معا »[2]. وهو بهذا إنما يخدم قضية زائفة لا وجود لها، ويعمل على تدعيم موقف للمرأة فى مواجهة الرجل، كأنهما فى مصارعة وليسا فى حياة فيها المودة والرحمة.

يقول الدكتور حسن محرم: « ومما يضاف إلى تشريعاته فى رصيد المرأة تحريمه لتعدد الزوجات، متجاهلا ما يدعو إليه التعدد، ويقتضيه من الضروريات الاجتماعية والحيوية والإنسانية فى كثير من الأحيان »[3]، لكن الباب الشيرازى لم يفكر إلا فى إرضاء نزعات قرة العين كممثل لجنس النساء، مع أنه فيما فعل قد أضر بها غاية الضرر من حيث قصد تقديم المصلحة والكشف عن المنفعة. أما كيف؟

فلأنه لما قصر الزواج على واحدة، وحرم التعدد، فقد أغلق فى وجه المرأة النافذة التى كانت تطل منها؛ لأنها بعد موت زوجها، كانت تبحث عن زوج تتقاسم فيه مع أخرى، بحيث تكون غطاء لأعمالها الانحلالية، وتصرفاتها المجنونة، وفى نفس الوقت؛ لا تقع تحت طائلة العقاب ممن يطبقون نصوص القانون الأرضى، فضلا عن حماة التشريعات الإلهية[4]، وحينئذ

---

(١) الأستاذ إحسان إلهى ظهير – البابية ص٢٤٧.

(٢) الشيخ حسان محمد الأبهم – در المرأة فى التشريعات البابية ص٥٨.

(٣) الدكتور حسن محرم السيد الحوينى – البابية والبهائية والقاديانية ص٥٣.

(٤) الشيخ سعد الله توفيق عبدالعاطى – الإسلام والدعوات الهدامة ص١٢٥.

يتحول موقفه معها من بطل أسطوري إلى موقف الدبة الغبية التى قتلت صاحبها من باب الخوف عليه(١)، وهو ما تحدثت به القصص التى يجريها أصحابها على لسان الحيوان.

❁ **وفى تقديرى:** أن تعدد الزوجات فى الإسلام له مزايا عديدة، ويمثل نوعاً من العلاج الضرورى لحالات كثيرة، يضيق الحصر على من يحاول التعرض لها عن هذا الطريق، بل إن تعدد الزوجات يمثل حقاً من حقوق المرأة على الرجل، ومما لا شك فيه؛ أن الإسلام فى أصوله قد كرم المرأة. وأعطانا حقوقاً متساوية مع حقوق الرجل، ولكنه فى شريعته قد فرق بين النساء والرجال، وميز الرجال عليهن درجة، ولذلك فإننا نجد فى آيات الأصول المساواة فى الحقوق، كما ساوت النساء بالرجال فى أداء الواجبات. قال تعالى: ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾(٢).

غير أننا نجد فى الآيات التى جاءت فيها الفروع - الشريعة - أن الرجال أوصياء على النساء. قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾(٣).

يقول أحد الباحثين أن الدارس للآيات القرآنية يظهر له فيها أن خطاب القرآن الكريم تتعدد مستوياته فى شأن العلاقة بين الرجل والمرأة، أحدها مستوى فيه التكريم والمساواة

---

(١) ويجملها أن دبة عشقت صاحبها إلى حد كبير. ونظر لأنه الذى كان يحرك لها خوارها الذى تحن به. فقد اشتد حرصها عليه. وذات مرة نام فانقلب عليه الذباب. وأرادت إبعاده عن وجهه. فلم تفلح. فقامت إلى حجرة كبيرة ثم رفعته عاليا وهوت به على رأس صاحبها بغية قتل الذباب. فمات صاحبها فى الحال مقتولا.

(٢) سورة البقرة - من الآية ٢٢٨.

(٣) سورة النساء - الآية ٣٤.

والحرية، ذلك لأنه يقوم على تقرير مبدأ المسئولية الفردية، وثانيها يقوم على التفرقة بين النساء والرجال؛ لأنه إنما يقوم على الوصاية، وصاية الرجال على النساء[١]، فصار تعدد الزوجات واجبا على الرجل تجاه المرأة، لكنه واجب مقيد بالقدرة من الرجل عليه .

ثالثا: طلبه المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة

بين الله تعالى أن الرجال قوامون على النساء، وهذه القوامية لها ما يبررها من الناحية البيولوجية والنفسية، بل والعقلية والاجتماعية أيضا . قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾[٢] .

يقول الحافظ ابن كثير: « الرجل قيم على المرأة، فهو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ أي لأن الرجال أفضل من النساء، والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال، وكذلك الملك الأعظم لقوله ﷺ: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[٣]، وكذا منصب القضاء وغير ذلك ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لهن في

---

(١) الأستاذ جمال البنا – الدعوات الإسلامية المعاصرة ومالها وما عليها ص٢١٤ .

(٢) سورة النساء – الآية ٣٤ .

(٣) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٦١٠– باب كتاب النبي e إلى كسرى وقيصر – الحديث رقم: ٤١٦٣ : عن أبي بكرة قال: « لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

كتابه وسنة نبيه ﷺ، فالرجل أفضل من المرأة في نفسه، وله الفضل عليها والإفضال، فناسب أن يكون قيما عليها[1]، كما قال الله تعالى: ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ الآية.

قال ابن عباس: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ يعني أمراء عليهن، أي تطيعه فيما أمرها الله به من طاعته، وطاعته أن تكون محسنة لأهله حافظة لماله. وقال الحسن البصري: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تشكو أن زوجها لطمها، فقال رسول الله ﷺ: "القصاص" فأنزل الله عز وجل: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾. فرجعت بغير قصاص، وعن علي قال: أتى رسول الله ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت: يا رسول الله أن زوجها فلان بن فلان الأنصاري وانه ضربها فأثر في وجهها، فقال رسول الله ﷺ ليس له ذلك[2]، فأنزل الله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أي في الأدب فقال رسول الله ﷺ: "أردت أمرا وأراد الله غيره".

وعن جرير بن حازم « عن الحسن في رجل لطم امرأته فأتت تطلب القصاص فجعل النبي صلى الله عليه وسلم بينهما القصاص فأنزل الله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه، ونزلت الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض »[3]،

وقوله تعالى: ﴿فالصالحات﴾ من النساء ﴿قانتات﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله، وقوله: ﴿بما حفظ الله﴾ أي المحفوظ من حفظه الله. فعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ: "خير النساء امرأة إذا نظرت إليها سرتك، وإذا

---

(١) وهذه القيومية لا تنتقص حق المرأة ولا تدرها. بل ترفعها منزلة أعلى من الأخرى التى لا قيومية لزوجها عليها. يدرك ذلك من له إلمام بطبائع النساء. (دكتور فوزى محمد الطويل – دراسات فى الشرعية الإسلامية ص١٩٥).

(٢) المنفى هو الضرب الذى يترك أثرا فى وجه المرأة. أو يجعلها فى موضع الألم البدنى الشديد.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج: ٥ ص: ٤١١ – الحديث رقم: ٢٧٤٩٣ .

- أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك"، قال: ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾[١] .

وقال الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن عوف قال، قال رسول الله ﷺ : إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت"[٢]، وقوله تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ أي النساء اللاتي تتخوفون أن ينشزن على أزواجهن[٣]، فمتى ظهر له منها أمارات النشوز فليعظها وليخوفها عقاب الله في عصيانه؛ فإن الله قد أوجب حق الزوج عليها طاعته، وحرم عليها معصيته لما له عليها من الفضل والإفضال، وقد قال رسول الله ﷺ : "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها"[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: ، قال رسول الله ﷺ : "إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تصبح"[٥] .

﴿واهجروهن في المضاجع﴾ قال ابن عباس: الهجر هو أن لا يجامعها، ويضاجعها على فراشها ويوليها ظهره، وكذا قال غير واحد وزاد آخرون في رواية: ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعظها فإن هي قبلت، وإلا هجرها في المضجع ولا يكلمها من غير أن يرد نكاحها وذلك عليها شديد . وقال مجاهد والشعبي: الهجر هو أن لا يضاجعها . وعن معاوية بن حيدة القشيري أنه قال: يا رسول الله ما حق امرأة

---

(١) سورة النساء – من الآية ٣٤ .

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ١ ص: ١٩١ – الحديث رقم: ١٦٦١ .

(٣) النشوز هو الإرتفاع. فالمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها. التاركة لأمره. والمعرضة عنه. المبغضة له

(٤) سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٦٥ – باب ما جاء في حق الزوج على المرأة – الحديث: ١١٥٩ . سنن الدارمي ج: ١ ص: ٤٠٦ – باب النهي ان يسجد لأحد – الحديث: ١٤٦٤. المستدرك على الصحيحين ج: ٤ ص: ١٩٠ – الحديث: ٧٣٢٥ .

(٥) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ١٠٦٠ – باب تحريم امتناعها من فراش زوجها – الحديث: ١٤٣٦

أحدنا عليه؟ قال: "أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت[١]".

وقوله: ﴿واضربوهن﴾ أي إذا لم يرتدعن بالموعظة ولا بالهجران، فلكم أن تضربوهن ضربا غير مبرح، ودليل ذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال في حجة الوداع: "واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان (عوان: أي أسيرات، شبههن ﷺ بالأسيرات شفقة ورحمة) ولكم عليهن أن لا يطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح، ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف[٢].

قال الفقهاء: ضرب المرأة هو أن لا يكسر فيها عضوا ولا يؤثر فيها شيئا، وقال ابن عباس: يهجرها في المضجع فإن أقبلت وإلا فقد أذن الله لك أن تضربها ضربا غير مبرح، ولا تكسر لها عظما فإن أقبلت، وإلا فقد أحل الله لك منها الفدية. وقال النبي ﷺ: "لا تضربوا إماء الله"، فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرت[٣] النساء على أزواجهن، فرخص رسول الله ﷺ في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشتكين أزواجهن، فقال رسول الله ﷺ: "لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشتكين من أزواجهن ليس أولئك بخياركم[٤]"

---

(١) مصنف عبد الرزاق ج: ٧ ص: ١٤٨ – باب حق المرأة على زوجها وفي كم تشتاق – الحديث رقم: ١٢٥٨٤

(٢) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٨٩٠ – باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم – الحديث: ١٢١٨، وهذا جزء من حديث طويل.

(٣) ذأر: فيه (أنه لما نهى عن ضرب النساء ذئر النساء على أزواجهن) أي نشزن عليهم واجترأن. يقال: ذئرت المرأة تذأر فهي ذئر وذائر: أي ناشز. وكذا الرجل » (العلامة ابن الأثير – غريب الحديث والأثر – المجلد الثاني – حرف الذال – باب الذال مع الهمزة.)

(٤) المستدرك على الصحيحين ج: ٢ ص: ٢٠٥ – الحديث رقم: ٢٧٦٥ .

﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ أي إذا أطاعت المرأة زوجها في جميع ما يريده منها، مما أباحه الله له منها فلا سبيل له عليها بعد ذلك، وليس له ضربها ولا هجرانها . وقوله: ﴿إن الله كان عليا كبيرا﴾ تهديد للرجال إذا بغوا على النساء من غير سبب، فإن الله العلي الكبير وليهن، وهو ينتقم ممن ظلمهن وبغى عليهن »[1] .

وهذه القوامية هي درجة الرياسة لهذه الجماعة الصغيرة المتمثلة في الأسرة، وكل جماعة إنسانية. وإن قل أفرادها لا تنتظم إلا برئيس يرجع إليه في حل مشكلاتها، وحمايتها، فهي تجعل تبعات الرجل أثقل، وواجباته أكثر[2] .

ومن ثم؛ فلا يمكن أن تقع المساواة بينهما في هذه الجوانب، وإلا تغيرت بيولوجيا كل منهما، حيث لا يمكن للمرأة أن تكون رجلا، وإن أمكن لبعض الرجال أن يكونوا نساء في بعض الأحيان، وتحت ظروف بعينها .

فالإسلام قرر وجود نوع من المساواة بينهما في الأجور المترتبة على الأعمال الصالحة والفاسدة . قال تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾[3] .

قال الإمام القرطبي: « قال الحسن: ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجاب لهم . وقال جعفر الصادق: من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد .

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج١ ص٤٩٢ .

(٢) الدكتور على حسب الله – أصول التشريع ص٤٢٧ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٩٥ .

قيل: وكيف ذلك ؟ قال: اقرؤوا إن شئتم "الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم" إلى قوله: "إنك لا تخلف الميعاد[١]،"

وعن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله، ألا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء ؟ فأنزل الله تعالى: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من: ذكر أو أنثى[٢]،"

"بعضكم من بعض" ابتداء وخبر، أي دينكم واحد . وقيل: بعضكم من بعض في الثواب والأحكام والنصرة وشبه ذلك . وقال الضحاك: رجالكم شكل نسائكم في الطاعة، ونساؤكم شكل رجالكم في الطاعة»[٣]؛ نظيرها قوله عز وجل: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض[٤]"، ويقال: فلان مني، أي على مذهبي وخلقي .

كما أكد أنهما معا يتكاملان، فتحدث الأسرة أو الجماعة الصغيرة، وإن كلا منهما عند الاستقلال، لا تتكون منه الأسرة، أما عند اجتماعهما، فإن أمر الأسرة يكون واقعا على ناحية صحيحة، وفي الحديث الشريف : عن عائشة قالت: «سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى أنه قد احتلم ولم يجد بللا قال لا غسل عليه قالت أم سلمة يا رسول الله هل على المرأة ترى ذلك غسل قال نعم إن النساء

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١ / ١٩٤ .

(٢) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٢٣٧ – الحديث رقم: ٣٠٢٣ ، المستدرك على الصحيحين ج: ٢ ص: ٣٢٨ – الحديث رقم: ٣١٧٤ .

(٣) العلامة القرطبي – تفسير القرطبي – ج٤ ص٣١٨ .

(٤) سورة التوبة – الآية ٧١ .

شقائق الرجال »[1]، وللرجال ما للنساء؛ لأنهما أفراد، بل للنساء ما للرجال من الحقوق، وحق المرأة من استعمال حقها فى الخلع من غير حاجة إليه، فيقول ﷺ: « أيما امرأة اختلعت من زوجها من غير بأس لم ترح رائحة الجنة »[2].

وعلى كل فإن لكل منهما ما على الآخر من الواجبات كل فيما يخصه ويؤدى به إلى إنجاح دورة فى الحياة من غير تعسف فى استعمال الحق الذى شرعه الله لكل منهما، حيث أمر الرجال بحسن المعاشرة، فقال جل شأنه: ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾[3].

يقول الشافعي – رحمه الله – : « قوله عز وجل: وعاشروهن بالمعروف وقال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف قال وجماع المعروف إتيان ذلك بما يحسن لك ثوابه وكف المكروه وقال في موضع آخر فيما هو لي بالإجازة عن أبي عبد الله وفرض الله أن يؤدى كل ما عليه بالمعروف.

وجماع المعروف إعفاء صاحب الحق من المؤنة في طلبه وأداؤه إليه بطيب النفس لا بضرورته إلى طلبه ولا تأديته بإظهار الكراهية لتأديته وأيهما ترك فظلم لأن مطل الغني ظلم ومطله تأخير الحق قال وقال الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف والله أعلم أي فما لهن مثل ما عليهن من أن يؤدى إليهن بالمعروف وفي رواية المزني عن الشافعي وجماع المعروف

---

(١) سنن الترمذي ج: ١ ص: ١٨٩/١٩٠ – باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللا ولا يذكر احتلاما حديث رقم: ١١٣ . سنن البيهقي الكبرى ج: ١ ص: ١٦٨ حديث رقم: ٧٦٧. وأخرج العلامة الدارمي – سنن الدارمي ج: ١ ص: ٢١٥– حديث رقم: ٧٦٤ (بلفظ أخر).

(٢) الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٩٢ – باب ما جاء في المختلعات حديث رقم: ١١٨٦ وروى عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال المختلعات هن المنافقات » وقال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي

(٣) سورة النساء – من الآية ١٩ .

بين الزوجين كف المكروه وإعفاء صاحب الحق من المؤنة في طلبه لا بإظهار الكراهية في تأديته فأيهما مطل بتأخيره فمطل الغني ظلم »[1] .

غير أن هناك بعض الفوارق الطبيعية خلقها الله تعالى بين الرجل والمرأة، تعتبر من قبيل الفروق الفرضية، بلغة أصحاب الكيمياء والطبيعة، أو الفروق الفردية بلغة علماء النفس والاجتماع ، وهذه الفروق الفردية هى التى تجعل مسألة التخصيص فى النوع قائمة والتمايز منضبطة، وتجعل إمكانية المساواة فى هذا الجانب بعيدة جدا ، فإذا أردنا تقديم صورة عملية لعدم إمكانية وجود المساواة المطلقة بين طرفى الفرع الواحد .

نجد ذلك واضحا فى :-

أ- بوادر الخلاف التى تجرى بين الزوجين :-

حيث أعطى الإسلام حق تقويم المرأة متى بان له أنها ستقع فى نشوز، وصرح له باستعمال هذا الحق على مراتب، بحيث لا يقفز إلى أحدها تاركا ما قبلها . قال تعالى: ﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا﴾[2] .

قال الشافعي : « قوله واللاتي تخافون نشوزهن يحتمل إذا رأى الدلالات في أفعال المرأة وأقاويلها على النشوز وكان للخوف موضع أن يعظها فإن أبدت نشوزا هجرها فإن أقامت عليه ضربها وذلك أن العظة مباحة قبل فعل المكروه إذا رؤيت أسبابه وأن لا مؤنة فيها عليها تضربها وإن العظة غير محرمة من المرء لأخيه فكيف لامرأته والهجر لا يكون إلا بما يحل له لأن الهجرة محرمة في غير هذا الموضع فوق ثلاث والضرب لا يكون إلا ببيان الفعل فالآية في العظة والهجرة والضرب على بيان الفعل تدل على أن حالات المرأة في اختلاف ما تعاتب فيه وتعاقب من العظة والهجرة والضرب مختلفة فإذا اختلفت فلا يشبه معناها إلا ما

---

(١) العلامة محمد بن إدريس الشافعي – أحكام القرآن – ج: ١ ص: ٢٠٣/٢٠٤ .

(٢) سورة النساء – من الآية ٣٤ .

وصفت وقد يحتمل قوله تعالى تخافون نشوزهن إذا نشزن فخفتم لجاجتهن في النشوز أن يكون لكم الجمع بين العظة والهجرة والضرب »[١].

وفي نفس الوقت فإن الإسلام أعطى للمرأة حق طلب الصلح مع زوجها[٢]، وليس حق التقويم، متى خافت من زوجها النشوز أو الإعراض، وهو فارق جوهري بين الرجل والمرأة، ولا يمكن أن تقع فيه المساواة المطلقة. قال تعالى: ﴿وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا﴾[٣].

قال الجلالان[٤]: « وإن امرأة توقعت من بعلها زوجها نشوزا ترفعا عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها وطموح عينه إلى أجمل منها أو إعراضا عنها بوجهه فلا جناح عليهما أن يصالحا في القسم والنفقة بأن تترك له شيئا طلبا لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها والصلح خير من الفرقة والنشوز والإعراض قال تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان وأحضرت الأنفس الشح وهي شدة البخل التي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه كما أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها وإن تحسنوا عشرة النساء وتتقوا الجور عليهن فإن الله كان بما تعملون خيرا فيجازيكم به »[٥].

---

(١) العلامة الشافعي – أحكام القرآن ج: ١ ص: ٢٠٨/٢١٠ .

(٢) تلك الخصومات لا تكون مع أي رجل من أية امرأة. إنما تكون مع امرأة وزوجها في زوجية قائمة. ومن ثم فلا يكون ذلك قائما في زوجية منقطعة. لعدم وجود مبررات لذلك.

(٣) سورة النساء – الآية ١٢٨ .

(٤) هما العلامة جلال الدين المحلي والعلامة جلال الدين السيوطي تلميذا للمحلي. وكان المحلي قد أتم تفسير القرآن من أول الفاتحة حتى نهاية سورة الكهف. فقام تلميذه السيوطي بإكمال التفسير على طريقة أستاذه وسماه الجلالين.

(٥) العلامة جلال الدين المحلي ، والعلامة جلال الدين السيوطي – تفسير الجلالين ج: ١ ص: ١٢٥.

جعل الإسلام إيقاع الطلاق من حقوق الرجل على امرأته، ولم يجعله من حقوق المرأة على الرجل، من ذلك قوله تعالى: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم﴾[1] .أما لماذا ؟

فلأن الرجل في الكثير أقوى على كظم غيظه، وضبط أعصابه، وأبعد عن التأثر بالعواطف العارضة، وأحرص على بقاء الزوجية لما يتحمل من تبعاتها، ويعاني من آثار قطعها، فلم يجعل الطلاق بيده لأنه أقدر على إيقاعه، بل لأنه الأقدر على عدم إيقاعه، فإذا أساء العشرة، وقصر في حقوق امرأته؛ كان لها أن تفتدي نفسها منه بمثل ما أعطاها من مهر، أو ترفع الأمر إلى القاضي لينتصف لها، ويقرر ما يراه خيرا بشأنها[2] .

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٣١ .

(٢) الدكتور علي حسب الله على أصول التشريع الإسلامي ص٤٢٨. وجاء في السنة النبوية عن الخلع : « فعن الربيع بنت معوذ بن عفراء أنها اختلعت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها النبي صلى الله عليه وسلم أو أمرت أن تعتد بحيضة قال وفي الباب عن بن عباس قال أبو عيسى حديث الربيع الصحيح أنها أمرت أن تعتد بحيضة »(الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٩١ – باب ما جاء في الخلع حديث رقم: ١١٨٥) واختلف أهل العلم في عدة المختلعة فقال أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم إن عدة المختلعة عدة المطلقة ثلاث حيض وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة وبه يقول أحمد وإسحاق قال بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم إن عدة المختلعة حيضة قال إسحاق وإن ذهب ذاهب إلى هذا فهو مذهب قوي. وفي الأثر : عن جمهان « أن امرأة اختلعت من زوجها بخلعها فجعله عثمان تطليقة وما سمى » (العلامة ابن أبو شيبة – مصنف ابن أبي شيبة ج: ٤ ص: ١١٧ – ما قالوا في الرجل إذا خلع امرأته كم يكون من الطلاق رقم: ١٨٤٢٩).

وعن جبير بن مهران التميمي قال« سألت عبد الله بن أبي أوفى عن امرأة اختلعت من زوجها ببقية مهر كان لها عليه فهل لهما أن يتراجعا قال نعم إن لم يكن ذكر فيها طلاقا بمهر جديد قال وسألت ماهان فقال نعم ولو يكون من الماء »(١)، ولعلك لاحظت الفرق بينهما في المسألة، مما يجعل القول بالمساواة المطلقة بينهما أمرا غير مقبول.

وعن أبي هريرة قال: « جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله أنا فلانة بنت فلان قال قد عرفتك فما حاجتك قالت حاجتي إلى ابن عمي فلان العابد قال قد عرفته قالت يخطبني فأخبرني ما حق الزوج على الزوجة فإن كان شيئا أطيقه تزوجته وإن لم أطق لا أتزوج قال من حق الزوج على الزوجة أن لو سأل منخراه دما وقيحا وصديدا فلحسته بلسانها ما أدت حقه لو كان ينبغي لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها قالت والذي بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت في الدنيا »(٢).

جـ ـ الطاعة الكاملة فيما يرضي الله ـ

☆ **أوجب الإسلام على المرأة المسلمة أن تطيع زوجها المسلم الملتزم، في كل ما يأمرها به، طالما لم يكن فيما يأمرها به شيء مما يغضب الله تعالى.**

ففي الحديث الشريف: « عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ولو أن رجلا أمر امرأة أن تنقل من جبل أحمر إلى جبل أسود ومن جبل أسود إلى جبل أحمر لكان نولها أن تفعل »(٣).

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج: ٤ ص: ١٢٣– ما قالوا في المختلعة لزوجها أن يرجعها رقم: ١٨٥٠٥ .

(٢) سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٨٤ – حديث رقم: ١٣٢٦٣ .

(٣) الإمام ابن ماجة – سنن ابن ماجه ج: ١ ص: ٥٩٥ – ٤ باب حق الزوج على المرأة ١٨٥٢ . والحديث جاء ذكره في السنة النبوية بأكثر من رواية ؛ فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها . (سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٦٥ – ١٠ باب ما جاء في حق الزوج على المرأة رقم:١١٥٩).

أما إذا كان أمره لها مخالفا لما شرع الله تعالى، فإن طاعة الله هي التي تكون واجبة، أما طاعة الزوج في المعصية حرام شرعا، لقوله ﷺ: « لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل »[1]. وعن بن عمر قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع عليه ولا طاعة »[2].

ولا شك أن هذه الطاعة من الزوجة للزوج وجوبية، لكنه جل شأنه لم يجعل طاعة الرجل لامرأته وجوبية، وإنما هي مرشد ومستشار، فإن صح رأيها كان له الأخذ به، وإن لم يصح كان له حق إهماله دون أن يعتبر في أي من الحالتين ناشرا، أو مخالفا لقاعدة شرعية.

في نفس الوقت؛ أوجب الإسلام على المرأة أن لا تخرج من بيتها بغير إذن زوجها، ففي الحديث الشريف: عن ابن عمر قال « سمعت رسول الله يقول إن المرأة إذا خرجت من بيتها وزوجها كاره ذلك لعنها كل ملك في السماء وكل شيء تمر عليه غير الجن والإنس حتى ترجع »[3].

بل ولا تبيت خارج فراشها بغير إذن زوجها أيضا، وإلا كانت آثمة تستحق اللعن، ففي الحديث الشريف: عن أبي هريرة قال: « قال النبي ﷺ إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع »[4].

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ١ ص: ١٣١ – حديث رقم: ١٠٩٥ عن أبي عبد الرحمن السلمي. وأخرجه عبدالرزاق – مصنف عبد الرزاق ج: ٢ ص: ٣٨٣– حديث رقم: ٣٧٨٨ وأخرجه الطبراني – المعجم الأوسط ج: ٤ ص: ٣٢١ رقم: ٤٣٢٢ .

(٢) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٢٠٩ – باب ما جاء لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق – الحديث رقم:١٧٠٧ .

(٣) الإمام الطبراني – المعجم الأوسط ج: ١ ص: ١٦٤– حديث رقم: ٥١٣

(٤) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ١٩٩٤ – حديث رقم: ٤٨٩٨ .

ومن إجماع هذه النصوص الصريحة، نجد أن طاعة المرأة المسلمة لزوجها وجوبية، طالما كانت في مرضاة الله شيء، ولم يأمرها بمعصية الله، كما لم يدفعها الزوج إلى الخروج بحال من الأحوال على ما شرع الله تعالى.

أضف إلى ما سبق ما يتعلق بالعلاقات الجسدية، فإنه متى طلب الرجل امرأته لحاجته فعليها طاعته. ما لم يكن عندها من الأعذار ما يمنع الإتيان منها أو المباشرة معها، كالحيض والنفاس، وأمراض الجهاز التناسلي، والعمليات الجراحية في ذات المكان، ففي الحديث الشريف: عن طلق بن علي قال: « قال رسول الله ﷺ إذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور »[(١)]. فإنها إن أتت زوجها أزالت ما بنفسه من انفعال، وخففت عنه بعض ما يعاني في داخله. فيزول الغضب، ويقع في نفسه الرضا والسكينة.

وعن أبي هريرة قال: « قال رسول الله أيما امرأة صامت بغير إذن زوجها فأرادها على شيء فامتنعت عليه كتب الله عليها ثلاثاً من الكبائر »[(٢)]. هذا إذا كان صيامها من النوافل. أما إذا كان صيامها في الفرض، فإن عليها التمسك بأمر ربها، ولا عبرة بموافقة زوجها أو غضبه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح »[(٣)]، مادامت قادرة على تلبية ما طلبت، أما إذا كانت من أصحاب الأعذار، فإن الأمر يختلف ولا عقوبة عليها، بل ولا تعتبر ناشزا.

---

(١) العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ٩ ص: ٤٧٣ – رقم: ٤١٦٥ وأخرجه الترمذي – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٦٥ – باب ما جاء في حق الزوج على المرأة – رقم: ١١٦٠. وذكره صاحب الترغيب والترهيب ج: ٣ ص: ٣٨ رقم: ٢٩٨٩.

(٢) الإمام الطبراني – المعجم الأوسط ج: ١ ص: ١٢– رقم: ٢٣.

(٣) صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١١٨٢ رقم: ٣٠٦٥.

وعن جابر بن عبد الله «أن النبي ﷺ رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن معها مثل الذي معها»[1].

ولا شك أن الصور التي عرضت بعضا منها لا تتحقق فيها المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة، ومن ثم؛ فإن القول بضرورة المساواة بين الرجل والمرأة مطلقا كالذي يطالب به الباب الشيرازي يعتبر قولا غير سليم، بل ولا علاقة له بالواقع العلمي أو العملي، فضلا عن الأسس الشرعية التي يمكن أن تقوم عليها، ولا يمكن للباب أو أتباعه أن يقدموا دليلا واحدا مقبولا على ضرورة وقوع المساواة الكاملة بين الزوجين، وأحسب أن ما يردده البابيون إنما هو أحد الوسائل اليهودية، التي يتمسكون بها في اجتياح الأمم التي ينزلون بها.

ذلك إن دخول اليهود في هذه الحركة تحت شعار وحدة الأديان والإنسانية كان تدبيرا من الحركة الماسونية العالمية، التي كان لها ركائز قوية في إيران بين الطبقات العليا، والتي أمدت البابين بشعاراتها بالتغنى الكاذب بالإنسانية والإدعاء الباطل بأن الأديان هي سبب فرقة البشر[2]، وهم في كل ما زعموا كاذبون.

ورغم أن اليهود الذين تأثر بهم الباب في فكرة المساواة بين الرجل والمرأة مطلقا لم يمارسوها في حياتهم الخاصة أو العامة، إلا أنه وعصابته قد نادوا بها، من غير نظر إلى ما سوف تجلبه تلك الدعوى الخبيثة على الإنسانية جمعاء.

---

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٦٤ – باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه – حديث رقم: ١١٥٨ . وراجع كشف الخفاء ج: ٢ ص: ٣٢٧ رقم: ٢٤٨١

(٢) الأستاذ محسن عبدالحميد – حقيقة البابية والبهائية ص١٠٢ .

وفى نفس الوقت؛ لم ينظر الباب ونحلته ومن شايعهم فى مزاعمهم إلى أن اليهود يعتبرون المرأة حيوانا يجب استخدامه فيما يرضى طموح الرجل اليهودى[1]، فهى عندهم خادمة، وراقصة معا، وهى زوجة لأحدهم وخدن لآخر[2]، وهى كنز متنقل حيث تصطاد بما بين فخذيها الرجال، وتكتسب الأموال، وتكون عينا لأبناء اليهود على غيرهم من أبناء الأمم الأخرى[3]، حتى توقعهم فى حبائلها، وتكون وسيلة اصطياد لهم[4]، بغية أن يبلغ بنو إسرائيل المكان العالى فوق جميع الأمميين[5].

❁ **والذى أستطيع القول به هو:** إن الباب وأشياعه قد لفقت لهم مجموعة من الأفكار الوثنية ترجعها إلى بعضها، وأخيرا تمت صياغتها فى صورة دينية، ولكون الباب من أب وأم مسلمين، واسمه من الأسماء الإسلامية؛ فقد ظن من يقرأ عنه أنه مسلم، وأن ذات

---

(١) هنرى توماس أندنبك – المرأة اللعوب ص٣٧ – ترجمة وفاء خيرى – طبعة أولى ١٩٥٣م.

(٢) يقول ليوتاكسيل : إن العهد القديم قد صور بتشبع زوجة أوريا الحثى بصورة العشيقة المقيمة بالملك داود. حتى إنها حملت منه سفاحا. وهى فى ذات الوقت امرأة لأحد قواد داود المشهورين. فلما تمكن العشيق داود من خداع أوريا وقتله زفت إلى داود قبل أن تتم مدة الأربعين يوما حتى يعجلان بإطفاء اللهيب المستعر. ولست أدرى كيف تناسى يهوه العجوز هذه الاتصالات. فلم يصدر فيها رأيا لاهوتيا » (ليوتاكسيل – التوارت كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص١٧٥ – ترجمة د/ حسان ميخائيل) .

(٣) راجع فى هذا الشأن : الدوافع فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها ص١٩١ وما بعدها للباحثة نجلاء مصطفى بدوى رسالة ماجستير بقسم الأديان المقارنة – معهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق ٢٠٠١ بإشرافنا ، فقد تعرضت الباحثة لذكر جوانب كثيرة عن وضع المرأة فى اليهودية.

(٤) راجع كتابنا : من وحى البيان فى جماعة الشيطان – أثناء الحديث عن دور الأنثى فى جماعة الشيطان خاصة. واليهود بصفة عامة .

(٥) تعبير يقصد به كل الأمم التى ليست من اليهود ، أما من كان من بنى إسرائيل فهم شعب الرب. (راجع عقيدة الاصطفاء الإلهى عند اليهود وموقف الإسلام منها للباحث عبدالباسط حسن عطية خليل – رسالة ماجستير بمعهد الدراسات والبحوث الأسيوية – جامعة الزقازيق (بإشرافنا) ٢٠٠٠م).

الأفكار موجودة فى البيئة الإسلامية، أو من معالم الفكر الإسلامى، وهو فهم خاطئ، وظن غير مستقيم، على كافة النواحى، بل أقرر أن الباب لم يكن يملك من الثقافة القدر الذى يسمح له بتأليف كتب حسب ما أمكننى الوقوف عليه فى نشأته وظروف حياته، وبالتالى؛ فإن الكتب التى حملت هذه الأفكار قد وضعها أعداء الإسلام بعناية، ثم وألصقوه بها حتى تنسب إليه، وتصير فيما بعد محل نزاع بين البعض من الذين يقبلونها قليل وهو عدد لما فيها من ظاهر قد يميل إلى الرحمة، مع أن باطنها هو العذاب نفسه، وبين من يرفضها تماما، ولا يعتبرها أمورا مقبولة أبدا.

وربما يدعم ما ذهبت إليه دفاع المستشرقين عن النحلة البابية فى شيء من الاستماتة، وحتى لا تكون الدعوى عارية عن الدليل فسأقدم نموذجين من دفاع المستشرقين عن البابية النحلة الكافرة ، ووصفها لهما بأنها حركة صلاحية، وأن خصومها كانت تحكمهم السلطة بجانب الجمود والرجعية إلى أخر ما يزعمه المستشرقون حقد أو كيدا للإسلام والمسلمين:-

١- باول شمنز الألمانى :-

يقول: « انطلقت حركة اصلاحية فى إيران سمت نفسها البابية، وهى تشبه حركة قامت فى الغرب قبل ١٠٠٠ عام تهيئ نفسها لاستقبال المسيح الذى سيعود قريبا، وقد كثر أتباع هذا الباب الجديد، وتملكتهم العصبية الدينية[(١)]، واستولى عليهم شعور العقيدة المتوهج، وقد ربط الباب تعاليم الدين باتجاهات الحضارة الغربية، فرفض مشروعية الجهاد، وحرم الختان، ومنع المرأة من لبس الحجاب، ودعا إلى تحريم تعدد الزوجات، وطالب بإنشاء مدارس وحمل لواء الدعوة إلى تحقيق كثير من المطالب الثورية، لكن تطورت أحداث هذه الدعوة، إذ وقعت عداوة شديدة بين البابين والرجعية الحاكمة[(٢)]، الذين استندوا فى الحملة

---

(١) لاحظ هذا التعبير الغريب الذى وصفهم به باول شمنز. وهل فعلا كانوا متدينين؟ لعلك لاحظت أنهم لم يكونوا فى شيء من الدين أبدا.

(٢) بارل شمنز – الإسلام قوة الغد العالمية ص١٤٢ .

ضد البابين على حاشية الشاة الدكتاتورية، فأخذ الصراع صبغة سياسية(1)، حيث كان أطراف الصراع يدافعون عن كيانهم وسلطتهم . . . . ؟ !

اضطهد البابيون اضطهادا مرا، وأخذوا بالريبة واشتد ضغط السلطة عليهم، فتعقبتهم الشرطة فى كل مكان، وأذاقوهم العذاب، وفى هذا الجو نمت العداوة بينهم والأسرة المالكة، وتبلورت عندهم فكرة القضاء عليها، ليقيموا على أنقاضها مملكة دينية جديدة، يكون على رأسها الباب الذى كلف من الإمام المختفى بتمهيد الطريق لظهوره »(2).

وحتى يصورهم فى صورة الأحرار من المفكرين، فقد قرنهم بالدعوة الوهابية، التى ظهرت فى الجزيرة العربية، جهلا منه بأن الوهابية كانت تطالب بالعودة إلى أصول الدين الإسلامى الحنيف – القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة – »(3)، أما البابية فقد طالبت بإلغاء الدين الإسلامى من خلال إلغاء الشريعة والعقيدة الإسلامية. يقول: « ومن هذا يتبين أن الأهداف السياسية والدينية تشابكت مع بعضها وتقاربت تقاربا يشبه الالتحام كما كان الحال عند الوهابين، وبذلك صارت الدعوة إلى المبادئ الدينية وسيلة الوصول إلى السلطة »(4).

---

(1) من المفيد القول بأن اليهود قد تركوا تراثا صنعوه بأيديهم صوروا به ما شاء لهم خيالهم. ثم تلقفه المستشرقون بقصد أو بغير قصد. واعتبروه حقائق مسلمة، وأخذوا فى التذكر بها، والاعتماد عليها. ظنا منهم أنها كتب فيها الموضوعية. وما فيها شيء من ذلك أبدا. بل الصواب أنها أفكار صنعتها الأيدى والعقول الوثنية. وتداولتها. وهو الذى يظهر من تعصب باول شمنز للباب على السلطة الدينية والسياسية فى إيران. رغم أن الباب هو الخارج عليهم. الكافر بما أنزله الله تعالى.

(2) باول شمنز – الإسلام قوة الغد العالمية ص١٤٢ – ترجمة الدكتور محمد شامة – مكتبة وهبه.

(3) راجع للشيخ عدنان محمد القطامى – الدعوة الوهابية وأصولها الدينية ص١٣ وما بعدها.

(4) باول شمنز – الإسلام قوة الغد العالمية ص١٤٣ .

وبقليل من التأمل يكتشف القارئ ما فى هذه الجمل القليلة التى سبق ذكرها من تعصب للبابية، وخروج عن الموضوعية، وتحيز لكل من يخرج على الأصول العامة، والقواعد الثابتة فى الدين الإسلامى الحنيف. حقدا على المسلمين، وبغضا لهم، ورغبة فى النيل منهم. ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾(١).

◄◄ ٢ـ جولد تسهير المجرى :ـ

يتحدث تسهير عن الباب كبطل من أبطال الحرية الفكرية – رغم أن الباب لا يحسب على المفكرين – الذين باعوا حياتهم رخيصة فى مقابل أن تظل أفكارهم راقية حية فى نفوس الناس، وبعد أن يسرف فى ذلك يقول: « لقد نادى بالمساواة بين الرجل والمرأة مساواة مطلقة، حيث رغب فى أن يجعل المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وذلك لانتشالها من الدرك الأدنى الذى وضعتها فيه تقاليد الحياة العملية باسم الدين والسنة، وقد بدأ بإلغاء الحجاب الذى فرض عليها، وإنكار ذلك الأسلوب الهمجى فى الزواج الذى أصبح جزءا من تعاليم المجتمع الإسلامى(٢)، مع أنه ليس من النتائج الضرورية للقواعد الدينية، وأضاف إلى مذهبه فى توثيق الرابطة الزوجية أفكارا جديدة تتعلق بواجبات الأسرة، وإصلاح طرائق التربية »(٣).

ويعلق الدكتور حسن محرم على ذلك بقوله: « ولا نستغرب نبرة التعاطف والتأييد هذه من مثل هذا المستشرق اليهودى الذى حاشاه أن يضمر حبا أو يسر خيرا للإسلام والمسلمين »(٤)؛ لأن طبيعة المستشرقين العنصرية متى غلبت عليهم، فإنها ترديهم وتسقطهم فى الهلاك لا محالة.

---

(١) سورة يوسف – من الآية ٢١ .

(٢) لعلك قد لاحظت السم الذى ينفثه من عباراته وهو يعمل على الغمز واللمز للإسلام والمسلمين. بغية إراحة نفسه اللئيمة والتفريج عنها جزءا مما هى فيه.

(٣) المستشرق جولد تسهير – العقيدة والشريعة فى الإسلام ص٢٧٢ .

(٤) الدكتور حسن محرم الحوينى – البابية والبهائية ص٥٣ .

من ثم فإن الدفاع المستميت الذي يقوم به المستشرقون عن البابية، إنما يعبر بصورة واضحة عن وجود علاقة متميزة بين هذا الذي نسب إلى الإسلام وبين المستشرقين، وبخاصة غير الموضوعيين، فهم الذين يذهبون في الدفاع عن المنحرفين كل مذهب، ويسيرون في نفس الاتجاه حتى النهاية، كما أن هذا الدفاع المستميت يكشف في نفس الوقت عن أن هؤلاء المنحرفين، إنما كانوا صنائع غرست في المجتمع المسلم، وغذيت بكافة المغذيات، ودعمت بما أمكن من تدعيمات، حتى تكون وسيلتهم في هدم الإسلام والنيل من المسلمين.

۞ **وفي تقديري:** أن الماسونية العالمية كان لها دور كبير في المسألة، وهي نفس الملاحظة التي غلبت لدى من سبقني، إذ يقرر الأستاذ محسن عبدالحميد: « أن الماسونية العالمية التي يسيرها اليهود، قد سيطرت على الحركة البابية، حتى توجهها لأغراضها الخاصة، وهي تمكينها لتنفيذ مؤامراتها، وإنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، وبالتالي القضاء على الروح الإسلامية، وزحزحة المجتمع الإسلامي عن تراثه وتعاليمه »[1]، ولا يكون ذلك إلا من خلال جماعة أو مجموعة من الأفراد ينتمون للإسلام، ويعملون على تقويض دعائمه في النفوس، ويظهر دورهم بوضوح كلما كان دعم اليهود لهم مكثفاً إلى الحد الذي يجعل دورهم التخريبي بارزاً.

ولا يخفى على دارس أن مجرد وجود أية زعامة إسلامية قوية، تقلق اليهود مباشرة أينما كانت تلك الزعامة، ومن ثم؛ يبذل اليهود جهودهم لوئدها في مهدها، فإذا لم يتم لهم ذلك، فإنهم يضاعفون جهودهم حتى يتم التخلص منها، ولو اقتضى ذلك الدخول معها مباشرة في حرب معلنة[2]، أما إذا تيسر لهم القضاء عليها من داخلها عن طريق بث العملاء، فإن ذلك يوفر عليهم الشيء الكثير ويجعل المسألة سهلة.

---

(١) الأستاذ محسن عبدالحميد - حقيقة البابية والبهائية ص١٠٢.

(٢) الأستاذ ناصر الدين محموم ذاكر - اليهود الدونمة وخطرهم على المسلمين ص١٣٧ ط١٣٣٥/٢هـ دار حكمت بتركيا.

فإذا أدركنا أن الدولة الإسلامية فى إيران قد قامت على أسس إسلامية، وأن الذين أسسوها قد أعلنوا من أول وهلة عن توجهاتهم الإسلامية، بل إن مؤسس الدولة الصفوية الحديثة القائد إسماعيل الصفوى قد جعل فى دولته الإمام المجتهد وجعله الموجه الروحى الذى يكون صاحب الرأى الأول والأخير فى كافة المسائل الدينية[1]، وأيضا الوصى الطبيعى على الحكومة القائمة، وأنه قد باشر ذلك فى عهده، وما يزال ذلك قائما فى إيران حتى يومنا هذا، وقد دعم ذلك المركز للموجه الروحى بعد قيام الثورة الإسلامية فى إيران عام ١٩٧٩م[2]، علمنا أن اليهود قد أسرعوا إلى إيران المسلمة، فزرعوا فيها الباب ونحلته لتكون الشوكة التى تقض مضجع الآمنين، وتتحرك بسببها الثورات باستمرار على الحكام المسلمين.

---

(١) الأستاذ عبدالقادر على الربيعى - الدولة الصفوية وتوجهاتها الإسلامية ص٢٧ طبعة دار الهدى ١٩٢٣م.

(٢) كان ذلك عام ١٩٧٩م، حيث نجح آية الله الخومينى فى تعبئة الشعب من الداخل. وتكوين عناصر إيجابية تساعده على الثورة فى الخارج حيث كان مهجره إلى فرنسا. كما أن الحكومات التى تعاقبت أيام حكم الشاة الأخير هناك محمد رضا بهلوى قد ساهمت فى تلك التعبئة بممارسة الكثير من الضغوط الاقتصادية عن طريق فرض رسوم متوالية على كل الأفراد. حتى صارت كالجزية مع أنهم مسلمون. والسماح لأهل الانحلال بالانتشار العلنى. مما دفع بعامة الناس إلى الشعور بالاستياء الشديد. والغضب المتزايد والرغبة فى التغيير. كما كانت الصحف والمجلات العارية تنشر أخبار أهل الفن. فسقهم بجانب ترفيهم الذى لا حد له. وكذلك انتشر فساد الساسة. فصار الجميع يترقب ثورة تزيح هذا الكابوس من فوق صدورهم. فلما قامت بدايات الثورة لم يتعامل معها الشاة ورجال الحكومة بإزالة أسبابها. وإنما لجأوا إلى إشعالها. حيث وقع الكثير قتلى الرصاص مما ضاعف من درجة الغليان الشعبى. حتى عمت الثورة البلاد كلها. وهرب شهبور بختيار أخر رؤساء الحكومات الإيرانية. كما هرب الشاة وحاشيته إلى خارج البلاد. وظل منفيا عنها حتى داهمه المرض. فلما مات رفضت الحكومة الإسلامية فى إيران قبول جثمانه. فدفن بالقاهرة بمسجد الإمام الرفاعى أيام حكم الرئيس أنور السادات. حيث أقيمت له جنازة عسكرية كالتى تتم مع كافة الرؤساء. وتولى الإمام آية الله الخمينى الرئاسة ثم تنازل عنها لمن اختاره ممثلو الشعب. وبقى هو المرشد الروحى حتى وفاته. وما تزال الحكومة الإسلامية فى إيران قائمة حتى اليوم.

رابعا: السماح بلبس الحرير والتختم بالذهب للرجال

في الشريعة الإسلامية السمحة الغراء آثار تحريم على الرجال لبس الحرير، كما تحريم عليهم التختم بالذهب، باعتبار أن الحرير والذهب يجبران نقائص، ولما كانت النساء فيهن من تلك النقائص، فقد أباح الله لهن لبس الحرير والتختم بالذهب، ففي الحديث الشريف: عن المقدام بن معدي كرب قال: « نهى رسول الله ﷺ عن الحرير والذهب وعن مياثر النمور »[١].

وعن أبي موسى قال: « قال رسول الله ﷺ أحل لإناث أمتي الحرير والذهب وحرم على ذكورهم »[٢]، وهذا التحريم مما لا دخل للعقل فيه إثباتا أو نفيا؛ لأنه مما جاء به النبي الخاتم سيدنا محمد ﷺ، فمادام الشرع قد جاء به؛ فإن على العقل التسليم به.

وعن سويد بن غفلة عن عمر أنه خطب بالجابية فقال: « نهى نبي الله ﷺ عن الحرير إلا موضع أصبعين أو ثلاث أو أربع »[٣]، وعن أبي هريرة قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا يرجو أن يلبسه في الآخرة قال الحسن فما بال أقوام يبلغهم هذا عن نبيهم فيجعلون حريرا في ثيابهم وبيوتهم »[٤]، وعن أنس بن مالك قال: « قال رسول

---

(١) مسند أحمد ج: ٤ ص: ١٣١ الحديث رقم: ١٧٢٢٤

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٤ ص: ٣٩٣ الحديث رقم: ١٩٥٢٥ ، الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٢١٧ – كتاب اللباس – باب ما جاء في الحرير والذهب الحديث رقم: ١٧٢٠ .

(٣) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٢١٧ – كتاب اللباس – باب ما جاء في الحرير والذهب الحديث رقم: ١٧٢١ .

(٤) مجمع الزوائد ج: ٥ ص: ١٤٠ – باب ما جاء في الحرير والذهب . . . وعن أبي هريرة قال « كان النبي صلى الله عليه وسلم يتبع الحرير من الثياب فينزعه

الله ﷺ من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة »[1]، وعن البراء قال: « نهى رسول الله ﷺ عن الديباج والحرير والإستبرق »[2].

وعن عبد الله بن عمر: « أن عمر بن الخطاب رأى حلة سيراء من حرير فقال يا رسول الله لو ابتعت هذه الحلة للوفد وليوم الجمعة فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة »[3].

من ثم؛ فإن الذهب هو حلية النساء وزينتهن، أما حلية الرجال وزينتهم فهو العقل الراجح، والفهم الواعي، وتقدير المواقف، مع وضع الشيء في موضعه، ولذا؛ فإن العقل زينة الرجال، أما الذهب والحرير فهما زينة النساء، ولما كان كل من الذهب والحرير زينة النساء، فقد أباحهما الله تعالى لهن، وحرمهما على غيرهن، ويدخل فيمن يباح لهم لبسه من الأطفال من الذكور والإناث؛ لأن التحريم قد انصب على البالغين من الذكور، وليس على الصبيان.

غير أن الباب الشيرازي كان يعشق الذهب، ويعجبه بريقه، فكان يتختم به، ويلبس الحرير المصنوع في أغلب الأحيان، وحتى لا يكون في سلوكه هذا شيء معيب، فقد قال: « في الشريعة المحمدية عقاب للرجال بحرمانهم من الذهب، مع انه حليهم في

---

(١) سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١١٨٧ - باب كراهية لبس الحرير الحديث رقم: ٣٥٨٨ . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن حذيفة قال: « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الحرير والذهب وقال هو لهم في الدنيا ولنا في الآخرة » (سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١١٨٧ - باب كراهية لبس الحرير الحديث رقم: ٣٥٩٠)

(٢) سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١١٨٧ - باب كراهية لبس الحرير الحديث رقم: ٣٥٨٩.

(٣) سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١١٨٧ - باب كراهية لبس الحرير الحديث رقم: ٣٥٩١ .

الآخرة، أما أنا فأقول: لقد نسخت الشريعة المحمدية، فمن شاء التختم بالذهب فليفعل، لا حرج على الرجل والمرأة، ولا فرق بين الرجل والمرأة»[١].

وهو بهذا يعترف بأمرين:-

☆ **الأول: العدوان على الشريعة الإسلامية الغراء،** من خلال زعمه الكاذب عليها بأنها قد نسخت مع أنها عامة لا نسخ لها، ومن يدعي نسخها فهو كاذب في مدعاه، إذ لا نسخ للشريعة الخالدة؛ لأنها دائمة أبدية، إنما النسخ كان في الشرائع الخاصة من الأنبياء السابقين[٢]، على ما سلفت الالتفاتة إليه.

☆ **الثاني: أنه اعتبر التختم بالذهب للرجال اختياريا، بينما جعله بالنسبة للنساء إجباريا،** فأين هي المساواة التي يزعمها بين الرجال والنساء[٣]، مع أنه في ذات الوقت قد أقر بوجود حلي في الآخرة، التي سبق له أن أنكرها، فكيف يتأتى له أن ينكر الآخرة وجودا وبعثا ونعيما وعقابا، ثم يأتي هناك فيعلن عن نسخ الشريعة المحمدية فيما يتعلق بالآخرة، وفي ذلك إقرار منه بوجود الآخرة[٤]، فأي فكر ذلك الذي يهدم على الدوام كل ما حاول بناءه؟

---

(١) الشيخ سعد الله توفيق عبدالعاطي – الإسلام والدعوات الهدمة ص١٢٧ .

(٢) وقد أخبر القرآن الكريم عن بعض ذلك من أمثال قوله تعالى مع نبي الله موسى الكليم. حيث بعثه الله لبني إسرائيل. قال تعالى: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾ [سورة الأنعام – الآية ١٤٦] ثم نسخ بعض ذلك في المحرمات مع نبي الله عيسى ابن مريم رسول الله قال تعالى: ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ﴾ [سورة آل عمران – من الآية ٥٠].

(٣) المفروض في المساواة أن تكون من جميع الوجوه. فإذا فرض على النساء التختم بالذهب وجوبا. فلا يجعله لغيرهم اختياريا. وإلا كانت المساواة التي زعمها غير موجودة. ولا قائمة على أسس سليمة وهو الأمر الذي يفضح الباب ومن تبعه.

(٤) الشيخ سعد الله توفيق عبدالعاطي – الإسلام والدعوات الهدامة ص١٣٠ .

لا شك أنك تقف معي ملوحا بكلتا يديك، صائحا بأعلى صوتك قائلا: إن ذلك انحراف عقلي، وانحلال خلقي، وانهيار معياري.

يقول الباب: « أيها الأحباب: لا يلومنكم لائم، لأنكم استعملتم الذهب حليا، لأنكم سوف تجدون هذا اللوم في غير محله؛ لأن النفس الإنسانية تهواه، وما تهواه النفس الإنسانية لا تحرمه الذات الإلهية، أما أنا مظهر الحق وخالق الحق، أقول لكم ما أمرتكم به فافعلوه، وما نهيتكم لا تفعلوه، فإنما أنا خالق الحق، ومركز النقطة »[1]، وقد سبق القول بأن خالق الحق ومركز النقطة كلها أفكار سوداء عبرت عن نفوس مريضة مصدرها الخواء الداخلي والفراغ الإيماني، ومثلها تسقط في كل الأنحاء.

أما لبس الحرير؛ فليتجلل في حرية بالغة: الحرير الحرير عليكم به، فإنه يطيب الجسم، ويريح النفس، ويجعل الآخرين ينظرون لمن يستخدمونه نظرتهم لأهل الفضل من الأغنياء فالبسوه؛ لأنه خلق لكم، ومن يحرم زينة خلقت له، فإني خصيمه، هو لكم خالص أبدا[2]، وهو بهذا يطالب الرجال أن يتحولوا إلى نساء، حيث يقع التختم بالذهب والتمرغ في الحرير، حتى تبلغ بهم النعومة كل غاية، وبالتالي؛ يسقط حماسهم وتنهار رغباتهم في المحافظة على شرع الله، ومثلهم يكون من اليسير القضاء عليهم.

يذكر أحد الباحثين: « أن الباب حين أباح الذهب والحرير للرجال، إنما كان غرضه إيجاد نوع من الموازنة بين مكتسبات المرأة، ومنتقصات الرجل، ومادام قد أعطى المرأة حقوقا إضافية جعلها تتساوى مع الرجل، فإنه خشي أن تحدث انتفاضة رجال ضده، فأسرع إلى

---

(١) الأستاذ نور الدين أحمد البرهاني – البابية كما قرأتها ص٥١ .

(٢) البيان – اللوح العاشر – الباب التاسع، نقلا عن الإسلام والدعوات الهدامة ص١٣١ .

إرضائهم، حتى لا يكونوا له خصوما أشداء، أو قرناء يجرى فيهم بأسهم، وتحكم فيهم سيوف الأعداء »[1].

❁ **وفى تقديرى:** أن تحريم لبس الحرير والتختم بالذهب على الرجال فى الإسلام له حكمة غالية، قد تعرفها وقد يجتهد أهل العلم فيها، ويظل أمر اجتهادهم قائما بأصولها، لا ينقطع، بل ولا يرتفع، وإنما يستمر إلى ما شاء الله تعالى، لحكمة يعلمها جل شأنه باعتبار أن الشريعة الإسلامية فيها أحكام تعليلية، وأخرى تعبدية .

أما الأحكام التعليلية، فهى التى تسأل عن أسبابها، ونجد إجابات محددة لها، وبالتالى؛ يطلق عليها الفقهاء والأصوليون اسم معقول المعنى؛ لأن الحكمة فيها بالنسبة للعقل ظاهرة، والعلة من القيام بها وقبول نتائجها تدرك بسهولة ويسر، وذلك كالقصاص من القاتل فى القتل العمد، فإن العلة من القصاص ظاهرة، وهى أنه متى أدرك القاتل أنه سوف يقتل، كما أنه إذا أزهق روحا بريئة سوف تزهق روحه، فإنه لن يقدم على القتل أبدا، قال تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾[2] .

يقول الإمام الشافعى « لكم في القصاص حياة ينتهي بها بعضكم عن بعض أن يصيب مخافة أن يقتل، وعن ابن عباس يقول كان في بني إسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية فقال الله عز وجل لهذه الأمة كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فإن العفو أن يقبل الدية في العمد فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة مما كتب على من كان قبلكم فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم .

---

(١) راجع الإسلام والدعوات الهدامة ص١٣٢ . وراجع كذلك البابية كما قرأتها ص٥٢ . وكذلك البابية واستمرار الانحراف ص٢٥٧ . إلى غير ذلك من المصادر التى تحدثت عن البابية.

(٢) سورة البقرة – الآية ١٧٩ .

قال الشافعي في رواية أبي عبد الله وما قال ابن عباس في هذا كما قال والله أعلم وكذلك قال مقاتل وتقصي مقاتل فيه أكثر من تقصي ابن عباس والتنزيل يدل على ما قال مقاتل لأن الله جل ثناؤه إذ ذكر القصاص ثم قال فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان لم يجز والله أعلم أن يقال إن عفي بعد أن صولح على أخذ الدية لأن العفو ترك حق بلا عوض فلم يجز إلا أن يكون إن عفي عن القتل فإذا عفي لم يكن إليه سبيل وصار للعافي عن القتل مال في مال القاتل وهو دية قتيله فيتبعه بمعروف ويؤدي إليه القاتل بإحسان وإن كان إذا عفا عن القاتل لم يكن له شيء لم يكن للعافي أن يتبعه ولا على القاتل شيء يؤديه بإحسان قال وقد جاءت السنة مع بيان القرآن في مثل معنى القرآن فذكر حديث أبي شريح الكعبي أن النبي ﷺ قال من قتل بعده قتيلا فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوه وإن أحبوا أخذوا العقل[1]، قال الشافعي قال الله عز وجل ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا وكان معلوما عند أهل العلم ممن خوطب بهذه الآية أن ولي المقتول من جعل الله له ميراثا منه .

قال الشافعي ذكر الله تعالى ما فرض على أهل التوراة فقال وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص قال ولم أعلم خلافا في أن القصاص في هذه الأمة كما حكى الله عز وجل أنه حكم به بين

---

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٢١ – باب ما جاء في حكم ولي القتيل في القصاص – الحديث رقم: ١٤٠٦ عن أبي شريح الكعبي « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسفكن فيها دما ولا يعضدن فيها شجرا فإن ترخص مترخص فقال أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله أحلها لي ولم يحلها للناس وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم هي حرام إلى يوم القيامة ثم إنكم معشر خزاعة قتلتم هذا الرجل من هذيل وإني عاقله فمن قتل له قتيل بعد اليوم فأهله بين خيرتين إما أن يقتلوا أو يأخذوا العقل » وأخرجه الشافعي – مسند الشافعي ج: ١ ص: ٢٠٠. وأحمد – مسند أحمد ج: ٦ ص: ٣٨٤ – الحديث رقم: ٢٧٢٠٤. والطبراني في المعجم الكبير ج: ٢٢ ص: ١٨٦ – الحديث: ٤٨٦ .

أهل التوراة ولم أعلم مخالفا في أن القصاص بين الحرين المسلمين في النفس وما دونها من الجراح التي يستطاع فيها القصاص بلا تلف يخاف على المستقاد منه من موضع القود .

قال الشافعي رحمه الله قال الله تبارك وتعالى وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله[1]، فأحكم الله جل ثناؤه في تنزيل كتابه أن على قاتل المؤمن دية مسلمة إلى أهله، وأبان على لسان نبيه ﷺ كم الدية، وكان نقل عدد من أهل العلم عن عدد لا تنازع بينهم أن رسول الله ﷺ قضى في دية المسلم مائة من الإبل وكان هذا أقوى من نقل الخاصة وقد روي من طريق الخاصة وبه نأخذ ففي المسلم يقتل خطأ مائة من الإبل »[2] .

وكذلك الزاني؛ فإنه متى أدرك أنه أن أفرغ شهوته في الحرام، ولطخ فرش غيره، فإنه جلد بشدة مائة جلدة، وفي مشهد عام، وبحضور جمع من المسلمين[3]، أو يقتل حدا، ويشهد ذلك

---

(١) سورة النساء – من الآية ٩٢ .

(٢) العلامة الشافعي – أحكام القرآن ج: ١ ص: ٢٧٧/٢٨٢ .

(٣) هذا إذا كان الزاني غير محصن لقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [سورة النور – الآية ٢]. أما إذا كان محصنا. قد سبق له الزواج. فإن العقوبة هي الموت رجما بالحجارة المتوسطة. تحفر له حفرة. ثم يقف فيها عاري الصدر. أما المرأة فإنها تقف مستورة العورة. ويقذف الزاني المحصن. والزانية المحصنة من جماعة المؤمنين بحجارة متوسطة حتى الموت. وقد رجم على عهد رسول الله كل من ماعز والغامرية. كما أن حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قد دل على فعل الرسول ﷺ حيث رجم اليهوديين لما زنيا. (الشيخ صالح بن إبراهيم البليهي – السلسبيل في معرفة الدليل – حاشية على زاد المستنقع ج٣ ص١١٠ ط٢/١٣٩٦هـ). وكتب الفقه والسير في ذكر الواقفين كثيرة. وكذلك كتب التفسير عند تفسير آيات الزنا والجلد .

جماعة المسلمين[1]، فإنه سوف لا يقبل على هذا الفعل الآثم، والجريمة النكراء، التى تودى إلى تلطيخ الفرش، واختلاط الأنساب، وتحريض نوعى الجنس الواحد على بعضهما، وإدخال الخلافات إليهما، حتى تنتهى بالانفصال بينهما، بجانب ما يترتب على ذلك من المفاسد، التى لا يمكن علاجها، فالعلة فى ذلك واضحة معقولة المعنى.

يقول العلامة السيوطى: « الزانية والزاني أي غير المحصنين لرجمهما بالسنة، وهو فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ضربة، ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والرقيق على النصف مما ذكر ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله أي حكمه بأن تتركوا شيئاً من حدهما إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر أي يوم البعث، وليشهد عذابهما الجلد طائفة من المؤمنين قيل ثلاثة وقيل أربعة عدد شهود الزنا »[2].

وعن عبد الله بن عمر: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بيهودي ويهودية قد زنيا فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال ما تجدون في التوراة على من زنى قالوا نسود وجوههما ونحملهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما قال فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين فجاؤوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقرأ يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال له عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مره فليرفع يده فرفعها فإذا تحتها آية الرجم فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه

---

(١) لأن إقامة الحد عقوبة وتنفيذ العقوبة لابد له من شهود عدول. وجماعة المسلمين هم أهل الشهادة، وفى نفس الوقت هم المأمورون بتنفيذ الأحكام الشرعية، فحضورهم وقت تنفيذ العقوبة فيه ردع لكل من تسول له نفسه خرق الشرع. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [سورة النور - من الآية٢].

(٢) راجع تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٤٥٧ .

وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر كنت فيمن رجمهما فلقد رأيته يقيها من الحجارة بنفسه»[(١)].

أما الأحكام التعبدية فغالبا لا يدرك العقل معناها بسهولة، وقد لا يدرك معانيها أبدا، وذلك كتحريم نكاح المرأة على أختها تحريما مؤقتا[(٢)]، فإن النكاح فى حد ذاته أمر طبيعي مشروع، أما إذا تعلق بالجمع بين المحرمات مؤقتا أو مؤبدا؛ فإن الحكم يصعب على العقل الوصول إليه، وبالتالى؛ يحاول العلماء الاجتهاد فى التعرف عليه، ومن ثم؛ تتعدد الاجتهادات، وفى الغالب الأعم ترتد إلى القاعدة العامة، وهى أنه غير معقول المعنى من جهة إمكانية العقل، فتفويض الأمر فيه إلى الله تعالى وهو الأولى[(٣)].

وكذلك الطلاق والملاعنة، فإن الانفصال بينهما الطلاق، وإن كان بائنا بينونة كبرى بالطلاق الثلاث، فإن الطرفين يستطيعان استئناف الحياة من جديد، إذا تزوجت المرأة من رجل آخر، ثم طلقت منه، وأراد كلاهما استئناف حياة زوجية جديدة بشرع الله

---

(١) الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٣٢٦ - باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى - حديث رقم: ١٦٩٨) وفي رواية أخرى عن ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم في الزنى يهوديين رجلا وامرأة زنيا فأتت اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما وساقوا الحديث بنحوه » (صحيح مسلم ج٣ ص١٣٢٦ -باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى -حديث رقم: ١٦٩٩.

(٢) لقوله تعالى فى أية المرحمات فى النكاح: ﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما﴾ [سورة النساء - الآية ٢٣] .

(٣) وكان الناس قبل الإسلام لا يرون فى ذلك الجمع ممانعة. بل كانوا يزعمون أن الجمع بين الأختين فيه مصالح. كأن تتحمل إحداهما الأخرى أو أن تعطف إحداهما على الأخرى. وقد تناسوا أن الزواج للمودة والرحمة. وما زعموه مجرد احتمالات لم تصح وهى لا تعارض القطعيات. وبالتالى؛ لا تترتب على الجمع بينهما المودة والرحمة. ومن ثم؛ فقد حرمه الله تعالى لأمور يعلمها جل شأنه. وهو تحريم مؤقت. بمعنى أنه لو ماتت المتزوج بها. أو طلقت. فإن أختها تحل له مباشرة. متى أراد كل منهما الزواج بالآخر.

تعالى؛ فإن ذلك يكون مباحا على الناحية الشرعية متى تم بالشروط التى نبهت إليها الشريعة الإسلامية الغراء، وأفاض فى بيانها علماء الأصول والفقه[1].

أما إذا كان الانفصال بين الزوجين بالملاعنة، فإنهما لا يذكران ألفاظ الطلاق ولا الخلع، وإنما يذكران ما صرح به القرآن الكريم فى هذا الشأن، مع تلك الخصوصية، ثم ينتهى إليه بانفصالهما أبديا، فلا يمكن لهما استئناف الحياة مع بعضهما من جديد، مع أن الطلاق انفصال والملاعنة انفصال، لكن عدم الاستئناف في الملاعنة راجع إلى أمر تعبدى، وبالتالى؛ فهو غير معقول المعنى.

ﷻ قال تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ * عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين * ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾[2].

يقول العلامة ابن كثير: « هذه الآية الكريمة فيها فرج للأزواج وزيادة مخرج إذا قذف أحدهم زوجته، وتعسر عليه إقامة البينة أن يلاعنها كما أمر الله عز وجل، وهو أن يحضرها إلى الإمام فيدعي عليها بما رماها به، فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء إنه لمن الصادقين: أي فيما رماها به من الزنا ﴿ والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾ فإذا قال ذلك بانت منه وحرمت عليه أبدا، ويعطيها مهرها ويتوجه عليها حد الزنا.

---

(١) أما إذا كان الانفصال عن طريق البينونة الصغرى، فإنهما يستطيعان استئناف الحياة الزوجية بعقد ومهر جديدين. وبينونة المرأة فى هذه الناحية، لأن عدتها من زوجها قد انتهت دون مراجعة منه لها.

(٢) سورة النور – الآيات ٦/١٠.

ولا يدرأ عنها العذاب إلا أن تلاعن، فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين: أي فيما رماها به، ﴿والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾، ولهذا قال: ﴿ويدرأ عنها العذاب﴾ يعني الحد، ﴿أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين﴾ فخصها بالغضب، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنا إلا وهو صادق معذور وهي تعلم صدقه فيما رماها به، ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها[1]، والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه.

ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدة ما يكون بهم من الضيق، فقال تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي لحرجتم ولشق عليكم كثير من أموركم ﴿وأن الله تواب﴾ على عباده، وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان المغلظة ﴿حكيم﴾ فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه.

وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾، قال سعد بن عبادة وهو سيد الأنصار رضي الله عنه: أهكذا أنزلت يا رسول الله[2]؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟" فقالوا: يا رسول الله لا تلمه، فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكرا، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته[3].

---

(١) هذا طريق قد رسمه الشرع لوجهي الملاعنة، التي تكون بين الزوجين. بحيث ينتهي على أثرها شأن العلاقة الزوجية بينهما.

(٢) هو لا يعارض في ذلك ، إنما يتعجب من رحمة الله حيث كشفت له المذنبين من المخلصين.

(٣) وقد جاء في الأثر : عن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه » الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٠٠٢ – باب غيرة الله – الحديث رقم:٤٩٢٥ ، وأخرجه الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢١١٤ – باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش – الحديث رقم:٢٧٦١، الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٣ ص: ٤٧١ – باب ما جاء في الغيرة – الحديث رقم:١١٦٨ – الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٢ ص: ٥٣٩ – الحديث رقم: ١٠٩٦٣

فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم إنها لحق وأنها من الله، ولكني قد تعجبت أني لو وجدت لكاعا[1] قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه ولا أحركه، حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته[2]، قال: فما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء (هلال بن أمية) وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلا، فرأى بعينيه وسمع بأذنيه، فلم يهيجه حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشياء فوجدت عندها رجلا فرأيت بعيني وسمعت بأذني. فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه واجتمعت عليه الأنصار، وقالوا: يا رسول الله: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجا[3]؛

---

(١) لكع: يأتي على الناس زمان يكون أسعد الناس في الدنيا (في الهروي. واللسان: بالدنيا) لكع ابن لكع: اللكع (هذا من شرح أبي عبيد. كما في الهروي) عند العرب: العبد. ثم استعمل في الحمق والذم. يقال للرجل: لكع. وللمرأة لكاع. وقد لكع الرجل يلكع لكعا فهو ألكع.وأكثر ما يقع في النداء. هو اللئيم. وقيل: الوسخ. وقد يطلق على الصغير. ومنه الحديث (أنه عليه السلام جاء يطلب الحسن بن علي قال: أثم لكع؟) فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل.وقيل: هي في لغتنا للصغير. تقول العرب (قال لرجل: يا لكع) يريد يا صغيرا في العلم والعقل.- وفي حديث أهل البيت [لا يحبنا اللكع (في اللسان: "ألكع") والمحيوس]. وفي حديث عمر [أنه قال لأمة رآها: يا لكعاء. أتتشبهين بالحرائر؟] يقال: رجل ألكع وامرأة لكعاء. وهي لغة في لكاع. بوزن قطام.ومنه حديث سعد بن عبادة [أرأيت إن دخل رجل بيته فرأى لكاعا قد تفخذ امرأته] هكذا روي في الحديث. جعله صفة لرجل. ولعله اراد لكعا فحرف. (العلامة ابن الأثير – غريب الحديث والأثر – المجلد الرابع – حرف اللام – باب اللام مع الكاف)

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ١ ص: ٢٣٨ – الحديث رقم: ٢١٣١ . وأخرجه الإمام البيهقي – سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٣٩٤ – الحديث رقم: ١٥٠٦٩.

(٣) كان يمكنه طلاقها. لكن لما تعلقت المسألة بالإقرار أمام رسول الله e والمرأة ترفض إقراره. فقد كان الطريق لهما معا هو الملاعنة. (الشيخ محمد حسين الطويل – العقوبات الإسلامية وأثرها في حماية المجتمع ص١٥٧).

وقال هلال: يا رسول الله فإني قد أرى ما اشتد عليك مما جئت به والله يعلم أني لصادق، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه[1] إذا أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الوحي، وكان إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربد وجهه. يعني فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت: ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله﴾ الآية.

فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجا ومخرجا"، فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فأرسلوا إليها"، فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما فذكرهما، وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشد من عذاب الدنيا، فقال هلال: والله يا رسول الله لقد صدقت عليها، فقال: كذب، فقالت رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لاعنوا بينهما".

فقيل لهلال، اشهد، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فلما كانت الخامسة قيل له يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فقال: والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله، فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين[2]، وبالتالي يكون دور الرجل في الملاعنة قد انتهى.

ثم قيل للمرأة: اشهدي أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، وقيل لها عند الخامسة اتقي الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف[3]، ثم قالت: والله لا أفضح قومي فشهدت في الخامسة أن

---

(١) هذا الضرب الذى كاد رسول الله e يأمر به هو المتعلق بالقذف. إذ لم يكن حكم اللعان قد شرع. (الشيخ نصر الدين الهاشمي – الحدود فى الشريعة الإسلامية ص٨٣).

(٢) الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٣٦٦.

(٣) لكن لا يعتبر ذلك من قرائن الأحوال. ولذا لم يحدها رسول الله e وإنما باشرت الملاعنة أيضا.

غضب الله عليها إن كان من الصادقين؛ ولما كان كل منهما قد وقف من الآخر هذا الموقف، فقد فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما، وقضى أن لا يدعى ولدها بزنا لأب[1]، ولا يرمي ولدها ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد[2]، وقضى أن لا بيت لها عليه ولا قوت لها[3] من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها.

وقال: "إن جاءت به أصيهب أريشح حمش الساقين فهو لهلال، وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين فهو للذي رميت به"، فجاءت به أورقا جعدا جماليا خدلج الساقين سابغ الأليتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا الأيمان لكان لي ولها شأن"، قال عكرمة: فكان بعد ذلك أميرا على مصر، وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب[4].

وروى البخاري عن ابن عباس: أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "البينة أو الحد في ظهرك" فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "البينة وإلا حد في ظهرك[5]"، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ - فقرأ حتى بلغ ﴿إن كان من الصادقين﴾.

---

(١) لأنه لم يعترف به. بل لاعنها حتى لا ينسب إليه. ومن فلا يكون الابن منها تابعا له.

(٢) فليس الملاعنة مما يسمح لأحد الزوجين بقذف الأخر. ولأنهما معا وقعا فى شك.

(٣) وبالتالى فالملاعنة تسقط نفقة المرأة وحقها فى السكن. بجانب المتعة. بل إن جاء الولد شبيها بزوجها. فهو له. (الشيخ صالح محمد عبدالقوى - من أحكام الشريعة الإسلامية ص٨٩).

(٤) الإمام أحمد بن حنبل مسند أحمد ج: ١ ص: ٢٣٨ - الحديث رقم: ٢١٣١- الإمام الترمذى - سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٣٣١ - الحديث رقم: ٣١٧٩ .

(٥) وهذا من محامد الشريعة الإسلامية الغراء. التى لم تترك أعراض الناس بغير رعاية. حتى يلوث فيها السفهاء. أو ينال منها الفجار إلا لداء. وإنما قررت حفظها بحد القذف رعاية وعناية.

فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليهما فشهد هلال والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله يعلم أن أحدكم كاذب فهل منكما تائب" ثم قامت فشهدت، فلما كان في الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة. قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت في ذكر خامستها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين، سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء" فجاءت به كذلك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن(1)."

وعن عبد الله قال: كنا جلوسا عشية الجمعة في المسجد، فقال رجل من الأنصار: إن أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه وإن تكلم جلدتموه، وإن سكت سكت على غيظ؟! والله لئن أصبحت صحيحا لأسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فسأله، فقال: يا رسول الله إن أحدنا إذا رأى مع امرأته رجلا إن قتله قتلتموه، وإن تكلم جلدتموه، وإن سكت سكت على غيظ، اللهم احكم، قال: فنزلت آية اللعان، فكان ذلك الرجل أول من ابتلي به(2).

---

(1) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٧٧٢– باب ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين – الحديث رقم: ٤٤٧٠ . والمراد بـ: [[(موجبة) للعذاب الأليم عند الله تعالى إن كنت كاذبة. (فتلكأت) توقفت وتباطأت عن الشهادة. (نكصت) أحجمت عن استمرارها في اللعان. (لا أفضح قومي سائر اليوم) لا أكون سبب فضيحتهم فيما بقي من الأيام، يقال لهم: منكم امرأة زانية. (فمضت) في إتمام اللعان. (أبصروها) انظروا إليها وراقبوها عندما تضع حملها. (أكحل) شديد سواد الجفون خلقة من غير اكتحال. (سابغ الأليتين) ضخمهما. (خدلج) ممتلئ. (ما مضى من كتاب الله) ما قضي فيه: من أنه لا يحد أحد بدون بينة أو إقرار. وأن اللعان يدفع عنها الرجم. (لي ولها شأن) كان لي معها موقف آخر. أي لرجمتها ولفعلت بها ما يكون عبرة لغيرها. وانظر: ٤١٣ وأطرافه].

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ١ ص: ٤٢١ – الحديث رقم: ٤٠٠١ .

وعن سهل بن سعد قال: جاء عويمر إلى (عاصم بن عدي) فقال له: سل رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت رجلا وجد رجلا مع امرأته فقتله أيقتل به أم كيف يصنع؟ فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسائل، قال: فلقيه عويمر فقال: ما صنعت؟ قال: ما صنعت أنك لم تأتني بخير، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاب المسائل، فقال عويمر: والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأسألنه؛ فأتاه فوجده قد أنزل عليه فيها، قال: فدعا بهما ولاعن بينهما[1].

قال عويمر: إن انطلقت بها يا رسول الله لقد كذبت عليها، قال ففارقها قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فصارت سنة المتلاعنين، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ابصروها فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين فلا أراه إلا قد صدق، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة، فلا أراه إلا كاذبا"، فجاءت به على النعت المكروه[2].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لأول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته، فرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله

---

(١) وهذا شأن يجب أن يقوم عليه كل إمام عادل. وكل قاض منصف. فإن الأمور لا تستقيم إلا بتطبيق الشريعة الإسلامية التي فيها صلاح الدين وصلاح الدنيا.

(٢) الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ١ ص: ٦٦٧ – باب اللعان – الحديث رقم: ٢٠٦٦. مسند أحمد ج: ٥ ص: ٣٣٤ – الحديث رقم: ٢٢٨٨١. المعجم الكبير ج: ٦ ص: ١١٦ – الحديث رقم: ٥٦٨٢. سنن البيهقي الكبرى ج: ٧ ص: ٣٩٩ – الحديث رقم: ١٥٠٨٩. والمراد بـ: [ش (فعاب) أي كرهها. (فلاعن بينهما) أي أمر باللعان بينهما. (لئن انطلقت بها) أي لئن رجعت بها إلى بيتي وأبقيتها عندي زوجة. (أسحم) أي أسود. (أدعج العينين) من الدعج وهو شدة سواد العين. وقيل مع سعتها. (عظم الأليتين) تثنية ألية. وهي العجيزة. (أحيمر) تصغير أحمر. (وحرة) دويبة حمراء تلصق بالأرض].

صلى الله عليه وسلم: "أربعة شهود[1]، وإلا فحد في ظهرك" فقال: يا رسول الله إن الله يعلم إني لصادق، ولينزلن الله عليك ما يبرئ به ظهري من الجلد، فأنزل الله آية اللعان: ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ إلى آخر الآية، قال: فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم: "اشهد بالله إنك لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنا" فشهد بذلك أربع شهادات، ثم قال له الخامسة: "ولعنة الله عليك إن كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا" ففعل.

ثم دعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "قومي فاشهدي بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماك به من الزنا" فشهدت بذلك أربع شهادات، ثم قال لها في الخامسة: "وغضب الله عليك إن كان من الصادقين فيما رماك به من الزنا" قال: فلما كانت الرابعة أو الخامسة سكتت سكتة حتى ظنوا أنها ستعترف، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت على القول، ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال: "انظروا فإن جاءت به جعدا حمش الساقين فهو لشريك بن سحماء، وإن جاءت به أبيض سبطا قصير العينين فهو لهلال بن أمية" فجاءت به جعدا حمش الساقين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لولا ما نزل فيهما من كتاب الله لكان لي ولها شأن[2]."

قال ابن حجر: اختلف الأئمة فمنهم من رجح أنها نزلت في هلال، ومنهم من رجح أنها في عويمر، ومنهم جمع بينهما، ويحتمل أن يكون النزول قد سبق بسبب هلال ثم صادف مجيء عويمر ولم يكن له علم بما وقع لهلال، وجنح القرطبي إلى تجويز نزول الآية مرتين، قال ابن حجر: ولا مانع من تعدد الأسباب)» [3].

---

(١) لأن الزنا لا يثبت إلا بأربعة شهداء. قال تعالى: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور - الآية ٤].

(٢) الإمام الترمذي - سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٣٣١ - الحديث رقم: ٣١٧٩.

(٣) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج٣ ص٣٦٦.

بناءً على ما سبق؛ فإن الأحكام التعبدية من سمات الشريعة الإسلامية، وكذلك الأحكام التعليلية؛ لأن الأولى تعلم المسلم التفويض لله فى كل ما لا حيلة له فيه، بينما الثانية تدفع المسلم للأخذ بالأسباب مع التزيد من البحث والجد والاجتهاد، ومن ثم فإن ما فعله الباب الشيرازى من إباحة التحلى بالذهب، ولبس الحرير بالنسبة للرجال باعتبار أنه لا يفهم العلة من تحريمها على الرجال، إنما يمثل نزعة عدوانية راغبة فى الخروج على الشرع الإلهى، كما يكشف عن نية سوداء، تختبئ خلف الدعاوى الطنانة التى زعمها الباب ونحلته، وأن هذه النية قد دعمتها الوثنية، وغذتها العصبية الفارسية، بغرض محاربة دين الإسلام الذى ارتضاه للعالمين رب البرية.

عدة المرأة المتوفى عنها

جعل الله للمرأة المتوفى عنها زوجها عدة تعتدها، حتى تسترد أنفاسها المقهورة بعد رحيل شريك حياتها عن الحياة، وقد يكون رحيله خاطفا، وهو فى كامل شبابه وصحته كحوادث الطرق، وموت المفاجأة والحرب، والزلازل أو البراكين، والغرق أو الحرق، وما كان من هذا القبيل، الذى يكون الزوج فيه على غاية النشاط والحيوية ثم تخرج روحه إلى بارئها؛ لأن أجله انقضى. قال تعالى: ﴿لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[1].

وقد يكون رحيل الزوج بعد رحلة المرض العنيف أو الخفيف، طالت أم قصرت، ففى الحديث الشريف: «إنما الأمراض والأوجاع كلها بريد الموت ورسل الموت فإذا حان الأجل وقف ملك الموت بنفسه وقال: أيها العبد كم خبر بعد خبر، وكم رسول بعد رسول، أنا الخبر الذى ليس بعدى خبر، وأنا الرسول الذى ليس بعدى رسول، فإذا قبض روحه وتصايحوا حوله، قال ملك الموت: على من تصرخون، وعلى من تبكون والله ما قطعت له عمرا، ولا انقصت له رزقا، فليبك الباكى على نفسه، وإن لى فيكم عودات وعودات، حتى لا أبقى منكم أحدا»[2].

---

(١) سورة يونس - من الآية ٤٩.

(٢) العلامة الفشنى - شرح الفشنى على الأربعين النووية ص٣٧.

لكن بعد رحيل الزوج ترى المرأة نفسها قد آن لها أن تصارع الحياة وحدها، وأن تسبح في محيطها باحثة عن قارب النجاة، وقد تكون صغيرة غير مدربة على ملاقاة الأحداث، وقد تكون كبيرة تعجزها ظروفها عن المكافحة وحدها، وقد تكون ذات عيال قليلة المال أو كثيرته، لكنها في كل الحالات لا تستطيع السباحة في محيط الحياة وحدها، وحينئذ قد تفكر في نوع من الحماية، يقوم بها شريك آخر، يعينها على اجتياز أزمتها، ويأخذ بيدها حتى تنهض من كبوتها، ولما كان ذلك لا يتيسر لها على وجه السرعة، فإن الإسلام قد شرع لها العدة حتى تسترد أنفاسها، وتفكر في أمرها، وتعيد حساباتها، بحيث تتأقلم مع ظروفها، وفي نفس الوقت تتحقق براءة رحمها من بقايا علاقتها السابقة مع شريك حياتها الراحل، وتتهيأ لعلاقات جديدة مع من يوفقها الله تعالى إليه.

وهذا النوع من العدة قد جاء في القرآن الكريم بصورة واضحة قال: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾[1]

يقول صاحبا الجلالين: « والذين يموتون منكم ويتركون أزواجا ليتربصن بأنفسهن بعدهم من النكاح أربعة أشهر وعشرا من الليالي وهذا في غير الحوامل أما الحوامل فعدتهن

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٣٤ . ويذهب العلماء إلى أن عدة المرأة المتوفى عنها كانت حولا كاملا لقوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾ [سورة البقرة – الآية ٢٤٠] ثم نسخت هذه بالأولى. ويستدلون بها على المنسوخ حكما الباقي تلاوة. (راجع نظرية النسخ في الشرائع السماوية للشيخ شعبان محمد إسماعيل. وكذلك كتب التفسير في آيات عدة المتوفى عنها زوجها. وكذلك الفقه والأصول في مسألة العدة. ففيها كلام طيب وأبحاث نفيسة. رحم الله أهل العلم بالله. فقد أدوا ما عليهم. وبقي لنا أن نؤدي ما علينا خدمة لدين الله رب العالمين.

أن يضعن حملهن(١)، والأمة على النصف من ذلك بالنسبة للحرة فإذا انقضت مدة تربصهن فلا جناح عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من التزين والتعرض للخطاب راغبي الزواج بالمعروف شرعا والله بما تعملون خبير عالم بباطنه كظاهره»(٢).

مما سبق اتضح أن الشريعة الإسلامية الغراء قد جعلت عدة المتوفى عنها زوجها ثلاثين ومائة يوم، إذ العبرة بالأهلة؛ لأن ميقات أهل الإسلام بالشهور الهلالية -الهجرية- قد تنقص عن الثلاثين بيوم أو يومين، وقد تتم، ولما كانت المدة أربعة أشهر وعشرة أيام، فإن احتمال نقصانها تراوح بين أربعة أيام بواقع يوم واحد في كل شهر، أو تتم فلا يحصل نقصان، ولذا فقد اعتبرها البعض ثلاثين ومائة يوما بينما اعتبرها البعض الآخر ستة وعشرين ومائة يوما(٣).

وقد تمسكنا نحن المسلمين بما جاء به الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، وعليهما العمل لقوله تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾(٤)، ومن لم يلتزم بما جاء به الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ فليس بمسلم؛ لأن الإيمان لا يتجزأ، فأما إيمان بكل ما جاءنا به الصادق المصدوق عن ربه، وإما كفر بكل ما جاءنا به الرسول ﷺ، وأهل الإيمان هم أهل الرحمن، أما أهل التكذيب فهم أهل الكفر إن أتباع الشيطان.

---

(١) قال تعالى: ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ [سورة الطلاق -الآية ٤].

(٢) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٥١

(٣) الشيخ منصور محمد الهلباوى - عدة المتوفى والغائب عنها في الشريعة الإسلامية ص٧٥ طبعة مطابع التفاحة دار الأمير بالخلافة العثمانية ١٣٠٦هـ.

(٤) سورة الحشر - من الآية ٧.

غير أن الباب الشيرازي لم يعجبه ما جاء به الرسول الكريم ﷺ عند ربه، وإنما شرع لأتباعه السذج عدة المتوفى عنها، وجعلها خمسة وتسعين يوما[1]، لا تزيد يوما واحدا، أما إذا ارتبطت بخطبة، ولم تكن له حاملا فلها أن تنقص ذلك ويدفع خاطبها المفروضات البديلة، وأن تكون مفروضات النكاح من الأرملة خمسة مثاقيل من الذهب الخالص[2]، ولا يقبل منه مفروضات بديلة بأقل من ذلك، لكن لماذا جعلها خمسة وتسعين يوما فقط ؟ والجواب: أن هذا الرقم هو المضاعف المكرر خمس مرات بالنسبة للرقم ١٩ الذي يعولون عليه وينادون به .

فالباب جعل العدة للأرملة خمسة وتسعين يوما بالعدد الحسابي، وليست أربعة أشهر وعشرة هلالية، وبالتالي؛ استبدل المدة الشرعية بالأرقام العددية كنوع من الهرب المقنع عن الإمساك بالشريعة الإسلامية الغراء . يقول الباب: « قيل إن عدة المرأة حول كامل، حتى تتعذب بها نفسها، وتتعطش إلى الجماع فرجها، أما أنا فأقول قد جاءكم مني التخفيف هي خمسة وتسعون لا تزيد، وكلما نقصت وجب على الزوج القيام بمفروضات بديلة، مادام فرجها ليس مشغولا بحمل لغيره، أما إذا كانت حاملا بعد الشهور الأولى فلا عدة عليها حتى تضع مولودها »[3] .

ولست أدري؛ كيف شاغت له نفسه الشيطانية أن يسقط إلى هذا الحد من السقوط في الأفكار الوثنية، التي لا تجعل للمرأة الحامل عدة، مادام حملها قد ظهر، وكأن المرأة عندهم بئر فضلات لا تزيد على ذلك، فالعهد القديم يذكر أن بثشبع[4] قد تزوجت داود

(١) الأستاذ عوض محمود داود – البابية حركة هدامة ص٩١ .

(٢) الشيخ محسن محمد نصر لله – البابية انحراف فكر ص٨٧ .

(٣) الأستاذ عباس التبريزي – البابية كما أعرفها ص١٠٥ .

(٤) بثشبع : اسم عبري معناه ابنة القسم أو ابنة اليوم السابع . وهي ابنة أليعام امرأة أوريا الحثي . كانت جميلة إلى حد الفتنة . شغف بها داود الملك . واحتال على زوجها . وقتله ثم تزوجها داود . وجعل ابنها سليمان منه وريث ملكه . قاموس الكتاب المقدس ص١٦٢ .

بعد موت زوجها أوريا الحثي[1] بأربعين يوما، وهي حامل في ابنها سليمان، الذين يزعمون أنه جاء من تلك العلاقة المحرمة التي كانت بين الملك داود وعشيقته بثشبع زوجة أوريا الحثي، وهم في كل ما ذكروا كاذبون.

ويعلل ذلك بأن الحمل لم يكن من أوريا الحثي، وإنما كان من داود، ورغم أنها قصة سخيفة فيها الغدر والخيانة، إلا أن فيها الكفر والإلحاد أيضا، باعتبارها قد نسبت الزنا لنبي الله داود، وهو مما نسبوا إليه براء، ونسبت البنوة من الزنا لنبي الله سليمان، وهو مما نسبوا إليه براء[2]؛ لأن الله تعالى عصم الأنبياء من الوقوع في الكبائر على سبيل القصد، كما أنه تعالى لا يتركهم إذا وقع أحدهم في الصغائر على سبيل السهو أو الاجتهاد، وإنما ينبه الله النبي إلى ما فيه الصواب، ورغم ذلك فإن هذا كله لا يقع منهم إلا قبل البعثة على الراجح عندنا نحن المسلمين. قال تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير﴾[3].

---

(١) اسم عبرى معناه (يهوة نورى) وأطلق فى العهد القديم على أكثر من شخص منهم (أوريا الحثى) الأصل . إذ كان حثيا . ولكنه كان ضمن من يعبدون الرب إله العبرانيين . وكان قائدا كبيرا فى جيش داود . وقد اتصل الملك داود اتصالا شريرا ببثشبع زوجة أوريا . ثم أمر داود أن يوضع أوريا فى المقدمة فى مكان من الجيش . بحيث يعرض فيه للموت . حين كان الجيش يحاصر (ربة عمون) فقتل أوريا . وقد وبخ النبى ناثان الملك داود على هذه الخطايا . وأعلنه بحلول دينونة الله عليه بسببها – قاموس الكتاب المقدس ص١٣٦ .

(٢) وقد أسرف فى ذلك العهد القديم حتى دفع ذلك الإسراف بعض المستشرقين من اليهود إلى الاعتراف بأن مؤلفى العهد القديم قد أوغلوا فى الغب من الثقافة الجنسية. ثم أخرجوها فى مؤلفات دينية. (راجع التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ليوتاكسيل. وكذلك الأديان فى تاريخ شعوب العالم لتوكاريف)

(٣) سورة الحج – الآية ٧٥ . يقول السيوطى : « الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا كذلك وقد نزلت الآية لما قال المشركون أأنزل عليه الذكر من بيننا إن الله سميع لمقالتهم بصير بمن يتخذه رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليه وسلم » (العلامة السيوطى . والعلامة جلال الدين المحلى – تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٤٤٤) .

ويقول العلامة الطبري: « ذكر الله بأنه يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كانا رسلهما إلى أنبيائه ومن شاء من عباده ومن الناس كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم ومعنى الكلام الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس أيضا رسلا وقد قيل إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا فقال الله لهم ذلك إلي وبيدي دون خلقي أختار من شئت منهم للرسالة وقوله إن الله سميع بصير يقول إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند ربه بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه »[1].

كما أن العصمة للرسل هي حفظ الله ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه قصدوا أو سهوا[2]، وبالتالي؛ فكل ما نسبه العهد القديم إلى رسل الله مما يخل بالعصمة لا يمكن قبوله، وقد انتقد هذه السلبيات المستشرق ليوتاكسيل، حيث يقول: « إن العهد القديم ما يكاد ينتهي من قصة جنسية قذرة إلا ويدلف إلى أخرى أكثر منها قذارة، فصارت قصصهم هي المعبر الطبيعي عن اتجاهاتهم النفسية، وسلوكياتهم الشخصية، وذلك مما نطالعه بكثرة في العهد القديم »[3]، وقد ارتضع الباب الشيرازي هذه الثقافة اليهودية المحرفة، وتمسك بها، ثم قرر إفراغها في قالب هزيل بعد أن نسبه إلى نفسه، حتى تظهر عوراته أمام الناس، وتفضح أمام الله سوءاته.

---

(١) الإمام الطبرى – تفسير الطبري ج: ١٧ ص: ٢٠٤ .

(٢) الشيخ محمد عبدالعاطى الدحلان – النبوة والأنبياء ص١١٢ .

(٣) المستشرق ليوتاكسيل – التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢١٣ – ترجمة د/ حسان ميخائيل.

وراجع للأستاذ عمر محمد الأنور : الوثنية والبابية ص١٠٥ وما بعدها .

ويقرر الباب ذات العبارة في أكثر من موضع، حيث يقول: «لا يغرنكم ما قيل إن عدة المرأة الأرملة عام كامل، فما قصد بذلك إلا الإيذاء، ولكني أقول لكم تخفيفا أنها خمسة وتسعون يوما لا تزيد»[1]، ولست أدري: من أين جاء هذا العيي بأن عدة المرأة الأرملة عام كامل، إلا إذا كان يقصد ما ذكره القرآن الكريم في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم﴾[2].

وليس يدري الجاهل أن هذه الآية بقيت تلاوة لكنها منسوخة حكما بالآية التي سبقتها من نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير﴾[3].

ثم إنه على فرض القول بعدم نسخها حكما، وهو بعيد جدا، فالمعنى أن المرأة التي يتوفى عنها زوجها تكون عدتها الرحمية، إذا لم تكن حاملا؛ أربعة أشهر وعشرا، ثم تستكمل العام كنوع من الوفاء بعهدها مع زوجها الذي أخذت منه الميثاق الغليظ، لا على سبيل الفرض، وإنما على سبيل الوفاء، وتكون عدة وفاء لا عدة استبراء.

ولذا؛ نلحظ في الآية الأولى اشتراط التربص بهن كزوجات؛ لأنها عدة متعلقة بهن، وبلوغ الأجل، وهو الأربعة أشهر وعشرا، فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف، وجاءت كلمة بالمعروف معرفة بالألف اللام؛ لأنه الثابت في العهدة لها،

---

(١) الأستاذ محمود عبدالمولى – البابية ص١٥٣.

(٢) سورة البقرة – الآية ٢٤٠.

(٣) سورة البقرة – الآية ٢٣٤.

ونلحظ فى الآية الثانية: تعليق المدة بلفظ وصية لأزواجهم متاعا، وليس تربصا كالحال فى الآية الأولى، وذلك من إعجاز القرآن الكريم لمن تفهمه وأدرك مراميه، وفتح الله تعالى عليه فيه.

لكن ماذا نفعل مع الباب الشيرازى، الذى خالف المعقول والمنقول، أليس هو الذى جعل لأتباعه الطلاق تسع عشرة طلقة، وهو كذلك الذى جعل الطلاق يتبادله كل من الرجل والمرأة، فلا نعجب من خيالاته وجنونه المرضى؛ لأنه الذى سمح لنفسه أن يجعل عدة المطلقة تسعة عشر يوما، وعدة الأرملة خمسة وتسعين يوما[1]، مخالفا بذلك كل معقول ومنقول صحيح، معتقدا أن جنونه هو الصواب الذى يجب على العقلاء التمسك به، ومتابعته فيه.

ثم أليس هو الذى شارك قرة العين آمالها وأحلامها، ودبر لها الخونة حتى قتلوا عمها، وهو يؤدى الصلاة فى المسجد؛ لأنه نهاها عن الفسق والفجور، وحذرها من نتائجه، فكانت هديتها إليه القتل على أيدى المأجورين، أو ليس هو الذى قد تآمر مع قرة العين على قتل أبيها وزوجها -ابن عمها- حتى تفرغ له ويفرغ لها، ماذا ننتظر من قاتل تلطخت يداه بدماء بريئة، حاول أصحابها دفعه ودفع عشيقته إلى الهدى بدل الضلال، والنور بدل الظلام؟ ثم أليس هو الذى كان يقاسمه القدوس فى عشيقته الأحضان والترحال والزنا، ما أظن الباب إلا عميلا من عملاء الاستعمار، وأنه كان يؤدى ما يطلب منه.

ثم أليس هو الذى سمح لقرة العين أن تنادى بين الناس قائلة: مزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم، بأن تشاركوهن الأعمال، وتقاسموهن بالأفعال، وأصلوهن بعد السلوة، وأخرجوهن من الخلوة[2] إلى الجلوة[3]، فما هى إلا زهرة الحياة الدنيا، وأن الزهرة لابد

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشى - البابية والبهائية - القسم الأول ص١١٥ .

(٢) الخلوة : مكان الإنفراد بالنفس بعيدا عن غيرها. (المعجم الوجيز ص٢١٠). فالمرأة الفاجرة تطالب الرجال بأن يأخذوا النساء من الانعزال إلى أماكن التهيئة للجنس. حتى يتم الأمر الفاحش على وجه التمام. دون مراعاة لأية حرمة من الحرمات الشرعية أو الاجتماعية. بل ولا الأخلاقية أيضا.

(٣) الجلوة : هى عرض العروس أو المرأة على بعلها مجلولة ، حتى تكون مثيرة لغرائزه. محركة لشهواته. فيندفع لممارسة العلاقات الجسدية معها، فى شغف وتلهف. (راجع محيط المحيط ، أساس البلاغة. المعجم الوجيز).

من قطفها وشمها؛ لأنها - المرأة - خلقت للضم[1]، والشم[2]، ولا ينبغى أن يعد ولا يحد شاموها بالكيف أو الكم[3]، فالزهرة تجنى وتقطف، وللأحباب تهدى وتتحف[4].

فهل بعد هذا التفسخ الشهوانى والانحلال الشرعى الأخلاقى ننتظر من الباب الشيرازى السير فى طريق لا يلوى إلى الشيطان؟ أظن أن ذلك بعيد المنال.

عدة الرجل الأرمل

ومما يزيد المسألة سخرية واستهزاء، أن جعل الباب للرجل عدة متى ماتت عنه زوجته، ويسميها عدة الرجل الأرمل، وهى نصف عدة المرأة. يقول الباب: « الرجال والنساء أسوياء[5]، ولما كانت عدة المرأة خمسة وتسعين يوما، فعدة الرجل على النصف منها؛ لأنه لا يحتمل أكثر من ذلك »[6]، فإذا لم يتمكن من احتمال نصف مدة العدة فماذا يفعل. يقول الباب: « إذا لم يحتمل ما أنزلت عليكم، فأمامه المفروضات البديلة »[7]، وهى القاعدة الذهبية التى يتمسك بها الباب فى مواجهة كل ما يفرضه على أتباعه.

---

(١) الضم هو الجمع بين الشيئين مع قبضهما كل منهما الآخر إلى صدره فى معانقة طويلة مع الحركة التى تؤدى إلى المراد من الضم متى أريد به الجماع. (قطر المحيط - باب الضاد. وكذلك معجم مقاييس اللغة، وراجع المنجد فى اللغة والاعلام أيضا).

(٢) الشم : التماسها وطلبها مع إدراك رائحتها، حتى تكون داعيته إليها أقوى من داعية الإنصراف عنها.

(٣) هذه المرأة الفاجرة تعلن فى خطبتها عن كل أنواع الفجور، وتدعو إلى ممارسة تلك الأنواع بعيدا عن آية قيود، وبغض النظر عن العدد المعين من الناس الذين يمكنهم أن يقوموا بهذه الممارسات الشاذة. فالعبرة عندها بنوعية ممارسة الجنس المحرم لا بعدد الممارسين - قاتلها الله وأمثالها من نساء فاجرات -.

(٤) الميرزا عبدالحسين - الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية ص٢٢٣.

(٥) هذا أخطأ. والصواب أن تكون سواء، لأنه قصد المساواة، ولم يقصد الاعتدال والاستقامة. لكنه العوار الذى يأتيه من كل ناحية شأن أصحاب كل فكر منحرف.

(٦) الشيخ محسن محمد نصر الله - البابية انحراف فكر ص٩٣.

(٧) الأستاذ عوض محرر داود - البابية حركة هدامة ص٩٧.

ولست أدرى كيف فكر له من دونوا ذلك باسمه، ودربوه على النطق به، مع أنه قيد الرجل فلم يسمح له بتعدد الزوجات، وأطلق للمرأة العنان، فسمح لها بتعدد العشاق والأخدان، ومنح المرأة عدة خمسة وتسعين يوما متى كانت أرملة، ثم أعطى الرجل نصف هذه العدة، فكيف تنصف وهى عدد فردى لا يقبل القسمة بدون باق، أم أنه سيجعل اليوم الخامس والتسعين ينقسم إلى جزء فيه باقى عدة، وجزء لا عدة فيه .

لا شك أن هذا السلوك المتهافت كان محصلة أفكار شاذة، وخواطر خرقة على كل معيار إسلامى وأخلاقى، كما يدل على أن القائلين به قصدوا هدم الإسلام، بكل ما أمكنهم؛ لأن الرجل فى الإسلام من حقه تعدد الزوجات، ولا عدة عليه أبدا، وما ذهب إليه البعض من أنه يعتد إذا كان تحته أربع نسوة، ثم طلق واحدة رجعية، فلا يتزوج رابعة جديدة حتى تنهى المطلقة من عدته عليها، فإن على هذا الرأى اعتراضات كثيرة، ذكرت مفصلة فى كتب الفقه والأصول، ولم تسلم من الانتقادات القوية التى وجهت إليها، وهى فوق ذلك بعيدة تماما على اتجاهات البابية .

إبطال التقويم الهجرى

شرع الله تعالى للناس جميعا تقويمات يعتمدون عليها فى شئون حياتهم، ودلهم على تلك التقويمات تصريحا وتلميحا، وبين أنها فى كل عام اثنا عشر شهرا، لا تزيد عليها ولا تنقص عنها . قال تعالى: ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة – الآية ٣٦ .

قال الحافظ ابن كثير في معنى الآية: « إن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته[1] فقال: "ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان[2] "»

---

(١) هي حجة النبي ﷺ الوحيدة. وتسمى حجة الوداع ، وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة استعماله على المدينة أبا دجانة قال ابن هشام فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدى ويقال سباع بن عرفطة الغفاري حكم الحائض في الحج . وعن عائشة قالت: لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدي وأشراف من أشراف الناس أمر الناس أن يحلوا بعمرة إلا من ساق الهدي قالت وحضت ذلك اليوم فدخل علي وأنا أبكي فقال مالك يا عائشة لعلك نفست قالت قلت نعم والله لوددت أني أخرج معكم عامي في هذا السفر فقال لا تقولن ذلك فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت قالت ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فحل كل من كان لا هدي معه وحل نساؤه بعمرة. فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير فطرح في بيتي فقلت ما هذا قالوا ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر. حتى إذا كانت ليلة الحصبة بعث بي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التنعيم مكان عمرتي التي فاتتني (السيرة النبوية ج: ٦ ص: ٧/٥).

(٢) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١١٦٨ – الحديث رقم: ٣٠٢٥ . الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٣٠٥ – باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال – الحديث: ١٦٧٩. والمراد بـ: [(الزمان) اسم لقليل الوقت وكثيره، والمراد به هنا السنة. (استدار كهيئته) عاد إلى أصل الحساب والوضع الذي اختاره الله ووضعه يوم خلق السماوات والأرض. وذلك أن العرب كانوا يؤخرون المحرم ليقاتلوا فيه. وهكذا يؤخرونه كل سنة فينتقل من شهر إلى شهر حتى جعلوه في جميع شهور السنة. فلما كانت تلك السنة كان قد عاد إلى زمنه المخصوص به. (حرم) محرمة لا يقاتل فيها إلا من اعتدى. (رجب مضر) نسب إلى مضر لأنها كانت تحافظ على تحريمه أشد من غيرها] .

وعن ابن عمر قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال: "أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم "(١).

وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض" فيه تقرير منه صلوات الله وسلامه عليه، وتثبيت للأمر على ما جعله الله في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقص، ولا نسيء ولا تبديل، كما قال في تحريم مكة(٢): "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات الأرض فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة"(٣)، وهكذا قال ههنا: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله

---

(١) أخرجه ابن جرير وابن مردويه .

(٢) مكة بيت الله الحرام قال بطليموس طولها من جهة المغرب ثمان وسبعون درجة وعرضها ثلاث وعشرون درجة وقيل إحدى وعشرون تحت نقطة السرطان طالعها الثريا بيت حياتها الثور وهي في الإقليم الثاني أما اشتقاقها ففيه أقوال منها: سميت مكة لأنها تمك الجبارين أي تذهب نخوتهم ويقال إنما سميت مكة لازدحام الناس بها من قولهم قد امتك الفصيل ضرع أمه إذا مصه مصا شديدا وسميت بكة لازدحام الناس بها. ويقال مكة اسم المدينة وبكة اسم البيت. ويقال أيضا سميت مكة لأنها عبدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم أمتك الفصيل أخلاف الناقة إذ جذب جميع ما فيها جذبا شديدا فلم يبق فيها شيئا وهذا قول أهل اللغة. وروي أن بكة اسم القرية ومكة مغزى بذي طوى لا يراه أحد ممن مر من أهل الشام والعراق واليمن والبصرة وإنما هي أبيان في أسفل ثنية ذي طوى وقال آخرون بكة موضع البيت وما حول البيت مكة . (معجم البلدان - باب الميم والكاف وما بينهما - ج: ٥ ص: ١٨١/١٨٢) .

(٣) الحديث رواه الشيخان - الإمام البخاري - صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٦٥١ - باب لا يحل القتال بمكة - الحديث رقم: ١٧٣٧، وأخرجه مسلم - صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٩٨٦ - باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام الحديث رقم: ١٣٥٣ عن ابن عباس قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فتح مكة لا هجرة ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا وقال يوم الفتح فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار فهوحرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط إلا من عرفها ولا يختلى خلاها فقال العباس يا رسول الله إلا الإذخر فإنه لقينهم ولبيوتهم فقال إلا الإذخر » .

السموات والأرض" أي الأمر اليوم شرعا كما ابتدع الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض.

وقد قال بعض المفسرين والمتكلمين على هذا الحديث إن المراد بقوله: "قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض" أنه اتفق أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك السنة في ذي الحجة، وأن العرب قد كانت نسأت النسيء يحجون في كثير من السنين بل أكثرها في غير ذي الحجة، وزعموا أن حجة الصديق في سنة تسع كانت في ذي القعدة[1].

كما بين جل شأنه أن من الشهور الهلالية أربعة حرم، وأنها مما كانت العرب في الجاهلية تحرمه، وهو الذي كان عليه جمهورهم وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" فإنما أضافه إلى مضر ليبين صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان، لا كما تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال وهو رمضان اليوم، فبين صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر لا رجب ربيعة[2]؛ وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة: ثلاثة سرد، وواحد فرد، لأجل مناسك الحج والعمرة.

لكن لماذا كانت الأشهر الحرم أربعة، ولماذا كان بعضها متواليا، ثم كان منها فرد؟

* **والجواب**: أن الله تعالى حرم قبل أشهر الحج شهرا وهو ذو القعدة، لأنهم يقعدون فيه عن القتال، وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٣٥٤ .

(٢) راجع في هذا الشأن أيام العرب للعلامة محمد عبدالهادى النابلسى ص١٧ وما بعدها. وكذلك أسماء الشهور الإسلامية للعلامة محسن عبدالعاطى البعلبكى ص٤٥ وما بعدها.

يعود إلى وطنه آمنا[1]. ﴿ذلك الدين القيم﴾ وهذا هو الشرع المستقيم من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم والحذو بها على ما سبق من كتاب الله الأول.

ثم أمر الله الناس أن لا يقعوا في ظلم أنفسهم ابدا؛ لأن الظلم محرم عند لله تعالى، كما حذر من ظلم النفس في هذه الأشهر المحرمة أيضا؛ لأنها آكد وأبلغ في الإثم من غيرها، كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف، لقوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾، وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام؛ ولهذا تغلظ فيه الدية في مذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء، وقال ابن عباس في قوله: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ قال في الشهور كلها، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر، فجعلهن حراما وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم، وقال قتادة: إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء.

وقال قتادة ﷺ: إن الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل[2]، ثم قال تعالى: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾[3].

---

(١) والواضح أنها أحكام تعليلية؛ لأن الغاية من تحريم القتال فيها ظاهرة. ومنكر ذلك لا يلتفت إلى قوله.

(٢) وقال محمد بن إسحاق: ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ أي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك. وهذا القول اختيار ابن جرير. (تفسير ابن كثير ٢/٣٥٦).

(٣) سورة التوبة – الآية ٣٦.

وقد اختلف العلماء في تحريم ابتداء القتال في الشهر الحرام هل هو منسوخ أو محكم على قولين:

أحدهما: وهو القول الأشهر أنه منسوخ لأنه تعالى قال: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ وأمر بقتال المشركين، وظاهر السياق مشعر بأنه أمر بذلك أمراً عاماً، ولو كان محرماً في الشهر الحرام لأوشك أن يقيده بانسلاخها[1]، ودليل ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر أهل الطائف[2] في شهر حرام وهو ذو القعدة، كما ثبت في الصحيحين أنه خرج إلى هوزان في شوال فلما كسرهم واستفاء أموالهم ورجع فإنهم لجأوا إلى الطائف فعمد الرسول ﷺ إلى الطائف، فحاصرهم أربعين يوماً وانصرف ولم يفتتحها، فثبت أنه ﷺ حاصر المشركين في الشهر الحرام

ثانيهما: أن ابتداء القتال في الشهر الحرام حرام وأنه لم ينسخ تحريم الشهر الحرام، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام﴾[3]، وقال: ﴿الشهر

---

(١) الإمام ابن كثير – تفسير ابن كثير (٣٥٥/٢).

(٢) الطائف: في الإقليم الثاني وعرضها إحدى وعشرون درجة وبالطائف عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة عمرها حسين بن سلامة وسدها ابنه وهو عبد نوبي وزر لأبي الحسين بن زياد صاحب اليمن في حدود سنة ٤٣٠ فعمر هذه العقبة عمارة يمشي في عرضها ثلاثة جمال بأحمالها وقال أبو منصور الطائف العاس بالليل ، و الطائف هو وادي وج وهو بلاد ثقيف بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخا. وكانت الطائف تسمى وجا بوج بن عبد الحي من العماليق وهو أخو أجا الذي سمي به جبل طيء وهو من الأمم الخالية قال عرام والطائف ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية تنصب منها إلى تبالة وجل أهل الطائف ثقيف وحمير وقوم من قريش وهي على ظهر جبل غزوان وبغزوان قبائل هذيل. وسميت الطائف لأن إبراهيم عليه السلام لما أسكن ذريته مكة وسأل الله أن يرزق أهله من الثمرات أمر الله عز وجل قطعة من الأرض أن تسير بشجرها حتى تستقر بمكان الطائف فأقبلت وطافت بالبيت ثم أقرها الله بمكان الطائف فسميت الطائف لطوافها بالبيت. (معجم البلدان ج: ٤ ص: ١٠/٨).

(٣) سورة المائدة – من الآية ٢ .

الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين﴾[2] الآية، وأما في قوله: ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ فيحتمل أنه منقطع عما قبله وأنه حكم مستأنف ويكون من باب التهييج والتحضيض، أي كما يجتمعون لحربكم إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم وقاتلوهم بنظير ما يفعلون.

ويحتمل أنه أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم، كما قال تعالى: ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ وعليه يأتي الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام، فإنه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف فإنهم هم الذين ابتدأوا القتال وجمعوا الرجال ودعوا إلى الحرب والنزال، فعندها قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم، فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم فنالوا من المسلمين وقتلوا جماعة، واستمر الحصار بالمجانيق[3]، وغيرها قريباً من أربعين يوماً وكان ابتداؤه في شهر حلال، ودخل الشهر الحرام فاستمر فيه أياماً ثم قفل عنهم لأنه يغتفر في الدوام ما لا يغتفر في الابتداء، وهذا أمر مقرر وله نظائر كثيرة والله أعلم »[4].

---

(١) سورة البقرة – من الآية ١٩٣ .

(٢) سورة التوبة – من الآية ٥ .

(٣) المنجنيق. ويكسر الميم: آلة ترمى بها الحجارة. كالمنجنوق. معربة. وقد تذكر. فارسيتها من جه نيك. أي: أنا ما أجودني. وتجمع: منجنيقات ومجانق ومجانيق. وقد جنقوا يجنقون. وجنقوا تجنيقاً. ومجنقوا عند من جعل الميم أصلية. (وإليه نسب أبو محمد عبد الله بن علي المنجنيقي الفقيه). وجنقان. كعثمان: ع بخوارزم. وناحية بفارس. وأجنقان. بكسر النون الأولى: ة بسرخس. (العلامة الفيروز آبادي – القاموس المحيط – باب القاف – فصل الجيم).

(٤) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٣٥٦ .

ويبين جل شأنه أن الشهور الهلالية منضبطة بمطالع الهلال فلا تتعلق بالعدد الحسابي الذي يعرف بالجوريجوري أو العبري أو الإفرنجي الميلادي. قال تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾[1]،

قال العلامة القرطبي: « تكلم العلماء في معنى هذه الآية، فقال بعضهم: معناها أن الشمس لا تدرك القمر فتبطل معناه. أي لكل واحد منهما سلطان على حياله، فلا يدخل أحدهما على الآخر فيذهب سلطانه، إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، فتطلع الشمس من مغربها. وقيل: إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر لم يكن للشمس ضوء[2]. روي معناه عن ابن عباس والضحاك. فبأن أن الشهور عندنا نحن المسلمين التي نعتمدها في إقامة الشعائر، إنما هي الأشهر الهلالية التي تجيء مع مطلع القمر وعليها التقويم المعتمد بالنسبة لنا.

واستدل بعضهم بقوله تعالى: "ولا الليل سابق النهار" على أن النهار مخلوق قبل الليل، وأن الليل لم يسبقه بخلق. وقيل: كل واحد منهما يجيء وقته ولا يسبق صاحبه إلى أن يجمع بين الشمس والقمر يوم القيامة؛ كما قال: "وجمع الشمس والقمر[3]" وإنما هذا التعاقب الآن لتتم

---

(١) سورة يس – الآية ٤٠.

(٢) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج١٥ ص٣١. يعني هنا: أي لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر. وقال قتادة: لكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه إذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا. وقال الحسن: إنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة. أي لا تبقى الشمس حتى يطلع القمر. ولكن إذا غربت الشمس طلع القمر. يحيى بن سلام: لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها. وقيل: معناه إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها؛ قاله ابن عباس أيضا. وقيل: القمر في السماء الدنيا والشمس في السماء الرابعة فهي لا تدركه؛ ذكره النحاس والمهدوي. قال النحاس: وأحسن ما قيل في معناها وأبينه مما لا يدفع: أن سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه في السير ذكره المهدوي أيضا. (تفسير القرطبي جـ١٥/٣١).

(٣) سورة القيامة – الآية ٩.

مصالح العباد . "لتعلموا عدد السنين والحساب"(١)، ويكون الليل للإجمام والاستراحة، والنهار للتصرف؛ كما قال تعالى: "ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون(٢)" ففي النهار عمل الأبدان، وفي الليل راحتها(٣) .

أما غير السنوات الهلالية فمنضبطة بالليل والنهار لا بمطالع القمر. قال تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾(٤) .

يقول الحافظ ابن كثير: « يمن الله تعالى على خلقه بآياته العظام، فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتشروا في النهار للمعايش والصنائع والأعمال والأسفار، وليعلموا عدد الأيام والجمع والشهور والأعوام، ويعرفوا مضي الآجال المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والإجارات وغير ذلك، ولهذا قال:﴿لتبتغوا فضلا من ربكم﴾: أي في معايشكم وأسفاركم ونحو ذلك مما تقتضيه الضرورة وتدفع إليه الحاجيات.

﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾، فإنه لو كان الزمان كله نسقا واحدا وأسلوبا متساويا لما عرف شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾(٥)،، وقال تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿وهو

---

(١) سورة يونس – الآية ٥ .

(٢) سورة القصص – الآية ٧٣.

(٣) الإمام القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج١٥ ص٣٢ .

(٤) سورة الإسراء – الآية ١٢ .

(٥) سورة القصص – الآية ٧١ .

(٦) سورة الفرقان – الآية ٦٢ .

الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾(١)، وقال: ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾(٣).

ثم إنه تعالى جعل لليل آية، أي علامة يعرف بها، وهي الظلام وظهور القمر فيه، وللنهار علامة يعرفها بها، وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه، وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا، كما قال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾(٥).

وقيل في قوله: ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ قال" ظلمة الليل وسدف النهار، وعن مجاهد: الشمس آية النهار، والقمر آية الليل. وقال ابن عباس: كان القمر يضيء كما تضيء الشمس، والقمر آية الليل، والشمس آية النهار، فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر. وقال قتادة: كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه، وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم، وقال ابن عباس: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ قال: ليلا ونهارا، كذلك خلقهما الله عز وجل»(٦).

---

(١) سورة المؤمنون – الآية ٨٠ .

(٢) سورة الزمر – من الآية ٥ .

(٣) سورة الأنعام – من الآية ٩٦ .

(٤) سورة يونس – من الآية ٥ .

(٥) سورة البقرة – الآية ١٨٩ .

(٦) الإمام الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٣ ص٢٧ .

وبين جل شأنه أن الزمان تنقسم إلى أعوام معدودة حسابيا بالنسبة لنا، قال جل شأنه: ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾، وأن الأعوام تنقسم إلى شهور، ففي الحديث الشريف: عن عبد الله بن مسعود: « أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول وقد أهل رمضان لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها »[1].

وقال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾[2].

قال صاحبا الجلالين: « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه هدى حال كونه هاديا من الضلالة للناس وبينات آيات واضحات من الهدى بما يهدي إلى الحق من الأحكام ومن الفرقان مما يفرق بين الحق والباطل فمن شهد حضر منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وكرر ذلك لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر لكون ذلك في معنى العلة أيضا للأمر بالصوم وهو عطف عليه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله عند إكمالها على ما هداكم إليه وأرشدكم لمعالم دينه ولعلكم تشكرون الله على ذلك »[3]، فالشهر الهلالي معروف بمطلع القمر، لا بغيبه، ومن ثم؛ فالسنة تنقسم إلى شهور محددة هي الاثنا عشر شهرا.

---

(١) العلامة أبو يعلى – مسند أبي يعلى ج: ٩ ص: ١٨٠ – الحديث رقم: ٥٢٧٣

(٢) سورة البقرة – الآية ١٨٥.

(٣) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٣٨.

وذكر جل شأنه أن الشهر كوحدة زمانية ينقسم إلى أسابيع. قال تعالى في شأن هلاك قوم هود: ﴿وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية * سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية * فهل ترى لهم من باقية﴾(١).

قال الحافظ ابن كثير: « ﴿وأما عاد فأهلكوا﴾ باردة شديدة الهبوب، عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم، حيث عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة، وقال علي: عتت على الخزنة فخرجت بغير حساب، ﴿سخرها عليهم﴾ سلطها الله عليهم ﴿سبع ليالي وثمانية أيام حسوما﴾ كوامل متتابعات مشائيم، قال ابن مسعود: ﴿حسوما﴾ متتابعات، وعن عكرمة والربيع: مشائيم عليهم كقوله تعالى: ﴿في أيام نحسات﴾ وهي التي تسميها الناس الأعجاز، وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى: ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾(٢). وقيل: لأنها تكون في عجز الشتاء، قال ابن عباس: ﴿خاوية﴾ خربة.

وقال غيره: خاوية بالية، أي جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه، فينشدخ رأسه، وتبقى جثته هامدة، كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان، وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور"(٣).

وعن ابن عمر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما فتح الله على عاد من الريح التي هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم، فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم

(١) سورة الحاقة - الآيات ٦/٨.
(٢) سورة الحاقة - الآية ٧.
(٣) الإمام البخارى - صحيح البخاري ج: ١ ص: ٣٥٠ - باب قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا - الحديث رقم: ٩٨٨ ، وأخرجه الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٦١٧ - كتاب صلاة الاستسقاء - باب في ريح الصبا والدبور - الحديث رقم: ٩٠٠ ، والمراد ب: [(نصرت بالصبا) هي الريح التي تهب من مشرق الشمس. ونصرته بها صلى الله عليه وسلم كانت يوم الخندق. إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية، فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم. وقلبت قدورهم، وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم. (الدبور) هي الريح التي تهب من مغرب الشمس. وبها كان هلاك قوم عاد. كما قص علينا القرآن الكريم].

فجعلتهم بين السماء والأرض، فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد، الريح وما فيها قالوا: هذا عارض ممطرنا، فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة"[1].

﴿فهل ترى لهم من باقية﴾؟ أي هل تحس فيهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب إليهم؟ بل بادوا عن آخرهم، ولم يجعل الله لهم خلفا»[2]،

وعن أيام الأسبوع ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[3]،

---

(١) المعجم الكبير ج: ١٢ ص: ٤٢١ – الحديث رقم: ١٣٥٥٣ . وأخرج الطبراني أيضا في المعجم الكبير ج:١٢ ص: ٤٢ – الحديث رقم: ١٢٤١٦ . عن بن عباس رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فتح على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم فحملتهم البدو إلى الحضر ولما رآها أهل الحضر قالوا هذا عارض ممطرنا مستقبل أوديتنا فكان أهل البوادي فيها فألقي أهل البادية على أهل الحاضرة حتى هلكوا قال عتت على خزانها حتى خرجت من خلالها الأبواب » .

(٢) العلامة ابن كثير – تفسير ابن كثير

(٣) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٢٠٩– باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر – الحديث رقم:٢٣٣ وروى مسلم من نفس الباب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر. وروى أيضا في نفس الباب : عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن. وروى الإمام البخاري بسنده : عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا ما تقول ذلك يبقي من درنه قالوا لا يبقي من درنه شيئا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا » (الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ١ ص: ١٩٧ – باب الصلوات الخمس كفارة الحديث رقم: ٥٠٥)

كما دلنا المولى الكريم أن اليوم الفلكي تؤاخيه الليلة، حتى يكونا معاً جملة واحدة يمثلان قيمته الزمانية أربع وعشرون ساعة. قال تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً * ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[1].

يقول العلامة ابن كثير: «يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم آمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ قيل: لغروبها (قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد)، وقال ابن عباس: دلوكها زوالها (رواه نافع عن ابن عمر، وبه قال الحسن والضحاك وقتادة وهو الأظهر)، فعلى هذا تكون هذه الآية داخل فيها أوقات الصلوات الخمس، فمن قوله: ﴿لدلوك الشمس إلى غسق الليل﴾ وهو ظلامه؛ أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وقوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ يعني صلاة الفجر؛ وقد ثبتت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تواتراً من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه أهل الإسلام اليوم مما تلقوه خلفاً عن سلف وقرناً بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه ولله الحمد، ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾[2]، قال: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[3].

فعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ قال: "تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار[4].

---

(١) سورة الإسراء – الآيتان ٧٨/٧٩ .

(٢) سورة الإسراء – الآية ٧٨ .

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر". يقول أبي هريرة: اقرأوا إن شئتم ﴿ وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ (أخرجه البخاري في صحيحه).

(٤) الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ١ ص: ٢٢٠ – الحديث رقم: ٦٧٠ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يتعاقبون فيكم، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح، وفي صلاة العصر، فيعرج بالذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم - وهو أعلم بكم - كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون"(١).

وقال عبد الله بن مسعود: يجتمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء. وقوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة؟ قال: "صلاة الليل"(٢). ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل، فإن التهجد ما كان بعد نوم(٣)، (قاله علقمة والأسود وإبراهيم النخعي وغير واحد)، وهو المعروف في لغة العرب، وكذلك ثبتت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتهجد بعد نومه، وقال الحسن البصري: هو ما كان بعد العشاء، ويحمل على ما كان بعد النوم أيضا.

واختلف في معنى قوله تعالى: ﴿نافلة لك﴾، إلى رأيين

☆ الأول: معناه أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك، فجعلوا قيام الليل واجبا في حقه دون الأمة(٤)، ومن ثم فإنه يكون سنة عادية بالنسبة له ﷺ، كما تسمى خاصة من خصوصياته ﷺ،

(١) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج: ١ ص: ٢٠٣ - الحديث رقم: ٥٣٠ . وأخرجه الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ١ ص: ٤٣٩ - باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما - الحديث رقم: ٦٣٢.

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » (الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٨٢١ - باب فضل صوم المحرم - الحديث رقم: ١١٦٣).

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ ص٥٢٧ .

(٤) حكاه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره من شيوخ المذهب ابن جرير.

كالحال في خصوصية زواجه ﷺ بما فوق الأربعة من غير الآحاد، والجمع بينهن لخصوصيته وحده ﷺ.

☆ **الثاني: إنما جعل قيام الليل في حقه نافلة على الخصوص،** لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وغيره من أمته إنما يكفر عن صلواته النوافل من الذنوب التي عليه[1]؛ لأنه ﷺ صاحب اللواء المعقود، والمقام المحمود الذي جعله الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ على الخصوص في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[2]، أي افعل هذا الذي أمرتك به لنقيمك يوم القيامة مقاماً محموداً، يحمدك فيه الخلائق كلهم، وخالقهم تبارك وتعالى، قال ابن جرير: قال أكثر أهل التأويل، ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس، ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم.

عن حذيفة قال: يجمع الناس في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، حفاة عراة كما خلقوا، قياما لا تكلم نفس إلا بإذنه، ينادي: يا محمد، فيقول: "لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك ومنك وإليك، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك، تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت"[3]. فهذا المقام المحمود ذكره الله عز وجل، وقال ابن عباس: المقام المحمود مقام الشفاعة، وكذا قال مجاهد والحسن البصري، وقال قتادة: هو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة وأول شافع، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود. قلت: لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشريفات يوم القيامة لا يشركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد، فهو أول من تنشق عنه

---

(١) وظواهر الأحاديث عليه. من ذلك قوله ﷺ: « عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر » (الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٢٠٩ – الحديث رقم: ٢٣٣. وأخرجه أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٢ ص: ٣٥٩ الحديث رقم: ٨٧٠٠.

(٢) سورة الإسراء – الآية ٧٩.

(٣) المعجم الأوسط ج: ٢ ص: ٩ – الحديث رقم: ١٠٥٨.

الأرض ويبعث راكبا إلى المحشر، وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحت لوائه، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر واردا منه، وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق.

وذلك بعد ما سأل الناس آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى، فكل يقول: لست لها، حتى يأتوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: "أنا لها، أنا لها"، ومن ذلك، أن يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها، وهو أول الأنبياء يقضى بين أمته، وأولهم إجازة على الصراط بأمته، وهو أول شفيع في الجنة، وهو أول داخل إليها وأمته قبل الأمم كلهم، ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم، وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لا تليق إلا له، وإذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنبيون والمؤمنون، فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى، ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك[١].

روى الإمام البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاء، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا »[٢]، وفي رواية: "إن الشمس لتدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، فيقول: لست بصاحب ذلك، ثم بموسى فيقول كذلك، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة باب الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا، يحمده أهل الجمع كلهم[٣].

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٢٨

(٢) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٧٤٨ – باب عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا – الحديث رقم: ٤٤٤١.

(٣) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٣٦ – باب من سأل الناس تكثرا – الحديث رقم: ١٤٠٥. المعجم الأوسط ج: ٨ ص: ٣١٠ – الحديث رقم: ٨٧٢٥

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة"(١).

وعن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة كنت إمام الأنبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر(٢)".

وعن أنس بن مالك ﷺ « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك، فيقولون: لو شفعنا إلى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول لهم آدم: لست هناكم، ويذكر ذنبه الذي أصاب، فيستحيي ربه عز وجل من ذلك، ويقول: ولكن ائتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئة سؤاله ربه ما ليس له به علم، فيستحيي ربه من ذلك، ويقول: ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأتوه، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة.

---

(١) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ١ ص: ٢٢٢– باب الدعاء عند النداء – الحديث رقم: ٥٨٩ ، سنن الترمذي ج: ١ ص: ٤١٣ – باب منه آخر – الحديث رقم: ٢١١ ، سنن النسائي (المجتبى) ج: ٢ ص: ٢٦– باب الدعاء عند الآذان – الحديث رقم: ٦٨٠

(٢) الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٤٤٣ – الحديث رقم: ٤٣١٤ . وروى الإمام الترمذى عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وجملها وترك منها موضع لبنة فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع تلك اللبنة وأنا في النبيين بموضع تلك اللبنة وبهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر» (سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٥٨٦ – الحديث : ٣٦١٣).

فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس، فيستحيي ربه من ذلك، ويقول: ولكن ائتوا عيسى، عبد الله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني - قال الحسن هذا الحرف - فأقوم فأمشي بين سماطين[1]، من المؤمنين، قال أنس: حتى استأذن على ربي، فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت - ساجدا لربي، فيدعني ما يشاء أن يدعني، قال، ثم يقال: ارفع محمد، قل تسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة.

ثم أعود الثانية، فإذا رأيت ربي وقعت له - أو خررت - ساجدا لربي فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة، فإذا رأيت ربي وقعت - أو خررت - ساجدا لربي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد،

---

(١) [سمط] : السمط الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك والسمط أيضا واحد السموط وهي السيور التي تعلق من السرج و سمط الشيء تسميطا علقه من السموط و المسمط من الشعر ما قفي أرباع بيوته و سمط في قافية مخالفة يقال قصيدة مسمطة و سمطية كقول الشاعر وشبيه كالقسم غير سود اللمم داويها بالكتم زورا وبهتانا ولامرئ القيس قصيدتان سمطيتان إحداهما ومستلئم كشفت بالريح ذيله أقمت بعضب ذي سفاسق ميله فجعت به في ملتقى الحي خيله تركت عتاق الطير تحجل حوله كأن على سرباله نضح جريال و السماطان من النخل والناس الجانبان يقال مشى بين السماطين و سمط الجدي نظفه من الشعر بالماء الحار ليشويه وبابه ضرب ونصر فهو سميط و مسموط . (مختار الصحاح للعلامة الرازى - باب السين ص٢٨٠/٣٢٦).

قل يسمع، وسل تعطيه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فقول: يا رب ما بقي إلا من حبسه القرآن[1].

وعن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة"[2].

وعن كعب بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل، ويكسوني ربي عز وجل حلة خضراء، ثم يؤذن لي، فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود[3]."

وعن أبي الدرداء قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة، وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه، فأنظر إلى ما بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم، ومن خلفي مثل ذلك، وعن يميني مثل ذلك، وعن شمالي مثل ذلك"، فقال رجل: يا رسول الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال: "هم غر محجلون من أثر الوضوء، ليس أحد كذلك غيرهم، وأعرفهم أنهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذريتهم[4]."

---

(١) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٤ ص: ١٦٢٤ – باب قول الله وعلم آدم الأسماء كلها – الحديث رقم: ٤٢٠٦ . سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٤٤٢ – الحديث رقم:٤٣١٢ . مسند أحمد ج: ٣ ص: ٢٤٤ – الحديث رقم: ١٣٥٨٧ .

(٢) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ١٨٢ – الحديث: ١٩٣ . سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٧١١ – باب ما جاء أن للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد – الحديث: ٢٥٩٣

(٣) الإمام الطبراني – المعجم الكبير ج: ١٩ ص: ٧٢ – الحديث : ١٤٢.

(٤) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٥ ص: ١٩٩ – الحديث: ٢١٧٨٥

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم[1] والكرب[2] ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم عليه السلام، فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت[3]، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح؛

فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا[4]، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول نوح: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله قط، وإنه قد كان لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم؛

---

(١) الغم: الكرب. كالغماء والغمة، بالضم. الجمع: غموم. غمه فاغتم وانغم: أحزنه. وما أغمك لي وإلي وعلي. من الغم. للحزن. (القاموس المحيط – باب الميم. فصل الغين).

(٢) الكرب: الحزن يأخذ بالنفس. كالكربة، بالضم. الجمع: كروب. وكربه الغم فاكترب. فهو مكروب وكريب. (القاموس المحيط – باب الباء. فصل الكاف).

(٣) قال تعالى: ﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ [سورة طه – الآية ١٢٠].

(٤) قال تعالى: ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾ [سورة الإسراء – الآية ٣].

فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، فذكر كذباته[1]، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى؛

فيأتون موسى عليه السلام فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، اصطفاك الله برسالاته وبكلامه على الناس[2]، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي[3]، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى؛

فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه[4]، وكلمت الناس في المهد صبياً[5]، فاشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما

---

(١) هي الوارد في قوله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ۝ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ۝ فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ۝ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذآ أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ۝ إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ سورة الأنعام ٧٥/٧٩ . وهذا كذب في اللغة فقط، لا كذب باعتبار الحقيقة، لأن الله عصم الأنبياء عن كل ما يقلل من شأنهم، وهو الذي اعتقده .

(٢) يقول تعالى: ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ سورة الأعراف – الآية ١٤٤ .

(٣) قال تعالى: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ سورة القصص – الآية ١٩ .

(٤) قال تعالى: ﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا﴾ سورة النساء – الآية ١٧١ .

(٥) قال تعالى: ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ سورة آل عمران – الآية ٤٥ .

قد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنباً، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري،

اذهبوا إلى محمداً صلى الله عليه وسلم؛ فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم، فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فأقوم فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبلي، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب ؟ فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين[1] من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى "[2]،

وفي صحيح مسلم رحمه الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأول شافع وأول مشفع" . وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ قال: "هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه" . وفي الحديث: "إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم، حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه - قال النبي صلى الله عليه وسلم - فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى - والله ما رآه قبلها - فأقول: أي رب إن هذا أخبرني أنك

---

(١) صرع: صارَعَهُ فصَرَعَهَ من باب قطع في لغة تميم وفي لغة قيس صِرْعاً بالكسر و المَصْرَعُ بوزن المجمع مصدر وموضع ورجل صُرَعةٌ بوزن همزة أي يصرع الناس و الصَّرْعُ علة معروفة و التَّصْرِيعُ في الشعر تقفية المِصْراعِ الأول وهو مأخوذ من مِصْراعِ الباب وهما مصراعان . (مختار الصحاح - باب الصاد [ص ٣٧٥/٣٥٤])

(٢) الإمام البخارى - صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١٢١٥ - الحديث : ٣١٦٢، صحيح مسلم ج: ١ ص: ١٨٤ - الحديث : ١٩٤. مسنه أحمد ج: ٢ ص: ٤٣٥ - الحديث : ٩٦٢١.

أرسلته إليّ، فيقول الله عزّ وجلّ صدق، ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض، قال فهو المقام المحمود" (أخرجه عبد الرزاق وهو حديث مرسل) »[1].

وفي نفس الوقت قد دلتنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على انقسام اليوم والليلة إلى وحدة زمانية أصغر، وهي الساعة. قال تعالى: ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾[2]، فالساعة عبارة عن وحدة زمانية محددة لدى المتعاملين بها، وهي غير الساعة التي هي يوم القيامة[3].

قال العلامة الطبري: « يقول تعالى ذكره ويوم تجيء ساعة البعث فيبعث الخلق من قبورهم يقسم المجرمون وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا ويكتسبون فيه

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٥٢٨

(٢) سورة الروم – من الآية ٥٥ .

(٣) وردت كلمة الساعة في القرآن الكريم على أنواع :

الأول : يوم القيامة. قال تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [سورة القمر – الآية ١]، وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ [سورة النازعات – الآيتان ٤٢/٤٣]. وفي الحديث الشريف: قال رسول الله « من أشراط الساعة الفحش والتفحش وقطيعة الأرحام وتخوين الأمين وائتمان الخائن » [المعجم الأوسط ج: ٢ ص: ٩٣ – الحديث: ١٣٥٦].

الثاني : جزء من أجزاء الزمان. قال تعالى: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة الأحقاف – من الآية ٣٥]. .

الثالث : الموت. قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [سورة الأنعام – الآية ٣١] . ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الأنعام – الآية ٤٠]. وروى عن رسول الله e قال: « ما أمد طرفي ولا أغضها إلا وأظن أن الساعة قد قامت » (العلامة الراغب الأصفهاني – المفردات في غريب القرآن – باب السين ص٢٤٨ – تحقيق محمد سيد كيلاني). دار المعرفة – بيروت.

الآثام وإقسامهم حلفهم بالله، ما لبثوا غير ساعة حيث يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة، يقول الله جل ثناؤه كذلك في الدنيا كانوا يؤفكون يقول كذبوا في قيلهم وقسمهم ما لبثنا غير ساعة كما كانوا في الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون، وعن قتادة ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون أي كانوا يكذبون في الدنيا فهم يؤفكون عن الصدق ويصدون عنه إلى الكذب »[1] .

وأخبرنا جل شأنه بجزئيات الساعة من الدقيقة إلى الثانية، إلى ما أقل من ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾[3] .

قال الطبري: « يقول تعالى ذكره وما أمرنا للشيء إذا أمرناه وأردنا أن نكونه إلا قولة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيها ولا مرادة كلمح بالبصر يقول جل ثناؤه فيوجد ما أمرناه وقلنا له كن كسرعة اللمح بالبصر لا يبطئ ولا »[4] .

ومع أن هذه النصوص صريحة واضحة قطعية في ورودها بينة في دلالتها على ما سبقت إليه، إلا أن الباب الشيرازي قرر إبطال التقويم الهجري، ونادى بذلك البطلان، زاعماً أن السنة تسعة عشر شهراً، مخالفاً في ذلك سنة الله في الكون، وما جرت عليه كل الأمم والشعوب في مشارق الأرض ومغاربها[5]، وكيف لا يخالف وهو ما غرس في ذات القوم إلا ليعلن المخالفة من كل ناحية، والحرب على كل ناحية .

---

(١) العلامة الطبرى – تفسير الطبري ج: ٢١ ص: ٥٧ .

(٢) سورة النحل – من الآية ٧٧ .

(٣) سورة القمر – الآية ٥٠ .

(٤) العلامة الطبرى – تفسير الطبري ج: ٢٧ ص: ١١١ .

(٥) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٢١ .

يقول الشيخ الطير: « أبطل الباب التقويم المعروف، وجعل السنة تسعة عشر شهراً، كما جعل الشهر تسعة عشر يوماً، طبقاً لتقويم روحي يراه، وسمى كل شهر من شهوره التسعة عشر بصفة من صفات الله، وسمى الشهر الأخير منها شهر الأعلى شهر الصيام، وكان يجد لذة في القيام بكتابة الهياكل الطلسمية »[1].

❖ وما دام الشهر تسعة عشر يوماً عنده، فماذا فعل في الأسبوع؟

✲ والجواب: أنه عد الأسبوع سبعة أيام فيها الكثير من الأغراب، بجانب العديد من أوجه التلفيق، وسمى كل يوم منها باسم افترضه من عنده، هي:

١- الجلال . ٢- الجمال . ٣- الكمال . ٤- الفضال . ٥- العدال . الاستجلال . ٦- الاستقلال[2]، وهي كما ترى متخالفة تماماً في التسميات التي جاء بها الذكر الحكيم، حيث ورد يوم السبت في القرآن الكريم من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[4].

وكذلك ذكر اسم الجمعة من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[5]، وفي الحديث الشريف: « عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ ولد يوم الاثنين وبعث

---

(١) الشيخ مصطفى الطير – البابية والبهائية في الميزان ص٧٥ .

(٢) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية – القسم الأول ص١٢١ .

(٣) سورة البقرة – الآية ٦٥ .

(٤) سورة الأعراف – الآية ١٦٣ .

(٥) سورة الجمعة – الآية ٩ .

يوم الاثنين وتوفي في يوم الاثنين »[1]، وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت « توفي رسول الله ص يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء »[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه وقال بيده قلنا يقللها يزهده »[3].

وبناء عليه: تكون تسمية هذه الأيام بالأسماء التي نعرفها نحن توقيفية من عند الله تعالى، لا يجوز لأحد التبديل فيها، أو التعديل عليها، غير أن الباب الشيرازي استخف بذلك كله، وسمح لنفسه بوضع أسماء من عنده كبدائل لأسماء الأيام التي خلقها الله تعالى، وهاك الأمرين لتعرف الفرق:

تسميات الأسبوع

تسمية الله	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
تسمية الباب	الجلال	الجمال	الكمال	الفضال	العدال	الاستجلال	الاستقلال

---

(١) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمي – مجمع الزوائد – (ج٩ ص٢٨) . ص٥٥٩/٦٠٥ (طبعة دار الفكر بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) . الحديث رقم: ١٤٢٥٣ . وهذا جزء من حديث طويل .

(٢) المعجم الأوسط ج: ٤ ص: ٣٠٩ – الحديث رقم: ٤٢٨٨ .

(٣) الإمام البخارى – صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٣٥٠ – باب الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة حديث رقم: ٦٠٣٧ . صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢٠٢٩ حديث رقم: ٤٩٨٨ . سنن النسائي (المجتبى) ج: ٣ ص: ١١٥ حديث رقم: ١٤٣٢ . مصنف ابن أبي شيبة ج: ١ ص: ٤٧٧ – حديث رقم: ٥٥١٠ . وروى الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج: ٢ ص: ٣٦١ – الحديث رقم: ٤٩٠ : عن عمرو بن عوف المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن في الجمعة ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئا إلا آتاه الله إياه قالوا يا رسول الله أية ساعة هي قال حين تقام الصلاة إلى الانصراف منه » .

بيد في أسماء الشهور

تسمية الله	المحرم	صفر	ربيع الأول	ربيع الثاني	جمادى أول	جمادى الأخر
تسمية الباب	البهاء	النماء	الزهاء	الكمال	الملك	السلام

تسمية الله	رجب	شعبان	رمضان	شوال	ذو القعدة	ذو الحجة
تسمية الباب	القدوس	الطاهر	الكامل	المهيمن	الانتصار	الاحتلال[1]

وأظنك ستهتف من أعماقك بأن ما ذهب إليه الباب لا علاقة له بشيء مما شرعه الله تعالى، بل ولا علاقة له بما ذهب إليه العقلاء، وإنما العلاقة الوثيقة قائمة بينه، والثقافات الوثنية .. منزرعة الأصل التي لا يعرف أحد لها مصدراً يرجعها إليه؛ لأنه غير في أسماء الشهور، وكذلك في أسماء الأيام، يقول الباب: « أيها الأحباب إلي: قد جئتكم لأقول أن من يظهره الله يجب أن يكون كلامه في الأيام والشهور، كما هو في العصور والدهور، لا ينازعه فيه منازع، ولا يصرفه عن غاياته صارف، وأقول لكم أن كل أسماء الأيام وأسماء الشهور قد بدلتها لتبقى دالة على عظمتي »[2].

وغير خاف أن ما قام به الباب لم يكن وليد يوم وليلة، وإنما هو وليد سنوات احتمت بها اتجاهات متقلبة، وقضايا غير منضبطة، وفوق ذلك فإنها تمثل نوعا من التحدي التام لله جل علاه، وما أنزله على لسان رسله، وأنزله إلى ملائكته، ومن ثم؛ فإن الباب الشيرازي ومن معه سيكون مصيرهم في الدار الآخرة النار مع الداخلين عقابا لهم على مخالفتهم وعصيانهم ما شرعه الله رب العالمين. قال تعالى: ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[3].

---

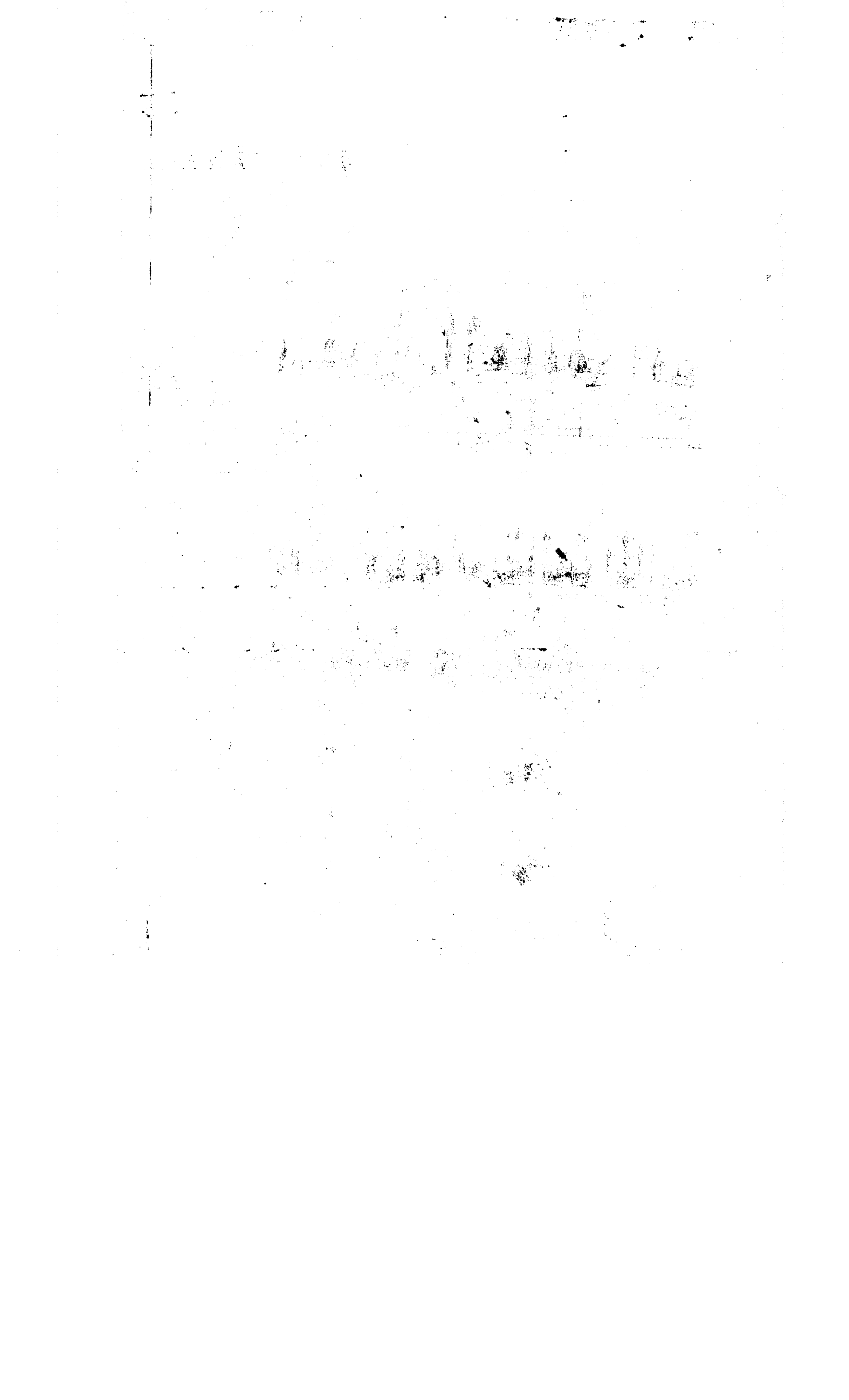
(١) العلامة مجد الدين البنهاني – دراسات في النحل الفارسية ص١٨٨، ونحن نتساءل: أين أسماء باقي الشهور التسعة عشر يا أيها الباب.

(٢) الشيخ عبدالعزيز محمد الجمهل – البابية وخطرها على الإسلام ص٩٧.

(٣) سورة الرعد – من الآية ٣٥.



الفصل الرابع
جعله العقوبات المالية
بديلة عن الحدود الشرعية



سلف القول بأن الباب الشيرازي قد خلع برقع الحياء، ونقض عن نفسه ربقة الإسلام، وأنه أعلن عن نسخ الشريعة الإسلامية الخاتمة، كما زعم وجود نبوة له بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ، وأنه كذلك طالب بإهمال التكاليف الشرعية، ولم ينل منه الحياء أدنى منال، حتى زعم أن التشريعات البابية تغنى عن الشريعة المحمدية، غير أنه لم يقف به الأمر عند هذا الحد، وإنما تجاوزه حتى قال بضرورة استبدال الحدود الشرعية بالعقوبات المالية، حتى لا يكون لها وجود، فتحل بدلا منها العقوبات المالية، وها أنذا أعرض ما ذهب إليه، ثم أناقشه حسب توفيق الله تعالى.

وسيكون ذلك على النحو التالي:-

عقوبة تكرار الردة مائة مثقال من الذهب

نعرف نحن أهل الإسلام أن غير المسلم يعرض عليه الإسلام عرضا مبسطا من خلال أصوله الاعتقادية النظرية، فإذا اقتنع بها أخذناه إلى التكاليف الشرعية التي هي ترجمة عملية، وتطبيق سلوكي للاعتقاد النظري؛ لأن الإيمان اعتقاد بالوجدان، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح والأبدان[1]، حتى إذا نطق بالشهادتين وأقام نفسه في إطار الأحكام الشرعية، فإنه يكون مؤمنا له ما للمؤمنين من الحقوق، وعليه ما عليهم من الواجبات.

ففي الحديث الشريف: عن أبي هريرة قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى

(١) راجع كتابنا: المدخل التام لعلم الكلام ص١٥ – ط٢/٢٠٠٠م.

صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه »[1].

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: « انه قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ، إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك دينه المفارق أو الفارق الجماعة »[2].

فإذا استقر أمره على الإيمان من مهده حتى لحده، فإن الله تعالى يكرمه بما يكرم به أهل الإيمان بالله رب العالمين مع سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، حيث يكرم في الآخرة بالشفاعة التي تكون لسيدنا محمد ﷺ، والنعيم الذي يلحق أهل الإيمان في الآخرة من قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم * دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾[3]،

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ١٩٨٦ – باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله – حديث رقم: ٢٥٦٤، رواه أحمد مسند أحمد ج: ٢ ص: ٢٧٧ – الحديث رقم: ٧٧١٣، وعن أبي هريرة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ههنا بحسب امرئ من الشر أن يحتقر أخاه المسلم » [الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٣٢٥ – باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم حديث رقم: ١٩٢٧، رواه أحمد بمسند أحمد ج: ٣ ص: ٤٩١ الحديث رقم: ١٦٠٦٢]. وروى ابن ماجة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » [الإمام ابن ماجة – سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٢٩٨ – الحديث رقم: ٣٩٣٣].

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ١ ص: ٤٦٥ – الحديث رقم: ٤٤٢٩. العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١٣ ص: ٣١٦ – الحديث رقم: ٥٩٧٧. الإمام النسائي – سنن النسائي (المجتبى) ج: ٨ ص: ١٣ – باب القود الحديث رقم: ٤٧٢١.

(٣) سورة يونس – الآيتان ٩/١٠.

ولما كان دخول الإنسان البالغ العاقل المكلف الإسلام بقناعة قامت عنده، واستقرت في وجدانه، وصار له من الحقوق ما لأهل الإسلام، وعليه من الواجبات ما عليهم، فإنه إذا خرج من الإيمان إلى الكفر يكون قد تجاوز الحدود، فيصير مرتدا من الإيمان إلى الكفر، وبالتالي؛ عرف المرتد بأنه « الذي يكفر بعد إسلامه، فمن أشرك بالله أو جحد ربوبيته أو وحدانيته، أو صفة من صفاته، أو اتخذ لله صاحبة أو ولد، أو جحد بعض كتبه أو رسله، أو سب الله أو رسوله فقد كفر، ومن جحد تحريم الزنا أو شيئا من المحرمات الظاهرة المجمع عليها بجهل عرف ذلك، وإن كان مثله لا يجهله كفر »[1].

✽ **وعرفه الأحناف**[2] بأنه: « الراجع عن دينه الإسلام »[3]، إلى غيره، سواء أكان الغير دينا أم ديانة، وسواء أكان الرجوع عن الإسلام لخلل في المرتد على الناحية العقلية أم القلبية.

---

(١) زاد المستقنع ج٣ ص١٤١/١٤٢ ط٢/١٣٩٦هـ.

(٢) هم أتباع هو الإمام أبي حنيفة وأسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه العراق وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام وأحد أركان العلماء وأحد الأئمة أصحاب المذاهب المتنوعة وهو أقدمهم وفاة لأنه أدرك عصر الصحابة ورأى أنس بن مالك، قيل وغيره وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة كما روى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحماد بن أبي سليمان وسلمه بن كهل وعامر الشعبي وعكرمة وعطاء وقتادة والزهرى ونافع مولى ابن عمر ويحيى بن سعيد الانصاري وأبو اسحاق السبيعي وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان واسحاق بن يوسف الازرق وأسد بن عمر والقاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي وحمزة الزيات وداود الطائي وزفر وعبدالرزاق وأبو نعيم ومحمد بن الحسن الشيباني وهشيم ووكيع وأبو يوسف القاضي وقيل في الشافعي رأيت رجلا لو كلمك في هذا السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته وقال الشافعي من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ومن أراد السير فهو عيال على محمد بن اسحاق ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان وكانت وفاته في رجب من هذه السنة أعني سنة خمسين ومائة وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين وقال غيره سنة ثلاث وخمسين والصحيح الاول وكان مولده في سنة ثمانين فتم له من العمر سبعون سنه وصلى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام وقبره هناك رحمه الله. (راجع البداية والنهاية. للإمام ابن كثير – وراجع (معجم المؤلفين ١٠٤/١٣ . الجواهر المضيئة ص٢٦/٣٠)

(٣) العلامة الكمال بن الهمام – فتح القدير – ج٤ ص٣٨٥ .

* **وعرفه المالكية**[١]: « بأنه الكافر بالله بعد إسلام، باعتبار أن الردة هي كفر المسلم المتقرر إسلامه، بالنطق بالشهادتين مختاراً »[٢]، فمن نطق بالشهادتين مختاراً، ثم ترك الإسلام إلى غيره، فهو المرتد الذي يجب قتله حداً.

* **أما الشافعية**[٣]: « فقد عرفوا المرتد بأنه الذي يقطع الإسلام بنية أو قول كفر، أو فعل، سواء قاله استهزاء أم عناداً أم اعتقاداً »[٤]، وبالتالي فلا تعتبر الردة قضية مغلقة تجري مع بعض الأشخاص، ولا تجري مع البعض الآخر، وإنما الضابط لها هو كل من يقطع الإسلام بأية وسيلة تعبر عن ذلك.

* **وعرفه الحنابلة**[٥]: «بأنه الراجع عن دين الإسلام إلى دين الكفر»[٦].

---

(١) هم أتباع الأمان مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي أبو عبدالله المكي، أحد العلماء وسيد الفقهاء. وهو المجدد لأمر الدين على رأس المائتين. توفي سنة ٢٠٤هـ. راجع التهذيب جـ٩ ص٢٣، والتقريب جـ٢ ص١٤٣، حلية الأولياء جـ٩ ص٦٣.

(٢) العلامة الدردير – الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي ج٤ ص٣٠١.

(٣) نسبة إلى الإمام الشافي مؤسس المذهب وهو: « الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي. يلتقي نسبه مع النبي ﷺ في عبد مناف. ولد سنة ١٥٠هـ أخذ العلم عن مسلم بن خالد بمكة، وعن الإمام مالك بالمدينة، وقرأ عليه الموطأ حفظا فأعجبه قراءته وكان يستزيد. ورحل إلى العراق وأخذ في الاشتغال بالعلم والمناظرة ونشر الحديث وإقامة السنة. ورحل إلى مصر بعد أن علا ذكره في الآفاق، وابتكر كتبا لم يسبق إليها منها الرسالة في أصول الفقه. وكتاب القسامة. وكتاب الجزية. توفي رحمه الله سنة ٢٠٤هـ». راجع طبقات الشافعية للإمام تاج الدين السبكي ١٠٠/١ وما بعدها – طبعة دار المعارف – بيروت لبنان.

(٤) العلامة الثورى – المنهاج مع شرح مغني المحتاج للإمام الخطيب الشربيني ج٤ ص١٣٤.

(٥) هم أتباع الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد بن ادريس بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبه بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار معد بن عدنان بن أد بن اند بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام. راجع البداية والنهاية لابن كثير (٣٢٥/١٠) بالإحالة للحافظ الكبير أبي بكر البيهقي في الكتاب الذي جمعه في مناقب أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبدالله الحاكم صاحب المستدرك. ولد ابن حنبل سنة ١٦٤هـ وطاف أحمد بن حنبل في البلاد والآفاق وسمع من مشايخ العصر وكانوا يجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم وهو إمام في الحديث والفقه وصاحب المذهب الحنبلي. وله من الكتب: المسند. الناسخ والمنسوخ. كتاب الزهد. المعرفة. الجرح والتعديل والتعليل. وكانت محنته أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب وقلة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم وكان أحمد عالما بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة والأخبار المأثورة ويلغه ما أوصى به في المنام واليقظة فرضي وسلم إيمانا واحتسابا وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة وهيأه الله بما آتاه من ذلك البلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أوليائه وألحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى ان شاء الله من غير بليه وبالله التوفيق والعصمة. وتوفي رحمه الله يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله. راجع: معجم المؤلفين ٩٦/٢. وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٠/١. أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٣٢/١.

(٦) العلامة ابن قدامة الحنبلي – المغني – ج٨ ص١٢٣.

ساقط من

أصل المصور

ﷺ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾(١) .

قال القرطبي : « في الآية أربع مسائل :

☆ **الأولى : قوله تعالى : ﴿ من يرتد منكم عن دينه ﴾** شرط وجوابه فسوف وقراءة أهل المدينة والشام "من يرتدد" بدالين . الباقون "من يرتد" . وهذا من إعجاز القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم : إذ أخبر عن ارتدادهم ولم يكن ذلك في عهده وكان ذلك غيبا ، فكان على ما أخبر بعد مدة ، وأهل الردة كانوا بعد موته صلى الله عليه وسلم(٢) .

قال ابن إسحاق : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب إلا ثلاثة مسجدا المدينة ، ومسجد مكة ، ومسجد جواثى ، وكانوا في ردتهم على قسمين : قسم نبذ الشريعة كلها وخرج عنها ، وقسم نبذ وجوب الزكاة واعترف بوجوب غيرها ؛ قالوا نصوم ونصلي ولا نزكي ؛ فقاتل الصديق جميعهم(٣) ؛ وبعث خالد بن الوليد إليهم بالجيوش فقاتلهم وسباهم ؛ على ما هو مشهور من أخبارهم

☆ **الثانية : قوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾** . قيل : نزلت في أبي بكر الصديق وأصحابه وقيل : نزلت في الأنصار وقيل هي إشارة إلى قوم لم يكونوا موجودين في ذلك الوقت وأن أبا بكر قاتل أهل الردة بقوم لم يكونوا وقت نزول الآية وهم أحياء من اليمن من كندة وبجيلة ومن أشجع ، وقيل إنها نزلت في الأشعريين ففي الخبر أنها لما نزلت قدم بعد ذلك بيسير سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر

---

(١) سورة المائدة - الآية ٥٤ .

(٢) حيث ظهر المرتدون في عهد الخليفة الأول سيدنا أبي بكر الصديق ابتداء من مانعي الزكاة . ثم قاتلهم الصديق عليهما . كما ظهروا بعد ذلك وهو من أخباره صلى الله عليه بالغيب .

(٣) راجع للدكتور عبدالفتاح محمد شحاته - تاريخ الأمة الإسلامية - جـ١ خلافة الصديق من ص٥/١٣٧ .

فكان لهم بلاء في الإسلام في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت عامة فتوح العراق في زمن عمر رضي الله عنه على يدي قبائل اليمن هذا أصح ما قيل في نزولها والله أعلم

وروى الحاكم أن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبي موسى الأشعري لما نزلت هذه الآية فقال هم قوم هذا قال القشيري فأتباع أبي الحسن من قومه لأن كل موضع أضيف فيه قوم إلى نبي أريد به الأتباع.

☆ **الثالثة : قوله تعالى ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾** أذلة نعت لقوم وكذلك أعزة أي يرأفون بالمؤمنين ويرحمونهم ويلينون لهم من قولهم دابة ذلول أي تنقاد سهلة وليس من الذل في شيء ويغلظون على الكافرين ويعادونهم قال ابن عباس هم للمؤمنين كالوالد للولد والسيد للعبد وهم في الغلظة على الكفار كالسبع على فريسته قال الله تعالى أشداء على الكفار رحماء بينهم ويجوز أذلة بالنصب على الحال أي يحبهم ويحبونه في هذا الحال .

☆ **الرابعة : قوله تعالى : ﴿ يجاهدون في سبيل الله في موضع الصفة أيضا ولا يخافون لومة لائم ﴾** بخلاف المنافقين يخافون الدوائر فدل بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لأنهم جاهدوا في الله عز وجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوا المرتدين بعده ومعلوم أن من كانت فيه هذه الصفات فهو ولي لله تعالى وقيل الآية عامة في كل من يجاهد الكفار إلى يوم قيامة الساعة والله أعلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع الفضل عليم بمصالح خلقه[1] .

---

(١) الإمام القرطبي – تفسير القرطبي ج: ٦ ص: ٢١٩/٢٢١ .

ساقط من

أصل المصدر

وعن عكرمة أن عليا رضي الله عنه حرق قوما فبلغ بن عباس فقال « لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه »[١].

وقوله ﷺ: « من غير دينه فاضربوا عنقه »[٢]. يقول الإمام مالك: « معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم، من غير دينه فاضربوا عنقه أن من خرج من الإسلام إلى غيره مثل الزنادقة وأشباههم فإن أولئك إذا ظهر عليهم قتلوا ولم يستتابوا لأنه لا تعرف توبتهم وانهم كانوا يسرون الكفر ويعلنون الإسلام فلا أرى ان يستتاب هؤلاء ولا يقبل منهم قولهم واما من خرج من الإسلام إلى غيره واظهر ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل وذلك لو ان قوما كانوا على ذلك رأيت أن يدعوا إلى الإسلام ويستتابوا فإن تابوا قبل ذلك منهم وان لم يتوبوا قتلوا ولم يعن بذلك من خرج من اليهودية إلى النصرانية ولا من النصرانية إلى اليهودية ولا من يغير دينه من أهل الأديان كلها إلا الإسلام فمن خرج من الإسلام إلى غيره وأظهر ذلك، فهو المرتد الذى يقتل حدا، وبالتالى فإذا خرج اليهودى إلى النصرانية، أو البوذى إلى اليهودية؛ فإنه لا يطلق عليه أنه مرتد شرعا؛ لأن اعتقاتهم فى هذه الديانات كلها وضعية واعتقادات فاسدة»[٣].

ولا تقبل منهم توبة لقوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا﴾[٤]، وقوله جل شأنه: ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا

---

(١) صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١٠٩٨- باب لا يعذب بعذاب الله - الحديث رقم: ٢٨٥٤، صحيح البخاري ج: ٦ ص: ٢٥٣٧ حديث رقم: ٦٥٢٤. سنن البيهقي الكبرى ج: ٨ ص: ١٩٥ - الحديث رقم: ١٦٥٩٧.

(٢) الإمام مالك - موطأ مالك ج: ٢ ص: ٧٣٦ - باب القضاء فيمن ارتد عن الإسلام - الحديث رقم: ١٤١٣ عن زيد بن اسلم. سنن البيهقي الكبرى ج: ٨ ص: ١٩٥- الحديث رقم: ١٦٥٩٨

(٣) الإمام مالك - موطأ مالك ج: ٢ ص: ٧٣٦.

(٤) سورة النساء - الآية ١٣٨.

والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾(1)، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه لا يقبل الله توبة عبد كفر بعد إسلامه»(2).

يقول العلامة الطبري: «يعني بقوله جل ثناؤه ومن يرتدد منكم عن دينه من يرجع منكم عن دينه فيمت وهو كافر قبل أن يتوب من كفره فهم الذين حبطت أعمالهم بطلت وذهبت وبطولها ذهاب ثوابها وبطول الأجر عليها والجزاء في دار الدنيا والآخرة، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يعني الذين ارتدوا عن دينهم فماتوا على كفرهم وهم أهل النار المخلدون فيها، وإنما جعلهم أهلها لأنهم لا يخرجون منها فهم سكانها المقيمون فيها كما يقال هؤلاء أهل محلة كذا يعني سكانها المقيمون فيها، ويعني بقوله هم فيها خالدون هم فيها لابثون لبثًا من غير أمد ولا نهاية»(3).

غير أن الباب الشيرازي لم يعتبر بالردة ولا تكرارها؛ لأن يرى الناس أحرارا في اختيار العقيدة التي ينشدونها شريطة أن تكون ثابتة في الإمام الغائب، ومن يظهره الله وهو الباب نفسه، بمعنى أنه مادامت العقيدة ملك لصاحبها فما عليه إلا أن يختار نوعها، وأن يكرر المحاولة في هذا الاختيار، حتى إذا تأدى به الأمر إلى الاعتقاد في أن الباب هو مظهر الله، فلا شيء عليه، أما إذا اعتقد شيئًا أخر فهو حر في اختياره، لكن عليه أن يدفع مائة مثقال من الذهب كمفروضات بديلة(4).

يقول الباب: «لا جبر ولا إكراه، فقد خلقت الناس أحرارا، ولا يستعبدهم أحد، أنا الجلال والجمال أنا القيوم الأمجد الأكمل، من قالها لي فهو عندي من المؤمنين، ومن تناساها أو قال غيرها فعليه عقوبة مائة مثقال من الذهب الخالص، تعطى للقائم مقام من يظهره

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢١٧ .

(٢) الإمام الطبراني – المعجم الكبير ج: ١٩ ص: ٤١٩ – الحديث رقم ١٠١٣ .

(٣) الإمام الطبرى – تفسير الطبري ج: ٢ ص: ٣٥٥/٣٥٤ . (بتصرف يسير)

(٤) العلامة محمود عبدالمولى الأنصارى – البابية ص٩٣ .

الله، صاحب الزمان »[١]، فإذا عجز عن دفعها دفعة واحدة، فلا مانع من تجزئتها[٢]، فهو يبادل الاعتقادات بالماليات، ويجعل المثاقيل الذهبية تغني عن كل العقيدة الدينية، وبئس ما فعل .

أجل إن الاعتقاد في كون الباب مظهر الله، إنما هو اعتقاد فاسد، لكن المؤسف هو سعي الباب وأتباعه في تحويل العقيدة الدينية إلى مقومات مادية تحصل بها المبادلات، وتتحقق فيها الأعواض كالشأن مع كل فكر منحرف[٣] يهدف أصحابه إلى هدم الأصول الإسلامية، والقواعد الشرعية التي يعتبر الالتزام بها هو المقياس الحقيقي للإيمان، بينما يعتبر الخروج عليها وإهمالها هو الكفران، وهل بعد أن تتحول العقيدة الدينية إلى سلعة راكدة كفران ؟!

يقرر البابيون أنه لا توجد مسألة عقدية يمكن أن تسمى الردة؛ لأن الردة كانت في الشريعة المحمدية، وقد انتهى دورها، حيث كان حرص أتباع محمد على ممارسة الضغوط المختلفة على النفوس والعقول، حتى تتعود الأعراب عليها، وتسير أنظمتهم طبقاً لها، ولما دخل في الملة المحمدية، غير العرب فلم يعد أمر الردة قائماً، كما أن الملة المحمدية اعترفت بطلان حق الردة، واختفاء مفهومها من ذلك ما ورد في القرآن المحمدي ﴿لا إكراه في الدين﴾[٤]، وكذلك: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾[٥] . فتعلق الإيمان والكفر بمشيئة العبد أمر صريح أعلنته الشريعة المحمدية[٦] . وقد ذكر الباب أن ارتداد النساء في الشريعة

(١) الأستاذ فخر الدين محمود عبدالكامل - الاتجاه العقلي في بناء البابية ص٦٧ .

(٢) الشيخ محمد عبدالكرم البتانوني - البابية في منظور الإسلام ص٩٦٣ .

(٣) الأستاذ نصر الدين محمد البنعالي - البابية الأصول والفروع ص٨٩ .

(٤) سورة البقرة - من الآية ٢٦٥ .

(٥) سورة الكهف - من الآية ٢٩ .

(٦) الأستاذ نور الدين أحمد البرهاني - البابية كما قرأتها ص٩٢٣ .

الإسلامية لا تستوجب حق القتال، بل يستلزم بذل النصح لهن وتفهيمهن[1]، وإلا فهن أحرار فيما يفعلن.

ولا شك أن هذه النتائج التي ذكروها، قد نزعت عن المقدمات التي تحملها، وهم كذبوا في كل ما تعرضوا إليه؛ لأنه لا توجد شريعة تسمى الشريعة المحمدية، بل هي شريعة الإسلام الدين الخاتم لقول الرسول ﷺ قال: «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد وتشرب اللبن»[2].

ويقول الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾[3].

يقول صاحبا الجلالين: « قل إنما أنا بشر آدمي مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد والمعنى يوحى إلي وحدانية الإله فمن كان يرجو يأمل لقاء ربه بالبعث والجزاء فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه بأن يرائي أحدا »[4].

ويقول ابن كثير: « يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ﴿قل﴾ لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك إليهم ﴿إنما أنا بشر مثلكم﴾، فمن زعم أني كاذب فليأت بمثل ما جئت به، فإني لا أعلم الغيب فيما أخبرتكم به من الماضي، عما سألتم من

---

(١) الأستاذ السيد محب الدين الخطيب – البهائية ص١٥ .

(٢) العلامة الحافظ نور الدين الهيثمي – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (طبعة دار الفكر ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) – باب في تواضعه صلى الله عليه وسلم – الحديث رقم: ١٤٢٢٠– ونصه : « عن جرير أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم من بين يديه فاستقبلته رعدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هون عليك فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة من قريش [كانت] تأكل القديد » وعزاه إلى الطبراني في الأوسط.

(٣) سورة الكهف – الآية ١١٠ .

(٤) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٣٩٦

قصة أصحاب الكهف(١)، وخبر ذي القرنين(٢)، مما هو مطابق في نفس الأمر، لولا ما أطلعني الله عليه، وإنما أخبركم ﴿أنما إلهكم﴾ الذي أدعوكم إلى عبادته ﴿إله واحد﴾ لا شريك له، ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ أي ثوابه وجزاءه الصالح ﴿فليعمل عملا صالحا﴾ ما كان موافقا لشرع الله، ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا في العمل المتقبل، إذ لا بد أن يكون خالصا لله، صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣).

وروى الإمام أحمد، عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبكاني. سمعت رسول الله يقول: "أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية"، قلت: يا رسول الله! أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: "نعم أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا، ولكن يراؤون

١) وقصة الكهف وأصحابه وكلهم مما أخبر به القرآن الكريم من الغيب. وبالتالي فلما اخبر الرسول ﷺ عنه فقد كان من الشواهد له على صدقه في دعواه النبوة الخاتمة.

١) راجع قصة ذي القرنين في سورة الكهف من قوله تعالى﴿ ويسألونك عن ذي القرنين ﴾ وراجع تفسير الفخر الرازي للقصة. ففيها شيء مهم لمن يقرأ.

٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير ابن كثير – ج٣ ص١٠٩ . وقد روي عن طاووس قال. قال رجل: يا رسول الله! إني أقف المواقف أريد وجه الله. وأحب أن يرى موطني. فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا. حتى نزلت هذه الآية ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾. وجاء رجل إلى عبادة بن الصامت. فقال أنبئني عما أسألك عنه. أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد. ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد. ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد. ويحج يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد. فقال عبادة: ليس له شيء. إن الله تعالى يقول: أنا خير شريك. فمن كان له معي شريك فهو له كله ولا حاجة لي فيه.

بأعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه"(١).

وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله عز وجل أنه قال: "أنا خير الشركاء، فمن عمل عملا أشرك فيه غيري فأنا بريء منه وهو للذي أشرك"(٢).

وعن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري، وكان من الصحابة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك"(٣).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة، في صحف مختمة، فيقول الله: ألقوا هذا واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب، والله ما رأينا منه إلا خيرا، فيقول: إن عمله كان لغير وجهي،

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٤ ص: ١٢٣– الحديث: ١٧١٦١

(٢) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٢ ص: ٣٠١ – الحديث: ٧٩٨٦. ٧٩٨٧ .

(٣) العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ٢ ص: ١٣٠ – ذكر نفي وجود الثواب على الأعمال في العقبى لمن أشرك بالله في عمله – الحديث ٤٠٤ ، وأخرجه الترمذي – سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٣١٤ – الحديث رقم: ٣١٥٤ . وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٣ ص: ٤٦٦ – الحديث رقم: ١٥٨٧٦ و أخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢٢٨٩ – باب من أشرك في عمله غير الله وفي نسخة باب تحريم الرياء– الحديث: ٢٩٨٥ ، وزاد: من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه، وروى ابن ماجه في سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٤٠٥ – باب الرياء والسمعة الحديث رقم: ٤٢٠٢ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « قال الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل لي عملا أشرك فيه غيري فأنا منه برئ وهو للذي أشرك »

ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي "(١)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه عز وجل "(٢)،

نعم لا إكراه في الدين؛ لأن الحق باق، والباطل اتضح، فقد تبين طريق الرشد، وهو في أتباع النبي الهادي الخاتم سيدنا محمد e، من الغي وهو اتباع طريق الشيطان الرجيم، فمن يكفر بالطاغوت الذي يوحي به الشيطان لأتباعه، ويؤمن بالله، وما شرعه على ألسنة رسله، فقد استمسك بالعروة الوثقى التي تنفصم عراها، ولا يضيع المستمسك بها؛ لأنها حبل الله المتين، ونوره المبين، وذكره الحكيم، والله سميع لكل ما يجول بخواطر أصحابه، عليم بما في ضمائرهم ونواياهم، فلا يخفى عليه شيء. قال تعالى: ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء * هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾(٣).

ثم إن الديانات الوثنية هي التي تقبل المبادلة بين العقيدة والمكاسب الدنيوية؛ لأن عقائدهم يصنعونها بأنفسهم، فهم يزيدون فيها أو ينتقصون منها، وبالتالي؛ لا يحدث في أرصدتهم ثبات عقدي، كما لا يحصل لهم استيثاق من كونها عقائد صحيحة، ومن ثم فلا تقارن بالعقيدة الإلهية أبدا، بجانب أن مبادلة العقيدة بالأعواض تتم في المسيحية تحت اسم صكوك الغفران، ولا ينطبق شيء من ذلك على الإسلام أبدا، فدل الأمر على أن البابا وعصابته قد شربوا من كأس الوثنيات حتى الثمالة.

---

(١) أخرجه الحافظ أبو بكر البزار.

(٢) الإمام البيهقي - سنن البيهقي الكبرى ج: ٢ ص: ٢٩٠ باب الترغيب في تحسين الصلاة - الحديث: ٣٣٩٩

(٣) سورة آل عمران - الآيتان ٦/٥.

كما أن العقيدة الإلهية ومنزلها خالقها هو الله تعالى، وهو الذي قبل المعتقدين لها، أو رفضهم، فذلك خاص بوحده سبحانه، ومن ثم فلا يمكن لكائن من كان أن ينزل نفسه منزلة الإله جل علاه فيجعل لها عوضاً أو بدائل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، كما أن الكفارات قد شرعها الله تعالى في الأعمال التكليفية، وبشرائط مخصوصة، وليست الأعمال التكليفية هي العقيدة الإيمانية لما سبق القول به من أن العقيدة الإيمانية تمثل الجانب النظري، أما الشريعة فهي الجانب العملي السلوكي.

من ثم؛ فإن قتال المرتدين أمر شرعي ففي الحديث الشريف: « عن أبي هريرة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق »[1]،

وعن أبي هريرة أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله »[2].

---

(١) صحيح مسلم ج: ١ ص: ٥١ – حديث رقم: ٢٠، صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٥٠٧ – حديث رقم: ١٣٣٥، المعجم الأوسط ج: ١ ص: ٢٨٨ – الحديث رقم: ٩٤١ .

(٢) صحيح مسلم ج: ١ ص: ٥٢ – حديث: ٢١ . صحيح البخاري ج: ١ ص: ١٥٣ – أبواب القبلة – باب فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجليه قاله أبو حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم – حديث رقم: ٣٨٥. سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٣ – كتاب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ١ باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله – حديث رقم: ٢٦٠٦.

وعن عبد الله بن عمر قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله »(١).

ولا شك أن قتال المرتدين يعتبر واجبا شرعيا؛ لأنهم دخلوا الإسلام بإرادتهم، فإذا أرادوا الخروج عنه فإنهم بذلك يرتكبون حرمات تستوجب عقوبات(٢).

◄◄ تأقيل الذهب بدل القطع في عقوبة السرقة:

استقر في أفهام العقلاء وأصحاب الفطر السليمة والعقول النقية أن كد الإنسان واجتهاده يمثل ثروة خاصة به، وملكية لا تقع فيها المنازعة ما دام ذلك قد تحقق له بكد اليمين، وعرق الجبين بعد توفيق الله رب العالمين، لقوله تعالى: ﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون﴾(٣).

يقول العلامة القرطبي: « قوله تعالى: "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق" حيث جعل منكم غنيا وحرا وعبدا. "فما الذين فضلوا" في الرزق. "برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم" أي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق شيئا حتى يستوي المملوك والمالك في المال. وهذا مثل ضربه الله لعبدة الأصنام، أي إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؛ فلما لم يكن يشاركهم عبيدهم

---

(١) صحيح مسلم ج: ١ ص: ٥٣ – حديث رقم: ٢٢ ، صحيح البخاري ج: ١ ص: ١٧ – باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم حديث رقم: ٢٥ . سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٤ – باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم أمرت بقتالهم حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة رقم: ٢٦٠٨ .

(٢) راجع للشيخ صالح محمد إبراهيم البليهي – السلسبيل في معرفة الدليل على حاشية زاد المستقنع ص١٤١/١٤٥ .

(٣) سورة النحل – الآية ٧١ .

في أموالهم لم يجز لهم أن يشاركوا الله تعالى في عبادة غيره من الأوثان والأنصاب[1]، وغيرهما مما عبد؛ كالملائكة والأنبياء وهم عبيده وخلقه. حكى معناه الطبري، وقاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم.

وعن ابن عباس أيضا أنها نزلت في نصارى نجران حين قالوا عيسى ابن الله فقال الله لهم "فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم" أي لا يرد المولى على ما ملكت يمينه مما رزق حتى يكون المولى والعبد في المال شرعا سواء، فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم فتجعلون لي ولدا من عبيدي. ونظيرها "ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء"[2]. ودل هذا على أن العبد لا يملك، وإنما هو مملوك لله»[3].

واستقر كذلك في الأفهام أن ثروة الإنسان تجب المحافظة عليها، مع ضرورة أداء ما افترضه الله فيها من جمعها حلالا وإنفاقها في حلال، ومراعاة ما شرعه الله تعالى، فإنه جل شأنه قد أوجب أن يكون جمعها من حلال، وأن ننفق أيضا في حلال لقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾[4].

يقول ابن كثير: «لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع في بيان أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض، في حال كونه حلالا من الله طيبا أي مستطابا في نفسه، غير ضار للأبدان ولا للعقول، ونهاهم

---

(١) نصب العرب: ضرب من مغانيها، أرق من الحداء. وبضمتين: كل ما جعل علما، كالنصيبة. وكل ما عبد من دون الله تعالى، كالنصب، بالضم. والأنصاب: حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها. ويذبح لغير الله تعالى. (القاموس المحيط – باب الباء – فصل النون).

(٢) سورة الروم – الآية ٢٨ .

(٣) العلامة القرطبي – تفسير القرطبي – ج١٠ ص ١٤١ .

(٤) سورة البقرة – الآية ١٦٨ .

عن اتباع خطوات الشيطان، وهي طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه، من تحريم البحائر السوائب والوصائل[1] ونحوها، مما كان زينه لهم في جاهليتهم، فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الله تعالى إن كل مال منحته عبادي فهو لهم حلال -وفيه- وإني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم"[2].

---

(١) في أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي. قال ابن إسحاق : « فأما البحيرة فهي بنت السائبة ، والسائبة : الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر ، سيبت فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف ، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ، ثم خلي سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ، ولم يجز وبرها ، ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها ، فهي البحيرة بنت السائبة. والوصيلة : الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ، ليس بينهن ذكر ، جعلت وصيلة . قالوا : قد وصلت ، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم ، إلا أن يموت منها شيء فيشتركوا في أكله ، ذكورهم وإناثهم . قال ابن هشام : ويروى : فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم .وقال ابن إسحاق : والحامي : الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر ، حمي ظهره فلم يركب ، ولم يجز وبره ، وخلي في إبله يضرب فيها ، لا ينتفع منه بغير ذلك » (راجع السيرة النبوية لابن هشام – جـ١ ص ٢١٤).

(٢) رواه مسلم – صحيح مسلم ج: ٤ ص: ٢١٩٧ – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار الحديث: ٢٨٦٥ عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان وإن الله أمرني أن أحرق قريشا فقلت رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة قال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وأنفق فسننفق عليك وابعث جيشا نبعث خمسة مثله وقاتل بمن أطاعك من عصاك قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يتبعون أهلا ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش ولم يذكر أبو غسان في حديثه وأنفق فسننفق عليك. (ومعنى (اجتالتهم) : صرفتهم عن الهدى إلى الضلالة)

وعن ابن عباس قال: تليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا﴾ فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ! أدع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال رسول الله ﷺ: "يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه صلاة أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من السحت[1] والربا فالنار أولى به"[2] .

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ « تنفير عنه وتحذير منه »[3]، فإن الشيطان لا يأمر إلا بالشرور والآثام، كما أن عداوته لبني الإنسان لم تنقطع، لقوله تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾[4]،

وقد نظر الإسلام إلى الملكية الخاصة نظرة عناية في جمعها، ورعاية في مصارفها، وترشيد في المحافظة عليها؛ لأنه سؤل أمام الله تعالى عنها، ففي الحديث الشريف: « عن أبي برزة الأسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه »[5] .

وصارت تلك النظرة الإسلامية الشاملة قاعدة عندنا نحن المسلمين، نقوم عليها، ونصون دورها، ونتمسك بها؛ لأن إهمال شيء من ذلك يمثل نوعا من الظلم الذي يعاقب عليه الظالم في الدنيا والآخرة، ففي الحديث الشريف: « عن محمد بن إبراهيم أن أبا سلمة حدثه أنه كانت

---

(١) السحت، بالضم، وبضمتين: الحرام، أو ما خبث من المكاسب فلزم عنه العار، الجمع: أسحات .

(القاموس المحيط – باب التاء – فصل السين.)

(٢) المعجم الأوسط ج: ٦ ص: ٣١١ – الحديث: ٢١٠٤ ، ورواه الحافظ ابن مردويه عن عطاء عن ابن عباس.

(٣) تفسير ابن كثير ج: ١ ص: ٢٠٤ .

(٤) سورة فاطر – الآية ٦ .

(٥) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٦١٢– الحديث رقم: ٢٤١٧ .

بينه وبين أناس خصومة فذكر لعائشة رضي الله عنها فقالت يا أبا سلمة اجتنب الأرض فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين »[١].

وعن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه رضي الله عنه قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع »[٢]، ولعل ذلك مما يمثل نوعاً من الوقاية للمسلم حتى لا يزال مع نفسه بالسوء، حيث تدفع إلى رغباتها الشهوانية المتنوعة، فتكون النهاية السيئة له وما تمسك به.

عن هشام بن عروة عن أبيه « أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد[٣] أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد أنا ما كنت آخذ من

---

(١) صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٨٦٦ - باب إثم من ظلم شيئا من الأرض حديث رقم: ٢٣٢١ . صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٢٣١ - الحدث رقم: ١٦١٢ .

(٢) صحيح البخاري ج: ٢ ص: ٨٦٦ - باب إثم من ظلم شيئا من الأرض حديث رقم: ٢٣٢٢ .وروى في الحديق رقم: ٢٣٢٠ عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من ظلم من الأرض شيئا طوقه من سبع أرضين» .

(٣) سعيد بن زيد: ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب أبو الأعور القرشي العدوي. أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ومن السابقين الأولين البدريين ومن الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد حصار دمشق وفتحها فولاه عليها أبو عبيدة بن الجراح فهو أول من عمل نيابة دمشق من هذه الأمة. وله أحاديث يسيرة فله حديثان في الصحيحين وانفرد البخاري له بحديث. روى عنه ابن عمر وأبو الطفيل وعمرو بن حريث وزر بن حبيش وأبو عثمان النهدي وعروة بن الزبير وعبدالله بن ظالم وأبو سلمة بن عبد الرحمن . كان والده زيد بن عمرو ممن فر إلى الله من عبادة الأصنام وساح في أرض الشام يتطلب الدين القيم فرأى النصارى واليهود فكره دينهم. وقال اللهم إني على دين إبراهيم ولكن لم يظفر بشريعة إبراهيم عليه السلام كما ينبغي ولا رأى من يوقفه عليها وهو من أهل النجاة فقد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يبعث أمة وحده وهو ابن عم الإمام عمر بن الخطاب. رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعش حتى بعث. توفي سعيد بن زيد سنة إحدى وخمسين بالعقيق وهو ابن بضع وسبعين سنة وقبر بالمدينة. (سير أعلام النبلاء ج: ١ ص: ١٢٤/١٤٠)

أرضها شيئاً[1] بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبرا من الأرض ظلما طوقه إلى سبع أرضين فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا فقال اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها قال فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت »[2]، وتحققت فيها دعونا سيدنا سعيد بن زيد ﷺ. وعن أبي هريرة قال« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحد شبرا من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة »[3]، يستوى فى ذلك أن تكون الأرض زراعية، أم للبناء، أم معدة للتجارة، إلى غير ذلك كم الوجوه، وأرى أن لفظ الأرض مفهوم شامل يقع فيه كل ما يحتاج للعدل، ولكن يقع بدلا منه الظلم، فذلك عندى أولى بمنطوق الحديث، واقرب إلى مفهومه.

وقد اجتهد أهل الإسلام من علماء وفقهاء فى التعرف على المال جمعا وانفاقا حسب النصوص التى جاءت بها الشريعة الإسلامية، إلا أن البعض قد تسول له نفسه إشباع نزواته من مال غيره، اعتمادا على عنصر المغافلة، أو ضغط العمل، أو كثرة المترددين، أو وجوده فى حرز غير معلوم، إلى غير ذلك من التمحلات التى تجعلها الشياطين لأصحابها جميلة، وتزينها للمجرمين حتى ينطلقوا إلى الحرام ما وسعهم إليه الانطلاق، وما من كتاب فى الفقه أو المواعظ والرقائق

(١) ليس معنى ذلك أنه أخذ شيئا من أرضها قبل ذلك، لأنه صحابى جليل. وله سبق فى الإسلام. ولكن معناه، أنه لا يرضى لنفسه أن يقع موقع المخالفة لسيدنا رسول الله أبدا فى الماضى ولا الحاضر. ولا المستقبل فرحمه الله.

(٢) صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٢٣١ – الحديث رقم: ١٦١٠ .

(٣) صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٢٣١ – الحديث رقم: ١٦١١ .

أو فى التفسير والحديث إلا وتناول السرقة فى باب كامل من أبوابه، معرفا بها، مبينا أدلة تحريمها، مظهرا أنوعها[1] وعقوبة السارقين فى الدنيا والآخرة.

لكن ماذا نفعل من يقع يسرق أموال الآخرين على سبيل الاستحلال لها، أو الاستغلال الكامل لصاحبها، نظرا لوجود ضعف فيه من صغر سن أو مرض أو علة أو ما شابه ذلك، إن الشرع الشريف قد حدد لذلك عقوبات. قال تعالى: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم ﴾[2].

يقول العلامة الطبرى: « يقول جل ثناؤه من سرق من رجل أو امرأة فاقطعوا أيها الناس يده ولذلك رفع السارق والسارقة لأنهما غير معينين ولو أريد بذلك سارق وسارقة بأعيانهما لكان وجه الكلام النصب[3]، وبالتالى فلفظ السارق والسارقة على العموم، بحيث يشمل كل سارق وكل سارقة.

وقال تعالى ذكره فاقطعوا أيديهما والمعنى أيديهما اليمنى، فعن جابر عن عامر قال في قراءة عبد الله والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما ثم اختلفوا في السارق الذي عناه الله فقال بعضهم عني بذلك سارق ثلاثة دراهم فصاعدا وذلك قول جماعة من أهل المدينة منهم مالك بن أنس ومن قال بقوله واحتجوا لقولهم ذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع

---

(١) تتنوع السرقة إلى أدبية وعينية. والكثيرون ممن يعملون بالبحث العلمي يعيشون على تلك السرقات فمالهم حرام وعقابهم على الله.

(٢) سورة المائدة – الآية ٣٨ .

(٣) العلامة الطبرى – تفسير الطبري ج: ٦ ص: ٢٢٨، وقد روي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك والسارقون والسارقات حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هارون عن ابن عون عن إبراهيم قال في قراءتنا قال وربما قال في قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما . وفي قراءتنا والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهما. وفي ذلك دليل على صحة ما قلنا من معناه وصحة الرفع فيه وأن السارق والسارقة مرفوعان بفعلهما على ما وصفت للعلل التي وصفت (تفسير الطبرى ج٦ ص٢٢٩).

في مجن قيمته ثلاثة دراهم[1]، ولعل ذلك كان خصوصية بعينها، أو أن القيمة النقدية كانت عالية إذا قورنت بغيرها .

وقال آخرون بل عنى بذلك سارق ربع دينار أو قيمته ومن قال ذلك الأوزاعي ومن قال بقوله واحتجوا لقولهم ذلك بالخبر الذي روي عن عائشة أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القطع في ربع دينار فصاعدا[2] .

وقال آخرون بل عني بذلك سارق عشرة دراهم فصاعدا ، وممن قال ذلك أبو حنيفة وأصحابه واحتجوا في ذلك بالخبر الذي روي عن عبد الله بن عمر وابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قطع في مجن قيمته عشرة دراهم[3]، ولا معارضة في الاستدلال بالأخبار؛ لأنها لم تكن في حالة واحدة، وإنما في حالات متعددة، وبالتالي فعنصر الملائمة كان قائما في قيمة المسروق .

والصواب أنه يقع القطع في كل من انطبق عليه الوصف بالسرقة قليلة كانت أم كثيرة[4]، والدليل على ذلك أن الآية على الظاهر وأنه ليس لأحد أن يخص منها شيئا إلا بحجة يجب التسليم لها وقالوا لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر بأن ذلك في خاص من السراق قالوا والأخبار فيما قطع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربة مختلفة ولم يرو عنه أحد أنه أتي بسارق درهم فخلى عنه، وإنما رووا عنه أنه قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم . قالوا وممكن أن يكون لو أتى بسارق ما قيمته دانق أن يقطع، قالوا وقد قطع ابن

---

(١) وبالتالى فالنصاب الذى يجب القطع فيه يبتدئ من ثلاثة دراهم عند أصحاب هذا القول. ولعل قيمة الدرهم عندهم كانت عالية. بحيث تتساوى مع الأكثر عددا لأقل قيمة، فالعبرة بالقيمة.

(٢) العلامة الطبرى – تفسير الطبري ج٦ ص٢٢٩ .

(٣) العلامة الطبرى – تفسير الطبرى ج٦/ص٢٢٩ .

(٤) وهذا هو الذى يجب الأخذ به فى هذه الأيام درء للشبهات. ودفعا للعصاة، حتى لا يجدوا فرصة للأخذ من أموال غيرهم. بزعم أنه لم يبلغ النصاب.

الزبير في درهم . وروي عن ابن عباس أنه قال الآية على العموم عن نجدة الحنفي قال سألت ابن عباس عن قوله والسارق والسارقة أخاص أم عام فقال بل عام .

وذهب الطبري إلى القول بأن الصواب من القول في ذلك عندنا هو قول من قال الآية في معنى خاص من السراق وهو سراق ربع دينار فصاعدا أو قيمته لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال القطع في ربع دينار فصاعدا(١) .

وقوله جزاء بما كسبا نكالا من الله يقول مكافأة(٢) لهما على سرقتهما وعملهما في التلصص بمعصية الله . نكالا من الله عقوبة على لصوصيتهما وكان قتادة يقول في قوله: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم لا ترثوا لهم أن تقيموا فيهم الحدود فإنه والله ما أمر الله بأمر قط إلا وهو صلاح ولا نهى عن أمر قط إلا وهو فساد، وكان عمر بن الخطاب يقول اشتدوا على السراق فاقطعوهم يدا يدا ورجلا رجلا .

وقوله والله عزيز حكيم يقول جل ثناؤه والله عزيز في انتقامه من هذا السارق والسارقة وغيرهما من أهل معاصيه حكيم في حكمه فيهم وقضائه عليهم، يقول فلا تفرطوا أيها المؤمنون في إقامة حكمي على السارق وغيرهم من أهل الجرائم الذين أوجبت عليهم حدودا في الدنيا عقوبة لهم فإني بحكمي قضيت ذلك عليهم وعلمي بصلاح ذلك لهم ولكم(٣) .

---

(١) العلامة الطبري – تفسير الطبري جـ٦ ص٢٣٠ .

(٢) كأن المكافأة كما تكون في الخيرات، فإنها تكون كذلك في الشرور في الآثام، وبالتالي تكون بالعقوبة الشديدة والعذاب الأليم.

(٣) تفسير الطبري جـ٦ ص٢٣٠ .

وذهب العلامة صاحب زاد المستقنع إلى أنه إذا أخذ الملتزم[1]، نصاباً من حرز مثله من مال معصوم، لا شبهة له فيه على وجه الاختفاء قطع[2]، فلا قطع على منتهب، ولا مختلس ولا غاصب[3]، ولا خائن[4] في وديعة أو عارية[5]، أو غيرها، ويقطع الطرار[6]، الذي يبط الخبيث أو غيره، ويأخذ منه[7].

---

(١) المراد بالملتزم هنا من تجرى عليه أحكام الشريعة الإسلامية، وإلا فلا يعتبر ملتزماً. لكن إذا أخذ من حرز نفسه فلا يعتبر سرقة، لأنه إنما يتصرف في مال نفسه، وهو أحد حقوقه.

(٢) أما إذا كان المال غير معصوم أو فيه شبهة فلا يقطع، وإذا أخذه على سبيل عدم الاختفاء به فلا يقطع أيضاً إذ يشترط في السارق أن يخفي المال المسروق، بغية إضاعته على أصحابه.

(٣) وقد استدل القائلون بهذا الرأي بما ورد عن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺ قال: « ليس على خائن ولا منتهب، ولا مختلس قطع » (رواه الخمسة والحاكم والبيهقي وصححه الترمذي وابن حبان. قال الترمذي والعمل على هذا عند أهل العلم. (راجع حاشية زاد المستقنع ج٣ ص١٢٨)

(٤) وقد استدل القائلون بهذا الرأي بما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خائن ولا خائنة ولا مجلود حداً ولا مجلودة ولا ذي غمر لأخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع أهل البيت لهم ولا ظن في ولاء ولا قرابة » (الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٥٤٥ – باب ما جاء فيمن لا تجوز شهادته الحديث رقم: ٢٢٩٨) .

(٥) ذهب بعض الفقهاء إلى أنه لا قطع في العارية، وبه قال الثلاثة لعموم قوله ﷺ لا قطع على خائن. وذهب آخرون إلى أنها ليست المذهب، بل المذهب هو القطع، ودليلهم حديث ابن عمر رضي الله عنهما « أن امرأة مخزومية كانت تستعير المتاع فتجحده فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع يدها » (رواه أحمد وأبو داود والنسائي – سنن النسائي ج: ٨ ص: ٧٠ – حديث رقم: ٤٨٨٧، مسند أحمد ج: ٢ ص: ١٥١– حديث رقم: ٦٣٨٣.

(٦) الطرار هو الذي يشق جيوب الناس فيقطعها، ثم يأخذ الأموال على غفلة من أهلها، وبالتالي يجب قطعه أيضاً، كما قطع أماكن احتفاظ الآخرين بأموالهم فيها والعقاب بجنس العمل.

(٧) زاد المستقنع ج٣ ص١٢٨/١٢٩ .

من الأصل

والعقوبة المقر[illegible] ع الإسلامي بالنسبة للسارق قطع يده، ودليل ذلك قوله ﷺ فيما يروى عن أم المؤمنين ع[illegible] [illegible]ي الله عنها: « أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا من [illegible] [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول [illegible] الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول [illegible] صلى الله عليه وسلم أ[illegible] [illegible] حدود الله، ثم قام فاختطب فقال أ[illegible] [illegible] إنما أهلك الذ[illegible] قبلكم انهم [illegible] سرق فيهم الشريف تركوه [illegible] سرق فيهم الضعيف أقا[illegible] عل[illegible] وأيم [illegible] [illegible]ة بنت محمد سرقت لقطعت يدها[1].

[illegible] « أن امرأة سر[illegible] [illegible] عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] غزوة [illegible] إلى أسامة بن زيد [illegible] [illegible] كلمه أ[illegible] فيها تلون [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

استغف[illegible] يا رسول ا[illegible] [illegible] كان العش[illegible] رسول الله خطيبا [illegible] [illegible] هو أهله [illegible] قال [illegible] بعد إنما أهلك [illegible] [illegible] سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقا[illegible] [illegible] والذي نفس محمد [illegible] [illegible]طمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم أمر رسو[illegible] صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت قالت عائشة فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم »[2].

ومن ثم؛ اشترطوا للقطع في السرقة شروطا ثمانية هي :-

☆ أحدها : السرقة، وهي أخذ مال محترم لغيره على وجه الاختفاء .

---

(١) صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٣١٥ - باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود ١٦٨٨، صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١٢٨٢ - الحديث رقم: ٣٢٨٨ . صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١٣٦٦ - باب ذكر [illegible]سامة بن زيد رضي الله عنه حديث: ٣٥٢٦ . صحيح البخاري ج: ٦ ص: ٢٤٩١ - باب كراهية [illegible]عة في الحد إذا رفع إلى السلطان الحديث رقم: ٦٤٠٦

(٢) [illegible]اري ج: ٤ ص: ١٥٦٦ - الحديث رقم: ٤٠٥٣ .

☆ ثانيهما: أن يكون المسروق مالاً محترماً، فلا قطع في محرم؛ لأن صاحبه تعدى به، وتفويت مصلحة الانتفاع به على أصحابه.

☆ ثالثها: أن يكون المسروق نصاباً ثلاثة دراهم فما فوق[1]، أو ربع دينار فصاعد[2].

☆ رابعها: أن تنتفي الشبهة عن المسروق، فإن يكون ملكاً خالصاً، أما إذا كان للسارق فيه شبهة فلا قطع به.

---

(١) هو قول الإمام مالك، وقال أبو حنيفة: لا قطع في أقل من عشرة دراهم، ودليلهم على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقاً في مجن قيمته ثلاثة دراهم » (الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٣١٣ – الحديث رقم: ١٦٨٦ ، الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٦ ص: ٢٤٩٣ – الحديث رقم: ٦٤١١ ، الإمام مالك – موطأ مالك ج: ٢ ص: ٨٣١ – باب ما يجب فيه القطع الحديث رقم: ١٥١٧ . وذكر البخاري أيضا بلفظ « عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قطع النبي صلى الله عليه وسلم يد السارق في مجن ثمنه ثلاثة دراهم » (صحيح البخاري ج: ٦ ص: ٢٤٩٣ الحديث: ٦٤١٣) وروى الإمام مالك « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فإذا أواه المراح أو الجرين فالقطع فيما يبلغ ثمن المجن » (– موطأ مالك ج: ٢ ص: ٨٣١ – باب ما يجب فيه القطع الحديث رقم: ١٥١٨) .

(٢) وإليه ذهب الإمام الشافعي وغيره من العلماء استدلالا بحديث عائشة رضي الله عنها فعن عمرة بنت عبد الرحمن انها قالت « خرجت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة ومعها مولاتان لها ومعها غلام لبني عبد الله بن أبي بكر الصديق فبعثت مع المولاتين ببرد مرجل قد خيط عليه خرقة خضراء قالت فأخذ الغلام البرد ففتق عنه فاستخرجه وجعل مكانه لبدا أو فروة وخاط عليه فلما قدمت المولاتان المدينة دفعتا ذلك إلى أهله فلما فتقوا عنه وجدوا فيه اللبد ولم يجدوا البرد فكلموا المرأتين فكلمتا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أو كتبتا إليها واتهمتا العبد فسئل العبد عن ذلك فاعترف فأمرت به عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقطعت يده وقالت عائشة القطع في ربع دينار فصاعدا » (الإمام مالك – موطأ مالك ج: ٢ ص: ٨٣٢ – باب ما يجب فيه القطع – الحديث رقم: ١٥٢١)

☆ **خامسها:** ثبوت السرقة بشهادة عدلين أو إقرار السارق مرتين: الأولى للاعتراف بما فعل، والثانية للتأكيد حتى لا يكون قد وقع فى غفلة.

☆ **سادسها** أن يطالب المسروق منه بماله، فإذا لم يطالب بماله فلا قطع، وخالف الإمام مالك فى ذلك ولم يشترط مطالبة المسروق منه بماله، وهو اختيار بنسخ أيضا.

☆ **سابعا:** إخراج السرقة من حرز، فإذ لم تخرج من حرز فلا قطع.

☆ **ثامنها:** أن يكون السارق مكلفا مختارا[1].

قال صاحب زاد المستقنع: « يشترط فى المسروق أن يكون نصابا، وهو ثلاثة دراهم أو ربع دينار أو عرض قيمته كأحدهما[2]، وإذا نقصت قيمة المسروق أو ملكها السارق لم يسقط القطع، وتعتبر قيمتها وقت إخراجها من الحرز، فلو ذبح فيه كبشا، أو شق فيه ثوبا فنقصت قيمته عن النصاب ثم أخرجه أو أتلف فيه المال لم يقطع به، وأن يخرجه من الحرز، فإن سرقه من غير حرز فلا قطع »[3].

وقد فطن علماء الإسلام لكل هذه التفاصيل فأفاضوا فى بيانها، وتمسكوا بها، وطبقوا ذلك كله فى حياتهم الفقهية والعملية، حتى صار تمسكهم بالتعاليم الإسلامية

---

(١) الشيخ صالح بن إبراهيم البلهى - السلسبيل فى معرفة الدليل ج٣ ص١٢٩.

(٢) الدليل على ذلك حديث عمرة بنت عبد الرحمن « ان سارقا سرق في زمان عثمان أترجة فأمر بها عثمان بن عفان ان تقوم فقومت بثلاثة دراهم من صرف أثنى عشر درهما بدينار فقطع عثمان يده » (الإمام مالك - موطأ مالك ج: ٢ ص: ٨٣٢ - باب ما يجب فيه القطع - الحديث رقم: ١٥١٩). وبناء عليه، فإن العروض تقوم بربع دينار أو ثلاثة دراهم، وقال مالك يقوم المسروق من العروض بالدراهم. وقال الإمام الشافعي: يقوم بالذهب وأقلة ربع دينار، ومن أدلة الظاهرية قوله ﷺ في الحديث الذى يرويه عنه أبو هريرة « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » (الإمام مسلم - صحيح مسلم ج:٣ ص: ١٣١٤ - الحديث رقم: ١٦٨٧ . وروى الإمام البخارى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده » (صحيح البخاري ج:٦ ص: ٢٤٨٩ - - باب لعن السارق إذا لم يسم- الحديث رقم: ٦٤٠١) أما عند الظاهرية فالقطع بكل قليل أو كثير لعموم الآية الكريمة . (راجع السلسبيل فى معرفة الدليل ج٣ ص١٣١/١٣٢ .

(٣) زاد المستقنع ج٣ ص١٣١/١٣٢ .

من السمات المميزة لفقهاء أهل الإسلام وعلماء المسلمين فى الماضى والحاضر والمستقبل، إن شاء الله تعالى.

غير أن الباب الشيرازى قد أباح السرقة وشجع عليها، وألغى عقوبة القطع فى السرقة التى يتم اعتراف السارق بها، أما إذا لم يعترف بها فلا شيء. يقول الباب: « المال شركة بينكم، فلا تحجزوه عن الانتفاع به، ومن أخذ من مال غيره، فلا قطع به، قل المأخوذ أو كثر، لكن عليه أن يدفع سبعين مثقالا من الذهب مفروضات بديلة تخفيفا عليكم، افعلوا بعدها ما شئتم، فقد خففت عنكم »[1].

كما يقول: كانت الشريعة المحمدية تحكم على السارق بالقطع، فيقع له تشويه، وتتعطل المصالح، ويكثر بين الناس العاطلون، أما أنا فإنى أقول لكم: السرقة لا تعطى الحياة، ولكنها تعين عليها، والقطع لا يعين على الحياة، فإنما يكون عبثا معها، فلا تقطعوا الأطراف ولا تثقلوا الأكتاف، ولكن خففوا فالحياة صعبة بحاجة إلى التخفيف[2].

فهو يفتح الباب لأعمال السرقة والسلب والنهب على أوسع الأبواب، ثم يفرض حمايته على هؤلاء جميعا عن طريق المفروضات البديلة، التى تحل محل القطع، بما يجعلنى أقرر بأن الباب كان ينطلق فى كل تصرفاته من ثقافة وثنية تلهب ظهره، ونزعات عدوانية تملأ جوفه، وغرائز شريرة تدعمها دوافع فطرية شريرة، وأخرى ثانوية مدمرة، غايتها تدمير المجتمع الإنسانى بصفة عامة والإسلامى بصفة خاصة.

كما يعلن الباب: أن أموال غير البابيين حلال، أنما المشكلة عنده فيما لو سرق بابى من بابى آخر، وحينئذ لا يقطع؛ لأن المال مشترك بين كل أفراد البابيين، فمن سرق فإنما يأخذ جزءا من حقه، والمفروضات البديلة هى التى تكون عوضا عن القطع فى السرقة، إذ القطع إنما

---

(١) الشيخ نصر الدين محمد النبغالى – البابية الأصول والفروع ص١٠٢.

(٢) الشيخ موسى محمد البيرومى – البابية خرافة قديمة ص٨٨.

يمثل حدا عدوانيا، بينما المفروضات البديلة تكون هي العوض الأفضل، غير أن هذه الأفكار المنحرفة العدوانية إنما تكشف عن وجود علاقة قوية بين البابيين والفكر اليهودي، الذي ينزع للنظرة الشعوبية التي تعتبر أن اليهود جنس متميز على غيرهم يفعلون بهم ما يشاءون؛ لأن الآخرين جنس متدن أولاد الحيوانات[١].

وبالتالي فكل يهودي لابد أن يلتزم بالوصايا العشرة، مادام الأمر يتعلق بالإسرائيليين، أما إذا كانت العلاقة بين اليهود وغيرهم، فإن كل ما يخص الغير يعتبر لا قيمة له، فكل أمي -يعني غير اليهودي- يعتبر حقا للإسرائيلي، بل يعتبرها ملكا مباحا له، ليس لأحد الحق في منعه من ممارسة ذلك فيه[٢]، ومن يطالع الفكرة عند اليهود والبابيين؛ يجدها متقاربة، ولا تختلف بينهما إلا باختلاف اللاحق والسابق، لكن مأخذهما في التعصب للجنس والنزعة العرقية واحد، لأن الفرس كانت علاقتهم في الماضي لا تنكر، وأن بعضهم تأثر بالفكر اليهودي نوعا ما من التأثر.

* بدائل عقوبات الزنى *

ذكر القرآن الكريم أن الزانية والزاني غير المحصن يجلد كل واحد منها مائة جلدة، ليس فيها تهاون أو تعاطف، فضلا عن الرحمة لقوله تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل

---

(١) راجع في ذلك: بروتوكولات حكماء صهيون - البروتوكول الثالث عشر - ترجمة الأستاذ محمد خليفة التونسي.

(٢) راجع في هذا الشأن: الدوافع في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها - رسالة ماجستير للأستاذة نجلاء مصطفى بدوي (بإشرافنا) معهد الدراسات والبحوث الأسيوية - جامعة الزقازيق. وكذلك عقيدة الاصطفاء الإلهي عند اليهود وموقف الإسلام منها للأستاذ عبدالباسط حسن عطية (بإشرافنا) - معهد الدراسات والبحوث الأسيوية. وكذلك الاتجاه العقلي في بناء الدين الوضعي - رسالة ماجستير (بإشرافنا) للأستاذ محمد عبدالرحمن موسى - معهد الدراسات والبحوث الأسيوية - جامعة الزقازيق.

واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[1] .

أما إذا كان محصناً فإن الرجم هو العقوبة المشروعة[2]؛ لأن الزاني لم تقف الحرمة في مواجهته مرة واحدة، بحيث تصرفه عن غيه، وتبعده عن ضلاله، فلما استباح الأمر المحرم كان من المناسب أن تكون عقوبته من جنس ما ارتكب، ولما كان الزنا حراماً فلا تكون التربية بمثلها ولا كان هو الآخر زنا، وكان كل منهما موقعاً بصاحبه في الهلاك، وإنما التوبة قائمة على الردع بجانب دفع الشر.

غير أن الباب يعلن عن انتهاء عقوبة الجلد والرجم في الزنا؛ لأن قرة العين خطبت طويلاً لا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، إذ لا ردع الآن ولا حد، ولا منع ولا صد[3]، ومادامت المرأة عشيقة الباب قد أعلنت عن إبطال الحدود، وبخاصة ما يتعلق بجرائم الزنا التي انفتح قلباهما لها وشاركهما في كل ذلك القدوس البشروئي، وغيرهم من دعاة البابية، فلا يمكن أن يصدر الباب قراراً أو تشريعاً مخالفاً لما أعلنته هي، من ثم أعلن الباب قوله:

---

(١) سورة النور – الآية ٢ .

(٢) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أنه سمع عبد الله بن عباس يقول : « قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل عليه آية الرجم قرأناها ووعيناها وعقلناها فرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف » (الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٣١٧ – باب رجم الثيب في الزنى الحديث رقم: ١٦٩١) وعقوبة الجلد تنصف لإمكانية ذلك. لكن عقوبة القتل لا تنصف لاستحالة ذلك .

(٣) يقول الأستاذ السيد أمير محمد الكاظمي تعليقاً على ما ذكرته قرة العين قاتلها الله من امرأة ما أصلب جلده وجهها. وأقل حياءها. أرأيت كيف عمدت هذه الجماعة إلى صفة الحياء. فأزالوها. ومثل هذه المرأة دليل واضح على تحلل القوم وفسادهم. (راجع البهائية في الميزان – ص١٧٥ بالهامش) .

كانوا يقولون : إن لكل رجل امرأة، أما أنا فأقول: كلكم شركاء لا منع ولا صد، ومن اضطر لممارسة الزنى أو اقبل عليه فلا يشغل باله بعقوبة بدنية تنهها التعذيب بالجلد أو الموت بالرجم، وإنما قد اخترت لكم وخففت عنكم، مفروضاتكم بدائل على الرجل مائة مثقال من الذهب، وعلى المرأة خمسين مثالا، ولها أن تتخفف منه[1]، لطفا عليها ودفعا إليها حتى تخوض في الوحل كيفما شاءت، من غير أن تكون هناك وسيلة ردع واحدة تقف لها أو تقوم في وجهها، وهو النمط الذى اتبعه البابيون من أول أمرهم حتى يتوسعوا في استخدام النساء بقدر ما شاءت لهم أهواؤهم، وسمحت لهم به شياطينهم، وقد تساوى في إلغاء العقوبة البدنية الرجال والنساء معا، مادامت المفروضات البديلة ستحل محلها .

ومن طالع تلك الخرافات يجد أصولها قائمة فى أعماق دعاة اليهودية، الذين دفعوا نساءهم إلى ارتكاب الموبقات كلها، وبخاصة الجنسية، وشارك فى ذلك الدفع رجالهم وآباؤهم وأجدادهم بل وكناتهم[2]، دون أن يفرضوا على المرأة أى لون من ألوان العقوبة، بل ربما منحوها بعض الأوسمة والنياشين مكافأة لها كما فعلوا مع بشبع – أرملة أوريا الحيثى، وكما فعلوا مع استير التى سجلوا لها سفرا فى العهد القديم[3]، وقد أسرف اليهود فى هذا

---

(١) الشيخ موسى محمد البيرومى – البابية خرافة قديمة ص٩١ .

(٢) الكنة هي الحماة عندهم. حيث يذكرون في العهد القديم أن امرأة مات زوجها وهى فى ريعان شبابها. واكتمال جمالها. وكانت حماتها – كنتها – على درجة من الفقر. فدفعت أرملة ابنها للإيقاع بأحد ملاك الأرض. حيث خططت الحماة للأرملة الشابة بالذهاب إلى بيدر الحقل. حين يدرس الرجل قمحه. ثم تبيت بالليل في البدر. حيث ينام هو، ثم تدخل إلى ثيابه بعد أن يغلبه النوم، فإذا استيقظ وجدها بين أحضانه. حينئذ يقومه بمهامه البيولوجية معها. فإذا جاء الصباح كان لها بذلك الأجر الكبير. وقد نجحت الخطة في الإيقاع به. (راجع الدوافع في العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها أثناء الحديث عن دافع الجنس في العهد القديم – رسالة ماجستير – ٢٠٠١م) .

(٣) راجع سفر أستير في العهد القديم. وراجع ما كتبه ليوتاكسيل في كتابه : التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص٢١٣ .

غير واضح من الأصل

الجانب أيضا إلى أبعد حد[1]، ثم نقله عنهم الباب ونحله على أنه اجتهاداته التي أوحي إليه بها، وما هي إلا حيل شيطانية، واتجاهات عدوانية ومعايير انحلالية، لا تنهض إلا على الباطل.

يذكر أحد الباحثين أن المفردات اللغوية التي يتعامل بها الباب وحملها كتابه البيان كان يقول عنها: إن الحروف والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الأول فعوقب على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الإعراب، فلما أن بعثنا جاءت رحمة العالمين - هكذا يزعم الباب - فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فأطلقت من قيدها، تذهب حيث شاءت من وجوه اللحن والغلط، ولا شك أنها تحمل التحريف والهذيان، وتدل على أن قائلها غير عاقل؛ لأنه لا يفرق بين الحكمة والهذيان[2]، إذن؛ عقوبة [illegible] من مفرداته اللغوية، وأحل بدلا منها المفروضات البديلة، التي تمثلها [illegible] منها هي التي حددها وهو سلوك عدواني، وتصرف شيطاني لا [illegible]

[illegible] عقوبات شرب الخمر

[illegible] قال تعالى: ﴿يا أيها الذين [illegible] إنما الخمر والميسر والأنصاب [illegible] من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان [illegible] في الخمر والميسر [illegible] عن ذكر الله وعن الصلاة [illegible]﴾[3]

---

(١) راجع كتابنا [illegible] الطبعة الخامسة [illegible] ذكرت فيه نماذج عديدة لتلك الشذوذات [illegible] الحديث [illegible] في جماعة الشيطان.

(٢) الشيخ محمد [illegible] والبهائية في الميزان ص٦٧.

(٣) سورة المائدة [illegible] ٩١/٩٠.

يقول العلامة ابن كثير: «يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن تعاطي الخمر والميسر وهو القمار، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: الشطرنج من الميسر[1]، وكل شيء من القمار فهو من الميسر، حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب، والبيض التي تلعب بها الصبيان. وسمي قمارا؛ لأنهم كانوا يتقامرون في الجاهلية إلى مجيء الإسلام، فنهاهم الله عن هذه الأخلاق القبيحة.

وقال مالك: كان ميسر أهل الجاهلية بيع اللحم بالشاة والشاتين. وقال الزهري: الميسر الضرب بالقداح على الأموال والثمار. وقال القاسم بن محمد: كل ما ألهى عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر[2]، وكأن المراد بهذا هو النرد

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه[3]" وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لعب النرد فقد عصى الله ورسوله[4]"

وأما الشطرنج فقال عبد الله بن عمر: إنه شر من النرد، ونص على تحريمه مالك وأبو حنيفة وأحمد، وكرهه الشافعي رحمهم الله تعالى، وأما الأنصاب فقال ابن عباس ومجاهد: هي حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، وأما الأزلام فهي قداح كانوا يستقسمون بها،

(١) علل ابن أبي حاتم – جـ٢ ص٢٩٧ – رقم: ٢٤٠٣.

(٢) العلامة الحافظ ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج٢ ص٩٢ (بتصرف يسير).

(٣) العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١٣ ص: ١٨٢ – ذكر الأخبار عن وصف اللاعب بالنرد في التمثيل – الحديث رقم: ٥٨٧٣.

(٤) العلامة ابن حبان – صحيح ابن حبان ج: ١٣ ص: ١٨٢ – ذكر الأخبار عن وصف اللاعب بالنرد في التمثيل – الحديث رقم: ٥٨٧٢. سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٢٣٧ – باب اللعب بالنرد – حديث رقم: ٣٧٦٢. مسند أحمد ج: ٤ ص: ٣٩٤ – حديث رقم: ١٩٥٣٩. سنن البيهقي الكبرى ج: ١٠ ص: ٢١٤ – الحديث رقم: ٢٠٧٣٩

وقوله تعالى: ﴿رجس من عمل الشيطان﴾ قال ابن عباس: سخط من عمل الشيطان وإثم يلحق صاحبه شر من عمل الشيطان، ﴿فاجتنبوه﴾ أي اتركوه، ﴿لعلكم تفلحون﴾ وهذا ترغيب، ثم قال تعالى: ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ وهذا تهديد وترهيب[1].

واتفق علماء الإسلام على أن الخمر حرام قليلها وكثيرها، وفيها الحد؛ لأنها رجس من عمل الشيطان، وأجمعوا على أن من استحلها كفر، وهذا شأن كل محرم، إذا كان تحريمه إجماعاً، فمن استحله فقد كفر وهذا من أعظم ما يكون خطراً على المسلم.

وعن عثمان بن عفان قال: « "اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل فيمن خلا قبلكم يتعبد ويعتزل الناس فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها أن تدعوه لشهادة فدخل معها، فطفقت كلما دخل باباً أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية[2] خمر، فقالت: إني والله ما دعوتك لشهادة، ولكن دعوتك لتقع علي، أو تقتل هذا الغلام، أو تشرب هذا الخمر. فسقته كأساً فقال: زيدوني، فلم يرم حتى وقع عليها، وقتل النفس. فاجتنبوا الخمر فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبداً إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه »[3].

---

(١) العلامة الحافظ ابن كثير - تفسير القرآن العظيم - ج٢ ص٩٢.

(٢) الباطية: الناجود. وحكى سيبويه البطية بالكسر ولا علم لي بموضوعها. إلا أن يكون أبطيت: لغة في أبطأت » (القاموس المحيط - الفيروز آبادي - باب الواو والياء - فصل الباء.) وقال صاحب مختار الصحاح: « الباطية إناء وأظنه معربا » (مختار الصحاح - باب الباء ص ٣٨/ص ٧٣) . وفي لسان العرب : « الباطية : الناجود. وقيل: هي كل إناء يجعل فيه الخمر من باطية أو جفنة أو غيرها. وقيل: هي الكأس بعينها . والباطية من الزجاج عظيمة تملأ من الشراب وتوضع بين الشرب يغرفون منها ويشربون. إذا وضع فيها القدح سحت به ورقصت من عظمها وكثرة ما فيها من الشراب»

(٣) الإمام النسائي - سنن النسائي (المجتبى) ج: ٨ ص: ٣١٥ - باب ذكر الآثام المتولدة عن شرب الخمر من ترك الصلوات ومن قتل النفس التي حرم الله ومن وقوع على المحارم - الحديث رقم: ٥٦٦٦ .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق سرقة حين يسرقها وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »[1]. ومنها قوله ﷺ: « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة »[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وعاصرها ومستعصرها وحاملها والمحمول إليه وبائعها وآكل ثمنها ومبتاعها »[3]. وعن عبد الله بن عمر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لعن الله الخمر ولعن شاربها وساقيها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنه »[4].

ولم يجعل الله في الخمر دواء المسلم أبدا، ففي الحديث الشريف: « عن طارق بن سويد الجعفي أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم « عن الخمر فنهاه أو كره أن يصنعها فقال إنما أصنعها للدواء فقال ﷺ: إنه ليس بدواء ولكنه داء »[5].

---

(١) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٧٦ – باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله الحديث رقم: ٥٧. صحيح البخاري ج: ٥ ص: ٢١٢٠ – الحديث رقم: ٥٢٥٦.

(٢) صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٥٨٧ – باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام – الحديث رقم: ٢٠٠٣ . وعن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال كل شراب أسكر فهو حرام (الحديث رقم: ٢٠٠١ من نفس الباب ج٣ ص١٥٨٥) .

(٣) الإمام الطبراني – المعجم الأوسط ج: ٨ ص: ١٦ – الحديث رقم: ٧٨١٦ . وذكره ابن القيم في عون المعبود ج١٠ ص١٠٧ .

(٤) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٢ ص: ٩٧– الحديث رقم: ٥٧١٦

(٥) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٥٧٣ – باب تحريم التداوي بالخمر الحديث رقم: ١٩٨٤ . مسند أحمد ج: ٤ ص: ٣١١ الحديث: ١٨٨١٠ .

وعن علقمة بن وائل عن أبيه أنه « شهد النبي صلى الله عليه وسلم وسأله سويد بن طارق أو طارق بن سويد عن الخمر فنهاه عنه فقال إنا نتداوى بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها ليست بدواء ولكنها داء »[١] . وعن حسان المخارق قال قالت أم سلمة « اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز لها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغلي فقال ما هذا فقلت إن ابنتي اشتكت فنبذت لها هذا فقال أن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم »[٢]،

من ثم؛ فقد ذهب الفقهاء إلى أن الخمر إذا شربه المسلم مختارا عالما أن كثيره يسكر فعليه الحد ، ثمانون جلدة مع الحرية وأربعون مع الرق، وقد ذهب الإمام مالك وأبو حنيفة وكثير من العلماء إلى أنها ثمانون جلدة في الحر، ومن أدلتهم على ذلك ما روى عن أنس بن مالك ﷺ « أن النبي صلى الله عليه وسلم أتي برجل قد شرب الخمر فجلده نحو الأربعين وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر رضي الله عنهما وقال حجاج ثمانون وأمر به عمر »[٣] .

وذهب الإمام الشافعي إلى أن حد الحر في الخمر أربعون جلدة، مستدلا بعمل النبي ﷺ أنه جلد في الحر بجريدتين أربعين جلده، وللتوفيق بين الروايتين نقول : إنها ثمانون متى كان الجلد بجريدة واحدة، وأربعون متى كان بجريدتين في وقت واحد؛ لأن الجلد بالجريدتين في الوقت الواحد يساوي ضربا من ضاربين في الوقت الواحد ، وبهذا ينزول ظاهر الخلاف بين الفقهاء في العدد من وجهة نظري حسب توفيق الله تعالى لي وهو اجتهادي فقط .

---

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٣٨٧ – باب ما جاء في كراهية التداوي بالسكر – الحديث رقم: ٢٠٤٦ . الإمام الطبراني – المعجم الكبير ج: ٢٢ ص: ١٤ – الحديث رقم: ١٥ .

(٢) الإمام الطبراني – المعجم الكبير ج: ٢٣ ص: ٣٢٦ – الحديث رقم: ٧٤٩ .

(٣) الإمام أحمد بن حنبل – مسند أحمد ج: ٣ ص: ٢٧٢ – الحديث رقم: ١٣٩٠٧ .

ثم إن عموم شرب الخمر اعتبره الكثيرون من أشراط الساعة، فعن أنس بن مالك ﷺ قال « ألا أحدثكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد بعدي سمعت منه إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل ويفشو الزنا ويشرب الخمر ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد أو رجل واحد »[1].

قال العلامة الجرجاوى: « والخمر هى أم الخبائث، وأس المصائب والنقائص، ضررها يتناول الروح والجسد والمال والولد والعرض والشرف، فكم خربت دورا، وأذهبت عقارا، وأقامت فتنا، وأثارت محنا، وولدت أحنا[2]، ونقلت العقل من حالة التفكير والتدبير والحكمة والرشاد إلى الجنون والبغى والفساد، وكم أحدثت من عداوة وبغضاء بين الأخ وأخيه، والابن وأبيه، وكم فرقت الأصدقاء وشتت شمل الأحباء»[3].

« والخمر مهلكة على كل ناحية يشربها الصعلوك[4]، فيخيل إليه أنه الخليفة على العرش، والجبان فيرى نفسه فارس بني عبس، والغبى فيقول أنا أياس فى الذكاء وأرسطوا فى الحكمة، والجاهل فينادى أنا حبر[5] الأمة، فلا كنت يا عقار وشلت يمينك أيها الخمار،

---

(١) الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٣٤٣ – باب أشراط الساعة – الحديث رقم: ٤٠٤٥

(٢) أحن – الإحنة: الحقد. وجمعها إحن وإحنات.– ومنه حديث مازن (وفي قلوبكم البغضاء والإحن). وأما حديث معاوية (لقد منعتني القدرة من ذوي الحنات) فهي جمع حنة، وهي لغة قليلة في الإحنة، وقد جاءت في بعض طرق حديث جارثة بن مضرب في الحدود (نص حديث بن مضرب – كما في اللسان – ما بيني وبين العرب حنة) . [العلامة ابن الأثير – غريب الحديث والأثر – المجلد الأول – حرف الهمزة. – باب الهمزة مع الحاء.]

(٣) العلامة الجرجاوى – حكمة التشريع ج١ ص٢٦٨ .

(٤) صعلك: الصعلوك الفقير و التصعلك الفقر . (مختار الصحاح باب الصاد [ص ٣٥٤] – [ص ٣٧٥])

(٥) الأحبار : هم العلماء، جمع حبر وحبر بالفتح والكسر. وكان يقال لابن عباس رضي الله عنه: الحبر والبحر لعلمه وسعته. (غريب الحديث والأثر – جـ١ – حرف الحاء – باب الحاء مع الباء)

وسحقاً لكم أيها الأشرار »[١]، وبالتالي؛ فكل مسلم ملتزم غيور على دينه، حريص على علاقته بالله رب العالمين لا يشرب الخمر، ولا يتعامل مع شاربها أو بائعها، ولا يقابلهم بوجه طلق؛ لأن من يفعل ذلك يكون مستحلا لما حرمه الله تعالى والتعامل معه يدخل المسلم في دائرة الغضب من الله تعالى؛ لأن لله غضب على بني إسرائيل بمثل ذلك ولعنهم. قال تعالى: ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون * ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون * ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون ﴾[٢]،

أما الباب فقد أعلن أن الخمر فيها فوائد لمن يستعملها عن طيب خاطر. يقول: « اشربوا الخمر، فانها تقوى الذاكرة، وتعين على النوم، وتهيج للعلاقات الزوجية، وتعالج أمراض الذكورة، ويستشفى بها من أمراض الحصوات، كل ما قيل لكم في تحريمها قد فات، فدعوه وانظروا إلى ما هو آت »[٣]، وهو بهذا يعلن ضرورة الحاجة إلى شرب الخمر، بل ويدفع إلى ممارستها، ويصطنع النصوص التى ظنها حاملة آراءه الشاذة وأفكاره السلبية، حتى ينقلب الناس عن الحق، وينصرفوا إلى الباطل الذى تمسك به ودعا إليه.

ثم يقول: انتهى زمن الحد والجلد، انتهى زمن البغض والصد، اليوم حب وضم وشم وود، من شرب الخمر فهو الحريص على حبنا، وان أخطأ فإنما عليه مفروضات بديلة ترضينا،

---

(١) العلامة الجرجاوى – حكمة التشريع ج٢ ص٢٦٩ .

(٢) سورة المائدة – الآيات ٧٨/٨١ .

(٣) الشيخ فارس عبدالعاطى ثعليب – الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام ص١٧٧ . وراجع للأستاذ محمد المرتضى التبريزى– موقف العلماء من المنحرفين ص٩٥ ، وكذلك للشيخ السيد عبدالله حسن : نظرات فى الفكر المنحرف البابية ص١٨٨ .

هي عشرون مثقالا من الذهب، فإن لم يستطع فخمسة من المثاقيل، بها تعالجون أخطاءكم، كما تعالجون بشرب الخمر أمراضكم[1].

فهو مستعد لأن يبيع كل شيء بعد أن باع دينه مقابل أن يجمع بين كفيه حفنة من المثاقيل الذهبية، قلت أو كثرت، ومثله لا يكون عاقلا أو مسلما، كما لا يكون موضوعنا في دراسته ولا موضوعيا في النتائج التي توصل إليها، ومن ثم؛ فإن أدلته تكون غير مقبولة؛ لأنها لم تقم على قواعد صحيحة، كما لم تنهض في الشهادة معها وثائق صحيحة، ومهما يكن من أمر الباب؛ فإنه قد أطاح بعقوبة شارب الخمر، حتى يلعب على أوتار السذج، بحيث ينضمون إلى نحلته، وكأنه لا يملك القرار السيادي[2]، ولا يملك القرار شبه السيادي؛ لأنه خارج نطاق أصحاب الرأي المقبول، وإذا كان ذلك قد تم له في بلاده، فهل يقبل أن ينشط هذا الاتجاه حتى يكون في مصر مع مطالع القرن الثالث عشر والرابع عشر للهجرة؟ أظنه أمرا غير مقبول، بل ويغلب على ظني أنه لن يتمكن من ذلك الداعون إليه إن شاء الله تعالى.

قطع الطريق

حرم الله قطع الطريق، وبين أن من يقومون بهذا الدور الإجرامي يمثلون قلة قليلة، وفي نفس الوقت هم خارجون على شرع الله تعالى؛ لأنهم يروعون الآمنين، ويقطعون الطريق على السائرين، ويعملون على أن ينقلب الأمن فزعا، والاستقرار خوفا وقلقا، فلا يطمئن الناس على أموالهم أو حياتهم، وبالتالي؛ لا يقع لهم الاطمئنان على أولادهم ولا عباراتهم؛ لأن العبادة الصحيحة في الأداء تحتاج إلى الاستقرار النفسي لدى المؤدي لها.

---

(١) الأستاذ تهامي محمد عبدالعظيم الدويني – البابية في مراحلها الأولى ص٨٧. وراجع كذلك للأستاذ عبدالعزيز محمود الجميل البابية وخطرها على الإسلام ص١١٢ .

(٢) القرار السيادي : هو إعلان النبوة ثم تأتي المعجزة مصدقا للدعوى. وحينئذ يكون النبي سيدا في قومه هو الوحيد الذي تسمع دعواه؛ لأنه السيد من قبل الله تعالى.

من هنا؛ بين الله تعالى أن قاطعي الطريق محاربون لله ورسوله، وساعون في الأرض فسادا . قال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾[1]،

وقد اجتهد علماء الإسلام في التعريف بهم، وبيان الشروط التي لابد من وجودها حتى يطلق عليهم أنهم قطاع طرق، والجزاء الذي ينتظرهم عقوبة لهم في الدنيا والجزاء الأخروي، فعرفوهم بأنهم: الذين يعرضون للناس بالسلاح في الصحراء[2] والبنيان[3]، فيغصبونهم المال مجاهرة لا سرقة[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا، وإذا قتلوا لم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا، وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الأرض[5]، جزاء لهم على ما فعلوا، وعقوبة لما ارتكبوا، وتلك حدود الله شرعها الله جل علاه وطبقها رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، وعليها إجماع أهل الإسلام .

---

(١) سورة المائدة – الآية ٣٣ .

(٢) هذا باتفاق بين الأئمة الأربعة. وهو أن قاطع الطريق لا يكون له وجود إلا في الصحراء. فإذا تم له ذلك فهو قاطع طريق.

(٣) ذهب الإمام أبو حنيفة إلى أن من فعل ذلك في البنيان يعني في مصر من الأمصار. فليس بقاطع طريق. ولا يثبت في حقه أنه من المحاربين؛ لأن العبرة عنده بالمكان لا الفعل . أما باقي الأئمة من أهل السنة، فقد اعتبروا أن قاطع الطريق متى اعترض الناس بالسلاح في الصحراء أو البنيان؛ فإنه يطلق عليه ذلك الوصف؛ لأن العبرة عندهم بالفعل. لا بالمكان. (راجع في ذلك الشأن حاشية البيجاوى على التحرير ج٢ ص٩٥ . والسلسبيل في معرفة الدليل ج٣ ص١٣٧ للشيخ صالح بن إبراهيم البليهي .

(٤) زاد المستقنع ج٣ ص١٣٧ .

(٥) العلامة الشيخ أحمد محمد المليجي – حاشية المليجي على المنهاج ج٣ ص١٥٧ .

ذكرت كتب السنة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قدم أناس من عكل أو عرينة فاجتووا المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأن يشربوا من أبوالها وألبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم فأمر فقطع أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قلابة فهؤلاء سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله»[1].

وروى الإمام النسائي عن أنس« أن نفرا من عكل قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فقتلوا راعيها واستاقوها فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم قال فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم ولم يحسمهم وتركهم حتى ماتوا فأنزل الله عز وجل إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية »[2].

وهو معنى الموت صبرا على كل ذلك ما لم يتوبوا قبل القدرة عليهم، أما إذا تابوا قبل القدرة عليهم توبة نصوحا فأمرهم موكول إلى الله جل علاه. قال تعالى: ﴿إلا الذين تابوا من

---

(١) الإمام البخاري - صحيح البخاري ج: ١ ص: ٩٢ - باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها - الحديث رقم: ٢٣١، و أخرجه الإمام مسلم في القسامة، باب: حكم المحاربين والمرتدين، رقم: ١٦٧١. والمراد بـ : [(عكل أو عرينة) أسماء قبائل. (فاجتووا) أصابهم الجوى. وهو داء الجوف إذا استمر. (بلقاح) حي الإبل الحلوب. واحدتها لقوح. (سموت) فقئت بحديدة محماة. (الحرة) أرض ذات حجارة سوداء في ظاهر المدينة. أي خارج بنيانها].وفي مسند أحمد ج: ٣ ص: ١٩٨ - الحديث رقم: ١٣٠٦٨ عن أنس بن مالك قال قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية نفر من عكل فأسلموا فاجتووا المدينة فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها أو رعاءها وساقوها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبهم قافة فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم ولم يحسمهم حتى ماتوا وسمل أعينهم.

(٢) سنن النسائي (المجتبى) ج: ٧ ص: ٩٤ - الحديث رقم: ٤٠٢٥ .

قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾[١] . قال صاحب زاد المستقنع : « من تاب منهم قبل أن يقدر السلطان عليه؛ سقط عنه ما كان لله من نفي وقطع وصلب »[٢] .

وقد أوجبت الشريعة الإسلامية الغراء على المسلم أن يدافع عن دينه ونفسه وماله وعرضه، ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فعن أبي هريرة قال: « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي قال فلا تعطه مالك قال أرأيت إن قاتلني قال قاتله قال أرأيت إن قتلني قال فأنت شهيد قال أرأيت إن قتلته قال هو في النار »[٣] . فكان القتل عقوبة في الدنيا ولا دية له لما أقدم عليه، وفي الآخرة يلقى في النار جزاءه عذابا أليما .

لكن الباب الشيرازي ومن معه يرفضون معاقبة قاطعي الطريق، بزعم أنه ما فعل ذلك إلا ليحصل على حقوق له ضائعة، وأموال مسلوبة . يقول الباب: « لا حد ولا قطع في مال؛ لأنه شركة، سواء حصل عليه بالسلاح، أم حصل عليه بغير السلاح والقوة؛ لأنه حق اغتصب منه، ومن واجبه أن يحصل عليه، حتى وإن ترصد له خارج الديار في الصحراء وغيرها »[٤] .

وهم بذلك يخلطون بين ما فيه شبهة وما لا شبهة فيه، كما يخلطون بين من يطالب بحقه السليب، وبين من يعمل على سلب حقوق الآخرين، كما أنهم يفتحون الباب على مصراعيه، لكل هواة التخريب دعاة التدمير، حتى لا يبقى في الأمور شيء ثابت أبدا، فبئسما يفعلون .

---

(١) سورة المائدة – الآية ٣٤ .

(٢) زاد المستقنع ج٣ ص١٣٨ .

(٣) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ١٢٤ – باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه وإن قتل كان في النار وأن من قتل دون ماله فهو شهيد – الحديث رقم: ١٤٠

(٤) الأستاذ عوض محمود داود – البابية حركة هدامة ص١١٠ . وراجع كذلك للعلامة محمد عبدالعاطي الدينوري – البابية الأصول والغايات ص٩٧ .

يقول الباب: كانت الشريعة المحمدية قد وصفت أصحاب الحق بأنهم قطاع طرق، أما أنا فأقول: نزموا أموالكم، وحافظوا على ممتلكاتكم، فالحياة جميلة، وزينتها المال، من أخذه منكم فاستردوه، وعن واقعة غيبوه، فقد خلقت الأشياء لكم، وأنا الذى أشرع لكم استردادها، وما سبق قد نسخته لكم لأن العالم كله فى انتظار مظهر الله من يظهره الله، وها أنا قد قلت لكم فاتبعونى [1].

والملاحظ أن هذه العبارات فيها الكثير من صنعة السجع المتكلف، كما أن فيها القفز المتواصل على الشريعة الإسلامية، لاقتناص الفرص، واغتنام أموال الآخرين، وفوق ذلك فإنها تحرض أفراد المجتمع الواحد بعضهم على البعض الآخر، بجانب أنها تعبير عن روح الولاء والتبعية للفكر اليهودى [2]، والانفلات الخلقى الذى يعتبر أبرز سمات الوثنين فى كل وقت وحين، أضف إلى ما سبق تركيز الباب ونحلته عمل على الإعلان المستمر عن الشريعة الإسلامية وحذفها من ميدان العمل إلى مجرد النظر الذى انتهى دوره حتى تصير مجرد ذكرى لا يدعمها واقع.

وهى أفكار شيطانية عزم على القيام بها اليهود، الذين ينفون نبوة سيدنا محمد ﷺ [3]، بزعم أن رسالة موسى الكليم خالدة، وأن بأيديهم نصوصا تؤكد عدم وجود نبوة بعد نبى الله موسى [4].

---

(١) الأستاذ عبدالعزيز محمود الجميل - البابية وخطرها على الإسلام ص٨٧ ، وراجع للأستاذة تهانى محمد عبدالعظيم الدويني : البابية ومراحلها الأولى ص١١٢ .

(٢) العلامة عمر محمد الأنور - الوثنية والبابية ص١٥٣ .

(٣) ذكر الإمام الغزالى - رحمه الله - أن اليهود قد أنكروا نبوة سيدنا محمد ﷺ بدعوى إنكار النسخ فى الشرائع. وقد عرض شبهاتهم ثم رد عليها ردودا شافية، وذلك فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد - القطب الثالث . وقد تعرضت لذلك بالشرح فى كتابنا: حصاد الاقتصاد فى الاعتقاد ج٣ - الأفعال الإلهية - الطبعة الثانية ص٣٨٥ وما بعدها. وكذلك ذكر العلامة السعد التفتازانى أن اليهود أنكروا نبوة سيدنا محمد ﷺ حسدا وعنادا ولجحا. راجع مقاصد الطالبين فى أصول الدين ج٢ ص١٣٤ وما بعدها .

(٤) عرض لتلك الشبهات الإمام الفخر الرازى - فى كتابه الرائع المطالب العالية أثناء الحديث عن إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ. وكذلك صنع فى كتابه الأربعين فى أصول الدين. حيث أثبت بطلان مزاعم اليهود على كل ناحية. ويكفى فى هذا المقام أن القرآن الكريم قد ذكر ذلك. وبالتالى، فلا عبرة بما يزعمه اليهود. ومن على شاكلتهم. والله من ورائهم محيط.

وهى أفكار استوحاه خيالهم من فكرة الاصطفاء الإلهى التى زعموها لأنفسهم[١]، مع أن كل ذلك باطل، لم يقم دليل واحد بدعمه، بل العكس هو الصواب، إذ قامت كل الأدلة على أن سيدنا محمد ﷺ هو النبى الخاتم، وأن نبى الله موسى بن عمران كانت رسالته خاصة لبنى إسرائيل وحدهم، وقد انتهى دورها من زمن طويل.

لكن الباب فوق ذلك يعلن عن مكافأة سخيفة لقطاع الطرق تقوم على أنهم لو قتلوا ونهبوا وروعوا وأفسدوا فى الأرض بكافة أنواع الفساد؛ فإن عليهم فقط دفع الخمس مما كسبوا من مال، وتحويل قيمته إلى ذهب، ثم يدفع إلى من يقوم بدور مظهر الله[٢]، ولما كان الباب هو مظهر الله الشخصى من وجهة نظره الفاجرة، فقد صار هو الأحق بتلك الأموال، التى يحرص عليها بكل ما أمكنه، ويضع دائما النصوص التى تدعم موقفه المادى فقط، مما يجعلنى أقرر بأن الباب الشيرازى كان مغامرا إلى حد كبير، وأن من كانوا يقفون خلفه قد أوهموه وأشبعوه من هذه الأوهام، حتى إذا خرجت مفرداته اللغوية، كان الحرص الشديد فى بنائها أن تقوم على هدم الشريعة الإسلامية، مهما كانت الأسباب، وبهم كانت المبررات التى وضعها فى حسبانه وثبتها فى عقله أعداء الإسلام؛ لأن كل ما ذكره الباب الشيرازى يدل على أنه قد حمل أرصدة وثنية، قام هو بإلقائها إلى أتباعه، ودفع بهم إلى التقول بها على الدوام، حتى لم يعد هناك شيء غيرها.

على كل؛ فإن الباب وشيعته قد جعلوا المال بديلا عن الشرع، كما جعلوا العقوبات المالية بديلا عن الحدود الشرعية، فقفزوا على شرع الله، واستباحوا حرماته، وكانوا عونا لأعداء الإسلام، حيث مزقوا تآلف الجماعة المسلمة، وجعلوا الخلافات بين أفرادها تتسع

---

(١) وقد سخر من هذه الأفكار المستشرق ليوتاكسيل فى كتابه التورات كتاب مقدس أم جمع من الأساطير. وكذلك صنع المستشرق أ. توكاريف فى كتابه الأديان فى تاريخ شعوب العالم.

(٢) الشيخ موسى محمد البيرومى – البابية خرافة قديمة ص١٠٧. وراجع البابية الأصول والفروع للشيخ نصر الدين محمد البنغالى

مساحتها . كما كانوا طريقا للأعداء، حتى يدخل هؤلاء الأعداء إلى البيئة الإسلامية الخلافات المذهبية والفكرية على كل ناحية .

ويقرر البيضان أن الباب الشيرازي لم يكن سوى أسطورة استخدم الأعداء اسمه في نشر الأكاذيب والافتراءات التي سمحت بها نفوسهم، بل نشروا كل الأضاليل والأباطيل، ولو لم يوجد الشيرازي لاخترعوا بديلاله، حتى تتم عليه هذه الأدوار، سواء أعلم بها أم لم يعلم[1]، فهو عميل تم التنسيق بينه وبين من ذرعه في جسم الأمة الإسلامية داخل منطقة لها حساسيتها ودورها في الأمة الإسلامية، وبخاصة أن الدولة العثمانية التي تمثل الخلافة الإسلامية فيها كانت ما تزال قائمة، وهي في ذات الوقت هدف وضعه الأعداء نصب أعينهم حتى ينالوا منه .

﴿٭﴾ **وفي تقديري:** أن الباب لم يكن يملك من الثقافة العلمية القدر الذي يعينه على ملاحقة الأصول العقدية، أو التكاليف في الشريعة الإسلامية بحيث يستوعبها على الناحية العلمية، ثم يقوم بعملية البحث عن سلبيات -والحمد لله أن الإسلام هو كل الإيجابيات- فيه، ثم يحاول إبراز تلك الوهميات، ويعبر عنها في كتب تحمل تلك الأفكار، مع ان المدة التي أبرز فيها آراءه كانت سبع سنوات فقط على ما ذهب إليه مؤرخوهم وبخاصة المشهورين[2] . فمن أين له بكتابة ذلك كله، وهو لم يكن مثقفا بالقدر الذي يسمح له بناء مثل تلك الأفكار، لاشك أن هناك عقولا مدبرة، وقلوبا سوداء كانت قد أعدت ذلك سلفا ، ومابقي إلا المذيع الذي يبلغ ذلك، فكان هو الباب الشيرازي .

---

(١) الأستاذ ناظم الدين محمد البيضان - الباب فتى شيراز ص٩٧ . وراجع للأستاذ عوض محمد داود - البابية حركة هدامة ص١١٣ .

(٢) هو الميرزا عبدالحسين أواراه. ومن كتبه المشهورة في الدفاع عن البابية كتاب الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية - المطبوع بالقاهرة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م. وكذلك الحجج البهية لأبي الفضائل الجرفادقاني من أكبر دعاة البهائية والمدافعين عن البابية.

يقول الشيخ الطير: « لقد قصر الباب العقوبات على الغرامات المالية، وتحريم الاتصال الجنسي بالزوجة، وحرم القصاص، فمن قتل نفسا؛ يعاقب بدفع ألف مثقال من ذهب، وأن يمتنع عن مباشرة زوجته جنسيا لمدة تسعة عشر عاما، ثم عقب الشيخ بقوله: فهل المعاقب يمتنع عن زوجته فعلا هذه المدة، ولا رقيب عليه، وهكذا يرتكب ذلك المدعي الكذاب أخطاءه الفاحشة التي دفعه إليها الغرور »[1]، كما ساقه للوقوع فيها عدو الإسلام الحاقد عليه بكل ما وسعه من حقد وحسد، وعناد ولجج.

موقف الباب من دفن الأموات

يعتبر دفن الميت أحد حقوقه على الأحياء، وقد امتن الله على عباده بالقبر التي توارى سوأته، وتستر بداخله عورته. قال تعالى: ﴿قتل الإنسان ما أكفره * من أي شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * ثم السبيل يسره * ثم أماته فأقبره * ثم إذا شاء أنشره ﴾[2].

يقول صاحبا الجلالين: « قتل الإنسان لعن الكافر ما أشد كفره استفهام توبيخ أي ما الذي حمله على الكفر، من أي شيء خلقه استفهام تقرير ثم بينه فقال، من نطفة خلقه فقدره علقة ثم مضغة إلى آخر خلقه، ثم السبيل أي طريق خروجه من بطن أمه يسره، ثم أماته فأقبره جعله في قبر يستره، ثم إذا شاء أنشره للبعث »[3].

وقد جعل الإسلام من حقوق الأموات على الأحياء الغسل والتكفين، ما لم يكن الميت ممن جاء النص مؤكدا على أنهم لا يغسلون كالشهيد الذي وقع في معركة المشركين والسقط الذي خرج من رحم أمه ولا حياة فيه، بمعنى لم يستهل صارخا[4]،

---

(١) الشيخ مصطفى محمد الحديدى الطير - البابية والبهائية في الميزان ص٧٥ .

(٢) سورة عبس - الآيات ٢١/١٧ .

(٣) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٧٩٢ .

(٤) راجع الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع=، وراجع كذلك الأشباه والنظائر في فروع فقه الشافعية.

كما أن التكفين يكون للجميع عدا المحرم، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا على ما ورد به الحديث الشريف(١)، فعن ابن عباس رضي الله عنهما « عن النبي صلى الله عليه وسلم خر رجل من بعيره فوقص فمات فقال اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيا »(٢).

أما غيرهم فإن غسلهم وتكفينهم والصلاة عليهم، ثم مواراتهم في القبر، يكون فرض عين إذا لم يوجد إلا من يقوم به فقط، ويكون فرض كفاية، إذا كان هناك أكثر ممن يتعين عليهم القيام به، وذلك مطول مبسوط في كتب الفقه والأصول عند الحديث عن الفرض العيني والفرض الكفائي.

وقد بينت كتب الفقه نوعية الكفن، وعدده بالنسبة للرجال، وبالنسبة للنساء أيضا، كما بينت أوصافه والهيئة التي يكون عليها، وقد حفظ المسلمون ذلك صغيرهم والكبير، حتى لم يعد ذلك من الدقائق، بل صار مما يعرفه عامة الناس في بلادنا الإسلامية.

إلا أن الباب الشيرازي قد أخذ بمبدأ المخالفة للبدهيات الشرعية على الدوام، فهو يفرض على أتباعه:-

---

(١) راجع حاشية الباجوري في الفقه.

(٢) الإمام مسلم - صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٨٦٥ - باب ما يفعل بالمحرم إذا مات - الحديث رقم: ١٢٠٦. صحيح البخاري ج: ١ ص: ٤٢٥ - باب الكفن في ثوبين - الحديث رقم: ١٢٠٦، صحيح البخاري ج: ١ ص: ٤٢٦ - باب الحنوط للميت - الحديث رقم: ١٢٠٧. صحيح ابن حبان ج: ٩ ص: ٢٧٢ - الحديث رقم: ٣٩٥٩. سنن النسائي (المجتبى) ج: ٥ ص: ١٤٤ - باب تخمير المحرم وجهه ورأسه - الحديث رقم: ٢٧١٣. سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٠٣٠ - باب المحرم يموت - الحديث رقم: ٣٠٨٤. مسند أحمد ج: ١ ص: ٢١٥ - الحديث رقم: ١٨٥٠.

(١) وجوب غسل الميت خمس مرات بماء طاهر فيه ماء الورد، وأربع عشرة مرة بماء الورد فقط، حتى تتم جملة الأغسال تسعة عشر غسلا[١]، على ما هو قائم عنده من تقديس الرقم تسعة عشر إلى أبعد ما يتصور.

(٢) وجوب تكفينه في خمسة أثواب مختلفة الألوان من حرير يلاصق جسد الميت، يستوي في ذلك الرجل والمرأة، ثم أربعة عشر كفنا من قطن أو خلافه، لتتم جملة الأكفان تسعة عشر كفنا، وهذه المساواة عنده لم ينقطع في الذكور والإناث[٢]، مع التركيز على الرقم ذي الطابع الثابت والقداسة التي تتم على الدوام.

(٣) وجوب دفن الميت في حجر أو بللور[٣]، بحيث يكون البللور هو القبر الذي يدفن فيه العظماء، أما غيرهم فيمكن أن يدفنوا في أنواع الحجر المختلفة.

(٤) وجوب أن يوضع في اليد اليمنى للميت خاتم ينقش عليه كلمات هي على ما زعم الباب آية من كتابه البيان، وتختلف هذه الكلمات باختلاف نوعية الميت ذكرا كان أم أنثى، صغيرا كان أم كبيرا[٤].

فإن كان بالميت رجلا كبيرا[٥]؛ فإن الخاتم يوضع في إصبعه الأوسط من يده اليمنى، ويكتب عليه لله ما في السماوات والأرض وما بينهما والله علام مقتدر منيع، أما إذا

---

(١) الشيخ محمد عبدالكريم البتانوني – البابية في منظور الإسلام ص١١١ .

(٢) الشيخ بدر الدين عبدالواحد – الاستعمار والبابية ص٩٧ .

(٣) ويبدو أن بريق الذهب ونفاسته بجانب روعة البللور قد حفر ذلك كله بعمق في قلب الشيرازي. فلا يفكر إلا فيهما. ولا يفرض على أتباعه إلا ما يجيء منهما.

(٤) الشيخ محمد عبدالكريم البتانوني – البابية في منظور الإسلام ص١١٢ .

(٥) يعني قد بلغ مبالغ الرجال. وليس طفلا صغيرا، لأن هذه المكتوبات – من وجهة نظره – ضرورة بابية. حتى تضمن للميت ملاقاة الباب يوم الآخرة. ولست أدري كيف ينكر الآخرة ثم يعترف بأنه سيقابل أتباعه فيها؟!

كان الميت امرأة كبيرة؛ فإن الخاتم يوضع في يدها اليسرى في الإصبع الذي يلي الصغير من جهة الشمال، ويكتب على الخاتم لله ملك السماوات والأرض وما بينهما والله علام نصف يتبع[1].

(٥) وجود إدخال بعض التراب مع الميت في قبره على سبيل الدفن معه، وهو التراب الذي يزعمون أنه بعض تراب من الأول والآخر -مظهر الله[2] -.

(٦) وجوب كتابة وصية من الميت إلى من يظهره الله، حتى يكون هو الآخذ بيديه في قبره، الموقف له حتى يجتاز عتبات الأبدية[3]، وهي نفس الأفكار التي يرددها أتباع المسيحية، بخصوص الأبدية وعتباتها، واجتياز تلك العتبات، من خلال أتباع يسوع المسيح[4]، الذي يختطفون فيه، ولا يكون لهم من مقام إلا في رحاب الإله الأب في بيته السماوي[5].

ثم إن كتابة الوصية على النحو الذي يحدده الباب ونحلته الغرض منه إقرار الميت قبل وفاته أنه على دين البابيين، وأنه ينزع نفس منزعهم لم يخرج عنه حتى يكتسبوا أتباعا جددا، يمكن أن ينضموا إلى نحلتهم، وهو اتجاه غير مقبول؛ لأن الملك الديان هو الله رب العالمين، والوصية لا تكون إلا في حدود ما أمر به من فعل الخيرات، والحرص على الطاعة مع ضرورة التمسك بها، حتى آخر المدى، مع الأخذ في الاعتبار الوصية لأهل العوز والحاجة بنصيب من مال الميت صدقه جارية.

يقول الدكتور الجيوشي: ومن تعاليم الباب ومن تبعه، أن يبقى الأموات في البيوت تسعة عشر يوما وليلة لا يفارق الميت أحدا من أهله، وتوقد عنده المصابيح والسرج، ويكفن

---

(١) الشيخ نصر الدين محمد البنغالي - البابية الأصول والغايات ص١٢٣ .

(٢) ومظهر الله كفكرة دائما تراها في البابية كأنها حيلتهم الوحيدة أو المذهب الذي عليه يعتمدون.

(٣) الأستاذ تهامي محمد عبدالعظيم الدويني - البابية في مراحلها الولى ص٩٧ .

(٤) القس أنور جورجي - عتبات الأبدية ص٣٧ - مطبعة المحبة ١٩٦٣م.

(٥) القس ملاك مرقس - كنيسة المسيح ص٨٧ - طبعة در المودة ١٩٥٧م.

في خمسة أثواب من حرير وقطن، ويغسل خمس مرات بماء طاهر مخلوط بماء الورد، ثم يعقب على ما حكاه عنهم بقوله: والحقيقة أن هذه أمور خارجة عن نطاق العقل، فكيف يمكن الاحتفاظ بالميت مدة تسعة عشر يوما، مع عدم مفارقة أهله له هذه المدة[1]، ويزداد العجب والاستغراب من تعاليمهم، التي لا يصدقها عاقل، ان تجد لدى البعض منهم متسعا لها، واحتفاء بها أو ترديدا.

❁ وفي تقديري: أن كافة المسائل التي تعرض لها الباب وشيعته، إنما هي خيال أصحابه، بجانب الوثنيات التي وقف عليها، مضافا إلى ذلك الدعم الفكري الذي أسقطه اليهود على الرجل إسقاطا، ثم الصيغ اللفظية والفكرية التي رتبوها له، وجعلوا أفكاره ومن بعده تدور في فلكها، وبالتالي فمعتنقي البابية غير مؤمنين بالله تعالى، قال جل شأنه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما﴾[2].

وقد حذرنا الله جل شأنه من الانزلاق إلى مزالق اليهود والخبط في مدارجهم؛ لأنهم عقدوا العزم على حرب الإسلام والمسلمين. قال تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾[3].

وقد ذهب أهل البغي ببغيهم، وبقي أهل الصلاح بصلاحهم، والكل سيعرض على الله تعالى ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾[4].

---

(١) الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي – البابية والبهائية ص١١٨.

(٢) سورة النساء – الآية ٤٨. وقال أيضا: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا﴾ سورة النساء – الآية ١١٦.

(٣) سورة البقرة – الآية ١٢٠.

(٤) سورة الأنبياء – الآية ٩٤.

يقول العلامة القرطبى : « فى الآية مسألتان:

* **الأولى: قوله تعالى: : ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** المعنى: ليس غرضهم يا محمد بما يقترحون من الآيات أن يؤمنوا، بل لو أتيتهم بكل ما يسألون لم يرضوا عنك، وإنما يرضيهم ترك ما أنت عليه من الإسلام واتباعهم(1). والملة: اسم لما شرعه الله لعباده في كتبه وعلى ألسنة رسله. فكانت الملة والشريعة سواء، فأما الدين فقد فرق بينه وبين الملة والشريعة، فإن الملة والشريعة ما دعا الله عباده إلى فعله، والدين ما فعله العباد عن أمره.

* **الثانية: تمسك بهذه الآية جماعة من العلماء** منهم الأمام أبو حنيفة والشافعي وداود وأحمد بن حنبل على أن الكفر كله ملة واحدة، لقوله تعالى: "ملتهم" فوحد الملة، وبقوله تعالى: "لكم دينكم ولي دين"(2)، وبقوله عليه السلام: [لا يتوارث أهل ملتين](3)، على أن المراد به الإسلام والكفر، بدليل قوله عليه السلام: [لا يرث المسلم الكافر](4).

---

(١) يقال: رضي يرضى رضا ورضا ورضوانا ورضوانا ومرضاة. وهو من ذوات الواو. ويقال في التثنية: رضوان. وحكى الكسائي: رضيان. وحكي رضاء ممدود. وكأنه مصدر راضى يراضي مراضاة ورضاء. "تتبع" منصوب بأن ولكنها لا تظهر مع حتى. قاله الخليل. وذلك أن حتى خافضة للاسم. كقوله: "حتى مطلع الفجر" [القدر: ٥] وما يعمل في الاسم لا يعمل في الفعل البتة. وما يخفض اسما لا ينصب شيئا. وقال النحاس: "تتبع" منصوب بحتى. و"حتى" بدل من أن. (العلامة القرطبى – تفسير القرطبى- ج٢ ص٩٣)

(٢) سورة الكافرون – الآية ٦ .

(٣) الإمام سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٤٢٤ – باب لا يتوارث أهل ملتين – الحديث رقم: ٢١٠٨ : عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث أهل ملتين. وأخرجه ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج:٢ ص:٩١٢ – الحديث رقم: ٢٧٣١ . وأخرجه الإمام أحمد – مسند أحمد ج: ٢ ص: ١٧٨ – الحديث رقم: ٦٦٦٤

(٤) الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ٣ ص: ١٢٣٣ – كتاب الفرائض – الحديث رقم:١٦١٤ عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يرث المسلم الكافر ولا يرث الكافر المسلم » وأخرجه الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ٦ ص: ٢٤٨٤ – باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له – الحديث رقم:٦٣٨٣ . وأخرجه الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٤٢٣ – باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر – الحديث رقم:٢١٠٧ . وأخرجه الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ٩١١ – باب ميراث أهل الإسلام من أهل الشرك – الحديث رقم:٢٧٢٩ . وأخرجه الإمام أحمد – مسند أحمد ج: ٥ ص: ٢٠٠ – الحديث رقم:٢١٧٩٥. وراجع علل ابن أبي حاتم ج: ٢ ص: ٥٠ – علل أخبار رويت في الفرائض – الحديث رقم: ١٥٣٤ .

وذهب مالك وأحمد في الرواية الأخرى إلى أن الكفر ملل، فلا يرث اليهودي النصراني، ولا يرثان المجوسي، أخذا بظاهر قوله عليه السلام: (لا يتوارث أهل ملتين)، وأما قوله تعالى: "ملتهم" فالمراد به الكثرة وإن كانت موحدة في اللفظ بدليل إضافتها إلى ضمير الكثرة، كما تقول: أخذت عن علماء أهل المدينة – مثلا – علمهم، وسمعت عليهم حديثهم، يعني علومهم وأحاديثهم[1].

وكأني به وأمثالهم قد عناهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا * أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾[2].

في نفس الوقت؛ فإن الباب قد سن لأتباعه بعض اللوائح التي زعم أنها تسير أمورهم الحياتية، من ذلك:

(١) كل من يضرب شخصا لأي نوع كان الضرب، يعاقب بالغرامة المالية، التي لا تزيد على عشرين مثقالا من الذهب، وكل من يرفع صوته بحضرة الأكبر منه يدفع عشرة مثاقيل فقط من الذهب، أما إذا كان رفع الصوت ومظهر الله في ذات الجلسة؛ فإن العقوبة تضاعف إلى عشرين مثقالا، ولا تزيد عليها متى كان ذلك بعيدا عن الاعتراض، أما إذا كان معه اعتراض على ما سنه مظهر الله؛ فإن العقوبة تزداد إلى أربعين مثقالا حماية لكم، وصونا لأنفسكم من نزعاتكم، أو أن يدفع بكم إلى اللغو بما أظهره لكم ربكم[3]، ولا يخفى ما فيه من فساد ظاهر، ورغبة ملحة في الإمساك بالمال، والحرص عليه.

---

(١) العلامة القرطبي – الجامع لأحكام القرآن – ج٢ ص٩٣.

(٢) سور الكهف – الآيات ١٠٣/١٠٦.

(٣) الأستاذ عوض محمود داود – البابية حركة هدامة ص١٠٢.

(٢) سن ضرائب مالية على رأس المال الثابت والمتحرك، كما سن ذلك فى الأرباح بأنواعها المختلفة، ولم ينظر إلى معالجة مسألة الكسب، هل هو حلال أم حرام، كما لم ينظر إلى طبيعة الربح، وهل هو من تجارة فى حلال أم فى حرام، إنما كان شاغله الأول جمع المال، وقد كان فى كل ذلك مخالفا ما جاء به دين الإسلام، حيث يقول: « أيها الأحباب: عليكم فى كل المال مفروضات بديلة تدفعونها فى كل شهر مرة، فإذا لم يدفع من وجبت عليه؛ فإنها تتضاعف فى حقه »[١]، فإذا لم يدفعها فى عامين على التوالى؛ فإن المفروضات البديلة تتضاعف هى الأخرى[٢]، ولست أدرى ما قيمة تلك الضرائب على ناحية النسبة المئوية أم أنه يطالب بدفعها على قدر اجتهاد الدافع لها فقط دون نظر إلى نسبة مئوية من غيره.

ولا شك أن هذه الضرائب كانت تمارس فى سنها من خلال الفكر الوثنى والنظام الفارسى، أما فى الإسلام فلا يوجد شيء من ذلك؛ لأن أوجه الانفاق التى دعا إليها الشرع الشريف، وحث عليها تغنى عن كافة الضرائب، وكلما كانت النفوس المؤمنة ملتزمة بشرع الله، فإن عوارض الحياة لا يكون لها من سلطان عليها، أما وقد دفع الباب الشيرازى الناس إلى تلك الضرائب، فقد أعلن عن أسس نحلته، وأنها تقوم على أنماط الفكر والأنظمة الفارسية، ولا علاقة لها بالأصول العامة، والقيم الثابتة فى الشريعة الإسلامية[٣]؛ لأن الضرائب لم تكن معروفة فى سنوات الإسلام، وإنما المعروف هو الزكوات والصدقات، ولا يغنى ما سنه الخلق بحال من الأحوال عن ما شرعه الله الخالق جل علاه.

(٣) أوجب على أتباعه أن لا يكون فى حوزة أحدهم أكثر من تسعة عشر كتابا؛ لأن العدد تسعة عشر له أهمية كبرى فى حساب الجمل عند الباب وأتباعه من الناحية

---

(١) العلامة الشيخ محمد عبدالعاطى الدنيورى – البابية الأصول والغايات ص٩٣ .

(٢) الأستاذ محمود محمد شعيب – البابية الحركة الهدامة .

(٣) الأستاذ نوار محمود الشريف – أثر الفكر الفارسى على الباب ص٥٨ .

الروحية[1]، وكما هو معروف عنه، فقد جعل الرقم ١٩ يحتل مكان الصدارة فى كل شيء عندهم، حيث جعل السنة تسعة عشر شهرا، والشهر تسعة عشر يوما، وبهذا يتبين أن للماسونية دخلا كبيرا فى كل فكرة تعرض لها الباب.

(٤) ألغى وجوب الاغتسال على النساء من الجماع والحيض والنفاس؛ لأن المرأة عنده طاهرة، فلا تنجس بشيء، مخالفا بذلك أبسط قواعد النظافة، بجانب إهمال النصوص الشرعية التى أوجبت على الرجل والمرأة الاغتسال من الجماع[2]، كما أوجبت على المرأة الاغتسال من الحيض والنفاس، وعرف عند الفقهاء باسم الاغسال الواجبة، وكان فقهاء الإسلام حريصين على بيان الأغسال المسنونة من الأغسال الواجبة، حتى تمايز كل منهما فى مجموعها عن الأخرى، ولكن ما تفعل مع الباب، وقد عقله، ثم قذفه فى الأرض، وراح يضربه بقدميه ما وسعه من ضرب.

يقول الشيخ الطير: « تلك خلاصة معتقدات الباب وتشريعاته الشاذة، التى لم تدع إليها ضرورة، بل دعا إليها خباله وغروره؛ فإن تشريعات الإسلام أثبتت صلاحيتها عبر الأجيال الغابرة؛ لأنها شريعة الله الذى يعلم مصالح عباده، ثم ما هو الداعى لقصر الصيام عنده على فصل الربيع، حتى يكون عيد الفطر يوم النيروز، ولو كان يفهم لما جنح إلى ذلك، فإن المقصود من الصوم هو تعويد النفس على احتمال المشاق، والصبر عليها فى الحر والبرد، والاعتدالين الربيعى والخريفى، ولذلك أثره فى حسن السلوك والمران على تقبل بأساء الحياة وضرائها، ولكنه أراد أن يكون نبيا له شرع، فابتدع ما حلاله، ونسى أن سيدنا محمد ﷺ الذى يعترف الباب بنبوته، وما نزل عليه من القرآن هو خاتم النبيين بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[3].

---

(١) الشيخ مصطفى الطير – البابية والبهائية فى الميزان ص٧٥ .

(٢) الشيخ محمد عبدالعظيم عثمان – البابية وأصولها ص١٨٣ .

(٣) الشيخ مصطفى الطير – البابية والبهائية ص٧٦/٧٧ .

◈ وربما يتساءل المرء عن وجود رقم ١٩ بشكل واضح في كل ما ذهبت إليه نحلة البابية أفراد أو جماعات؟

* **والجواب:** أن الحروف والأعداد تحتل مكانة بارزة في الفكر البابي، باعتبار أنه كان يمارس ذلك في مطلع شبابه، كما أنه يتابع فرق الباطنية الذين كانوا يهيمون بالأعداء ويتعلقون بأسرارها، بل ويزعمون أنها ذات أسرار خاصة بها، لا يعرفها إلا من أمكنه اقتناصها، ويربطونها بالعقائد الدينية ربطا محكما، كما كانوا يرتبون عليها العديد من أمور حياتهم المستقبلية، وبالتالي؛ فقد كان الرقم ١٩ وضع خاص ودلالة مستقلة بلغت به في نفوسهم بهم حد التقديس له. أذكر من ملامح تقدسهم لهذا العدد ما يلي:-

(١) جعلوا عيد النيروز الفارسي هو عيد الفطر، وقد اعتبر البابيون مدة عيد الصيام هذا ١٩ تسعة عشر يوما(١).

(٢) جعلوا شهور السنة ١٩ شهرا.

(٣) جعلوا أيام الشهر ١٩ يوما(٢).

(٤) جعلوا عدد مرات الطلاق من الرجل ١٩ طلقة.

(٥) جعلوا عدد مرات الطلاق من المرأة ١٩ طلقة(٣).

(٦) زعموا أن عدة المرأة المطلقة ١٩ طلقة.

(٧) زعموا أن على الرجل المطلق عدة، وأنها تسع عشرة طلقة. عدة الرجل المطلق ١٩ طلقة(٤).

(٨) ذكروا أن شهر الصيام ١٩ يوما.

---

(١) مع أنهم في حياتهم لا يمارسون الصيام على الناحية الشرعية كالذي نفعله نحن المسلمين. إنما يذهبون إلى ممارسة نوع خاص من الصيام له مواصفات وضعوها بأنفسهم ثم طبقوها على بعضهم.

(٢) وهم بهذا يخالفون النقل المنزل في قوله تعالى: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كآفة كما يقاتلونكم كآفة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [سورة التوبة – الآية ٣٦].

(٣) جعلوا الطلاق بالزيادة على ما شرعه الله. كما فرضوا على الرجل أن يقبل طلاق امرأته كما تقبل هي طلاق زوجها لها.

(٤) هذا كله مما أنتجته عقولهم. ولا علاقة في شيء منه أبدا بكتاب الله أو سنة رسوله. وهو مردود عليهم.

(٩) زعموا ضرورة أن يحيى شئون البابيين جماعة مكونة من ١٩ عضوا .
(١٠) جعلوا الصلاة ١٩ ركعة .
(١١) رقم كتابة البيان تسعة عشر واحدا .
(١٢) جعل كل -واحد- لوح من البيان مقسما إلى ١٩ بابا[١] .
(١٣) زعموا ان ترديد كلمات الآذان يجب أن يستمر ١٩ مرة .
(١٤) جعل الكتب التى يحتجزها الواحد منهم لا تزيد ١٩ كتاب .
(١٥) جعل عقاب المخالفات الصغيرة أيا كان نوعها ١٩ يوما .
(١٦) جعل المفروضات البديلة ١٩ مثقالا تضاعف إلى ٩٥، وهو خمسة أضعاف العدد الأول ١٩[٢] .
(١٧) جعل عقاب المخالفات فى القتل احتجاز الرجل عن امرأته ١٩ عاما .
(١٨) جعل عقاب المخالفات فى تعاليم الجماعة البابية ١٩ شهرا .
(١٩) جعل عدة الأرملة ٩٥ يوما وهى خمسة أضعاف العدد ١٩ .
(٢٠) جعل التسبيح فى السجود ١٩ تسبيحه .
(٢١) طلب ملازمة أهل الميت له ١٩ يوما .
(٢٢) طلب إلا يستضيف المرء ١٩ شخصا مرة إلا كل ١٩ يوما[٣] .
(٢٢) جعل المفروضات البديلة عن اليمين فى الطلاق والعتاق ١٩ مثقالا ذهبا .
(٢٤) جعل غرامة التملك لمن يزد على تسعة عشر كتابا ١٩ مثقالا من الذهب .

---

(١) رغم أن هذا البيان ثبت عندهم زيفة. وبطلان ما يحمله من أفكار. وهم أنفسهم قد أنكروه فيما بعد.

(٢) تتكرر المفروضات البديلة لدى البابيين فى كل التعاملات تقريبا. بل إنهم فى طقوسهم يقدمون ذات المفروضات البديلة، حتى صارت كأنها ذات صكوك الغفران. إن لم تكن قد اقتبست منها.

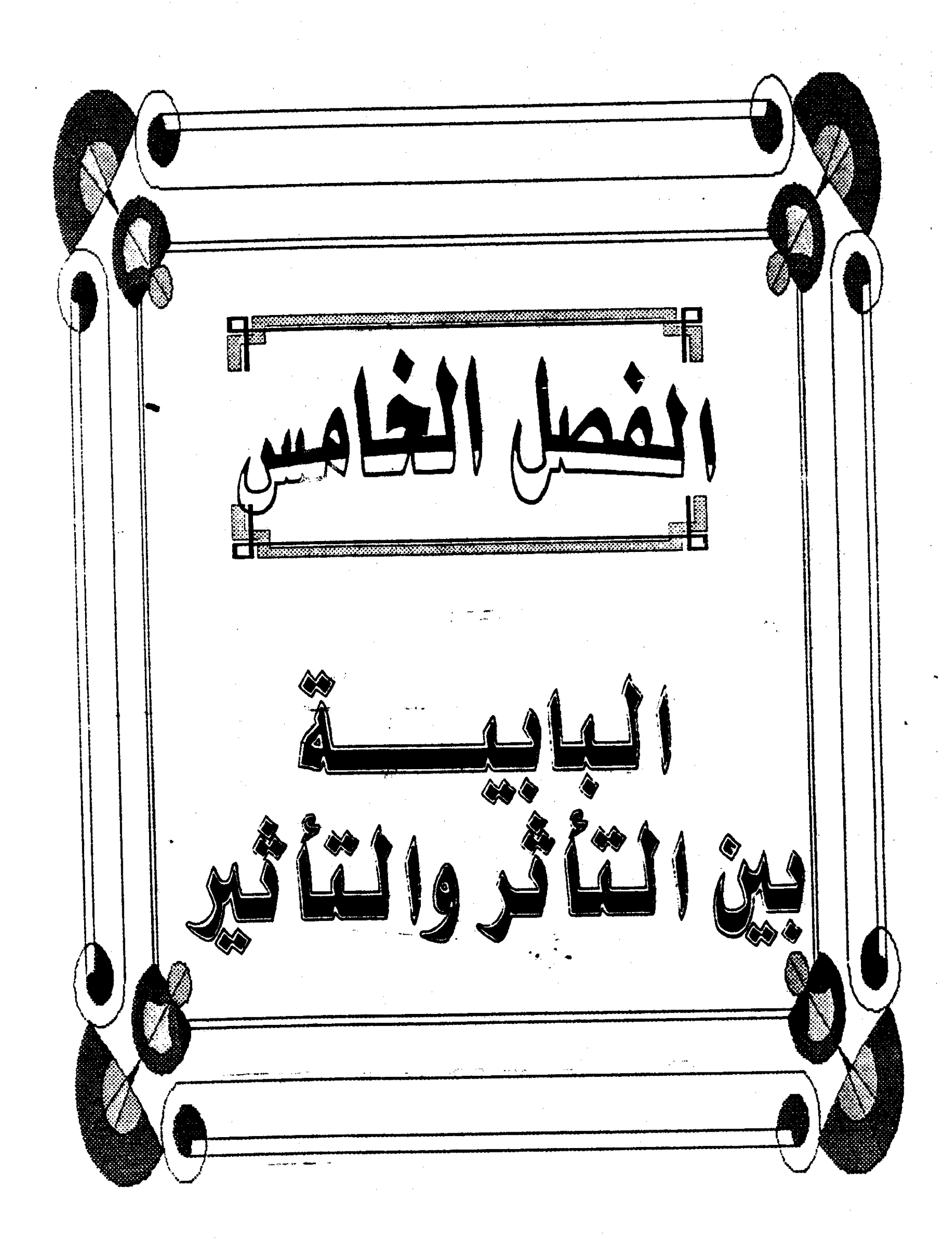
(٣) وهى كلها طلبات فى غير موضع صحيح. إذ الاستضافة تتعلق بظروف الناس المعيشية وإمكانية استمرار تلك الاستصام من عدمه فلا تنظمها قواعد مكتوبة.

(٢٥) تأمر بتلقين الميت عند دفنه ١٩ مرة عبارة إنا كل لله عابدون، إنا كل له ساجدون، إنا كل لله قانتون، إنا كل له من عاملون.

(٢٦) أن يبقى الميت فى بيته تسعة عشر يوما وليلة لا يفارقه أحد من أهله[1]، فهل بعد هذا يمكن النظر إلى البابية على أنها نحلة إسلامية، أظنك سوف تصدر الحكم بأنها ليست كذلك، وإنما حمل أصحابها أسماء إسلامية، ثم خرجوا على الإسلام فى أصوله العامة وكفروا به على كل ناحية.

---

(١) هى أفكار شاذة وقليل من الناس هو الذى وقف معهم وعزف على قيثارته ثم تخلى عنه.



الفصل الخامس

البابية بين التأثر والتأثير

ذكرت أن البابية قد تأثروا بالفكر الوثنى، حتى اعتبرناه أحد المصادر المهمة فى ثقافة الباب، ومن سار سيرته، كما أنهم تأثروا بالفكر اليهودى فى جانبه التدميرى، عندما اعتبروا العهد القديم كتابا مقدسا، وتمسكوا بكل ما فيه بزعم أنه منزل من عند الله كباقى الكتب السماوية، أو أنه التوراة بعد تحريف بعضها على أكثر تقدير، مع أن الكتاب المقدس - العهد القديم - لا علاقة له بالتوراة الإلهية أبدا[1].

فى نفس الوقت ألمحت إلى أن المسيحية قد أثرت فى الباب تأثيرا واضحاً، وبخاصة فى تصوراته المتعلقة بالجوانب التى فيها انتقال الروح إلى جسد غير التى هى فيه عن طريق الحلول والاتحاد الذى يزعمه دعاة المسيحية، من أن الإله ثلاثة فى واحد، أو واحد فى ثلاثة[2]، وأنه تعلق بما نقل عنهم وتمسك به زاعماً أنه دين سماوى مع أنه لا علاقة له شيء من ذلك.

كما ذكرا أن الباب قد استفاد من التناسخية أصحاب الحول والاتحاد على سبيل التناسخ الروحى، وأن جسم أى إنسان تستطيع الانتقال والحلول فى جسم إنسان آخر مع بقاء الحال فى إمكانية العودة إليه مرة أخرى، وذكرت أنها أفكار وثنية لا تعترف بحقيقة علمية، كما أنه لا اتصال لها بشيء حقيقى أبداً، وإنما هى وهميات قام أمرهم عليها.

بيد أننى قد أشرت إلى أن الأفكار الشيعية كان لها دور كبير فى تكوين الباب على الناحية الفكرية، وصياغة آرائه صياغة خرجت بهم من الجادة إلى الهزل المطلق، وبخاصة تلك التى كان ينادى بها الشيخ أحمد الاحسائى، وكاظم الرشتى التى نادت بفكرة عودة الإمام الغائب، وتركيزهم على أنه كان مظهر الله، وأن هذا المظهر الإلهى لا ينقطع، وإنما يجيء على الدوام فى شخص معين، وأن الباب اعتبره نفسه ذلك الشخص الغائب، الذى يظهر فيه الإله حتى سمى نفسه مظهر الحق.

---

(١) راجع للشيخ عطية إبراهيم الشوادفى - دراسات فى التوراة ص١٦٥ .

(٢) راجع فى هذا الشأن للقس موريس حنا - الله واحد فى ثالوث ج١٣ طبعة كنيسة أدنبره.

وقد عرضت لذلك كله على سبيل التصريح به تارة، والتلميح أخرى، وذلك مما يجده القارئ الفاضل مطويا بين سطور هذا الكتاب، لكن تأتى نقطة هامة، وهى أن ذلك الفكر قد اعتنقه البعض ممن ينسبون للإسلام، وبعضهم كان محباله معتقدا فيه، بينما البعض الآخر كان متعلقا به عطفا على أصحابه الذين اختيروا بسببه حتى وصل التمسك به حبال المشانق، وبعض أخير تمسك به بدافع التقليد للغير، أو الرغبة فى الانتقام من السلطة القائمة فى بلاده، ولكنى سأحاول تقديم نموذج واحد لهذا التأثر.

يقرر أحد الباحثين: « أن الأفكار التى نادة بها الباب ومن تبعه كانت مزيجا من الفلسفات الأجنبية كالهندية والفارسية واليونانية، التى أثرت على بعض المسلمين، الذين حاولوا التوفيق بين هذه المنتجات العقلية غير المنضبطة وبين الإسلام، فأدت محاولاتهم التوفيقية هذه إلى وقوع التناقض التام بينها وبين الإسلام، حتى انتهى الأمر بأصحابها إلى التأويل المسرف، والتفسير الخاطئ، الذى أبعد الحقائق الإسلامية عن الأذهان »(١). وبنفس المستوى من الحكم على هذه الأفكار اعترف جل الباحثين الذين تعرضوا لتقييم الأفكار المنحرفة التى ظهرت فى البيئة الإسلامية منسوبة لبعض المسلمين.

يقول الشيخ عليان: كنت قرأت البابية للتعرف عليها، فغلبنى القيء أول الأمر، فلما واصلت القراءة فيها كنت أشعر بالدوار، ثم غلبت عقلى على مشاعرى، فإذا هى أفكار شمطاء شاذة تدعو إلى الإباحية، ويخترق حواجز الأمن الاجتماعى والأخلاقى، كما أنها عبارة عن مزيج مختلط من الأفكار الوثنية واليهودية والمجوسية، لم يحسن أصحابها عرضها، أو فصل بعضها عن بعض، وفوق ذلك فهى الكفر بالله ورسله واليوم الآخر، إنها خراب فى كل النواحى، وتدفع إليه على كافة الأنحاء »(٢)، ومتبعها هو الآخر لا شك كافر على كافة الأنحاء أيضا.

---

(١) الأستاذ محمد على الجندى - الدعوات المناهضة للإسلام ص٢٣١ طبعة الدار العربية ١٩٤٧م.

(٢) الشيخ محمد عبدالعاطى عليان - الإسلام وعملاء الاستعمار ص١٢٧ طبعة الدار العثمانية ١٨١٣م.

غير أن هذه الأفكار الإلحادية التي روجها الباب ونحلته قد وجدت لها بعض الأصداء في المجتمعات الإسلامية، حيث خرجت على الأصول الثابتة، وكان يمارس ذلك الخروج بعض من ظنوا بأنفسهم الكمال العقلي أو العلمي، وسمحوا لعقولهم بالتحليق فوق السماوات المغلقة، وجعلوا من أنفسهم زعماء إصلاح ديني، مع أنهم ليسوا من أهل القيادة الدينية ولا هم مؤهلون لها، فوقعوا في الأخطاء التي أدت بهم إلى إنكار الشريعة الإسلامية، والإعلان عن ضرورة الحاجة إلى رسالة ثانية، تصلح الإسلام، ولا مانع لديهم من أن تكون هذه الثانية إسلامية أيضا.

وقد سار هؤلاء في طريق البابية، حيث أعلن بعضهم عن ضرورة تأويل أحكام الإسلام، لتوافق العصر، فإذا لم يمكن تأويلها يكون من الضروري التنازل عنها، لتحل أخرى بدلا منها، بحيث تؤدي الجدية إلى ملاحقة التطورات الاجتماعية، ولا يقف الإسلام جامدا في مواجهة حركة الحياة التي لا تتوقف[1]، وهي نفس الأفكار التي نادى بها البابيون من ضرورة استبدال الشريعة الإسلامية نصوصاً وأحكاما، بحيث تحل بدلا منها الأحكام الوضعية، والقوانين البشرية، وما أشد ضعف هذه الأفكار المنحرفة.

كما أفتى أصحاب الانحراف الفكري بأحكام تعارض نص القرآن الكريم القطعي، حيث أجازوا الربا القليل بحجة أنه غير مضاعف، وبحجة الحاجة لمال القاصر، بل صار القاضي الذي سموه القاضي الشرعي عندهم يحكم بالربا في صناديق الأيتام، كما صار القاضي النظامي عندهم يحكم بالربا أيضا، كما أفتوا بوقف الحدود، وأجازوا أخذ قوانين العقوبات من غير الإسلام، وهكذا وضعوا لأنفسهم وأتباعهم أحكاما تخالف الشرع الإسلامي، بحجة موافقة هذه الأحكام المستخدمة

---

(١) الأستاذ عادل السيد الفلكي – التيارات الفكرية وخطرها على المسلمين ٢١/٢/١٩٩١م.

للعصر، وضرورة أن يوافق الشرع كل زمان ومكان(١)، فنتج عن ذلك كله إبعاد الإسلام عن الحياة بكافة أشكالها وفي كل صورها.

وقد تأثر بالبابية الإخوان الجمهوريون في السودان(٢)، فيذكر زعيم الحزب في كتابه الرسالة الثانية قوله: « إن الإسلام رسالتان: رسالة أولى قامت على فروع القرآن، ورسالة ثانية تقوم على أصوله، وقد وقع التفصيل على الرسالة الأولى، ولا تزال الرسالة الثانية تنتظر التفصيل، وسيتفق لها ذلك حين يجيء رجلها، وحين تجيء أمتها، وذلك مجيء ليس منه

---

(١) حزب التحرير الأردني - رسالة المفاهيم - ص٦ط٢ - القدس ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م. وحزب التحرير هذا حزب الأردن مع مطالع الخمسينات من القرن العشرين. وكان حزبا سياسياً غرضه الوصول إلى كرسي الحكم. فلجأ إلى الدين، حتى يمثل له بعض الحماية. ونظراً لأن القائمين عليه آنئذ لم تكن ثقفتهم الدينية بقدر تطلعاتهم السياسية. فقد وقعوا في الأحكام التي أدت بهم إلى الخروج عن الإسلام كلية، حيث طالبوا بإلغاء التعاليم الإسلامية. حتى تحل بدلا منها القوانين الوضعية. وكان مما طالبوا به عزل الدين الإسلامي ونصوصه عن الحياة المعاصرة. وبالتالي، لجأوا إلى تأويل الأحكام الشرعية. أو القضاء على حجية القيام بها. وتبنوا فكرة التطور التي لم تتركهم وحالهم. بل أخذ التطور الذي تبنوه يلاحقهم. ويأكل منهم حتى تقلص أعداء حزب التحرير وطويت صفحتهم. وانزوى دورهم من مسرح الحياة. وما بقي لهم إلاّ الذكرى التي تجعل الناظر لآرائهم يشمئز من الحديث عنهم. كما يصيبه الغثيان من الأفكار التي حاولوا إعادتها للحياة. وما تستحق إلاّ الردى. (راجع رسالة المفاهيم من أولها إلى آخرها. ففيها الكثير من ذلك).

(٢) حزب ظهر في السودان الشقيق في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين. رأسه شخص يدعى محمود محمد طه. وهو يؤمن بضرورة وجود رسالة ثانية في الإسلام. وقد أصدر رئيس الحزب هذا عددا من الكتب لهذا الغرض من أبرزها/ الرسالة الثانية - الصلاة - الصوم - طريق محمد . تعلموا كيف تصلون. المرأة -. الثورة الثقافية. وأغلب هذه الرسائل والكتب مكتوبة بخط اليد العربي ومصورة بالأوفست. وبعضها مكتوب بالآلة الكاتبة. وقليلها مطبوع بأم درمان. وقد طبعت تلك الكتب عدة طبعات. والحمد لله أن أغلبها تحت يدي.

بد »[١]، فهو يزعم ضرورة الحاجة إلى رسالة ثانية، ورسول جديد مع أمة أخرى، فيطعن بهذا على عقيدة ختم النبوة لسيدنا محمد ﷺ .

ولست أدري؛ كيف سمح لنفسه الزعم بأن الرسالة الأولى جاء بها سيدنا محمد ﷺ وأنها رسالة الفروع، ثم تبقى الأهم، وهي رسالة الأصول التي تنتظر رجلها، وهو محمود طه، وتنتظر أمتها وهي أفراد حزب الإخوان الجمهوريين الذي تزعمه هذا الذي لا يجيد الفهم، ولا يستطيع التفرقة بين الأصول والفروع.

ثم يؤكد على ضرورة اعتقاد الأفكار الشاذة التي نادى بها الباب من قبل، فيقول: « من الخطأ الشنيع أن يظن إنسان ما أن الشريعة الإسلامية في القرن السابع الميلادي تصلح بكل تفاصيلها للتطبيق في القرن العشرين، ذلك لأن اختلاف مستوى مجتمع القرن السابع عن مستوى مجتمع القرن العشرين أمر لا يقبل المقارنة، ولا يحتاج لعارف ليفصل فيه تفصيلا[٢]، فيصبح الأمر عندنا أمام إحدى خصلتين :-

إما أن يكون الإسلام كما جاء به المعصوم بين دفتي المصحف قادرا على استيعاب طاقات مجتمع القرن العشرين، فيتولى توجيهه في مضمار التشريع، وفي مضمار الأخلاق أيضا .

وإما أن تكون قدرته قد نفذت وتوقفت عند حد تنظيم مجتمع القرن السابع، والمجتمعات التي تليه، فيكون على بشرية القرن العشرين إن تخرج عنه، وأن تلتمس حل

---

(١) محمود محمد طه – الرسالة الثانية – القلان الأخير.

(٢) هو كاذب في كل ما ادعاه، لأن الإسلام يستوعب كل العصور ما مضى منها وما هو مقبل. وإلا ما كان الإسلام هو الدين العام الخالد. ودعاة الانحلال وأصحاب التنبؤات الكاذبة والنوايا السوداء يريدون حذف ذلك من الإسلام. حتى تتاح الفرصة لأفكارهم الشيطانية الفرصة في الظهور.

مشاكلها فى فلسفات أخريات[١]، وهذا مالا يقول به مسلم، ومع ذلك فإن المسلمين غير واعين بضرورة تطوير الشريعة، حتى تواكب المستجدات العصرية، ولا يظل الإسلام جامداً.

كما يزعم أنه يوجد فى القرآن تعبيران أحدهما الإسلام، وثانيهما الإيمان، وبالتالى؛ فإن كلا من التعبيرين يمثل أمة مستقلة هما أمة الإيمان وأمة الإسلام، أو أمة المؤمنين، وأمة المسلمين، وقد بذل جهوده فى إثبات وجود هاتين الأمتين، مستدلاً بظواهر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مؤولاً فيها كل نص حتى يوافق ما ذهب إليه[٢]، وما ذهب إليه من جاء بعده من أفراد شيعته التى لا يعرفها أفرادها صواباً لأى نص شرعى.

وكما صنع الباب ونحلته فقد صنع محمود طه وشيعته، خاصة ما يتعلق بالتكاليف الشرعية، حتى ذهبوا إلى أن الكثير من المسائل والأحكام الشرعية لا علاقة لها بأركان الإسلام من هذه القضايا التى رأوا أنها ليست أصولاً فى الإسلام، الصلاة والحج والجهاد والرق ثم الرأسمالية، وعدم المساواة بين الرجل والمرأة فى القوامية، وكذلك يرفضون تعدد الزوجات، والطلاق، وهم ينادون بالشفور ويرفضون الحجاب، ويقولون إن الجمال من صفة الله، فمن حاول إخفاء ذلك الجمال فقد أخطأ فى حق الصانع له[٣].

---

(١) محمود محمد طه – الرسالة الثانية – ص٣ ، وهو بهذا يعلن أن الإسلام الدين الخاتم مجرد فلسفة عجزت عن الوفاء بالمتطلبات الحالية، ولابد من فلسفات أخرى تقوم بهذا الدور. وتلبى احتياجات الأمم المختلفة، حسب مزاعمه الكاذبة، وتصير النبوات كلها من وجهة نزره مجرد فلسفات، فهل يكون عاقلا.

(٢) أسرف محمود طه فى عرض نظريته حول وجود الأمتين – أمة الإسلام وأمة الإيمان، كما أسرف فى التأكيد على أن النبى محمد ﷺ قد جاء بالرسالة الأولى فقط وهى رسالة الإيمان ، وأن الرسالة الثانية: رسالة الإسلام ننتظر الرسول الذى يجيء بها. وهو المأذون له فى الحديث عنها. وإن موعده حان لا محالة سواء أكان ذلك هو المهدى المنتظر. أم هو المهدى الذى يظهر فى السودن على أكتاف محمود طه وشيعته.

(٣) محمود محمد طه – الثورة الثقافية ص١٨ .

وهـم بهذا يستبيحون كل ما هو محرم، ويهدمون كل ما هو في دين الإسلام قائم. يقول الأستاذ جمال البنا: « إن الإخوان الجمهوريين يرون أن الحجاب وتعدد الزوجات والفصل بين الجنسين، ليست أصولا في السلام، وهـم يدعون المرأة للنهوض، ويندون في ألفاظ قارصة سافرة بقضاة الأحوال الشخصية، ويرون فيهـم نمورا من ورق تخفي ضعفها وزيفها خلف الجلاليب المقصبة والقفاطين المزركشة، وأهـم ما يدعو إليه الجمهوريون، ويقومون به هو تزويج النساء دون تعقيدات، ودون مهور[1].

وهـم في ذلك يخالفون النص القطعي في وروده من قوله تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾[2].

يقول العلامة السيوطي: « أعطوا النساء صدقاتهن وهي المهور نحلة وعطية عن طيب نفس فإن طبن لكم عن شيء، فوهبنه لكم فكلوه هنيئا طيبا مريئا محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة»[3]. فالمهر حق الزوجة على زوجها، وليس له أن يجبرها على التنازل عنه بحال من الأحوال، أما إذا تنازلت عنه أو عن بعضه طيبة النفس، فلا شيء في ذلك.

يقول العلامة الطبري: « يعني بذلك تعالى ذكره وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة وفريضة لازمة مسماة[4]. ثم إن النحلة في كلام العرب تأتي بمعنى الواجب فكأن الله تعالى يقول لا ينكحها إلا بشيء واجب لها صدقة يسميها لها واجبة عليه وليس ينبغي لأحد أن ينكح امرأة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا بصداق واجب ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبا بغير حق، سواء أكان ذلك للزوج أم كان لولي الزوجة، فعن أبي صالح قال

---

(١) الأستاذ جمال البنا – الدعوات الإسلامية المعاصرة ما لها وما عليها ص٢١٢/٢١٣.

(٢) سورة النساء – الآية ٤.

(٣) تفسير الجلالين ج: ١ ص: ٩٨.

(٤) تفسير الطبري ج: ٤ ص: ٢٤١.

كان الرجل إذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ونزلت وآتوا النساء صدقاتهن نحلة[١]. وقال آخرون بل كان ذلك من أولياء النساء بأن يعطي الرجل أخته الرجل على أن يعطيه الآخر أخته على أن لا كثير مهر بينهما فنهوا عن ذلك[٢].

قال أبو جعفر وأولى التأويلات أن الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم إلى غيرهم فإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذين قيل لهم فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع هم الذين قيل لهم وآتوا النساء صدقاتهن وأن معناه وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة لأنه قال في الأول فأنكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فأنكحوا فيكون قوله وآتوا النساء صدقاتهن مصروفا إلى أنه معني به أولياء النساء دون أزواجهن[٣].

وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق أن يؤتوهن صدقاتهن دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق[٤]، أما إذا طابت نفس المدخول بها في التنازل عن شيء من صداقها على سبيل التنازل أو الهبة فلا شيء فيه مادام ذلك

---

(١) وهذا الرأى هو إتيان المرأة مهرها – وهو الذى عليه العمل فى المحاكم المصرية. ومن ثم فهم يشترطون عليها أن تكون عارفة بمهرها المسمى لها، وعارفة أيضا بما إذا كان وليها قد قبضه كله عاجلاً أم جعله كله آجلاً، أم جعل بعضه عاجلا والآخر آجلا، لأن ذلك من حقوقها.

(٢) وهذا مما يعرف باسم النكاح البدل فى بعض المجتمعات المصرية، ولو أنه قليل جدا، « وعن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي أن أناسا كانوا يعطي هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يأخذون كثير مهر فقال الله تبارك وتعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » (تفسير الطبرى ٢٤١/٤).

(٣) العلامة الطبرى – تفسير الطبرى – ج٤ ص٢٤١ .

(٤) لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة البقرة – الآية ٢٣٧].

التنازل أو الهبة للزوج، والهني المري معروف عند العرب بأنه ما يقع من تنازل المرأة، يعني بذلك جل ثناؤه فإن وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئًا من صدقاتهن طيبة بذلك أنفسهن فكلوه هنيئًا مريئًا[1]. فعن عبيدة قال قال لي إبراهيم أكلت من الهنيء المريء قلت ما ذاك قال امرأتك أعطتك من صداقها.

ومن الأدلة على أن ما تتنازل عنه الزوجة من مهرها لزوجها، يعتبر هنيئًا مريئًا: أن رجلا دخل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه من شيء أعطته امرأته من صداقها أو غيره فقال له علقمة ادن فكل من الهنيء المريء[2]، وعن ابن عباس أنه قال: إذا كان ما تتنازل عنه الزوجة غير إضرار ولا خديعة فهو هنيء مريء كما قال الله جل ثناؤه.

وذكر المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمي أن أناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال الله تبارك وتعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئًا مريئًا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئًا مريئًا يقول ما طابت به نفسا في غير كره أو هوان فقد أحل الله لك ذلك أن تأكله هنيئًا مريئًا، وقال آخرون بل عني بهذا القول أولياء النساء فقيل لهم إن طابت أنفس النساء اللواتي إليكم عصمة نكاحهن بصدقاتهن نفسا فكلوه هنيئًا مريئًا.

---

(١) والتعبير بلفظ فكلوه هنيئا فيه من أساليب البلاغة ما فيه مما يعجز الجميع عن الإتيان بمثل بلاغته أو دقة عبارته.

(٢) ولاشك أن هذين الوصفين للمتنازل عنه من صداق المرأة يقابلهما وصفان آخران فيهما الشدة والصعوبة متى تم ذلك من غير طيب نفس. فليتأمل الأمر أولو النهى. إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

❖ وإن قال قائل فكيف قيل فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا وقد علمت أن معنى الكلام فإن طابت لكم أنفسهن بشيء وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع وذلك أنه تعالى ذكره قال وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ؟

✼ **والجواب:** أن أما نقل فعل النفوس إلى أصحاب النفوس فإن ذلك المستفيض في كلام العرب من كلامها المعروف ضقت بهذا الأمر ذراعا وذرعا وقررت بهذا الأمر عينا والمعنى ضاق به ذرعي وقرت به عيني كما قال الشاعر

إذا التياز ذو العضلات قلنا إليك ∴ إليـك ضـاق بـها ذراعـا

فنقل صفة الذراع إلى رب الذراع ثم أخرج الذراع[1]، مفسرة لموقع الفعل .

وكذلك وحد النفس في قوله فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا إذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر وأما توحيد النفس من النفوس لأنه إنما أراد الهوى والهوى يكون جماعة[2]، كما قال الشاعر:

جيـف الحسـرى فأمـا عظامـها ∴ فبيـض وأمـا جلدهـا فصليـب

وكما قال الآخر في حلقكم عظم وقد شجينا وقال بعض نحويي الكوفة جائز في النفس في هذا الموضع الجمع والتوحيد فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا وأنفسا وضقت به ذراعا وذرعا وأذرعا لأنه منسوب إليك وإلى من تخبر عنه فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ولم يذهب الوهم إلى أنه ليس بمعنى جمع لأن قبله جمعا[3] .

---

(١) وربما كان هذا من باب تسمية الشيء باسم محلة أو باسم فاعله كما معروف عند أهل البلاغة

(٢) راجع في هذا الشأن : نظرات في سورة النساء للشيخ محمد منصور البطراوى ص١٣٥.

(٣) وذلك من المباحث اللغوية الدقيقة، فمن تأملها وأدرك معانيها فقد ظفر بها، ومن ضاق صدرا بها فماذا يفعل معه أهل البيان؟

قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا أن النفس وقع موقع الأسماء التي تأتي بلفظ الواحد مؤدية معناه إذا ذكر بلفظ الواحد وأنه بمعنى الجمع عن الجمع وأما قوله هنيئا فإنه مأخوذ من هنأت البعير بالقطران إذا جرب فعولج به[1] كما قال الشاعر:

متبذلا تبدو محاسنه .:. يضع الهناء مواضع النقب

فكان معنى قوله فكلوه هنيئا مريئا فكلوه دواء شافيا يقال منه هنأني الطعام ومرأني أي صار لي دواء وعلاجا شافيا وهنئني ومرئني بالكسر وهي قليلة والذين يقولون هذا القول يقولون يهنأني ويمرأني والذين يقولون هنأني يقولون يهنئني ويمرئني فإذا أفردوا قالوا قد أمرأني هذا الطعام إمراء ويقال هنأت القوم إذا علتهم سمع من العرب من يقول إنما سميت هانئا لتهنأ بمعنى لتعول وتكفى[2].

وليس هناك أدنى شك فى أن ما قال به الجمهوريون فى السودان يقترب كثيرا مما قاله البابيون، أن لم يكن هو نفس البئر الذى شرب منه الباب، ثم شرب منه محمود طه، فإذا رجعت إلى الأمر الأول لكل منهما - الباب ومحمود طه - وجدت أن الباب وقع فريسة أفكار الجاسوس الروسى الذى خدع الناس، حين تظاهر بالإسلام، وتزى بزي أهله، ثم أطلق اللحية وردد المفردات اللفظية الإسلامية، كما كان يصنع يهود الدونمة[3]، فى ظل الدولة العثمانية أبن وجود الخلافة الإسلامية.

---

(١) وهو تجاه يعبر عن وجهة نظر جديدة فى طرح المسألة. ومحاولة تعميم أوجه علاجها.

(٢) تفسير الطبري ج: ٤ ص: ٢٤١/ ٢٤٤

(٣) يهود الدونمة مصطلح أطلق على جماعة من اليهود استظلوا بدولة الإسلام أثناء حكم عثمان. فأعلنوا الإسلام خداعاً حتى يضمنوا لأنفسهم مراكز ثابتة. ومواقع متقدمة فى القيادة السياسية. وما كان لهم من غرض سوى الخداع والتضليل والوصول إلى قلب الأمة الإسلامية حتى يجهدوه. وقد تحققوا فى ذلك أعلى قدر من النجاح الذى كانوا ينظرونه. ومازالوا يؤدون نفس الدور حتى انقضت الخلافة الإسلامية. وتمزقت أجزاؤها إلى دويلات صغيرة. أمكن للاستعمار الروسى والإنجليزى والفرنسى أن ينال منها بقدر ما أمكنه. (راجع للأستاذ / محمد شمس الدين الأنبارى: الإسلام والاستعمار ص٩٣٧).

كما أن محمود طه قد وقع فريسة لليهود فى أمريكا حينما سافر للعمل هناك، وقد التقطته اليد الخبيرة بغرس السلة فى النفوس، وزرع النباتات الشيطانية فى جسم الأمة الإسلامية، وقد مكنوا له فى كل ما أراد متمثلا فى إمداده بالمال، والحماية فى بعض الأحيان، بجانب الدعم المادى المتواصل، حتى أعلن عن آرائه، وكان يتبنى كل ما قاله دارون[1] فى جانب الخلق، حتى كأنه داورن نفسه، بل كان أكثر تحيزا لفكرة الخلق التطورى الإحيائى ودفاعا عنها .

وفوق ذلك فقد كان يؤمن بالتثنيث فى كل شيء، ويعتبره العقيدة الثابتة، حيث يقول: « إن التوحيد فى العقيدة أصل طارئ، والتعدد قاعدة ثابتة »[2]، كما يقول: « إن العلم له ثلاث تنزلات: الأول من عين اليقين، الثانى: من علم اليقين . الثالث: من حق اليقين »[3] . ويقول: « إن الصلاة لا تعقد إلا إذا استغرقت ثلاثة مراحل . الأولى: أنها حركة نظرية . الثانية: أنها حرمة أمام الله . الثالثة: أنها حركة لا تحتاج إلى استنجاء أو وضوء، أو مسجد، إنها ذكر وتسبيح »[4] .

والذى تطمئن إليه النفس: أن أفكار محمود طه كأفكار الباب، وإن اليد التى دفعت بكل منهما إلى الساحة، وتكاد أن تكون راصدة الأهداف التى سعى إليها كل منهما واحدة، وهى العدوان على الإسلام الدين الحنيف، ومحاولة صرف الناس عنه، خدمة

---

(١) دارون هو شارل روبرت داروين الطبيعى الإنجليزى المشهور . صاحب الرأى القائل بأن الإنسان متسلسل من سلالة حيوانية، وأن كل الكائنات لها أصل واحد ، أو أصول قليلة. ولد سنة ١٨٠٩م ، وتوفى سنة ١٨٨٢م . راجع دائرة معارف القرن العشرين – محمد فريد وجدى . جـ٤ ص٢٩ – طبعة دار الفكر .

(٢) محمود محمد طه – تعلموا كيف تصلون ص١٣ .

(٣) محمود محمد طه – الثورة الثقافية ص٩ .

(٤) محمود محمد طه – رسالة الإسلام الثانية ص١٥ .

لأغراض خبيثة تقف خلفها عصابات الانحراف المختلفة من اليهود والمجوس بجانب الوثنين، ومن كان على شاكلتهم .

موقفه من الميراث

جعل الله الميراث حقاً لمن يئول إليهم بعد وفاة مورثهم، وذكر موانع الإرث، كما ذكر أوجه استحقاقه، وحتى لا يجور أحد على أحد، فقد بين الله ﷻ كيفية تقسيم الميراث بين المستحقين له وجعل ذلك نصيبا مفروضا . قال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[1] .

يقول الإمام الطبري: « للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللإناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الإناث[2]، فنزلت وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وعن عكرمة قال نزلت في أم كحة وابنة كحة وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الأنصار كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها فقالت يا رسول الله توفي زوجي وتركني وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكأ عدوا يكسب عليها ولا تكتسب فنزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا[3] .

---

(١) سورة النساء - الآية ٧ .

(٢) فمن فعل ذلك تاركا الإناث بلا ميراث، أو مهمشا ميراث الإناث. فهو من أهل الجاهلية، الذين يفعلون ما حرم الله تعالى وليسوا من أهل الإسلام.

(٣) العبرة بعموم اللفظ بخصوص السبب ، وتلك قاعدة مهمة بالنسبة لأسباب النزول.

وقد كان النساء لا يرثن في الجاهلية من الآباء، بل وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وإن كان ذكرا فقال الله تبارك وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون إلى قوله نصيبا مفروضا[1]، وما دامت قد فرضت من الله تعالى؛ فإن قبضها يكون بعد وفاة الميت بما شرع الله تعالى نصيبا مفروضا»[2].

وبين الله سبحانه وتعالى الأسهم المقدرة، والأنصبة المحددة للأولاد والبنات، والآباء والأمهات. قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

كما بين سبحانه وتعالى الأسهم المقدرة للأزواج والزوجات، وكذلك بين ميراث أولاد العمومة الأباعد وهم الكلالة، ثم بين أن هذه حدود الله، ومن ثم فإن المخالفة لها هي الاعتداء عليها، ومن يفعل الاعتداء على ما شرع الله لا يكون مؤمنا به قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) والنصيب المفروض من الله تعالى هو فريضة يجب الوفاء بها. ومن أخل بهذا الوفاء، فقد خالف ما شرعه الله جل شأنه.

(٢) العلامة ابن جرير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – ج: ٤ ص: ٢٦٢.

(٣) سورة النساء – الآية ١١.

(٤) سورة النساء – الآية ١٢.

في نفس الوقت تحدث القرآن الكريم عن ميراث الأخوة والأخوات باعتبار ميراث الكلالة في قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(1).

وقد بينت السنة النبوية المطهرة الصحيحة ما أجمله القرآن الكريم، كما استقلت بتوضيحه على ما هو الشأن في علاقة السنة النبوية بالقرآن الكريم، بل إنها قد استقلت تماماً بما لم يذكره القرآن الكريم فيما يتعلق بميراث الجدات(2)، وعلى هذا كان عمل الصحابة والتابعين ومن تبعهم من أهل العلم بالله إلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(1) سورة النساء – الآية ١٧٦ .

(2) فقد روى الإمام الترمذى – سنن الترمذي ج: ٤ ص: ٤١٩ – باب ما جاء في ميراث الجد الحديث رقم: ٢٠٩٩ : « عن عمران بن حصين قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن ابني مات فمالي في ميراثه قال لك السدس فلما ولى دعاه فقال لك سدس آخر فلما ولى دعاه قال إن السدس الآخر طعمة » وروى أيضا فى باب ما جاء في ميراث الجدة – الحديث رقم: ٢١٠٠ « عن قبيصة بن ذؤيب قال جاءت الجدة أم الأم وأم الأب إلى أبي بكر فقالت أن بن ابني أو بن بنتي مات وقد أخبرت أن لي في كتاب الله حقا فقال أبو بكر ما أجد لك في الكتاب من حق وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى لك بشيء وسأسأل الناس قال فسأل فشهد المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها السدس قال ومن سمع ذلك معك قال محمد بن مسلمة قال فأعطاها السدس ثم جاءت الجدة الأخرى التي تخالفها إلى عمر » .

غير أن الشيعة الاثنى عشرية كانت لهم في موانع الإرث بعض المفاهيم، التي تتفق مع اتجاهاتهم العامة في استعمالهم الألفاظ التي تجري معهم جري القواعد المعمول بها، حيث يرون أن من موانع الإرث الكفر[1].

ولكنهم يفسرون الكفر بأنه كل ما يخرج به معتقده من دين الإسلام، سواء أكان حربيا أم ذميا أم مرتدا أم على ظاهر الإسلام، إذا جحد ما يعلم ثبوته من الدين بضرورة كالخوارج والغلاة والنواصب[2].

ولا شك أن من كان على ظاهر الإسلام لا يملك أحد التنقيب عن قلبه، حتى يعرف ما إذا كان يعتقد الإسلام في داخله، كما يمارسه بظاهره أم لا، كما أن الرسول ﷺ قال: « لم أبعث نقابا عن القلوب » كما أن الحضر عن النوايا أو فيها مما لم يكلفنا الله تعالى به، بل نهى عنه، ففي الحديث الشريف: « عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا عليه بالإيمان قال الله عز وجل إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر»[3]، ولم يطلب منا أن نبحث عن نيته، أو نبحث بداخله، فمن أين جاء الشيعة بهذه المفاهيم التي تكلف الناس البحث في النوايا، وهي ملك الله وليست ملكا لغيره.

غير أن الأمر تطور حتى وصل إلى أن من موانع الإرث اندراج الفرد في طائفة أو مذهب يخالف ما عليه الميت مهما كانت عقيدته في الله صحيحة وعبادته له جل شأنه سليمة، بل اختلفوا في التوارث بين فرق الشيعة أنفسهم، كالحال بين الجعفرية والزيدية، أو بين

---

(١) موانع الإرث خمسة عند جميع فرق المسلمين هي: ١- اختلاف الدين. ٢- الرق. ٣- القتل. ٤- الردة. ٥- اختلاف الدار في السلم والحرب.

(٢) الدكتور علي أحمد السالوس – مع الشيعة الاثنى عشرية في الأصول والفروع موسوعة شاملة ج٤ ص٢٣٤ – طبعة دار التقوى بالقاهرة.

(٣) سنن البيهقي الكبرى ج: ٣ ص: ٦٦ – الحديث رقم: ٤٧٦٨

الجعفرية والإباضية، وأكثرهم يرى أن المسلمين يتوارثون وإن اختلفوا فى المذاهب، ويذهب بعض الإمامية إلى أن جاحد الإمامة كالجعفرى الرافض لا يرث المؤمن على حين يرث المؤمن غيره، كما يرث المسلم الكافر(1)، فلم تعد لديهم ثوابت فى موانع الإرث، يمكن الوقوف بها على شاطئ أمن.

كان من جراء ذلك أن انفرد الاثنا عشرية بإباحة تمييز الابن الأكبر فى الميراث بغير عوض لإخوته فى حدود بعض الأشياء الخاصة بالميت، سواء أكان الميت هو الأب أم الأم، وذلك كالمصحف والسيف والمضيفة قاعة استقبال الضيوف بالنسبة للأب، والممتلكات الخاصة بالنسبة للأم كالكحلة والخلخال وفرن صناعة الخبز، أو بعبارة أخرى سمحوا للابن الأكبر الاستئثار بالمنافع الهامشية لكل من الأب والأم(2).

كما جعلوا للإمام الظاهر الحق فى جزء من التركة، متى لم يكن الوارثون قد استوفوا الأنصبة فيها، بمعنى أنه لو كان فى المسألة(3) رد؛ فإنه يكون من نصيب الإمام

---

(١) العلامة محمد الجواد بن محمد الحسينى العاملى – مفتاح الكرامة شرح قواعد العلامة = كتاب الفرائض ص٣٥. وهو موسوعة فقهية عندهم. وقد طبعت هذه الموسوعة ما بين أعوام ١٣٢٣هـ/١٣٣١م.

(٢) راجع النور الساطع فى الفقه النافع للعلامة على كاشف الغطاء وهو من أكابر علماء النجف المشهورين. بل إن عائله كاشف الغطاء لهم مجهودات كبيرة فى خدمة القضايا التى يتناولونها، يستوى فى ذلك موقفهم من العقيدة والشريعة والأخلاق.

(٣) أحوال الميراث فى هذه الناحية ثلاثة: الأولى : التوافق، بمعنى أن تتوافق أجزاء التركة مع الورثة، فلا يوجد زيادة على أحدهما. أو نقصان من الآخر. الثانى : الرد وهو زيادة فى التركة لا تقابلها زيادة فى الورثة. كالحال فيما لو مات الميت وترك زوجة وبنتا، فإن الزوجة ترث الثمن فرضا، والبنت النصف فرضا. ثم يبقى الثلاثة أثمان هى زائدة على أنصبة مستحقى التركة. فترد على الورثة طبقا لما هو قائم فى الشريعة الإسلامية. الثالثة: العول وهو زيادة فى الورثة لا تقابها زيادة فى التركة. كالحال فيما لو ماتت الميتة، وترك زوجا وبنتين، وأبا؛ فإن للزوج الربع فرضا وللبنتين الثلثان فرضا، وللأب السدس فرضا وللأم السدس فرضا، فيكون أصل المسألة هو ١٢ للزوج ١٢/٣ الربع، وللبنتان ١٢/٨ الثلثان، وللأب ١٢/٢ السدس، وللأم ١٢/٢ السدس، فيحصل العول، حيث يكون أصل المسألة الجديد هو ١٥ أو ليس ١٢ حتى يواجه هذا التقسيم أسهم أصحاب الفروض فى المسألة وهو المعروف لدى الفقهاء باسم العول. (راجع فى المسألة: الفقه على المذاهب الأربعة، وكذلك حاشية الباجورى وغيرها من كتب الفقه الإسلامى).

الظاهر، أما إذا لم يكن الإمام الظاهر قائماً، وكان الزمان هو زمان الإمام الغائب؛ فإن الرد يتم على أفراد الأسرة، وبخاصة الزوجين، لكن متى أخذ الإمام الظاهر في الميراث مرداً عليه: فإن له الحق أن يصنع به ما يشاء[1].

نظر الباب إلى هذه الاختلافات في المفاهيم التي تقع بين فرق الشيعة وطوائفها المختلفة، فظن أن هذه الاختلافات يمكن أن تكون في الأصول كما هي في الفروع، ونظراً لكونه غير عارف بدقائق الأمور الفقهية، فضلاً عن ظواهرها، فقد اعتبر نفسه صاحب حق في المسألة، حتى يصدر فيها الآراء التي ظن أنها تقدم جديداً في المسألة.

وقد ساعده على ذلك الفهم الخاطئ الدعم المتواصل لأفكاره من أصحاب الفكر الوثني، بجانب بروز فكرة الإمام الغائب، والإمام الظاهر في الشيعة، حيث قد اختلف الشيعة في زمن الغيبة، فقال فريق منهم أنه يحتفظ بحقه في التركة التي يقع فيها الرد عليه لحين ظهوره.

وقال آخرون لا يحتفظ له بشيء من تلك التركة، وإنما يصرف على المحتاجين من الجعفرية، وذهب فريق ثالث إلى أنه ملك لفقهاء الشيعة الاثني عشرية؛ لأنه مادام للإمام حق التصرف فيه؛ فإن ولاية الفقيه تحل محل ولاية الإمام الغائب، وبالتالي؛ فإن للفقيه الحق في التصرف فيه، ولكنه لا يعطي بحال للحكام الجائرين، إلا في حالة الخوف منهم والقهر الذي يمارسونه، فإنه يعطى لهم تقية منهم وفراراً من بطشهم وظلمهم[2].

---

(١) الدكتور علي أحمد السالوس مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع ج٤ ص٢٣٥ .

(٢) راجع أجود التقريرات في الأصول للسيد أبي القاسم الخوئي - مكتب المصطفوي بقم . البرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني ط٢ طهران . وتجريد الأصول للمولى محمد مهدي - مطبعة السيد مرتضى ١٣١٧هـ وتنقيح المقال لعبيد الله المامقاني - المطبعة المرتضوية بالنجف ١٣٥٢هـ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب لعبد الحسين أحمد الأميني - ط١ دار الكتاب العربي بيروت ط٣ .

إذن؛ قرر الباب الشيرازي العبث بأحكام الميراث الشرعي كلها، كما عبث بغيره من التكاليف الشرعية على النحو الذي سلف، ومن ثم فقد زعم ما يلي:-

أ- مساواة الرجال بالنساء في الميراث

زعم الباب أن الميراث منحة وحق، وبالتالي؛ فكل الرجال والنساء فيه سواء بعدد الرءوس، ولا عبرة بالنوع، من كونه ذكراً أو أنثى. يقول الباب: « خلق الله الناس صنفاً واحداً ذكراً وأنثى، وأفاض عليهم مال ورثتهم، فهم شركاء فيه، حتى يكونوا أحباء، ولا تمايز بينهم، حتى لا يكونوا أعداء، فكما يصرف الرجل تصرف المرأة، وكما خلق الله الرجل كذلك خلق المرأة، وكما يجب الرجل فكذلك تجب المرأة، فهم في الحياة سواء، وهم في التركة كذلك سواء[1] ».

وبناء عليه؛ فقد ألغى من ذاكرته وأحكامه قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[2]، وذلك مما يتمشى مع طبيعة الباب الفوضوية، ورغبته الدائمة في التحلل من القيم والشريعة الإسلامية، بجانب ما زعمه من كونه نبياً جديداً، ومن ثم؛ فمن حقه نسخ وإلغاء الأحكام التي جاءت به الشريعة الإسلامية، وهو كاذب في كل ما زعمه، مفتر في كل ما ادعاه؛ لأن الله تعالى جعل للرجل ضعف ما للأنثى لحكم يعلمها جل شأنه، وقد حاول بعض العلماء الاجتهاد في التعرف على أسباب لها بعضهم أصاب كثيراً، وبعضهم أصاب قليلاً.

ب- التمايز السني

زعم الباب أن الصغير لا يحتاج نفقات كثيرة، وكذلك المسن الطاعن في العمر، وأن أبا أصحاب المراحل السنية المتوسطة من ٢٠/٤٥ فهم أصحاب نفقات متعددة، وحاجات متكاثرة، وبالتالي؛ فإنه يجب تمايزهم عن غيرهم في الميراث، يقول الباب: قلت

---

(١) الأستاذ طلبه عبدالباقي محمد عويس – الدعوات الهدامة ص٩٨ . وراجع كذلك للأستاذ ثابت الطويل التأويلات الفاسدة والفرق المنحرفة – البابية ص١٩٥.

(٢) سورة النساء – من الآية ١١.

بالمساواة بين الذكر والأنثى، وذلك في كل مرحلة سنية، فالأطفال يتساوون في الميراث ذكورا ونساء، والكهول يتساوون في الميراث ذكورا ونساءا، والشباب كذلك يتساوون في الميراث ذكوراً ونساء[1]. وبالتالي؛ فهو يدعو للمساواة بين الجنسين، متى كانا في مرحلة سنية واحدة.

أما إذا اختلفت المراحل السنية بأن كان في الورثة صغير السن ذكر ومعه أنثى شابه، فإنه يرى تفضيل الأنثى في هذه الحال؛ لأن نفقاتها أكبر، واحتياجاتها أكثر من الصغير، فلا يتساويان، وكذلك لو كان في الورثة مسن كهل وشاب، فإن الكهل لا يتساوى مع الشاب في عدد الأسهم من التركة؛ لأن الكهل نفقاته أقل والشاب نفقاته أكثر، والميراث قد شرع لجبر أصحاب الاحتياجات، وهو كاذب في كل ما يزعمه.

يقول الباب: «أيها الأحباب توارثوا التركات بينكم، إناثكم كذكوركم، لا فرق بينهم وبينكم، واجعلوا التركات جبرا للاحتياجات، فليكن الشبان والشابات أصحاب الكفاءات، حتى تعتدل معهم الاحتياجات، أما الصغار والكهول فأمرهم موكول، فلا يتساووا مع الشباب، وإنما يكونوا أقل حظا منهم بتقدير ظروف كل منهم[2].

وهكذا فقد تحول الميراث معه من شريعة مفروضة، وأسهم مقدرة. قال الله فيها ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ إلى نزعة ذاتية يسيطر فيها الأنا الذاتي على الأنا الآخر، حتى ينعدم أو يتلاشى؛ لأن مقدار التمايز الذي يطالب به غير محدد من جانبه، ولا توجد نصوص صريحة في مقداره، وإنما تركه لنزعات الأفراد ورغباتهم الذاتية، وبالتالي أضاع الميراث على كل ناحية وعكس الأمور؛ لأن الصغير لا يمكنه الكسب، كما أن المسن الكهل يعجز

---

(١) الأستاذ عوض محمود داود – البابية حركة هدامة ص١٠١.

(٢) الباب الشيرازي – الواحد والثلاثون نقلا عن البابية الأصول والغايات ص١٠٩ للعلامة محمد عبدالعاطي الدينوري. وراجع أيضا البابية في مراحلها الأولى للأستاذ تهامي محمد عبدالعظيم الدويني.

عن الوفاء باحتياجاته، وكان الأولى ما دام قد خرج عن النصوص الشرعية أن ينظر بعقلة، لكن الله تعالى قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1]،

جـ- تمايز الأصول بتمايز الورثة

يدعى الباب ان التركة إذا تداخلت أصولها بأن كان بعضها عقاراً، وبعضها نقداً، وبعضها أرضا زراعة، والبعض الأخير ذهبا أو ثروة حيوانية، أو ما شابه ذلك، فإن التمايز لدى أصحابه يكون فى أحقيتهم وحدهم من خلال اختيار النوع الذى تكون فيه أسهمهم من التركة، بمعنى أن صاحب الحق المتمايز له أن يختار نصيبه من التركة ذهبا أو زرعا، المهم أن يختار ما يناسبه باعتبار أنه صاحب حق الامتياز، فكأنه حصل على تمايزين، الأول فى تفضيله بنسبة أكبر من غيره. الثانى: فى تفضيله بالنوع الذى يختاره، ومع هذا يزعم الباب أنها تركة، وأنه قد أقام فيها التقسيم.

يقول الباب: قلت لكم إن الشباب لابد أن يفضل الصغار والشيوخ للأعباء التى يتحملها، وفى ذات الوقت فإنى أقول: إن له حق اختيار التركة التى تناسبه، حتى لا يضيع وقته بين التفاهات التى لا تليق بحركة الشباب المتوقد وحيويته المنتشرة[2].

فكأنه يحابى الشباب مرة، كما حابى النساء مرة، وبالتالى؛ فهو لا هم له سوى اللعب بالعواطف، والضرب على الأوتار المشدودة متى أمكنه ذلك، بغض النظر عن النتائج المترتبة على تلك المواقف، والسلبيات التى تلحق ما يقرره فى مسائل لها من الخطورة على الأسرة والمجتمع القدر الكبير، إذ متى حصل نوع من الظلم أيا كان مقداره؛ فإن المحبة تنقلب عداوة، والاستقرار يتحول إلى صراع.

---

(١) سورة الحج - من الآية ٤٦.

(٢) الباب الشيرازى - البيان - الواحد الثامنة نقلا عن البابية كما قرأتها ص٩٨ للأستاذ نور الدين أحمد البرهانى. وراجع نفس الأفكار فى البابية فى منظور الإسلام ص٨٧ للشيخ محمد عبدالكريم البتانونى.

كما يحاول الباب دفع هذا التمايز إلى مجال التطبيق العملي، فيقرر أنه يجب على كل محب لنا أن يسير حسب ما قلت لكم، ولابد أن يكون الشباب هم أصحاب الرصيد الأكبر في الاختيارات؛ لأنهم عدة الأمة، وأعمدة الجماعة[1]، وهم في كل حال الذين يجب استرضاؤهم بكافة ألوان الاسترضاء، حتى لو أدى ذلك إلى إنشاء مؤتمرات تشرح فيها تلك التمايزات، بحيث يعلم الجميع أننا لا تفاضل إلا بما فيه التمايز[2]، وهو بذلك يجعل التمايز قاعدة، ويضع له من القوانين ما يسمح باستمراره، ويدعم موقفه على الدوام، ومن ثم لا يتحقق شيء من العدالة التي زعم أنه يدعو إليها أو بعث لأجلها.

ولا شك أنه بذلك يخالف تعاليم الله تعالى في كل ناحية، لما هو معروف من أن التركة في الإسلام لا تختلف باختلاف الوارثين إلا في الأنصبة المشروعة، وهي الأسهم المقررة، باعتبار الذكر والأنثى من جهة، واعتبار الأصل والفرع أو الكلالة من جهة أخرى، ومعناه أن الورثة لا يختلفون إلا باعتبار الجهة التي يدلون بها إلى الميت ونوع المدلى ودرجته[3]، وذلك مما لا ينازع مسلم فيه؛ لأنه قائم على قواعد الشرع الحنيف التي فرضها رب العالمين جل علاه.

أما الباب؛ فإنه بما زعم أو ادعى، إنما يؤسس لقاعدة الظلم بين الورثة والتفاوت في الأسهم بغير حق، يجعل كل واحد منهم تمتلئ نفسه بالغضب من الآخرين، حتى إنه ينتمي لكل منهم نهاية سلبية أو مأساوية، وكثير من الورثة متى شعر بأنه قد اقتطع جزء من حقه مهما كان الجزء المستقطع صغيرا فإنه نفسه تظل كارهة لذلك الفعل طامعة في أن لا يستفيد المتميز بما قد ميز به.

---

(١) الشيخ نصر الدين محمد البنغالي – البابية الأصول والفروع ص١٣٥ .

(٢) الأستاذ محمد المرتضى التبريزي – موقف العلماء من المنحرفين ص٩٣ .

(٣) لأن المدلى إلى الميت بأنثى غير المدلى إليه بذكر. غير المدلى إليه بجهتيهما يعرف ذلك من له إلمام بالعلوم الشرعية في الشريعة الإسلامية .

وكم من أسرة وقع فيها نوع من التمايز لأحد أفرادها فما كان من الورثة، إلا أن أمطروه بوابل من الدعاء عليه، فإذا وقع له مكروه؛ فإنهم يسارعون إلى إعلان الشماتة فيه، ولم يكن الباب أحسن حالا من الوارث الظالم، ولذا فإنه الدعاء عليهما معا، أمر لا جدال فيه، بل هو واقع عليهم من كل ناحية، وهذا يدل على أن موقف الباب من الميراث لم يكن موفقا أيضا في شيء منه، كالحال معه في كل ما تعرضه، وأنه قد خالف شرع الله تعالى على كل ناحية فهو كافر به.

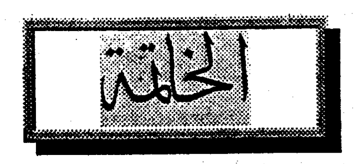
ومهما يكن من شيء، فإن الباب ونحلته قد أثروا في العديد من النحل المنحرفة؛ لأن الانحراف فيه موافقة للنفوس الشيطانية، وفيه تنفيس عن الرغبات المحرمة، والنوازع العدوانية، وأن هؤلاء المنحرفين لن تدعوا إلا إذا كانت هناك اليد القوية، والسلطان القاهر، الذي يجبرهم على الالتزام بشرع الله، ويصرفهم عن الخضوع التام للشيطان وألاعيبه.

وفي الأثر: « عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا مررت ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلها إنما السلطان ظل الله في الأرض ورمحه في الأرض »[(1)]، أما لماذا؟

---

(١) سنن البيهقي الكبرى ج: ٨ ص: ١٦٢ - شعب الإيمان - باب فضل الإمام العادل - الحديث رقم: ١٦٤٢٧، وراجع الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي - باب: حرف الألف. الحديث رقم: ٨٥٧. وفي شرح الحديث قال العلامة المناوي: « (إذا مررت) من المرور (ببلدة) في حال سيرك (ليس فيها سلطان) أي حاكم وأصل السلطنة القوة ومنه السلاطة لحدة اللسان (فلا تدخلها) فإنها مظنة البغي والعدوان والتهارج ومن بغي عليه فيها لم يجد ناصراً وإذا نهى عن مجرد الدخول فالسكنى أولى وعلله بقوله (إنما السلطان) أي الحاكم (ظل الله) أي يدفع به الأذى عن الناس كما يدفع الظل أذى حر الشمس (ورمحه في الأرض) أي يدفع به ويمنع كما يدفع العدو بالرمح. وقد استوعب بهاتين الكلمتين نوعي ما عليه الوالي لرعيته: أحدهما الانتصار من الظالم لأن الظل يلجأ إليه من الحر والشدة والثاني إرعاب العدو ليرتدع عن أذى الرعية فيأمنوا بمكانه من الشر. والعرب تكنى بالرمح عن الدفع والمنع. قال الماوردي: وبالسلطان حراسة الدين والذب عنه ودفع الأهواء عنه. وروى الطبراني أن عمرو بن العاص قال لابنه: سلطان عادل خير من مطر وابل. وسلطان غشوم خير من فتنة تدوم، وزلة الرجل عظم يجبر. وزلة اللسان لا تبقى ولا تذر. يا بني: استراح من لا عقل له. فأرسلها مثلاً اه. وفي قوله، في الأرض: إشارة إلى أن الإمام الأعظم لا يكون في الأرض كلها إلا واحداً. ولهذا قال في حديث آخر: إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما »

فأن هناك بعض النفوس تستلذ المعاصى، ويطيب لها الكفران، فلا ترتدع بتعاليم الله جل علاه، ولا تستفيد بهدى سيدنا محمد رسول الله ﷺ، وبالتالى؛ فإن سوط السلطان المسلم هو الذى يدفعهم إلى الابتعاد عن إظهار فسقهم وانحلالهم، وآمل أن يهيئ الله لأهل الإسلام الحاكم المسلم القوى، الذى تكون مراعاته لله جل علاه هى القائمة فى أعماقه، حتى يعيد الحق إلى نصابه، وأن يصرف هؤلاء الملاحدة المختبئين بعباءة الإسلام عن غيهم، وإظهار انحلالهم، والأمل فى وجوده معقود، وما ذلك على الله بعزيز.



الخاتمة

المعلوم لدى الدارسين أن كل بحث علمي له مقدمة تمثل تلخيصا لأهم مباحثه، وله كذلك خاتمة تكون بمثابة التلخيص الأوفى لنتائجه، بحيث تكون المقدمات والنتائج متطابقة أولاهما تقدم تلخيصا لمباحثه، والأخرى تقدم تلخيصا لنتائجه، ومتى أمكن الوقوف على كل منهما لباحث فقد استقر عنده مظهر البحث ومخبره، ولما كنت قد وضعت في صدر هذا البحث مقدمة، فهأنذا أضع الخاتمة التي تتمثل فيها بعض المظاهر التالية:

* **أولاً:** أن ميرزا علي محمد رضا البزاز الشيرازي عاش يتيما فقيراً، فكانت نفسه تتطلع إلى بلوغ المجد، ولو على أكتاف الآخرين ونصوص الشرع[1]، وأن ذلك قد غلب عليه عندما شب وصار ينازعه، فلما لم يجد بدا من الاستجابة له؛ وقع صيدا سهلاً في أيدي أعداء الإسلام الذين أشبعوا طموحات الفتى، فكان من أمره ما كان.

* **ثانيا:** أن العلة المرضية التي كانت تأتيه حينا بعد آخر، هي التي طبعت وجدانه بطابع الخوف من المجهول، وأورثته الشك في كل من يتعاملون معه، حتى أدى به الأمر إلى افتعال خلافات بينه وبين نفسه عله يصوب سهامه إليها فتستقيم، فلما لم يتمكن من ذلك ارتدت سهامه إلى صدره، لكن في شكل نزاعات بين الأنا الذاتي المعلن، والآخر غير المعلن[2].

---

(١) هذا مما لا ينازع فيه؛ لأنه ثابت في كتبهم التي سجلوها. وصارت وثائق مدونة بالنسبة لهم. فإذا أنكرها أحدهم اليوم؛ فإن إنكاره لا يعتد به.

(٢) وهو الفرق الجوهري بين الذكي العاقل الذي يستطيع كبح جماح نفسه، وبين الغبي الذي يسقط تحت نزعاتها. وهي الأمارة بالسوء. قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة يوسف – الآية ٥٣] .

* ثالثا: أن سلوكياته الشاذة التي ظهرت ملامحها عليه حينما كان مع خاله في بوشهر من صعوده إلى سطح المنزل مكشوف الرأس حافي القدمين، ثم يقف في الحرارة الشديدة تمثل كلها ضربا من العته، كما تعتبر لونا من الجنون، وإن كان متقطعا[1]، إلا أنه أثر بشكل أو آخر على حياة الباب، وطبع فكره بنفس السمات التي برزت في سلوكياته.

* رابعا: أن وجود العديد من فرق الشيعة، وبخاصة الغالية أو المنحرفة التي تمسكت بأفكار وهمية، وأساطير خيالية، مما ردت تلك الأفكار والأساطير على أنها قواعد شرعية، كان لها دخل كبير في حشد عقله بالمعلومات الخاطئة، وتعبئة وجدانه بالظنون والأوهام، فلما بلغ مبلغ الرجال ظن في نفسه القدرة على بلوغ إحدى الغايات التي يجيء لها الإمام الغائب حسب الأفكار التي رسمتها المصادر الشيعية[2]، من ثم: ادعى أنه الإمام الغائب تارة، والمهدي المنتظر تارة أخرى، وقد بالغ في ذلك حتى وصل المرحلة التي نزعم فيها أنه الله أو أنه خالق الحق.

* خامسا: أن تخلفه الطويل إلى مجلس كاظم الرشتي وانكبابه على كتبه، وبخاصة الفوائد، وشرح الفوائد، وشرح الزيارة الجامعة، وشرح العرشية للإحسائي[3]، وتقبل الباب لهذه الأفكار قد فتح أمامه الباب على مصراعية للأفكار الشيطانية، حتى تسللت إلى وجدانه، وصارت دواءه الذي لا غنى له، ولم يكن قد تحصن ضدها، فنالت منه كل منال، وأوقعته في شباكها على كل ناحية، حتى صار بوقا يتحدث بلسانها ويدعوا إلى أفكارها.

---

(١) السيد أمير محمد الكاظمي – البهائية في الميزان ص٦٥.

(٢) اختلفت المصادر الشيعية في التعبير عن الإمام الغائب اختلافات كبيرة. بعضها مغلوط، وبعضها الآخر يقبل التصحيح، وبعض أخير لا علاقة له بشيء صحيح أبدا.

(٣) هذه المصادر مما تركه الشيخ أحمد الإحسائي، وتمسك بها الشيخية من بعده، وكان كاظم الرشتي من أكثر الناقلين لها، وأشد المتحمسين لما فيها من أفكار، بغض النظر عن صدقها من كذبها.

* **سادسا**: أن الباب حين أعلن عن مزاعمه لو لم يستخف به أصحاب السلطة السياسية، وأوقفوه عن الحد الذي يجب أن يقف عنده لتحقق الخير الكبير، حيث تكون الفتنة قد ماتت في مهدها[1]، ولكنهم تركوه حتى اشتد عوده، وكثر أتباعه، وانتشرت أخباره، فساعد ذلك كله على أن يتعاطف معه البعض رغم نقمة الكثيرين له، وذلك مما أخر نهايته.

* **سابعا**: أن الباب كان مجرد واجهة تعلق عليها الأفكار، وأنه قبل أن يكون كذلك إرضاء لنزعة الزعامة التي تولدت في صدره، ولا تفارق خياله، وقد وجد أعداء الإسلام فيه ضالتهم المنشودة[2]، من ثم؛ استعلموه على أوسع نطاق، وتعاملوا معه بما يناسبه، فصار بين أيديهم كالقرد مع مدربه.

* **ثامنا**: الأفكار التي نادت بها قرة العين، إنما كانت فيها تردد ما يلقى إليها، وأنها كانت هي الأخرى ألعوبة في أيدي أعداء الإسلام، الذين استخدموا أنوثتها في التأثير على البشروئي والشيرازي وغيرهما، وكان التأثير الأنثوي على هؤلاء كبيرا[3]، مع أن الكاتبين عن البابية لم يقدموا صورة واضحة عن ثقافة هذه المرأة.

* **تاسعا**: أن كل ما دعا إليه الباب ابتداء من الإعلان عن كونه باب الباب أو باب الإمام الغائب، حتى إعلانه أنه خالق الحق قد وجدت له أصداء في الماضي، كما برزت مظاهره في النحل التي لحقت بالبابية، سواء أظهر ذلك في السودان مع جماعة الإخوان الجمهوريين[4]،

---

(١) الأستاذ تهامي محمد عبدالعظيم الدويني – البابية في مراحلها الأولى ص٩٧.

(٢) راجع للأستاذ محمد التهامي خليفة – البابية واستمرار الانحراف ص١٣٧ . وراجع كذلك للأستاذ بدر الدين عبدالواحد: الاستعمار والبابية ص٨٥ .

(٣) عرضت لذلك أثناء الحديث عن مؤتمر بدشت، ويمكن الرجوع إليه ففيه مجهود طويل .

(٤) راجع ما كتبه الدكتور / محمد حسان كسبه، وما كتبه الأستاذ جمال البنا، وكتبه العبد لله صاحب هذه السطور المتواضعة.

أم ظهر في باكستان مع جماعة الأحمدية، أم جاء بعد البابية في إيران على التوالي، وهو البهائية، وذلك يجعل الباحث يؤكد على وجود نوع من الامتداد بين هؤلاء وأولئك وإنكار ذلك غير مقبول.

* **عاشرا** : أن هذه الدراسة التي قمت بها قد عانيت في الوصول إلى المعلومات التي عرضتها، كما عانيت في كيفية عرضها، وإبراز النتائج المعتصمة داخلها، ثم كانت النهاية في التعليق الذي وفقني الله تعالى إليه، حتى قمت به على النحو الذي طالعه القارئ الكريم بين ثنايا هذا الكتاب.

* **حادي عشر** : أن المصادر التي اعتمدت عليها البابية هي الأفكار الباطنية والأفكار الشيعية الغالية، ثم الآراء الوثنية المختلفة بجانب الدعم المتواصل من الشذوذات اليهودية واليونانية والفرعونية، فكانت البابية هي أحد المظاهر التي تجمعت فيها تلك المصادر المختلفة، وبالتالي؛ فكل الأفكار التي خرجت عن البابية، إنما هي نتاج تلك الوثنيات كلها، ولا عبرة بالأسماء التي تناقلتها.

* **وأخيرا**: فلا أدعي أنني فيما ذكرت قد بلغت الكمال أو قاربته، إنما هي توفيقات الله تعالى، فمن وفقه الله تعالى إلى مثلها فذلك خير[1]، ولي عنده الدعاء لي بالخير فمن الله الرجاء،

---

(١) ففي الحديث الشريف : « عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » (الإمام مسلم – صحيح مسلم ج: ١ ص: ٥٥٨ باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها – الحديث رقم: ٨١٥ ، – وروى الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ١ ص: ٣٩ – باب الاغتباط في العلم والحكمة وقال عمر تفقهوا قبل أن تسودو- الحديث رقم: ٧٣ عن سمعت عبد الله بن مسعود قال « قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها » .

ومن وفقه الله إلى أفضل منها فليحمد الله جل شأنه، وليعذرني، فإني من أصحاب الأعذار، وشأن الأخيار تلمس جبر أصحاب الأعذار.

أما الذين لا هم لهم إلا التجريح باللمز أو الغمز أو القول الصريح، فهم في ركاب الشيطان واقعون، وعن هدى الله يبتعدون، وكأني بهم التقط أنفاسي معهم قائلا ما حكاه القرآن الكريم ﴿إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم * فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ﴾[1].

أما أنا فما زلت أقدم الشكر لله، وسأظل فهو حسبي ونعم الوكيل، وأردد قول الحق العلام ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[2].

وبعد فها أنذا قد بذلت ما في وسعي ويسره الله تعالى فيه أمري، ولا شك أنك قد طفت معي مواطن كثيرة، واستمرت رحلتنا فترة ليست قصيرة، نقبنا فيها عن عميق الأفكار، وبحثنا فيها عن اللآلئ والأصداف، وكنا نطفو حينا فأراك تلتقط معي الأنفاس المبهورة، ثم نتوارى خلف الأنظار، وتحت لجات الموج العنيف حينا أخر فأراك تسأل الله لي الشهادة وحسن الختام حتى إذا وقفت السفينة بنا على شاطئ النجاة، استجمعت ما بقي لدي من آمال، وغدوت معي في ترحال.

---

(١) سورة هود – الآيات ٥٤/٥٧ .

(٢) سورة هود – من الآية ٨٨ .

فهل أطمع في أن تصاحبني الرحلة الجديدة مع شاطئ آخر نبحث فيه عن البهائية، ثم القاديانية، حتى نعرض الآراء ونناقش الأفكار، ثم نقدم النتائج، أم أنك آثرت الهدوء وتقسمت أعاير السكينة، فخلدت إلى الراحة، ذلك شأنك الذي تختار، أما أنا فسأظل مبحرا خلف الأمنيات أعدوا أملا الوصول للحقيقة التي قال عنها رسول الله: « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها»[1].

(١) الإمام الترمذي – سنن الترمذي ج: ٥ ص: ٥١ – الحديث رقم: ٢٦٨٧ – الإمام ابن ماجه – سنن ابن ماجه ج: ٢ ص: ١٣٩٥ – باب الحكمة الحديث – رقم: ٤١٦٩ ، مصنف ابن أبي شيبة ج: ٧ ص: ٢٤٠ – الحديث رقم: ٣٥٦٨١

المصادر

لا أزعم أني عالم، فهذا ادعاء لم يدر لي على بال، وإنما أنا طالب علم في طريقه إلى الله، يقع في الخطأ كثيراً، وأصيب قليلاً، ومن ثم فإني أسجل هنا ملاحظات ضرورية أود الالتفات إليها:

* **الأولى**: أن البحث والباحث مدينان في هذا الكتاب لكل من أسهم بفكرة أو توجيه نقد، أو أبدى ملاحظة، فالعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة، والتوفيق من الله تعالى رب العالمين

* **الثانية**: أني والبحث مدينان لكل مصدر وصاحبه، إذ لولا أنه سبقني وأجهد نفسه في تدوين أفكاره، ما وصلت هذه الأفكار إلي، ولما أمكنني أنا الآخر الاستفادة منها، والله عز وجل جعل التفقه في الدين من عطاياه، ففي الحديث الشريف: عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله »(١).

* **الثالثة**: أني لا أجيد اللسان الفارسي، وربما لو أجدته ورجعت إلى ما كتبه الباب الشيرازي بنفسه لأمكنني أن أساهم مع من سبق في تقديم خدمة أعظم وأشمل، لكن هذا دعاء الضعيف العاجز، والجابر هو الله تعالى.

* **الرابعة**: أني رتبت هذه المصادر طبقاً للطريقة العلمية الحديثة، وهي ذكر اسم الشهرة للمؤلف أولاً بعد تجريده من حرف أل إن كان فيه، ثم ذكر اللقب، ثم الاسم وسنة الميلاد والوفاة متى أمكنني الوقوف على ذلك، وبخاصة إذا كان ممن انتقلوا للدار الآخرة، ثم اسم الكتاب والمطبعة والسنة إن وجدت، مبتدئاً بالقرآن الكريم وعلومه، ثم السنة النبوية المطهرة الصحيحة وعلومها، ثم المعاجم العربية والتراجم وأخيراً المصادر العامة، وهي التي اتبعت فيها الترتيب العلمي طبقاً للطريقة الحديثة.

---

(١) الإمام البخاري – صحيح البخاري ج: ١ ص: ٣٩ – باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين – الحديث: ٧١ ، صحيح البخاري ج: ٣ ص: ١١٣٤ – الحديث رقم: ٢٩٤٨، وأخرجه مسلم – صحيح مسلم ج: ٢ ص: ٧١٩ – الحديث رقم: ١٠٣٧ ، ورواه أحمد وابن ماجه والترمذي وابن حبان.

أولاً : القرآن الكريم وعلومه

(١) القرآن الكريم .

(٢) أحكام القرآن - الإمام محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (ت: ٢٠٤هـ) - طبعة دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٠هـ - تحقيق عبد الغني عبد الخالق .

(٣) الإتقان في علوم القرآن - العلامة جلال الدين السيوطي - طبعة المطابع الأزهرية .

(٤) تفسير الجلالين - الإمامان؛ جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي - طبعة دار الحديث بالقاهرة الأولى (بدون) .

(٥) تفسير القرآن الحكيم، المسمى تفسير المنار - الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا - دار المعرفة بيروت، وطبعة دار المنار بالقاهرة - الطبعة الثانية ١٣٥٠هـ، وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م .

(٦) تفسير القرآن العظيم - الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي (٧٧٤هـ) - طبعة مكتبة الإرشاد ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، وطبعة دار الغد العربي ١٩٨٩م . وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ .

(٧) التفسير القرآني للقرآن - للأستاذ عبد الكريم الخطيب - طبعة دار الفكر العربي .

(٨) جامع البيان في تفسير القرآن المشهور بتفسير الطبري - العلامة الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤/٣١٠هـ) - دار الجيل - الطبعة الثالثة - طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٥٤م وطبعة دار الغد العربي بالقاهرة ١٩٩٥م، وطبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥ .

(٩) الجامع لأحكام القرآن المشهور بتفسير القرطبي - الإمام / أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ) - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وطبعة دار الغد العربي ١٩٨٨م، وطبعة دار الشعب بالقاهرة (الطبعة الثانية) ١٣٧٢هـ - تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني

(١٠) حاشية العلامة الصاوي على الجلالين - للعلامة الشيخ أحمد الصاوي - طبعة دار الفكر

(١١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور – للإمام جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) – طبعة دار الفكر – ط الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

(١٢) صفوة البيان في علوم القرآن – الدكتور محمد متولي .

(١٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان – العلامة نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (٧٢٨هـ) بهامش تفسير الطبري – دار الجيل – بيروت .

(١٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – الإمام / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت : ٥٢٨) – تحقيق مصطفى حسين – مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٦م . وطبعة دار المعرفة – بيروت / لبنان.

(١٥) لباب التأويل في معاني التنزيل – العلامة علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن (ت: ٧٢٥هـ) – دار الفكر – بيروت .

(١٦) لطائف الإشارات – الإمام القشيري – تحقيق الدكتور إبراهيم بسيوني – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م .

(١٧) مختصر تفسير ابن كثير – الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي – اختصار وتحقيق الأستاذ / محمد علي الصابوني دار التراث العربي – القاهرة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، وطبعة دار الصابوني للطباعة والنشر ١٩٨٨م .

(١٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي – مكتبة دار الحديث – الطبعة الأولى – طبعة الشعب ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(١٩) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي) – العلامة الإمام / فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الرازي المعروف بفخر الدين الرازي (ت:٦٠٦هـ) – المطبعة البهية المصرية – الطبعة الأولى ١٩٢١م، وطبعة دار إحياء التراث العربي، طبعة دار الغد العربي ١٩٩٣م .

(٢٠) المفردات في غريب القرآن – العلامة أبو القاسم الحسين محمد الراغب الأصفهاني – دار المعرفة بيروت – لبنان .

(٢١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي - الإمام الحافظ أبو العلي محمد عبد الرحمن المباركفوري (ت: ١٣٥٣هـ) المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - ط٢/١٩٦٧م .
(٢٢) الترغيب والترهيب - الإمام زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت: ٦٥٦هـ) - دار الحديث - القاهرة .
(٢٣) تهذيب سنن أبي داود، الإصدار لابن القيم - طبعة مجمع أبي النور
(٢٤) حلية الأولياء - أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٥هـ - الطبعة الرابعة .
(٢٥) الجامع الصغير السيوطي - العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري - (٨٤٩/٩١١)هـ - تحقيق محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين العابدين المناوي - طبعة دار العلم بجدة - بدون .
(٢٦) الجامع لمعمر بن راشد - العلامة معمر بن راشد الأزدي - (ت: ١٥١هـ) - طبعة المكتبة الإسلامي بيروت ١٤٠٣هـ - الطبعة الثانية - تحقيق حبيب الأعظمي (منشور كملحق) بكتاب المصنف للصنعاني ج١٠ .
(٢٧) حاشية السندي على النسائي للإمام السندي - طبعة مجمع أبي النور .
(٢٨) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين - الإمام المحدث الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) طبعة الحلبي .
(٢٩) سنن أبي داود - الإمام الحافظ / أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .
(٣٠) سنن ابن ماجه - للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجه - طبعة دار إحياء التراث العربي بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .
(٣١) سنن البيهقي الكبرى - أحمد بن حسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي - (٣٨٤/٤٥٨)هـ - مكتبة دار الباز بمكة المكرمة - ١٤١٤/١٩٩٤م - تحقيق محمد عبد القادر عطا .
(٣٢) سنن الترمذي - الإمام / محمد الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة (٢٠٩/٢٧٩هـ) - مطبعة مصطفى الحلبي .

(٣٣) سنن الدارقطني – العلامة علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (٣٠٦/٣٨٥)هـ – طبعة دار المعرفة بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م – تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني.

(٣٤) سنن الدارمي · الإمام الكبير أبو محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (ت: ٢٥٥هـ) – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، وطبعة دار إحياء السنة النبوية.

(٣٥) سنن النسائي – الإمام الحافظ أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي (ت: ٣٠٢هـ) دار الحديث ١٩٨٧م.

(٣٦) شرح مسند الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنه، مع شرحه للإمام الهمام ناصر السنة وقامع البدعة الملا علي القاري الحنفي، (مع تعليق الشيخ خليل محيي الدين الميس مدير أزهر لبنان) طبعة دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

(٣٧) صحيح الإمام البخاري – الإمام / محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ) – طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ط٤/١٩٩٨م.

(٣٨) صحيح الإمام مسلم – الإمام / أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) – طبعة الحلبي.

(٣٩) صحيح بن حبان – العلامة محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي – (ت:٣٥٤هـ) – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م الثانية – تحقيق شعيب الأرنؤط.

(٤٠) صحيح مسلم بشرح النووي – الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – الطبعة الأولى – تعليق الأستاذ محمد محمد تامر – دار الفجر للتراث ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، وطبعة المطبعة المصرية ومكتبتها.

(٤١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري – للعلامة ابن حجر العسقلاني – تحقيق محب الدين الخطيب وقصي الدين الخطيب – طبعة دار الريان للتراث. ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

(٤٢) فتح القدير – الإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٥هـ) – دار الحديث بالقاهرة – ط٣/١٩٩٧م.

(٤٣) كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس – الشيخ إسماعيل محمد العجلوني (ت: ١١٦٢هـ) مكتبة الغزالي – دمشق.

(٤٤) كنز العمال - للعلامة علاء الدين المتقي الهندي - طبعة عام ١٩٨٩م مؤسسة الرسالة - دمشق .

(٤٥) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر - طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢هـ، الموافق ١٩٩٢م .

(٤٦) المستدرك على الصحيحين - الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري [(٣٢١/٤٠٥)هـ - طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٤١١/١٩٩٠م الأولى - تحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

(٤٧) مسند أبي يعلى - العلامة أحمد بن على بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (٢١٠/٣٠٧)هـ - طبعة دار المأمون للتراث بدمشق (ط١) - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م - تحقيق حسين سليم أسد .

(٤٨) مسند الإمام أحمد - الإمام /أحمد بن محمد بن حنبل (ت : ٢٤١هـ) - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأول - دار كتب الفقه .

(٤٩) مصنف بن أبي شيبة - العلامة أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (١٥٩/٢٣٥)هـ - طبعة مكتبة الرشد بالرياض ١٤٠٩هـ الأولى - تحقيق كمال يوسف الحوت .

(٥٠) المعجم الأوسط - العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠/٣٦٠)هـ - طبعة دار الحرمين القاهرة - طبعة ١٤١٥هـ - تحقيق طارق بن عوض الله الحسيني .

(٥١) المعجم الكبير - العلامة سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٦٠/٣٦٠)هـ - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط٢ - ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م - تحقيق حمدى بن عبد المجيد السلفى .

(٥٢) الموطأ للإمام مالك، برواية الإمام محمّد بن الحَسَن - طبعة دار القلم بدمشق . الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩١م .

(٥٣) نصب الراية لأحاديث الهداية، مع حاشيته النفيسة "بغية الألمعي في تخريج الزيلعي - طبعة دار الفكر .

(٥٤) النهاية في غريب الحديث والأثر - للعلامة ابن الأثير - مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٢هـ .

(٥٥) أساس البلاغة - العلامة محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) طبعة دار الشعب ١٩٦٠م، طبعة دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م .
(٥٦) الإصابة فى تمييز الصحابة - العلامة أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى (٧٧٣/٨٥٢)هـ - ط١ - تحقيق علـى محمد البجاوى - طبعة دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
(٥٧) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب - يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (ت: ٤٦٣) - ط١ - تحقيق على محمد البجاوى - طبعة دار الجيل بيروت ١٤١٢هـ/١٩٩٢م .
(٥٨) البداية والنهاية - الإمام الجليل / الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى - طبعة دار الغد العربى .
(٥٩) التعريفات - السيد الشريف على بن محمد بن على السيد زين أبى الحسن والحسين الجرجانى (٧٤٠/٨١٣هـ) مطبعة مصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م . وطبعة دار الريان للتراث ١٤٠٣هـ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبياري، وتحقيق الدكتور عبد المنعم الحنفى - طبعة دار الرشاد ١٩٩١م
(٦٠) سير أعلام النبلاء - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبى أبو عبدالله (٦٧٣/٧٤٨)هـ - طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٣هـ التاسعة - تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي .
(٦١) طبقات الشافعية - العلامة تاج الدين السبكي .
(٦٢) القاموس المحيط - الإمام مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي - طبعة دار الجيل بيروت، وطبعة المطبعة الحسينية المصرية ١٣٣٠هـ، وطبعة الهيئة المصرية للكتاب ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
(٦٣) قطر المحيط - المعلم بطرس البستانى ط دار لبنان ١٩٦٩م .
(٦٤) لسان العرب - العلامة / أبو الفضل جمال الدين بن منظور (ت: ٧١١هـ) - تحقيق عبد الله على الكبير وآخرون - الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٥م - دار المعارف .
(٦٥) محيط المحيط - المعلم بطرس البستانى - طبعة بيروت ١٨٧٠م .

(٦٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - العلامة أحمد بن محمد بن علي المقريزي الفيومي (ت: ٧٧٠هـ) الطبعة الأولى - حققه الأستاذ حمزة فتح الله مفتش اللغة العربية، وطبعة المطبعة الخيرية ١٣٠٥هـ.
(٦٧) معجم المؤلفين - العلامة عمر رضا كحالة - طبعة بيروت.
(٦٨) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية بالقاهرة - طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ١٩٩٢م.
(٦٩) المعجم الوسيط - الدكتور إبراهيم أنيس وآخرون - القاهرة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
(٧٠) المنجد في اللغة والآداب والعلوم - الأب لويس معلوف العيسوي - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩١٣م.
(٧١) وفيات الأعيان للعلامة ابن خلكان.

رابعا المصادر العامة

حرف الألف

* أبو الحسن - الأستاذ نجم الدين محمد.
(٧٢) فارس والمعتقدات الدينية - طبعة دار الأنوار ١٣٤٥هـ.
* إدريس - الدكتور أبو بكر بن آدم.
(٧٣) البابية والجمهورية (دراسة مقارنة) طبعة أم درمان ١٩٥٧م.
* إسحق - القس غبريال م...
(٧٤) سنوات مع يسوع - طبعة كنيسة الأخوة ١٩٥٧م.
* أسي - المستشرق أرج
(٧٥) إيران من الداخل - ترجمة فؤاد بن شهية - طبعة اللواء بفاس ١٠٦١.
* أفندي - الأستاذ عباس
(٧٦) مقالات سائح
* آل كاشف الغطاء - العلامة الإمام الشيخ محمد آل حسين.
(٧٧) أصل الشيعة وأصولها - دار القرآن الكريم - مدينة قم بإيران.
* أمبابي - الدكتور محمد مصطفى.
(٧٨) الحركة الفقهية الإسلامية (دراسة تحليلية تاريخية - مطبعة السباعي بالقاهرة ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م

* أواره ـ ميرزا عبدالحسين
(٧٩) الكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البابية والبهائية .
* ابن الهمام ـ العلامة الكمال .
(٨٠) فتح القدير ـ جـ٤ .
* ابن حزم ـ العلامة الحافظ أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى (٣٨٣/٤٥٦)هـ.
(٨١) المحلى ـ طبعة دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ـ تحقيق لجنة إحياء التراث العربى (بدون)
* ابن قدامة ـ العلامة أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسى (٥٤١/٦٢٠)هـ .
(٨٢) المغنى ـ طبعة دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
* الأدهم ـ الشيخ حسان محمد .
(٨٣) دور المرأة فى التشريعات البابية ـ طبعة الدار القومية بكراتشى ١٣٤٣هـ .
* البير ـ المستشرق أنطونى
(٨٤) عشر سنوات فى الشرق ـ ترجمة حنا مقار ١٩٤٧م .
* الأشقر ـ الشيخ محمد السيد .
(٨٥) الزكاة فى الإسلام ـ طبعة الدار القومية للتراث ـ باكستان ١٣٣١هـ،
* الأشوح ـ الدكتورة ليلى محمد
(٨٦) الحكومات بين الاستقرار والتغيير ـ طبعة دار الطبرى ـ تونس ١٩٧٧م .
* الأصبهانى ـ الشيخ محمد نور الله .
(٨٧) الشيعة لسان الحق ـ طبعة النجف الأشرف ١٣٧٧هـ
* الأصفهانى ـ العلامة شمس الدين على .
(٨٨) الشيعة المفترى عليهم ـ طبعة الأصفهانى بالعراق ١٩٧٠م .
* الأنبابى ـ العلامة الشيخ محمد .
(٨٩) تقريرات الأنبابى على متن السلم ـ ط الحلبى .
* الأنصارى ـ العلامة محمود عبدالمولى .
(٩٠) البابية ـ ط أولى ١٣٣٥هـ .
* الأنور ـ العلامة عمر بن محمد.
(٩١) الوثنية والبابية ـ طبعة دار المنار ١٣٨٩هـ .

حرف الباء

* بارندر - المستشرق جفري .
(٩٣) المعتقدات الدينية لدى الشعوب - ترجمة د/إمام عبد الفتاح - طبعة سلسلة عالم المعرفة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .
* باولين - المستشرق أولين هنري .
(٩٤) الحكومات الخفية - ترجمة حنان عبد الملاك ١٩٦٣م .
* البتانوني - الشيخ محمد عبدالكريم .
(٩٥) البابية في منظور الإسلام - طبعة دار الرحمة ١٣١٩هـ .
* بدرة - الدكتور ناصر محمد .
(٩٦) الانقلابات وخطرها على الاستقرار التنموي ط٢/١٩٦٦م .
* البدوي - الشيخ موسى محمد .
(٩٧) البابية خرافة قديمة - ط١٩٥٧م .
* البرهان - الأستاذ نور الدين أحمد .
(٩٨) البابية كما قرأتها - ط١/١٩٣٧م .
* البغدادي - العلامة .
(٩٩) أصول الدين .
* البليهي - الشيخ صالح بن إبراهيم .
(١٠٠) السلسبيل في معرفة الدليل على حاشية زاد المستقنع - ط٢ الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٦هـ .
* البنا - الأستاذ جمال
(١٠١) الدعوات الإسلامية المعاصرة مالها وما عليها .
* البناني - الشيخ محمد عبدالعاطي .
(١٠٢) التناسخ المرفوض - ط١/١٣١٨هـ .
* البنغالي - الشيخ نصر الدين محمد .
(١٠٣) البابية الأصول والفروع - طبعة دار رضوان ١٣٣٧هـ .
* البنغالي - العلامة محمد سيد أحمد .
(١٠٤) الخطر الذي يواجهنا - الطبعة الثانية ١٣٢٢هـ .
* البيضان - الأستاذ ناظم الدين محمود .
(١٠٥) الباب فتى شيراز ط٢ دار حكمت ١٣٠٨هـ .

حرف التاء

❁ التبريزي - الأستاذ عباس محمود .

(١٠٦) البابية كما أعرفها طبعة أولى ١٩٤١م .

❁ التبريزي - الأستاذ محمد المرتضى .

(١٠٧) موقف العلماء من المنحرفين - طبعة الدار النعمانية ١٣٣١هـ .

❁ تسهير - المستشرق جولد .

(١٠٨) العقيدة والشريعة فى الإسلام

❁ التفتازاني - العلامة السعد .

(١٠٩) شرح المقاصد - تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة .

❁ التل - الأستاذ عبدالله .

(١١٠) خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية ١٩٦٩م .

❁ توفيق - الأستاذ نور الدين محمد .

(١١١) من معالم الشعر الصوفى - طبعة دار الهدى ١٣٦٧هـ .

❁ توكاريف - المستشرق سيرجي .

(١١٢) الأديان فى تاريخ شعوب العالم - ترجمة د.م/أحمد فاضل - طبعة مكتبة الأسد بسوريا ١٩٩٨م .

حرف الثاء

❁ ثعيلب - الشيخ فارس عبدالعاطي .

(١١٣) الدعاوى المنحرفة وخطرها على الإسلام - طبعة الدار العثمانية ١٩٢٣هـ .

❁ الثورى - الدكتور فوزى محمد خليل .

(١١٤) البلدان النامية والثورات - مطبعة هناء بدمشق ١٩٤٣م .

❁ الثورى - العلامة الشيخ .

(١١٥) المنهاج مع شرح مغنى المحتاج للإمام الخطيب الشربيني .

❁ ثروت - الأستاذ عبدالباقي محمد .

(١١٦) حكومات طهران فى القرن التاسع عشر - طبعة الدار العثمانية ١٣٢٣هـ .

حرف الجيم

❁ الجرفادقاني - العلامة أبو الفضائل .

(١١٧) الحجج البهية - طبعة المحفل البهائي الروحاني المركزي بمصر ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م .

* الجمل - الدكتور أحمد حمودة .
(١١٨) فى المذاهب المعاصرة - طبعة أولى - دار الطباعة المحمدية ١٤١١هـ/١٩٩١م .
* الجمل - الدكتور حامد .
(١١٩) تاريخ إيران - جـ١ طبعة الدار الجديدة ١٩٥٧م .
* الجميل - الأستاذ عبدالعزيز محمود .
(١٢٠) البابية وخطرها على الإسلام - طبعة دار المنار ١٣٣٨هـ .
* الجيوشى - الدكتور محمد إبراهيم .
(١٢١) البابية والبهائية - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .
* جبر - الدكتور على محمد .
(١٢٢) منطق حديث - طبعة ١٩٧٣م .

حرف الحاء

* الحسن - الأستاذ محمد عبداللطيف .
(١٢٣) ولاية الله وولاية الشيطان - ط٣ - مطبعة دار فؤاد ١٩٣٣م .
* الحسناوى - الشيخ محمد المرتضى .
(١٢٤) نظرات فى الديانة الفارسية القديمة - طبعة دار حكمت ١٩٢٧م .
* الحسنى - الدكتور محمد بن علوى بن عباس المالكى .
(١٢٥) فى رحاب البيت الحرام - ط٣/١٤٠٥هـ/١٩٩٨٥م - دار القبلة للثقافة الإسلامية .
* الحسينى - العلامة محمد المرتضى .
(١٢٦) نظرات فى أنظمة المجتمع - الطبعة الأولى ١٣٣٧هـ .
* الحوينى - الدكتور حسن محرم السيد .
(١٢٧) البابية والبهائية والقاديانية فى المعايير الإسلامية - طبعة دار الهدى ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م .
* الخطيب - الأستاذ محب الدين .
(١٢٨) البهائية - ط٣ - المكتب الإسلامى - بيروت ١٣٩٠هـ .
(١٢٩) الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الاثنا عشرية .
* حسب الله - الدكتور على .
(١٣٠) أصول التشريع الإسلامى - دار المعارف بمصر - الطبعة الخامسة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .
* حسين - الشيخ السيد عبدالله .
(١٣١) نظرات فى الفكر المنحرف (البابية) ط٢/١٩٦٢م .
* حسين - شيخ الإسلام الشيخ محمد الخضر وآخرون .
(١٣٢) البابية والبهائية فى الميزان - طبعة مجلة الأزهر (المجلد الخامس) .

❊ **حكمت الله - الأستاذ نصر الدين .**

(١٣٣) الحركات الهدامة - البابية والبهائية - طبعة دار الرحمة ١٣٣٥هـ .

❊ **حكمت الله - الأستاذ نور الدين محمد .**

(١٣٤) الأسماء والألقاب الفارسية - طبعة دار الكواكب ١٣٦٥هـ .

حرف الخاء

❊ **خان - الدكتور محمد مهدى شمس الدين .**

(١٣٥) مفتاح باب الأبواب .

❊ **خضر - الأستاذ توفيق محمد .**

(١٣٦) النبوة والأنبياء - الطبعة الثانية ١٩٤١م .

❊ **خضر - الدكتور فوزى محمد .**

(١٣٧) علم الاجتماع - الثامنة ١٩٦٧م .

❊ **خليفة - الأستاذ محمد التهامى .**

(١٣٨) البابية واستمرار الانحراف - ط١/١٣٧٥م .

❊ **الخليلى - الأستاذ محمود عبدالعاطى .**

(١٣٩) الأئمة الاثنا عشرية - طبعة الدار القومية بسوريا ١٣٥٧هـ .

حرف الدال

❊ **داود - الأستاذ عوض محمود .**

(١٤٠) البابية حركة هدامة - ط١/١٣٣٨هـ .

❊ **الدردير - العلامة الشيخ .**

(١٤١) الشرح الكبير مع حاشية الدسوقى .

❊ **الدنيورى - العلامة محمد عبدالعاطى .**

(١٤٢) البابية الأصول والغايات - طبعة دار التقوى ١٩٢٣م .

❊ **الدوينى - الأستاذ تهامى محمد عبدالعظيم .**

(١٤٣) البابية فى مراحلها الأولى - طبعة دار فؤاد ١٩٧٣م .

حرف الذال

❊ **ذاكر - الأستاذ ناصر الدين محمود .**

(١٤٤) اليهود الدونمة وخطرهم على المسلمين ط٢ دار حكمت بتركيا ١٣٣٥هـ .

❊ **الذاكى - الدكتور عوض الله .**

(١٤٥) المرضى والأخطار الاجتماعية - ط٤ دار المهدى بالعراق ١٩٥٧م .

* ذكى - الدكتور منصور عبدالغنى .
(١٤٦) الفرس فى ظل الإسلام - طبعة مراكش ١٩٢٧م .

حرف الراء

* رضوان - الشيخ محمد عبدالحميد .
(١٤٧) الروح الإنسانية - طبعة دار مختار ١٩٣٨م .
* رضوان - الأستاذ خيرى .
(١٤٨) التوحيد بين المسيحية والإسلام ط٢/١٩٤٧م .
* الربيعى - الأستاذ عبدالقادر على .
(١٤٩) الدولة الصفوية وتوجهاتها الإسلامية - طبعة دار الهندى ١٩٢٣م .

حرف الزاى

* زيدان - الشيخ نصر الدين محمود .
(١٥٠) الشيعة وتأويلاتهم المنحرفة - ج١ دار مراد ١٣٤٧هـ
* الزير - الأستاذ محمود أحمد .
(١٥١) شريعة تعدد الزوجات فى الإسلام - طبعة دار الوعى بلاهور ١٩٤٣م .
* الزينى - الدكتور صالح عبدالمحسن .
(١٥٢) أثر الصراع الدينى على الأقليات - ط١ الدار النعمانية ١٩٥٥م .

حرف السين

* السالوسى - الدكتور على أحمد .
(١٥٣) مع الشيعة الاثنى عشرية فى الأصول والفروع - طبعة دار التقوى بمصر .
(١٥٤) أثر الإمامة فى الفقه الجعفرى وأصوله .
* سبع - الأستاذ توفيق محمد .
(١٥٥) قيم حضارية فى القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن - طبعة دار المنار بالقاهرة .
* سبنسر - الدكتور توماس .
(١٥٦) الطب النفسى (دراسة تطبيقية) - ترجمة فؤاد ناشد ١٩٥١م .
* السهيلى - العلامة .
(١٥٧) الروض الأنف وبالهامش تقريرات العلامة الطويل .
* شاكر - الدكتورة زينب محمد عفيفى .
(١٥٨) ابن باجه وآراؤه الفلسفية (رسالة ماجستير) بكلية بنات عين شمس ١٩٧٦م .

❊ شامة ـ الدكتور محمد عبدالغنى مرسى .
(١٥٩) أثر البيئة فى ظهور القاديانية ـ مكتبة وهبة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
❊ الشرقاوى . شيخ الإسلام عبدالله بن حجازى .
(١٦٠) حاشية الشرقاوى على شرح الهدهدى ـ طبعة الحلبى الرابعة ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م .
❊ الشريف ـ الأستاذ نوار محمود .
(١٦١) أثر الفكر الفارسى على البابية ـ ط١ دار مراد بالديار العثمانية ١٣٠٨هـ .
❊ شعيب ـ الأستاذ محمود محمد .
(١٦٢) البابية الحركة والهدف ـ ط١/١٩٤١م .
❊ شمس الدين ـ العلامة محمد مهدى .
(١٦٣) ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الإنسانية ـ طبعة دار التراث الإسلامية ـ بيروت ١٩٧٤م .
❊ شمنز ـ المستشرق الألمانى باول .
(١٦٤) الإسلام قوة الغد العالمية ـ ترجمة د/ محمد شامة ـ مكتبة وهبة

حرف الصاد

❊ صالح ـ الأستاذ فوزى عبدالحميد .
(١٦٥) السلوك السلبى والإيجابى ـ طبعة أولى ـ دار منار .
❊ صبحى ـ الدكتور أحمد محمود .
(١٦٦) نظرية الإمامة ـ طبعة القاهرة الأولى ١٩٦٩م .

حرف الضاد

❊ الضبع ـ الدكتور توفيق محمد .
(١٦٧) العلاقات الاجتماعية المتبادلة ـ طبعة الموصل ١٩٥٧م .

حرف الطاء

❊ الطاهر ـ الأستاذ طاهر محمد .
(١٦٨) شرائع الشيطان ـ طبعة أولى ١٩٣٧م .
❊ الطحاوى ـ العلامة الفقيه المحدث أبو جعفر بن محمد بن سلام .
(١٦٩) مختصر الطحاوى ـ نشر لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد الدكن الهند .
❊ الطشقندى ـ الشيخ نعمت الله محمد .
(١٧٠) البابية والبهائية أعداء الشريعة الإسلامية ـ طبعة أولى ١٣٣٥هـ .

❊ الطناحى ـ الأستاذ جميل عبدالوارث .

(١٧١) إيران الماضى والحاضر ط٢/١٩٨١م .

❊ الطنطاوى ـ الأستاذ نور الدين عبدالعاطى .

(١٧٢) معارف غير مستقيمة ـ ط١ ـ التجارية ١٩٤٥م .

❊ الطويل ـ الأستاذ ثابت بدوى .

(١٧٣) التأويلات الفاسدة والفرق المنحرفة ـ ط٢/١٩٣٥م .

❊ الطويل ـ الأستاذ محمد عبدالحليم .

(١٧٤) أعداء الإسلام ـ طبعة دار الهدى ١٣٣٧هـ .

❊ الطويل ـ الأستاذ نور الدين عبدالعاطى .

(١٧٥) الأنظمة الاجتماعية الجديدة ـ طبعة دار الوفاء ١٩٥٧م .

❊ الطيب ـ الأستاذ توفيق محمد .

(١٧٦) دراسات فى الملل والنحل ـ طبعة الدار البيضاء بمراكش ١٣٣٧هـ .

❊ الطيب ـ الأستاذ ناصر محمد .

(١٧٧) الفكر والواقع ـ ط١/١٩٦٨م .

حرف الظاء

❊ ظهير ـ الأستاذ إحسان إلهى .

(١٧٨) الشيعة والقرآن ـ طبعة إدارة ترجمان السنة بلاهور .

(١٧٩) الشيعة والسنة ـ طبعة دار الصحوة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

حرف العين

❊ العاملى ـ العلامة محمد الجواد بن محمد الحسينى .

(١٨٠) مفتاح الكرامة شرح قواعد العلامة ١٣٣١هـ .

❊ عبدالحكيم ـ الأستاذ رضوان محمود .

(١٨١) المسلمون فى خطر ـ طبعة الدار الحديثة ١٩٥٧م .

❊ عبدالحميد ـ الدكتور فوزية .

(١٨٢) الطب النفسى ومدارسه ـ طبعة دار المعتصم الأولى ١٩٥٧م .

❊ عبدالحميد ـ العلامة عبدالمولى السيد محمد .

(١٨٣) والأنعام خلقها لكم ـ طبعة الدار الميمنية ١٣٣٥هـ .

* عبدالدايم - الأستاذ محمد.
(١٨٤) الفكر المنحرف - ط١ كركوك ١٩٥٧م.
* عبدالسلام - الأستاذ منصور محمد.
(١٨٥) السحر والشعوذة وموقف الإسلام منهما - ط٢/١٩٥٧م.
* عبدالعاطى - الأستاذ الطاهر محمد.
(١٨٦) البابية والبهائية (دراسة مقارنة) طبعة دار فؤاد ١٩٦٣م.
* عبدالعاطى - الأستاذ توفيق محمد.
(١٨٧) السيكولوجية - طبعة الدار البيضاء ١٩٥٦م.
* عبدالعاطى - الأستاذ محمد حسن.
(١٨٨) أدعياء النبوة - طبعة الفجر الجديد ١٩٤٣م.
* عبدالعاطى - الأستاذ ناصر الدين محمد.
(١٨٩) من مظاهر الجدل فى الفكر الإسلامى - ط١/١٩٤٧م.
* عبدالعظيم - الشيخ محمود محمد.
(١٩٠) الشيعة فى القرن الثامن عشر ط٣/١٩٤٧م.
* عبدالقادر - الأستاذ بيومى محمد.
(١٩١) المجتمع الإنسانى وقضاياه - طبعة دار مراد ١٩٦٧م.
* عبدالكامل - الشيخ رسلان محمد.
(١٩٢) الباب ونحلته - طبعة دار البغدادى - مراكش ١٩٤٧م.
* عبدالكريم - الأستاذ نور الدين.
(١٩٣) الدبلوماسية وعلاقتها بالجاسوسية ط١/١٩٤٧م.
* عبدالمولى - الأستاذ خليل السيد.
(١٩٤) إيران فى القرن الثامن عشر - طبعة أولى ١٩٥١م.
* عبدالهادى - الدكتور محمد عبدالواحد.
(١٩٥) مقاصد الشريعة الإسلامية - طبعة أولى ١٩٥٧م.
* عبدالواحد - الأستاذ بدر الدين.
(١٩٦) الاستعمار والبابية - الطبعة الأولى - دار الهدى ١٩٢١م.
* العبكى - الشيخ محمد على.
(١٩٧) رابعة العدوية - ط١ التجارية ١٩٢١م.
* عثمان - العلامة الشيخ المنتصر محمد.
(١٩٨) نظرات فى الشيعة فرقها ومبادئها - طبعة دار نصار ١٩٢٣م.

❊ **عثمان - الشيخ محمد عبدالعظيم .**
(١٩٩) البابية وأصولها - طبعة أولى ١٩٤٦م .
❊ **العجمي - الأستاذ أحمد فهمي .**
(٢٠٠) التناسخ بين القبول والرفض - طبعة دار البحر مراكش ١٩٣٧هـ .
❊ **العرابي - الشيخ منصور عبدالباقي .**
(٢٠١) تعدد الزوجات في الإسلام .
❊ **عطية - الأستاذ خليل محمد .**
(٢٠٢) علم النفس والأخصائي الاجتماعي - طبعة منار ١٩٤٦م .
❊ **عطية - الشيخ محمد علي .**
(٢٠٣) عقيدة الرجعة - طبعة دار المنيرة ١٣٣٧هـ .
❊ **عليان - الشيخ منصور محمد .**
(٢٠٤) البابية وتأويلاتهم المنحرفة - طبعة دار المنصورة ١٣٣٥هـ .
❊ **عمارة - الدكتور محمد .**
(٢٠٥) الإسلام والعروبة - طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٦م .

حرف الغين

❊ **الغزالي - الدكتور محمد حسيني موسى محمد .**
(٢٠٦) أوراق منسية في النصوص الفلسفية .
(٢٠٧) الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي .
(٢٠٨) قضايا حبيسة في الفلسفة الحديثة - ط٣/١٩٩٨م .

حرف الفاء

❊ **الفوزان - الشيخ محمد .**
(٢٠٩) الطرائق المنحرفة - ط١ مكتبة النصر ١٣٣٥هـ .
❊ **فوزي - الأستاذ جميل عبدالغني .**
(٢١٠) دعاوى الشيعة المتطرفة - ط١/١٩٦٧م .

حرف القاف

❊ **القويسني - العلامة الشيخ حسن درويش .**
(٢١١) شرح القويسني على متن السلم في المنطق - ط الحلبي وعليها تقريرات الشيخ خطاب عمر الدوري .

❊ القزوينى - السيد أمير محمد الكاظمى .
(٢١٢) البهائية فى الميزان - مطابع دار القبس بالكويت .

حرف الكاف

❊ الكحكى - الأستاذ حسين محمد سليمان .
(٢١٣) معالم الفرقة المنحرفة - طبعة الدار الجديدة - تركيا ١٣٣٧هـ وطبعة دار حسن ١٩٥٧م .
❊ كيمنى - الدكتور جون .
(٢١٤) الفيلسوف والعلم - ترجمة أمين الشريف - المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٥م .
❊ الكلينى - العلامة .
(٢١٥) الكافى فى الأصول - طبعة إيران .

حرف اللام

❊ لهيطة - الأستاذ محسن عبدالحميد.
(٢١٦) الدعوات العنصرية فى القرن العشرين ١٩٨٧م .
❊ لوبون - المستشرق جوستاف .
(٢١٧) حياة الحقائق - ترجمة الأستاذ عادل زعيتر .
❊ مرسى - الأستاذ حسن محمد .
(٢١٨) نظرات فى قواعد النحو العربى - طبعة دار هيام بالفيوم ١٩٦٣م .
❊ المصرى - الأستاذ نشأت .
(٢١٩) النبى زوجا - طبعة المختار الإسلامى .
❊ مصطفى - الدكتورة تهانى .
(٢٢٠) علم النفس العام - ط٣ دار الانتصار ١٩٦٧م .
❊ المظفر - العلامة محمد رضا .
(٢٢١) عقائد الإمامية - مكتبة النجاح فى النجف الأشرف العراق ط١/١٣٧٣هـ .
❊ الملوى - العلامة الشيخ أحمد .
(٢٢٢) شرح السلم المنورق - طبعة الحلبى ١٩٣٨م .
❊ المليجى - العلامة الشيخ أحمد بن محمد .
(٢٢٣) حاشية المليجى على المنهاج ط٣ .

* الموسوي - الدكتور موسى .
(٢٢٤) الشيعة والتصحيح - الصراع بين الشيعة والتشيع .

حرف النون

* النبهاني - العلامة مجد الدين محمد.
(٢٢٥) دراسات في النحل الفارسية - طبعة دار زيدان ١٩٣٧م .
* نجم الدين - الشيخ عبدالعاطي محسن .
(٢٢٦) البابية وأخطارها على الإنسانية ١٩٦٣م .
* نجيدة - الأستاذ هاشم محمود .
(٢٢٧) أثر الحكومات في العادات الاجتماعية - طبعة دار فؤاد ١٩٤٧م .
* النحاس - الأستاذ عبدالحي بن علي .
(٢٢٨) البابية بين النحلة والفرقة - ط١ الديار العثمانية ١٣١٣هـ .
* نصر الدين - الأستاذ عطاالله محمد .
(٢٢٩) الباب بداية ونهاية ط٢ ١٣٣٥هـ .
* نصر الله - الأستاذ محسن محمد.
(٢٣٠) البابية انحراف فكري - طبعة التوحيد ١٩٧٣م .

حرف الهاء

* هاشم - الأستاذ علي محمد .
(٢٣١) البابية نهاية مخزية - ط٣ مراكش ١٩٤٣م .
* هلال - الأستاذ حسن .
(٢٣٢) نظرات في الفكر البابي - ط٣ دار الرحمة ١٩٥٧م .
* هيرز - الدكتور توماس واندر.
(٢٣٣) الطب النفسي - ترجمة د/نادر حسب الله - الدار البيضاء ١٩٥٣م .
* هيرز - الكاتب الإنجليزي توماس .
(٢٣٤) الجواسيس والحكومات الخفية - ترجمة فؤاد خاطر ١٩٧٣م .
* هيرسل - الدكتور أدموند .
(٢٣٥) العلاقة بين العبقرية والجنون - ترجمة أنس لبيب .

حرف الواو

* وفيق - الشيخ توفيق صالح.
(٢٣٦) خوارج إيران - طبعة أولى - دار رياض ١٣٣٧هـ .

* الوكيل - الأستاذ عبدالرحمن .
(٢٣٧) البهائية تاريخها وعقائدها .
* الوكيل - الدكتور ناصر الدين محمد.
(٢٣٨) الطب النفسي ج١ ط١/١٩٥٧م .

حرف الياء

* يسرى - الدكتور محمد عبدالقادر .
(٢٣٩) فني السياسة والسيطرة على الآخرين - طبعة دار مصباح ١٩٦٥م .
* اليوزجي - الأستاذ يحيى محمد.
(٢٤٠) البابية وحسين الداهية ١٩٣٧م .
* يسرى - الأستاذ محسن محمد.
(٢٤١) الحركات الهدامة - الطبعة الثالثة - مطبعة الدار البيضاء ١٩٢٧م .

إلى غير ذلك من المصادر التي سقطت سهوا، وسوف يطالعها القارئ الفاضل أسفل الصفحات على النحو الذي قدره الله تعالى، وكل شيء عنده بمقدار .

فهرست الموضوعات

كتب صدرت



أولا : في علم التوحيد

[١] الإيمان بالغيب وأثره على الفكر الإسلامي - أطروحة علمية - ط٧ - الأصدقاء ١٩٩٩م
[٢] حبو الوليد في علم التوحيد - شرح الموقف الخامس للأيجي ط٤ صبحي ١٩٩٨م .
[٣] عبدالكريم الخطيب وآراؤه الكلامية - أطروحة ١٩٩٢ علميه ط٥ آل بسيوني بالزقازيق
[٤] منهج السلف الصالح في إثبات وجود الله تعالى ط٦ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٥] الغزاليات في الإلهيات ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .
[٦] الغزاليات في النبوات - الطبعة الأولى - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .
[٧] الغزاليات في السمعيات ط٣ - آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٨] الغزاليات في المعاد وأمور الآخرة ط٢ مطبعة نصر الله ١٩٩١م .
[٩] المدخل التام لعلم الكلام - أولى آل مخزنجي ١٩٩٨م .
[١٠] حصاد الاقتصاد في الاعتقاد - جـ١ - إثبات الذات الإلهية ط١ آل مخزنجي ١٩٩٨م
[١١] حصاد الاقتصاد في الاعتقاد - جـ٣ - الأفعال الإلهية ط١ آل مخزنجي ١٩٩٩م .
[١٢] حصاد الاقتصاد في الاعتقاد جـ٤ : إثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ط١ صبحي ١٩٩٩م .
[١٣] مطاعن أعداء الإسلام في القرآن الكريم والرد عليها - ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م
[١٤] التأملات على ما في شرح المقاصد من سمعيات جـ١ ط٣ نور الهدى ١٩٩٤م .
[١٥] القضاء والقدر وأثرهما على المسلم ط٣ - آل بسيوني ١٩٩٨م .
[١٦] الإلهيات عند ابن سينا ط٢ - آل بسيوني ١٩٩٨م
[١٧] ذكر الله تعالى في القرآن والسنة ط٥ - مطبعة الشرق ١٩٩٢م .
[١٨] القسمة والنصيب وعلاقتهما بالقضاء والقدر ط٢ مطبعة الشرق ١٩٩٢م

ثانيا : في الفلسفة والمنطق والتصوف والأخلاق

[١٩] رياض الأشواق فى الميتافيزيقا والأخلاق - ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م
[٢٠] غدوة المشتاق فى ربوع الأخلاق - ط٤ مطبعة حبيب بالزقازيق ١٩٩٨م
[٢١] خواطر حثيثة فى الفلسفة الحديثة - ط٤ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .
[٢٢] أوراق منسية فى النصوص الفلسفية - ط٣ صبحى بالزقازيق ١٩٩٨م .
[٢٣] مناهج البحث بين التقليد والتجديد ط٣ الوطنية ١٩٩٢م .
[٢٤] أوراق مطوية فى التصوف والصوفية ط٥ - آل بسيونى ١٩٩٨م .
[٢٥] انسام حية فى الأفكار الصوفية ط٤ الشروق ١٩٩٨م .
[٢٦] مقدمات فى التصوف الإسلامى - مطبعة آل بسيونى .
[٢٧] الولاية فى الفكر الصوفى وأصولها الشرعية - ط٢ مطبعة زاهر ١٩٩٥م .
[٢٨] قضايا التصوف بين الأنصار والخصوم ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٨م .
[٢٩] التصوف المفترى عليه ط٢ مطبعة المنيرة ١٩٨٩م .
[٣٠] قيمة الصراع بين الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ط٤ - آل بسيونى ١٩٩٨م
[٣١] قضايا حبيسه فى الفلسفة الحديثة ط٣ الشروق بالزقازيق ١٩٩٨م .
[٣٢] المنطق بين التنظيم والتقنين ط١ الوطنية ١٩٩١م .
[٣٣] النديم فى المنطق القديم - ط٤ مطبعة آل بسيونى ١٩٩٩م .
[٣٤] الوليد المنطق فى علم المنطق - التصورات - ط دار حبيب ١٩٩٨م .
[٣٥] الخطاب بين الاصوليين ودعاة الحداثة مفهومه وقراءاته - ط١ آل بسيونى ١٩٩٩م .
[٣٦] الغزاليات فى منطق التصديقات - ط١ - آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .
[٣٧] الغزاليات فى منطق التصورات - ط١ - آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م
[٣٨] مدخل لدراسة الحكمة الإسلامية - ط١ - آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .
[٣٩] ملامح الحكمة الإسلامية فى المغرب .
[٤٠] التفكير الإنسانى ومستوياته ط٢ - آل بسيونى ١٩٩٩م .
[٤١] الشك فى الفكر الإنسانى مفهومه ودلالاته ط٣ آل بسيونى ١٩٩٩م .
[٤٢] ظاهرة القلق الإنسانى بين الدين والعلم ط٣ - رضوان ١٩٩٦م .
[٤٣] نظرية المعرفة عند ابن رشد - بحث محكم .
[٤٤] آراء واتجاهات فى الدين والفلسفة - ط٢ آل بسيونى ١٩٩٧م .
[٤٥] العلاقة بين بارمنيدس وأفلاطون - ط٤ مطبعة ياسر ١٩٩٥ القاهرة .

[٤٦] الدلالة بين الأصوليين والمحدثين والمناطقة -ط١ حربي ١٩٩٤م .
[٤٧] في الوجود وعلله- شرح النمط الرابع لابن سيناء - ط٢ مطبعة الهدى ١٩٩٢م .
[٤٨] ابن باجه مفكرا - ط١ - آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م.
[٤٩] آراء عبدالكريم الخطيب الفلسفية- أطروحة علمية ١٩٩٣م .
[٥٠] ابن باجة ومذهبه في الأخلاق- أطروحة علمية ١٩٨٧م .
[٥١] اثر الحب عند الصوفية على ادباء الرومانسية ط١ مطبعة رزق ١٩٨٨م .
[٥٢] نظرية السعادة في الفكر الإنساني - ط١ -آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .

ثالثا : التيارات الفكرية والفرق والمذاهب المقارنة

[٥٣] أوراق متناثرة في التيارات المعاصرة ط٤ القدس الشريف ١٩٩٨م
[٥٤] عقيدتا رفع عيسى ونزوله بين الإسلام والنصرانية - أطروحة علمية ط٣ آل بسيوني ١٩٩٨م
[٥٥] من وحي البيان في جماعة الشيطان ط٤ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[٥٦] صدع البرهان في جمهوري السودان ط٣ ياسر ١٩٩٧م .
[٥٧] وميض النصرانية بين غيوم المسيحية ط٥ حبيب ١٩٩٨م .
[٥٨] حنيف الأفنان في التعريف بالملل والنحل والأديان- ط٤ دار غريب ١٩٩٨م .
[٥٩] مقدمة ضرورية في نشأة الفرق الإسلامية ط١ آل بسيوني ١٩٩٩م.
[٦٠] رؤية نقدية في الفرق الإسلامية ط٢ الشروق ١٩٩٦م .
[٦١] قضايا المسيحية وموقف الإسلام منها - ط٢ مطبعة طارق ١٩٩٣م .
[٦٢] بين المسيحية والإسلام في القيم والأحكام ط٢ مطبعة حسنى ١٩٨٣م .
[٦٣] علاقة اليهودية الدينية بالعهد القديم ط٣ مطبعة يسرى ١٩٩٤م .
[٦٤] اليهودية من الأرض إلى الاعتقاد ط١ مطبعة نصر الله ١٩٨٧م .
[٦٥] العهد القديم بين المفهوم والدلالة ط٣ مطبعة الشرق ١٩٩٣م .
[٦٦] الرد الجميل على شبهات صموئيل ط٢ دار منصور ١٩٩٥م .
[٦٧] الرد المنجار على قول النجار ط١ مطبعة ناصر ١٩٨٢م .

[٦٨] فى التيارات الفكرية – ط١ – آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠٠م .
[٦٩] التطور الإحيائى بين النقل والعقل – ط١ – آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر ٢٠٠١م
[٧٠] البابية قراءة جديدة – ط١ – آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

رابعا : فنون متفرقات

[٧١] الإسلام وتعبئة الشعور العام – ط١ مطبعة محروس ١٩٩١م .
[٧٢] لماذا انتشر الإسلام ؟ ط٥ الأصدقاء ١٩٩٩م .
[٧٣] الدرة النيرة فى الدفاع عن السنة المطهرة جـ١ مطبعة غريب أولى ١٩٩٢م
[٧٤] حلف الفضول عند العرب وأثره فى العصر الحديث ط٢ صنعاء ١٩٩٧م .
[٧٥] درة المدد بتفسير سورة المسد ط٤ الأنوار ١٩٩٧م .
[٧٦] لماذا يتكمش أبناء الإسلام جـ١ – ط٣ القدس ١٩٩٥م .
[٧٧] دور الأعلام المصرى ما بين ١٩٦٥م إلى ١٩٧٣م – أطروحة علمية ١٩٧٩م .

خامسا : الأدبيات

(أ) المسرح

[٧٨] وهذا مذهبى : مسرحية جادة مرتجلة ط٨ آل بسيونى ١٩٩٩م .
[٧٩] أطعموا الجائعين – مسرحية تراجيدية – ط٤ آل بسيونى ١٩٩٨م .
[٨٠] المدرس الكشكول – مسرحية كوميدية هادفة – مطبعة غريب ١٩٩٤م .
[٨١] ثورة الضمير – مسرحية فى اللامعقول ط٤ مطبعة صبحى ١٩٩٣م .
[٨٢] يا بنى .. احفظ ثأر الشهيد – مسرحية جادة مرتجلة ط٣ عفت ١٩٩١م
[٨٣] صرخة أم – مسرحية هادفة – ط٤ – الشرقية ١٩٩٠م .
[٨٤] أم وأبناؤها فى معركة – مسرحية تراجيدية – ط٥ الوطنية ١٩٨٧م .
[٨٥] مراجل الحقد احترقت – مسرحية ملهاه ط٤ مطبعة ياسر ١٩٨٤م .

[٨٦] الحوار الداخلي والمنولوج النفسي- مسرحية رومانسية ط٤ - غريب ١٩٩٠

(ب) الشعر العربي

[٨٧] التائه الغريب- ديوان في الشعر العمودي ط٧ الأصدقاء ١٩٩٨م .
[٨٨] ظلال من الفكر - ديوان في الشعر المرسل- ط٦ آل بسيوني ١٩٩٩م.
[٨٩] خواطر شاعر - ديوان في الشعر العمودي ط٣ غريب ١٩٩٣م .
[٩٠] نفثة مهموم ودعوة مظلوم- ديوان في الشعر المنثور ط٥- توفيق ١٩٩١م
[٩١] أحلام الشباب – ديوان في الشعر المرسل ط١ مطبعة نور ١٩٧٦م .
[٩٢] مسافر عبر الأشواق – الطبعة الخامسة ط الأصدقاء ١٩٩٩م .
[٩٣] بن وحي الصبا – الطبعة الرابعة ١٩٩٨م .
[٩٤] أحلام الفجر – الطبعة الخامسة ١٩٩٧م .
[٩٥] مسافر على جناح الأشواك – الطبعة الثالثة ١٩٩٧م .
[٩٦] مؤذن الفجر – الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .
[٩٧] عواطف نبيلة – الطبعة الثالثة ١٩٩٧م .
[٩٨] فتوحات إلهية – الطبعة الأولى – آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.
[٩٩] إلهامات ربانية – الطبعة الأولى – آل بسيوني للطباعة والكمبيوتر ١٩٩٩م.

(جـ) الرواية

[١٠٠] الوداع الأخير : رواية اجتماعية- ط ٥ آل بسيوني ١٩٩٨م .
[١٠١] امرأة المعلم قرني- رواية اجتماعية ط٣ الشروق ١٩٩٧م .
[١٠٢] الجاهل متسلطا - رواية نقدية ط٥ مطبعة مرسى ١٩٩١م .
[١٠٣] سالمة- رواية اجتماعية ط٤ دار منصور ١٩٩٠م .
[١٠٤] لا تدعني إني . . . رواية اجتماعية ط٣ مطبعة نصر ١٩٨٩م .
[١٠٥] مياسة . . رواية اجتماعية ط٤ ط نور ١٩٨٧م .
[١٠٦] وداعا أيها اليأس- رواية نقدية ط٢ مطبعة مهيب ١٩٨٥م .
[١٠٧] سلطان الغريزة- رواية من الخيال العلمي- ط٢ - مطبعة الهدى ١٩٨٧م .
[١٠٨] الوجدان المحترق- رواية نقدية- ط١ ١٩٨٢م .
[١٠٩] صراع العقل مع العاطفة- رواية من الخيال العلمي- ط١ مطبعة زهران ١٩٨٣م .
[١١٠] شيء من الحقيقة- رواية واقعية ط٣ دار ناصر ١٩٨١م .

[١١١] منصور البطل- رواية واقعية ط٣ مطبعة زاهر ١٩٨١م.

[١١٢] الشاب الرزين- رواية خيالية أدبية ط٤ دار ناصر ١٩٨٢م .

[١١٣] الفيلق الأزرق- رواية نقدية أخلاقية ط٥ دار خيرى ١٩٨٩ .

[١١٤] سويعات فى مدارس البنات- رواية نقدية اجتماعية فى أنظمة التعليم ط٣ دار ناصر ١٩٧٩م

[١١٥] أفراح وأتراح رواية رومانسية ط٦ هشام ١٩٩٠ .

[١١٦] أقسمت أن أروى- رواية نقدية- ط٤ مطبعة محسن ١٩٨٧م .

[١١٧] أشواق وأطواق- ط٣ مطبعة ١٩٧٨م.

[١١٨] الأخلاق أرزاق ط٣- مطبعة يسرى ١٩٨٨م .

[١١٩] أعابير عزة- ط٤ مطبعة الحاج وحيد ١٩٩١م .

[١٢٠] أحلام السحر ط٤ مطبعة خالد ١٩٨٩م .

[١٢١] لمحات من حياتى- ط٤ مطبعة مهيب ١٩٧٨م .

[١٢٢] ستشرق الشمس ذات صباح- رواية رومانسية- ط٥ اشرف ١٩٨٢م .

(د) فى النقد الأدبى

[١٢٣] الأدب الرومانسى بين الأصالة والحداثة- ط١ مطبعة منتصر ١٩٨٦م .

[١٢٤] أثر الأغتراب على الأدباء المعاصرين- ط٣ مطبعة شروق ١٩٨٧م .

[١٢٥] فن كتابة المسرح النثرى ط٤ صبحى ١٩٩٥م .

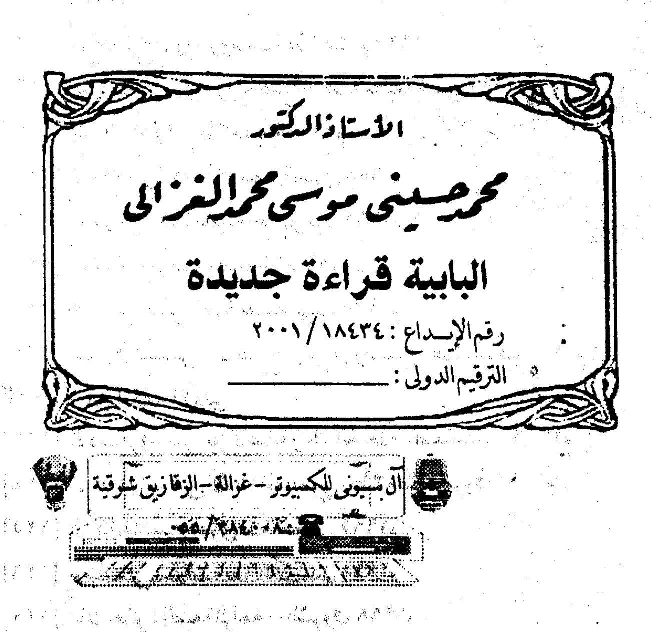
[١٢٦] يوميات فى سنوات- ط٦ الكونتنال ١٩٩٨م .

[١٢٧] أنات حائر : الطبعة الرابعة - الشروق ١٩٩٨م .

[١٢٨] من روائع الحكم والأمثال- ط٣ ياسر ١٩٩٠م .

[١٢٩] أنغام زجلية- ديوان فى زجل العامية ط٤ دار توفيق ١٩٨٥

مع تحيات
آل بسيونى للطباعة والكمبيوتر
غزالة - الزقازيق - شرقية
☎ : ٠٥٥/٢٣٧٠٠٨



الأستاذ الدكتور

محمد حسينى موسى محمد الغزالى

البابية قراءة جديدة

رقم الإيداع : ١٨٤٣٤ / ٢٠٠١

الترقيم الدولى : ____________

آل بسيونى للكمبيوتر - غزالة - الزقازيق شرقية

٠٥٥/٣٨٤٠٠٨٠